مطبوعات المجمع العلمي العراقي

البحوث والمحاضرات

(مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين ببغداد)

١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

«غير العادي»

مطبعة المجمع العلمي العراقي

مطبوعات المجمع العلمي العراقي



(مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين ببغداد)

١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

« غير العادي »





مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم : الدكتور عبدالرزاق محي الدين
رئيس المجمع العلمي العراقي

وبعد فهذا كتاب بمناسبة . الكتاب يمثل مجموعة ما القي في الدورة الثانية والثلاثين لمجمع اللغة العربية التى انعقدت في بغداد . والمناسبة استجابة مجمع اللغة العربيـــة لدعوة المجمع العلمي العراقي في ان يعقد دورته الثانية والثلاثين في العراق . ولقد كانت استجابة مجمع اللغة العربية لقبول ذلك أمنية عزيزة طالما راودت نفوس الاعضاء هنـــا ، وتحقيقاً لبعض الوسائل المنصوص عليها في صلب قانون المجمع العلمي العراقي لتحقيق اغراضه المجمعية ففي بعض فقر المادة الثالثة الخاصة بالوسائل التي يتوسل بها المجمع لتحقيق غاياته ما يلي :

توثيق الصلات بالمجامع والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية في البلاد العربية وغيرها . وفي المادة الرابعة : للمجمع ان يعقد مؤتمرات علمية وأدبية وان يساهم في المؤتمرات العلمية والادبية .

وأخذاً بذلك وجه رئيس المجمع العلمي العراقي المغفور له الشيخ محمد رضا الشبيبي دعوة الى مؤتمر مجمع اللغة العربية في ان يعقد دورته الثانية والثلاثين في بغداد وكان ذلك في عام ١٩٦٤ / ١٩٦٥ .

رحب المؤتمر بالفكرة بصورة مبدئية معلقاً الموافقة النهائية على الحصول على اذن من

الجهات المسؤلة في العربية المتحدة بالحصول على موافقة خاصة ، لأن قانون مجمع اللغة العربية ينص صراحة على عقد مؤتمراته فى القاهرة .

بعد حصول مجمع اللغة العربية على الاذن وصدور قرار جمهوري بالموافقة على عقد دورته الثانية والثلاثين لسنة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ غير العادية في بغداد اشعر مجمعنا بذلك فتهيأ للتحضير والإعداد والمشاركة فيما يلقى من بحوث او يدور من مناقشات .

لقد أدّت ـ فيما نقدر ـ هذه المناسبة اغراضها العلمية والثقافية والاجتماعية على افضل الوجوه واتمها ، ففي الناحية العلمية عقد مجمع اللغة العربية دورته فى بغداد واستوفى جدول أعماله من بحوث ومحاضرات ومناقشات ومقررات. وزاد على ذلك أن شارك اعضاء مجمعنا في كل ما تقدم ، فقدموا بحوثاً قيمة ، والقوا محاضرات خاصة وعامة ، وشاركوا في المناقشات وفي إقرار المقررات .

وفي الناحية الثقافية قسم المؤتمر جلساته الى نوعين : خاصة مقفلة على الاعضاء من المجمعين ، وعامة مفتوحة لجميع رجال الفكر من أدباء وشعراء واساتذة الجامعات والطلاب من مختلف عواصم العراق العلمية والأدبية فاستمعوا الى محاضرات الاعضاء فى شؤن اللغة والتاريخ والادب وشاركوا في المناقشات ، وبذلك اعانت الدورة اعانة بالغة على نشر الثقافة على اوسع نطاق ممكن .

وفي الناحية الاجتماعية كان انعقاد دورة المؤتمر القاهري ببغداد واشتراك المجمعين « وبين أعضائها ممثلون عن كل الاقطار العربية » في عمل موحد تعبيراً قوياً عن وحدة هذه الامة في مشاعرها ومثلها ولسانها وتعلقها بلغتها وآدابها ، ثم في العمل على ما يؤجج المشاعر ، ويحيي المثل، ويعلي الفكرة ، وييسّر اللغة . كما كان صورة رائعة لإجماع ابناء الشعب العربي والمسؤلين في القطرين على الترحيب بانعقاد الدورة في بغداد وذلك بما احتفوا واحتفلوا وأمدوا من عون ماديّ وأدبي من أجل توفير اسباب النجاح للمؤتمر .

لقد كانت مناسبة انعقاد المؤتمر في بغداد فرصة لأعضاء مجمع اللغة العربية ، اطلعوا فيها على الاماكن التاريخية والأثرية ومعالم النهضة الحديثة ، وأكثر ما يتصل

بالحضارة في وادي الرافدين . ووراء كل ذلك كشف التقاء المجمعين عن الآثار البالغة للعمل المشترك في خدمة اللغة وتطويرها وما يؤدي اليه من توفير في الجهد والوقت والمال بحيث اتفق الاعضاء في المجمعين على مواصلة اللقاء واطراده ليشمل في المستقبل سائر المجامع والمؤسسات اللغوية في البلاد العربية .

واذا كان للمجمع العلمي العراقي ان يقول في المناسبة شيئاً فهو الشكر الجزيل على استجابة مجمع اللغة العربية للدعوة وتجشم اعضائه عناء السفر ، وتمكين اعضاء مجمعنا من المساهمة الجدية في أعمال الدورة .

وأخيراً فهـذا الكتاب صورة لما دار في دورة المؤتمر من بحوث ومحاضرات ومناقشات ومقررات اضطلع مجمعنا بنشرها وفاءاً بجدول الاعمال ، بعد إعداد أصولها من قبل مجمع اللغة العربية . وكل ما نتمناه ان يكون صورة طبق الاصل ، وان تواصل المجامع العربية جهودها المشتركة في سبيل النهوض بلغة الضاد والله وليّ التوفيق .

تصدير

للدكتور إبراهيم مدكور

الأمين العام لمجمع اللغة العربية

لقد كان لقاء بغداد ذا معنى سام ومغزى كبير ، لمسنا فيه أن الفصحى حقاً صلة قربى أكيدة ، ورابطة أخوة لا تنفصم ، عشنا لها وبها عشرة أيام كاملة ، نلهج بذكرها ونطرب لحديثها ، ولو مدّت هذه الأيام العشرة إلى عشرات ما مللنا الحديث ، وما انصرف عنه أحد .

وتعرّفنا بشيوخ فيها فضلاء ، وخدام لها أوفياء ، يؤمنون بها ويسهرون عليها ، يريدون لها دائماً أن تبقى حية ، وأن تحتفظ بمكانتها بين لغات العالم الكبرى . يحرصون على تليدها ، ويرحبون بطارفها ، يستمسكون بالقديم ، ويلائمون بينه وبين حاجات العصر ومقتضيات العلم والحضارة . يحافظون في غير ما تزمت ، ويجددون في غير ما إسفاف . وحياة اللغة في الملاءمة بين الماضي والحاضر ، وربط القديم بالجديد .

* * *

وهذا الكتاب ، الذي يسجل ما دار في مؤتمر بغداد من بحث ودرس ، ثمرة من ثمار هذا الجهد الصادق والعمل الدائب . فيه عدة محاولات لإحياء التراث ، وكشف عن كنوز الماضي الخالدة . عُرض فيه لابن إسحق في سيرته ، وابن قتيبة في توجيهه اللغوي للكتاب ، والواعظ البغدادي صاحب الوتريات . وكُشف عن كتاب التفاحة في النحو

لأبي جعفر النحاس ، وعن ميزان البند ، وهو من أوزان الشعر التى عرفت في العراق منذ نحو من قرنين .

وقدمت مقترحات لتطويع اللغة متناً وقواعد ، فأجيز تأنيث صيغة فَعْلان بالتاء وجمعها جمع تصحيح . وخففت شروط أفعل التفضيل ، بحيث يهون أمره على الناشئين والدارسين . وأشير إلى ما في المذهب الكوفي من جوانب يمكن الافادة منها لتيسير اللغة وتطوير النحو والصرف . واستعرض وزن فعيل وفعول ، لبيان ما يغلب على كل منهما من دلالة .

وعولجت المصطلحات من نواح شتى ، وهى لغة العلم ، ووسيلة هامة من وسائل النهوض والتقدم . فبعثت مصطلحات قديمة من مرقدها رغبة في الإفادة منها ، وأقرت مصطلحات طبية وفلسفية ، ودعي إلى توحيد المصطلحات القانونية والعسكرية . وأثبت في وضوح أن العربية صالحة تمام الصلاحية للبحث العلمي والدراسة الجامعية ، وأشير إلى أن فيها كل مقومات اللغة العالمية ، وجدير بنا أن نهيئها لذلك ، كي تعين على تقرب الشعوب ، وتقضي على كثير من تبلبل اللهجات في بعض البيئات والمجتمعات .

* * *

وإلى جانب هذه المعاني الكبرى ، كان لمؤتمر بغداد مغزى يجب أن نحرص عليه ونتعهده ، وهو أن ليس شيء أعون على التبادل الفكري والفهم والتفاهم من الاتصال المباشر وتقابل الآراء عن كثب . فلنأخذ بهذه السنة الصالحة ، ولنكثر من هذه اللقاءات ، ولتمتد سلسلة هذا النوع من المؤتمرات .

الجلسة الافتتاحية

(عامة)

مساء السبت ٢٦ من رجب سنة ١٣٨٥

٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٥

١ — كلمة السيد رئيس وزراء العراق الأستاذ عبد الرحمن البزاز . تكلم بها نائباً في الافتتاح عن السيد رئيس الجمهورية .

٢— كلمة المجمع العلمي العراقي للدكتور سليم النعيمي نائب رئيس المجمع العلمي العراقي.

٣— مجمع اللغة العربية في بغداد للدكتور إبراهيم مدكور الامين العام لمجمع اللغة العربية

٤— كلمة للأستاذ عبدالله كنون عضو مجمع اللغة العربية .

٥— « تحية لبغداد » قصيدة للأستاذ محمد عزيز أباظة عضو مجمع اللغة العربية .

١ — كلمة السيد رئيس وزراء الجمهورية العراقية

الاستاذ عبد الرحمن البزاز

أيها الإخوة الكرام :

بسم الله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وحمداً لله الذي كرم الانسان وحمل ذريته في البر والبحر وزاد في تكريم هذه الأمة حين جعل كتابه الكريم بلسان عربي مبين وجعل هذا الكتاب ذكرى للنبي المصطفى وأمته المختارة ، وإنه لذكر لك ولقومك ولسوف تسألون .

وبعد فأحمد الله إليكم أيها السادة الخالدون أعضاء المجمع اللغوي العربي حين قبلتم دعوة المجمع العلمي العراقي لعقد مؤتمركم هذا في بغداد ، بغداد عاصمة المنصور والرشيد والمأمون ، بغداد :

« يا موئل الأمل القديم ومبعث الامل الجديد »

كما قال المرحوم علي الجارم أحد الخالدين من سلفكم طيب الله ثراه .

بغداد الذي ما أظن أحداً منكم إلا وقد قال فيها في سره أو علنه ، في ظاهره أو باطنه في عقله الواعي أو الباطني ما أظن أحداً منكم إلا ردد قول أبي تمام :

في الشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقتين وبالفسطاط إخواني

ولا أحسب أن عربياً حيثما يكون في بغداد أو القاهرة أو الرباط أو صنعاء — في أقصى مشرق العروبة أو أقصى مغربها ، إنه حيث يكون في حاضرة من حواضر عالمنا العربي إلا ويحيا من أعماق نفسه ، إنه بين ذويه وأهله فلست أرى أن أرحب بكم وأنتم بين أهليكم ومواطنيكم ولكن أشعر بالفخر أن يتاح لي أن أرحب بكم وأشعر بهذا الفخر أضعافاً مضاعفة حين تكون هذه المهمة قد عهدت إلي نيابة عن السيد رئيس الجمهورية المشير الركن « عبد السلام عارف » الذي يعرف لكم قدركم ويعرف الجهد المشكور الذي تبذلونه

في الحفاظ على هذه اللغة و بقائها حية نامية متطورة وافية بمتطلبات هذا العصر من علوم وفنون وآداب ومخترعات . وإني على يقين كما أني أعتقـد أنكم قادرون على الوصول بهذه اللغة الكريمـة التي اختارها الله تعالى لتكون قادرة على أن تفي بكل هذه المتطلبات ، وإنكم بعملكم الدائب وجدكم المستمر وأعمالكم المشكورة بالنون الهدف ، وإني لعلى علم أن الكثيرين يعـلمون ما تعملون وما تلقون من عظيم المشقة ومدى الجهد الذي تبذلونه ، وإني على يقين كذلك أننا سندرك جميعاً يوماً عظيما يقدر هذه الجهود المشكورة المباركة . وإنكم بإذن الله بعملكم هذا تقيمون لا اللغة العربية وحدها من حيث هي أداة للتعبير وواسطة للحفاظ على التراث ، ولكن باعتبارها الدعامة الأساسية التي تقوم عليها قوميتنا وأمتنا العربية .

والقومية أيها السادة هى أولا وقبل كل شيء لغة القوم ، وستبقى العروبة ، وستبقى الأمة العربية كما قال أحد زملائكم السالفين المرحوم شفيق غربال « وستبقى الأمة العربية بخير ما بقيت اللغة العربية في خير » .

فأنتم تعملون لهذه الأمة ولغتها أحسن عمل وأرصن عمل ، تقيمون دعائم هذه الأداة لوحدة أمتنا .

إن الروابط التي تربطنا أيها السادة لا حصر لها ، ولكن لغتنا تلك هى أقوى الروابط وأثبتها على الدهر . هذه هى اللغة التي عبر عنها شاعرنا الرصافي بقوله :

وتجمعنا جوامع كبريات وأولهن سيدة اللغات

على أن هذا المعنى لم يختص به الرصافي ، فقـد سبقه إليه كثيرون من شعراء العربية ولعلنا نجده في قول أحد الشعراء :

فنحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجرح والآلام إخوان

ونحن في واقع الحال إخوة ، لأننا أولا وقبل كل شيء أبناء لغة واحـدة .. الأمة الواحدة هم أبناء اللغة الواحـدة حينما تصبح تلك اللغة لغة وجودهم وحين تصبح اللغة

تراثهم وحين تصبح اللغة حضارتهم وآدابهم ومشاعرهم .

فنحن إذن بهذه اللغة سنقيم وحدتنا وبالحفاظ عليها وبالعمل الدائب من أجلها نحقق وحدتنا .

ولست أريد ان أطيل وأن أكرر القول فيما أنتم به عارفون ولكن حبي لهذه اللغة - وأنا أحدثلامذتكم المعجب بالجهد الصادق الذي تقومون به - دفعني إلى أن أقول ماقلت .

ومرة أخرى أكرر الشكر خاصة لإخواني الذين تجشموا مشاق السفر ولا أقول وعثاء السفر بعد الأجنحة وطائرات الهواء ، ولكن أقدم الشكر على تفضلكم بالحضور في هذه الفترة بعد ثلث قرن من حياة مجمعكم العتيد الخالد ، سدد الله خطاكم وأبقاكم حفاظاً وسنداً لهذه اللغة الكريمة وسدد الله خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله .

٢ ـ كلمة المجمع العلمي العراقي

الدكتور سليم النعيمي

سيدي ممثل السيد الرئيس :

باسم المجمع العلمي العراقي أتقدم بالشكر الجزيل ، للسيد رئيس الجمهورية لرعايته هذا المؤتمر ، وشموله بعنايته ، تكريماً للعلم وأهله ، واعتزازاً بلغة القرآن ، وإعزازاً للسان أمة العرب .

سادتي الأساتذة الأفاضل أعضاء مجمع اللغة العربية ، كذلك باسم المجمع العلمي العراقي ، ونيابة عن أعضائه اتقدم بخالص الشكر على استجابتكم لدعوتنا بعقد دورة مجمعكم الموقر لهذا العام في العراق ، ونقلكم الدورة المجمعية من القاهرة الى بغداد ، تقديراً لوحدة هذه الأمة بوحدة لغتها ، وايماناً بوحدة اقطارها لوحدة فكرها وعبارتها ، وإدراكا لواقعها المتهيء المشرق على وحدة الاهداف والمصير .

سادتي الأفاضل : إن المجمع العلمي العراقي يتقدم إليكم جميعاً ، بالشكر الجميل لاستجابتكم لحضور هذا الحفل ، ومشاركتكم في حفلة افتتاحه ، مساهمة منكم في تقديره واحتفاء بأعلام اللغة والأدب من رجال المجمعين في مصر والعراق ولا بد هنا من التنويه بأن مجمع اللغة العربية في مصر يضم أعلام اللغة من عرب ومستعربين ، فالاحتفاء بمؤتمره يعني الاحتفال بكل الذين قدموا خدمات للغتنا من مختلف الأمم والشعوب .

سيداتي سادتي ، لا أريد هنا وفي حفل تقليدي لافتتاح المؤتمر أن اتحدث عن المهمة التي تقدمها المجامع اللغوية ، ولا أن أشيد بالخدمات الجليلة التي تؤديها للمتحدثين والمفكرين والباحثين ، ولا إلى ما يتصل بذلك وينشأ عنه من الحفاظ على ذاتية الأمـة

وتميزها في وجودها وفي مقومات ذلك الوجود ولا إلى الآثار البعيدة من تعلية للتفكير والتعبير الانساني على العموم ، فذلك شيء مفروغ منه متسالم عليه .

إنما أريد أن ألمح موجزاً الى فضل هذه اللغة علينا من حيث إننا أمة ، ومن حيث إننا وجود ماثل وحقيقة متجددة عبر مئات القرون .

بهذه اللغة تميزنا عن الأقوام الآخرين في تاريخنا القديم وبها - فيما يسمى بالعصور الجاهلية - عدنا أمة واحدة على اختلاف المواطن والقبائل واللهجات وبها وحدها التقت تلك المواطن والقبائل واللهجات على وحدة التفكير والتعبير والأهداف ، حتى انتهى الأمر بنا إلى رسالة سماوية مقدسة حملتها لغتنا إلى العالم بوفاء وقوة أداء .

وحين تهيأ للبشرية أن تسمعها وتعي مفاهيمها ، وأن تتعلمها وتقـدر على تعليمها شاركتنا شعوبها وأممها من نشرها وفي التبشير برسالتها ، وبذلك خرجنا عن أن نكون أمة نسب ودم إلى أن نكون أمة ثقافة وحضارة وتعبير وتفكير ، وتطورت إثر ذلك قوميتنا القبلية العنصرية إلى قومية حضارية فكرية ، شملت - فيما شملت - كل الأقوام التي اتخذت العربية لساناً ، والمشاعر العربية وجداناً ، والنزوع العربي منطلقاً الى دروب الحياة.

وبالاضافة الى ذلك ، فقد وصلت بيننا وبين شعوب كثيرة آمنت بحضارتنا ولم تلتزم بعبارتنا ، ولكنها استعانت بكثير من مفرداتنا وعباراتنا ومصطلحاتنا ، وبنت عليها أصول كتابتها وحروف هجائها ، وقواعد نحوها وصرفها وعروض شعرها ، ومناهج بحثها ، فكان لنا بما تم من ذلك امتداد وتواشج مع هذه الشعوب .

ذلك الى أمم أخرى لم تغن لغتها عن لغتنا ، ولم تحرم الانتفاع بها أخـذا بالمفردة ، ونقلا للفكرة ، واقتباساً للنهج .

إن بداية نهضتنا الجاهلية كانت نهضة لغوية ، تمثلت في معلقاتنا وفي خطبنا وحكمنا ووصايانا ، وان آية نهضتنا في الإسلام كانت معجزة بيانية تمثلت في قرآننا وفي أحاديث نبينا ، وكتب خلفائنا وأئمتنا ، ومأثورات ولاتنا وقادتنا .

وان قواعد حضارتنا وعلمنا وفننا في العهد العباسي جاءت في اعقاب نهضة لغوية تمثلت فيما ابتدعه الخليل بن أحمد الفراهيدي في معاجم اللغة ، وبما بدأه أبو الأسود الدؤلي من قواعد النحو ، وبما رواه الاصمعي وأبو عمرو بن العلاء .

وان نهضتنا الحديثة الماثلة بدأت بنهضة اللغة العربية في مصر وبنشر كتب اللغة والادب فيها ، وبما قدمته مطابع مصر من الآثار اللغوية للاقدمين .

أيها السادة الأفاضل :

من هذا الاستعراض الخاطف يستطيع الباحث ان يزعم مطمئناً الى ان أمتنا ما تقدمت شوطاً في مضمار الحياة إلا كانت الخطوة الاولى خطوة لغوية ، وإلا كان الانبعاث الأول انبعاثاً لغوياً ، وإلا كان رجال اللغة رادة طريقها الجديد ، وقادة ركبها الزاحف .

إن التقاء مجمع اللغة العربية في القاهرة بالمجمع العلمي العراقي يمثل مرحلة جديدة في العمل على خدمة هذه اللغة ، وسابقة محمودة الى التقاء المجامع اللغوية في كل الأقطار العربية ، الأمر الذي يشير إلى أننا في سبيل نهضة عامة تلتقي عليها جهود اللغويين والباحثين ، وأن أمتنا تتأهب لتنهض مرة أخرى وتطلع على العالم باللسان المبين ، والفكر السليم الحكيم .

أيها الإخوان الافاضل :

إن المجمع العلمي ليعلن اغتباطه وابتهاجه بهذا اللقاء الكريم ، ويضع يده بيدكم متعاوناً مخلصاً ، أملا ان تثمر جهودكم أزكى الثمار ، وان تبلغ مساعيكم غايتها القصوى من النجاح .

وفي الختام أسأل الله ان يأخذ بأيدينا الى ما ينجح مقاصدنا ، ويرضي مطامحنا في خدمة لغتنا . إنه ولي التوفيق .

٣ — مجمع اللغة العربية في بغداد

للدكتور ابراهيم مدكور

الأمين العام لمجمع اللغة العربية

سيدي نائب رئيس الجمهورية :

إن في تشريفكم لجلستنا هـــذه لمغزى كبيراً وتكريماً عظيماً ، إنه تكريم للعربية والعروبة . ولقد كان المجمعيون قديماً يعدون مجلسهم صومعة يتعبدون فيها بخدمة الأدب واللغة ، اما اليوم فيؤمهم رؤساء الدول والحكومات ، وفي ذلك نصر عزيز ، وتأييد لرسالتهم الكبرى .

سيداتي ، سادتي هذه أول مرة يجتمع فيها مجمع اللغة العربية خارج القاهرة ، وليس بغريب ان يتم ذلك في بغداد ، حاضرة الدنيا ، وملتقى الثقافات العالميـــة الكبرى في صدر الدولة العباسية . ففيها التقت الثقافة الهندية الفارسية بالثقافة اليونانية الرومانية ، وامتزجت كلها في الثقافة العربية والاسلامية . واليها جلبت ذخائرالعلم من الشرق والغرب ، وســـرعان ما ترجمت على اختلاف مصادرها وتنوع موضوعاتها . فترجم عن الهندية والفارسية ، كما ترجم عن العبرية والسريانية ، وعرّب كل ما وقعت عليه اليد من اليونانية . ولا نزاع في أن حركة الترجمة العباسية مثل فريد في تاريخ النهضات العلمية قديماً وحديثاً .

وفي القرن التاسع الميلادي أضحت بغداد أهم مركز ثقافي في العالم ، عرف قبل أن تعرف باريس واكسفورد ، وازدهرت فيها شتى العلوم والفنون ، من تفسير وحديث وفقه ، ولغة ونحو وصرف ، وطب وفلك ورياضة ، ومنطق وفلسفة ، وغناء وموسيقى ونقش وتصوير . وأنشئت المكتبات العامة والخاصة ، وتنافس المتنافسون في اقتناء الكتب والذخائر ، وتنوعت حلقات الدرس والبحث في الدور والمساجد ، ونشطت الأندية العلمية

في قصور الخلفاء والأمراء ، وأثير فيها ما أثير من جـــدل ومناظرة . وتقابلت المدارس اللغوية والفكرية ، واصطرعت الآراء والمذاهب . واصبحت بغـــداد كعبة يحج إليها الباحثون والدارسـون ، ينهلون من حياضها ، ويستنيرون بضوئهـا ، ولا تـكاد تـكتمل ثقافة شخص إلا إن قضى فيها زمناً .

وبغداد اليوم بنت بغـداد الأمس ، تشيد الصرح ، وترفع الوية العلم والثقافة ، كلها حياة ويقظة ، وهمها نهوض وتقدم ، فيها درس وبحث ، واختراع وابتكار ، تسعى جاهدة إلى ربط الحاضر بالماضي ، واستعادة مجد الآباء والأجداد ، وقـــد خطت في ذلك أفسح الخطوات . تؤمن الإيمان كله بالعزة القومية والـكرامة الوطنية ، وتعتمد بلغتها وعروبتها ، وتنشد لها مجداً لا يفنى وازدهاراً لا يبلى .

أ — المجمع والناطقون بالضاد :

ولاجتماعنا اليوم هنا دلالة أخرى ، وهي أن القومية العربية لا تقف عند وطن ، ولا يحدها اقليم أو سيادة ، إنما هي رمز العرب جميعاً مهما تعددت دولهم وتباعدت أوطانهم . وفي الحق أن مجمع اللغة قام أول ما قام باسم العربية ومن أجلها ، ولم يلحظ فيه أن يـكون مؤسسة وطنية . ونص في مرسوم إنشائه على ان يتكون من عشرين عضواً من العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية ، دون تقيد بجنس أو وطن ، وهذا مبدأ لم يؤخذ بـه في المجامع الأخرى . وقد احترم تطبيقه كل الاحترام ، فـكان نصف أعضاء المجمع الأول من المصريين ، والنصف الآخر من العرب والمستعربين . وكان من العرب العراقي والسوري واللبناني والتونسي ، وكلنا يذكر الأب أنستاس الـكرملي لغوي العراق الـكبير الذي يعد بين أعضاء المجمع المؤسسين ، وله فيه بحوث ودراسات خالدة .

وعلى مرّ الزمن زاد أعضاء مجمع اللغة العربية ، واحتفظ فيهم دائماً بنسبة لغير المصريين. ونص في التشريع الأخير لسنة ١٩٦٠ على أن يشتمل المجمع على ٤٠ عضواً من المصريين ، و ٢٠ من البلاد العربية ، وأصبح برلماناً عربياً وافر العدد ، يجتمع مرة كل عام على الأقل ،

وله أن يجتمع في غير القاهرة من العواصم العربية ، ويسعدنا أن انضم الينا منذ زمن عضوان عاملان عراقيان ، وعالمان كبيران هما السيد محمد رضا الشبيبي والسيد محمد بهجة الأثري ، ويساهمان معنا مساهمة جادة ومخلصة في خدمة الأدب واللغة .

وبين أعضاء المجمع المراسلين عدد وفير من علماء العراق الأجلاء ، وكثيراً ما أمدونا ببحوثهم الممتعة . وان في دعوة المجمع العلمي العراقي إلى عقد هذا المؤتمر لدليلاً على أخوة صادقة وتعاون وثيق في سبيل العربية .

ب — مجمع اللغة والمجامع الأخرى :

سيداتي ، سادتي :

إن مجمع القاهرة ثالث ثلاثة من المجامع العربية ، وهو يتوسطها زمناً ، يسبقه مجمع دمشق بثلاث عشرة سنة ، ويليه مجمع بغداد بنحو هذه المدة . ومنذ قيامه وهو على اتصال وثيق بهما ، يتبادل معهما الرأي والمشورة ، والكتب والمطبوعات ، وفيه أعضاء مشتركون في كليهما . وفي عام ١٩٦٢ أنشيء مكتب التعريب بالرباط ، لكي يتعهد حركة الترجمة والتعريب في المغرب ، ويسعدني أن أقرر ـ أنه فيما اقترح من معجمات ـ يأخذ بكل ما أقره مجمع اللغة العربية من مصطلحات ، ولا يكاد يخرج عنها إلا في القليل النادر . وما أجدر هذه الصلات أن تزداد توثيقاً ، توحيداً للجهود ، وتعاونا على الهدف المشترك .

ولقد أثير أمرها منذ زمن ، وأريد بها أن تسمو إلى فكرة الوحدة أو الاتحاد . ففي عام ١٩٥٣ قدم إلى مؤتمر وزراء المعارف العرب إقتراح بانشاء « مجمع عربي موحد يهتم بجميع العلوم على السواء ، ويحل محل المجامع الإقليمية في القاهرة ودمشق وبغداد وتكون مهمته بعث التراث العربي وتوحيد المصطلحات العلمية » . وأحيل هذا الاقتراح على اللجنة الثقافية للجامعة العربية ، ورأى مكتبها الدائم صرف النظر عنه ، « لأن المجامع الموجودة يعاون بعضها بعضاً ، وفيها أعضاء مشتركون في أكثر من مجمع منها ، والجامعة العربية بصدد إنشاء اتحاد علمي عربي يهدف الى جمع شمل العلماء والهيئات في البلاد العربية » .

ووافق مجلس الجامعة العربية على ذلك عام ١٩٥٥ ، على أن تعقد مؤتمرات دورية لتوحيد أعمال المجامع الثلاثة وفي سبتمبر سنة ١٩٥٦ عقد بدمشق أول مؤتمر للمجامع العلمية واللغوية العربية ، ومن أهم قراراته إنشاء اتحاد للمجامع العلمية واللغوية العربية ، ينظم اتصالها ، وينسق أعمالها . وتكون هذا الاتحاد فعلاً ، وإن لم يخط خطوات تذكر ، ولم يعقد إلا اجتماعاً واحداً . وما ذلك إلا لأن الاتحاد نفسه يستلزم وحدات إقليمية يقوم عليها ، ولذلك لم ينضم إلى عضويته إلا أربع من البلاد العربية . ومن حسن الحظ أن تكون الاتحاد العلمي العربي ، وهو يتابع أعماله بانتظام ، ويعقد مؤتمراته من حين لآخر ، ويغذي مجمع اللغة العربية دون انقطاع بما ينتهي اليه من قرارات . وتحت إشراف الجامعة العربية الآن لجان منبثقة من الاتحاد العربي للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية ، وتهدف إلى وضع المصطلحات المتصلة باختصاصها ، ويعاونها مجمع اللغة العربية ما وسعه ذلك .

ومع هذا عادت فكرة ربط المجامع بعضها ببعض مرة أخرى ، وفي الحاح على أثر استقلال شمال إفريقيا ، وشعوره بالحاجة الماسة إلى تعريب أجهزته الثقافية والإدارية والسياسية . وفي عام ١٩٦١ دعت الحكومة المغربية والأمانة العامة لجامعة الدول العربية الى عقد مؤتمر للتعريب ، يعنى ببحث مشاكل العربية والتعريب ، ويرمي الى تحقيق توحيد أعمال المجامع العلمية واللغوية ، وتنسيق جهودها لكي يسهل تعريب العلم وجميع مظاهر الحضارة ، فتسير الحياة العلمية في العالم العربي سيراً حثيثاً تنافس به أمثالها في البلاد المتقدمة. وأوصى هذا المؤتمر بأمرين هامين : أولهما إنشاء مكتب دائم للتعريب بالرباط ، وثانيهما إنشاء مجمع عربي موحد ، وجاء نص التوصية الأخيرة كما يلي : « يتطلع المؤتمر إلى وقت قريب يتحقق فيه للأمة العربية مجمع موحد ، إلى جانب مجمع لكل قطر » . وفي عام ١٩٦٤ عرض المؤتمر الثاني لوزراء التربية العرب الذي عقد ببغداد لهذا الموقف ، واكتفى بأن أوصى بتأليف لجنة عليا من المجامع الثلاثة ومكتب التعريب ، يعهد اليها بتنسيق جهود المجامع وتوحيدها ، طبقاً لقرارات المؤتمرات العربية السابقة .

ويظهر أن مكتب التعريب، في نشاط الشباب، يحاول وحده أن يستحث الخطى، فأعد نموذجاً لما ينبغي أن يكون عليه المجمع الوطني، وبعث به إلى البلاد الراغبة أمثال: تونس، والمملكة العربية السعودية، والسودان. وكوّن أخيراً ما سماه «لجنة التنسيق المجمعية»، للنظر فيما يرد مكتب التعريب من توجيهات وملاحظات تبديها المجامع والمجالس العليا، وتهدف إلى إصدار مجموعة موحدة من المصطلحات العلمية والفنية. وتتكون هذه اللجنة فقط من أعضاء من إخواننا المغاربة، وبعض الأساتذة السوريين المقيمين في الرباط، وكأنما اطرحت جانباً المجامع الشيخة وما أشبهها بالمحكمة العليا في الأدب واللغة التي قيل عنها بالنسبة للأكاديمية الفرنسية؟

وليس شيء أحب إلى نفوسنا جميعاً من أن يقوم في كل بلد عربي هيأة أو هيآت علمية وأدبية، وبعبارة أدق أن يقوم مجمع علمي أو لغوي متى توافرت أسبابه ووسائله، وفي هذا ولا شك ما ينهض باللغة والعالم العربي نهضة قوية شاملة. وكلنا يذكر ذلك العصر الذهبي للعلوم الإسلامية الذي كانت تنافس فيه المدن العربية الكبرى بعضها بعضاً، فمن قرطبة إلى القيروان إلى القاهرة، ومن القاهرة إلى دمشق، ومن دمشق إلى بغداد، ومن بغداد إلى الري وأصفهان، وكم خلفت هذه المدن من آثار خالدة وكنوز علمية قيمة. وها هي تلك المنافسة النافعة تعود سيرتها الأولى، وأخذت العواصم العربية الكبرى تباهي بثمارها وإنتاجها الأدبي واللغوي، وفي ذلك كله حياة حقة للأدب واللغة، وازدهار للعلم والمعرفة.

م — المجمع الموحد:

أما فكرة المجمع الموحد أو المشترك، ففيها ما يستأهل النظر قليلا، فإن أريد مجمع على غرار مجمع القاهرة فيبدو لي أن لا غبار عليه. ولكن هل هناك ما يدعو إلى التكرار والازدواج في وقت نرى فيه ضرورة التلاقي والاتحاد، لا سيما وفي مجمع القاهرة عشرون مقعداً لممثلي البلاد العربية لم يملأ منها حتى الآن إلا أربعة عشر، وقد خلا واحد منها

أخيراً بوفاة العالم الجليل محمد البشير الابراهيمي ممثل الجزائر . وكم نود مخلصين أن تملأ هذه المقاعد كلها ، كي تتضافر جهود علماء العربية جميعاً على خدمة الأدب واللغة ولست في حاجة أن أشير الى أن أعمال مجمع القاهرة المتصلة بمادة اللغة أو أصولها لا تصبح نهائية إلا اذا أقرها المؤتمر ، كي تحظى بإجماع المتخصصين من ابناء الضاد .

وإن أريد بفكرة المجمع الموحد هيأة أدبية ولغوية عليا تقضي وتبرم ، وتحلل وتحرم وتفصل وحدها في شؤون اللغة على اختلافها ، فهذا ما لا يتفق هو وطبيعة البحث والدراسة ، ولا يلائم سير العلوم وتقدمها . ولكن يكون في وسعها أبداً أن تفرض على الناس ما لم يريدوه ويذهبوا اليه بأنفسهم . وهل استطاع مجمع القاهرة أو مجمع بغداد أن يلزم الكتاب والعلماء بما يراه ، إن في مصر أو في العراق ؟ فكيف يتأتى ذلك لهيأة تخاطب العالم العربي بأسره . واقترح مرة على مجمع اللغة العربية أن تكون قراراته ملزمة ، وأن يصدر بها تشريع يوجب الأخذ بها . ومن الخير أن لم يقبل هذا الاقتراح ، لأنه أولى بالعلم أن يفرض نفسه بنفسه ، وأن يسير الناس وراءه رغبة لا رهبة . وأنى لنا بتشريع في اللغة يطبق على الباحثين والدارسين في بلد ما ، فضلا عن البلاد العربية كلها .

وعندي أن نشر الكتاب العربي وتداوله بين القراء من انجع الوسائل لتوحيد المصطلحات وتثبيت اللغة العلمية . وللمجامع في هذا شأن غير قليل ، ولم تكن يوما مظهراً لتعصب أو تحزب ، ولا داعية خلاف أو فرقة . ويخرج مجمع اللغة العربية كل عام مجلداً يشتمل على ما يقره مؤتمره من مصطلحات ، وتكاد تزيد على الألف بانتظام . وقد أخرج في السنوات الأخيرة سبع مجلدات فيها ما لا يقل عن خمسة وعشرين ألف مصطلح ، عدا ما نشره قديماً في المجلة والمحاضر أو في كراسات مستقلة . ومما يؤسف عليه أن توزيع الكتب في العالم العربي غير منتظم وتبادلها غير ميسر ، وكم من كتب تصدر في بغداد مثلاً ولا تعرفها القاهرة . وما احوجنا أن نعالج هذه الناحية علاجا أدق وأحكم ، ونحن نعرف مدى سرعة انتشار الكتاب الأوربي وتداوله في الأيدي ، فلا يكاد يظهر في بلدة إلا وينقل إلى الأخرى . والمصطلح الفرنسي مثلا يفرض نفسه في فرنسا وبلجيكا وجزء من سويسرا ، وعلى كل

الناطقين بالفرنسية ، لأنهم يعرفونه ويقرؤونه ويكتبونه .

واجتماعنا هنا وسيلة أخرى هامة من وسائل توحيد المصطلحات العلمية والقضاء على الفوارق اللغوية ، وهو ولا شك صورة من صور اتحاد المجامع الذي دعى اليه منذ عشر سنوات أو يزيد . وكم يطيب لعلماء العربية أن يلتقوا من حين لآخر ، إن فى الرباط والجزائر أو في دمشق وبغداد ، وفى لقائهم درس وبحث ، وتمحيص وتحقيق ، وسير باللغة دائما إلى الأمام .

ونحن نعيش فى عصر التعليم والثقافة الشعبية ، فى عصر الصحافة والسينما ، فى عصر الإذاعة والتلفزيون . فتكافح الأمية وينشر التعليم في مختلف البلاد العربية ، ويقرأ الأطفال والشبان ويكتبون في لغة سهلة وأسلوب هين . وتنشر الكتب الشعبية وسلاسل القراءة المبسطة ، ويطبع منها عشرات الآلاف بل مئاتها وتبادل الصحافة اليومية والأسبوعية والشهرية بين المدن والعواصم ، وبيننا كتاب وأدباء ينتمون الى العالم العربي بقدر ما ينتسبون الى وطن خاص . والقلم العربي أصبح ذا رسالة أدبية ولغوية الى جانب رسالته الفنية والاجتماعية ، وللاذاعة والتلفزيون شأنهما في تقويم النطق وتقريب بعضه من بعض .

هذا هو العالم العربي اليوم ، وهذه هي أسباب اتصاله الثقافي واللغوي . ولا ننسى تبادل الأساتذة والمدرسين بين البلاد العربية في مراحل التعليم المختلفة ، وكلهم يكتبون العلم والفلسفة والفن والتكنولوجيا بلغة عربية واضحة ، ويدرسون بها هذه المواد في الجامعات والمعاهد العليا ، فضلا عن المدارس الابتدائية والثانوية . وفي كل ذلك ما يوثق الوشائج بين الناطقين بالضاد ، ويقضي على كثير من فوارق اللهجات .

د — العربية بين الأمس واليوم :

سيداتي ، سادتي :

إن العلم يسير ، والتطور سنة من سنن الحياة لا تتخلف . وما اللغة إلا قطعة من الحياة نشأت فيها ، وسارت معها وتغذت بغذائها . ولذا تجيء صورة للمجتمع الذي يتخاطب بها

تنهض بنهوضه ، وتركد لركوده . وتاريخ اللغـات مرآة ينعكس فيها تاريخ الحضارات على اختلافها . ويزداد تطور اللغات كلما ازداد انتشارها وكثر المتكلمون بها ، لأنها تدخل في صراع مع لغات ولهجات جديدة ، فتكشف عن القوى الكامنة فيها وعوامل بقائها .

ولقد مرت العربية بهذا الصراع قديماً ، وخرجت منه ظافرة منتصرة . ثم جاءت عليها مرحلة ركود طويلة ، عاشت فيها على الماضي وحده ، وليتها استعادته على وجهه ، بل كثيراً ما شوهته ولم تضف اليه جديداً . وها هي ذه تعود إلى هذا الصراع مرة أخرى ، وعلى أشده ، فهناك مستحدثات حضارية علمية وفنية لا بد لها أن تؤديها وتظهر عليها . والدلائل قائمة على أنها تحظى بنصر لا يقل عن نصر الأمس ، فهي تطرد اللغات واللهجات المزاحمة ، وتحرص على أن تعبر عن العلم والحضارة في دقة ووضوح . ولا تقنع بأن تكون مجرد لغة وطنية أو قومية ، بل تأبى إلا أن تكون لغة عالمية ، لها علمها وأدبها ، يؤخذ عنها كما تأخذ من غيرها .

وتصادفنا اليوم بعض الصعاب اللغوية ، ونحن ننشر العلم ونريد بالناس جميعاً أن يكتبوا ويقرأوا ، وأخصها كتابة العربية ورسم حروفها ، مرونة متنها ووفاؤه بحاجات العلم والحضارة ، تيسير نحوها وصرفها . وقد بذلت في ذلك جهود لا سبيل الى انكارها ، وخطونا خطوات لها شأنها .

فأثبت خط الرقعة ملاءمته للكتابة اليدوية ، وأخذ يحل محل الخطوط الأخرى . وإنا لنقرأ اليوم جميعاً أكثر مما نكتب ، ويزداد عدد من يستخدمون الآلات الكاتبة باطراد ، ومن بينهم من لا يكاد يلجأ إلى قلمه إلا عند إمضائه . وهبطت صور صندوق الطباعة من ٦٠٠ الى ٥٠٠ في الجمع اليدوي ، ونحو ٣٠٠ في الجمع الآلي ، وهي سائرة إلى نقص أعظم فتصبح نحو ١٣٥ فقط ، على نحو ما أقره مجمع اللغة العربية ، وتقترب بذلك كل القرب من صور حروف الطباعة اللاتينية التي يبلغ عددها ١١٥ . وييسر الإملاء ما أمكن ، فوضعت قواعد سهلة لكتابة الهمزة والألف اللينة . وأنزل رسم الحروف من عرشه ، وقدرناه

القدر اللائق . وأذكر أن طالباً رسب في العربية منذ عهد غير بعيد ، بسبب « سنة » وما أغلاها حتى ان كانت من ذهب ! والواقع أنا أصبحنا وليس لدينا متسع من الوقت لمشاكل الهجاء والعقد الاملائية وحاول مجمع اللغة العربية منذ نشأته أن يضع قواعد لكتابة الأعلام الأجنبية ، وانتهى في ذلك الى مبدأين هامين : أولهما أن يكتب العلم الأجنبي كما ينطق به في لغته الأصلية ، اللهم إلا ما اشتهر بنطق خاص قديماً أو حديثاً ، وثانيهما أن في الحروف العربية ما يؤدي الأصوات الأجنبية ، بزيادة حرفين اثنين هما الباء والفاء الثقيلتان.

ولا حياة للغة بدون ابتكار ألفاظ جديدة تواجه سير الزمن ومستحدثات التطور ، وتغذي متن اللغة ، وتسد الحاجة . وهذا الابتكار هو ما يسمى بالوضع ، وسبله بوجه خاص اشتقاق وقياس وتعريب . والعربية لغة اشتقاقية ، وفي الاشتقاق ما أكسبها مرونة ومناعة في آن واحد ، فسمح لها بخلق ألفاظ جديدة ، وحافظ على ثروتها ، وحماها من الشطط . وإنا نشتق اليوم مما كان يرى بالأمس أنه لا يشتق منه ، فنشتق بوجه عام من أسماء الأعيان والجواهر ، ونكون ما تدعو اليه الحاجة من المصادر الصناعية ، وتكمل المادة اللغوية . ونتوسع في القياس ما أمكن ، فنقيس صيغاً جديدة للدلالة على الصوت أو المرض أو الحرفة أو الآلة ، ونعدي الثلاثي بالهمزة أو التضعيف باطراد ، ونقول بقياسية أفعال المطاوعة . وفي الاشتقاق والقياس ما جعل اللغة أداة طيعة في أيدي الأدباء والعلماء ، ومكنهم من وضع الألفاظ الملائمة للدلالة على المعاني المختلفة . ولا بأس من أن نلجأ الى التعريب إن دعا اليه داع ، وقد عرب القدماء ، وفي لغتنا العلمية والحضارية معربات امتلكناها وأصبحت جزءاً من ثروتنا اللغوية ، وعلى هذا تسير اللغات العالمية الكبرى .

وليس ثمة نحو صادف من العناية ما صادفه النحو العربي ، وهو دون نزاع أثر من آثار العقل العربي . اعتمد في الجملة على ملاحظة دقيقة ، وفهم واسع واستنباط سليم ،وأخذ بالمنطق ما أمكن . ولم يرق نحو قديم أو حديث إلى مستواه ، على أن اللغات الحديثة أميل بوجه عام الى اختصار نحوها والوقوف به عند أضيق الحدود الممكنة . غير أن النحاة غلوا في فلسفة النحو ، وتفننوا في العلل ، واستخدموا العلة الواحدة في إثبات الشيء وضده ،

وتوسعوا في « التوجيهات النحوية » . وأثارت هذه الفلسفة ما أثارت من نقد قديماً وحديثاً ، واقترنت نهضتنا المعاصرة باستنكار للعلل النحوية ، وكثيراً ما كانت موضوع تنادر وفكاهة . وأشير إلى ضرورة تخليص النحو من فلسفته ودرسه في ضوء الشواهد الأدبيّة والعبارات الحية ، وبذلت في ذلك جهود شتى ساهم فيها أفراد وجماعات . ومن أخصها ما قامت به وزارة المعارف المصرية عام ١٩٣٠ ، فقد شكلت لجنة خاصة لتيسير قواعد النحو والصرف ، انتهت إلى طائفة من المقترحات التي تصوب إلى صميم قواعد النحو والصرف ، وتهون من أمر الإعراب على الناشئين ، وما أشبه النحو الذي رسمته بأجرومية بعض اللغات الحية كالفرنسية والانجليزية . وقد أقر مجمع اللغة العربية هذه المقترحات كلها تقريباً . ثم وضعت أخيراً كتب لتطبيقها والكشف عن أهدافها ، وبدأ التلاميذ يتعلمون النحو الميسر . ولا يفوتنا أنه سبقتها كتب « النحو الواضح » لعلي الجارم ، وهدفها جميعاً أن تيسر قواعد النحو على صغار المتعلمين . ولا نزاع في أن هذا التيسير آخذ سبيله ، وإن اعترضته بعض الصعاب . وأصبحنا نؤمن بأن ملكة اللغة تكتسب بالقراءة والحفظ أكثر مما تكتسب بالضابط والقاعدة ، وأن النحو لغير المتخصصين ليس علماً يقصد لذاته ، وإنما هو وسيلة من وسائل تقويم اللسان والقلم . وما أغنى صغار التلاميذ عن الأحاجي اللغوية والألغاز النحوية ! .

وفي هذا كله ما يؤكد لنا أن اللغة العربية سائرة سير الزمن نفسه ، وأن أدبها أصبح ينافس الآداب العالمية . في شعرها خيال بديع ، ونسج محكم ، ووحدة متصلة ، وتصوير خلاب لخلجات النفس وآيات الطبيعة وظواهر المجتمع ، وبين الشعراء المعاصرين فحول لا يقلون عن شعراء العصر العباسي الأول . وفي نثرها تحرر وانطلاق ، ووضوح وسهولة وتعليل ومنطق ، وأفكار ومعان ، لا مجرد صيغ وعبارات . وفيه أيضاً ألوان جديدة ، كالقصة والرواية ، والبحث والمقالة ، وبين كتاب اليوم من يذكرنا بعبدالحميد وابن المقفع ، أو بالجاحظ ومحمد بن عبدالملك الزيات .

هـ — مؤتمرنا هذا :

سيداتي ، سادتي :

إن في مؤتمرنا هذا ، فوق ما أشرنا اليه ، معنيين داميين : أولهما أنه مؤتمر مجمعين لا مجمع واحد ، ويسعدنا أن نلتقي هنا بأخواننا أعضاء المجمع العلمي العراقي ، وسيجدون امامهم نماذج من أعمال مجمع القاهرة في المعجمات والمصطلحات والأصول اللغوية . ولا يساورني شك في أن سيسفر هذا اللقاء عن دروس نافعة وملاحظات قيمة وسير باللغة إلى الأمام دائماً . وفوق هذا نحن في مؤتمر شبه شعبي ، تكاد جلساته العامة تعادل جلساته الخاصة ولنا في الجلسات العلنية سنة متبعة ، ولكنا لم نصعد بها إلى هذه النسبة إلا في مؤتمر بغداد ، حيث يتسابق جمهور المثقفين إلى سماع أحاديث العلم والأدب ، وسيستمعون إلى دراسات عميقة وبحوث ممتعة ، وليس شيء أحب إلى نفوسنا من أن نتحدث باسم الشعب في قاعة الشعب .

ولم يبق لي إلا أن أتجه باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية جميعاً بخالص الشكر إلى السادة أعضاء المجمع العلمي العراقي على كريم دعوتهم وبالغ حفاوتهم ، وإنهم ليلمسون عظيم تقديرنا ، ويحسون بمدى اغتباطنا . وسيبقى اجتماعنا هذا رمزاً صادقاً للتعاون والإخاء ، وأثراً خالداً في سجل الخالدين .

٤ — كلمة الأستاذ عبد الله كنون

عضو مجمع اللغة العربية

سيدي ممثل رئيس الجمهورية العراقية ، سادتي أعضاء مجمع اللغة العربية ، وأعضاء المجمع العلمي العراقي المضيف ، سيداتي ، سادتي :

أحييكم باسم المغرب والبلاد العربية عموماً تحية العروبة الخالدة والأخوة الصادقة والإيمان المشترك بالأهداف العليا لأمتنا العربية الناهضة .

وإني لأشعر بمزيد الغبطة والسرور أن أتاح لنا المجمع العلمي العراقي فرصة الاجتماع بهذا البلد الأمين في دورة استثنائية لمجمع اللغة العربية فمكننا من مشاهدة بغداد عاصمة الرشيد وعاصمة الحضارة العربية الزاهرة ، وتحية أهلها وأبنائها الذين هم في سويداء قلب كل عربي ، مشرقي أو مغربي لما أثلوا للعروبة من مجد وأبقوا لها من ذكر خالد على مرّ الايام والدهور .

إن دعوة العراق الكريمة لعقد مجمع اللغة العربية ببغداد تدل على ما يوليه هذا القطر الشقيق من عناية كبيرة للبعث العربي وتقدم اللغة العربية وإحياء العهود الذهبية السالفة للأمة العربية في العلوم والفنون والآداب . ومن أحق بذلك من العراق ؟ وماضيه في هذا الصدد على ما نعرف جميعاً ليس له نظير ، فمدرستا البصرة والكوفة هما اللتان قعدتا قواعد اللغة العربية وأرستا بنيانها الشامخ . وفضل رجالهما في وضع المعجمات الأولى للغة العربية وأول كتاب جامع للنحو العربي ، لاينكره أحد .

وأما بغداد فهي التي إذا ذكرت ، ذكرت حركة الترجمة والنقل من اللغات المختلفة الى اللغة العربية في العلم والفلسفة والطب والرياضيات والأدب والحكمة والتاريخ والسياسة ، وهي التي بلغ فيها الأدب العربي قمة مجده . وكبار شعراء العرب هم ممن عاشوا في ظلالها وبين رحابها . وتراث الفقه والعلوم الاسلامية الذي تخلف عنها هو مما نفاخر به جميع الامم. واذا كنا نحن العرب نذكرها بهذه الكنوز العلمية الطائلة ، فان هنالك أيضاً من يذكرها

بلياليها الساحرة الجميلة التي تصور من مظاهر الحضارة وترف الحياة ما يعد اليوم إسرافاً في الخيال . وكتاب ألف ليلة وليلة هو اللوحة الفنية الرائعة التي ترسم اسم بغداد في خلد كل من قرأه من عربي وأجنبي .

وإن وفود البلاد العربية من أعضاء المجمع اللغوي إذا أستجابوا لدعوة المجمع العلمي العراقي وحجوا إلى بغداد في هذه الدورة الاستثنائية لمجمعهم ، فانهم إنما يعبرون بذلك عما للعراق ، وبغداد خاصة في نفوسهم من مكانة سامية ، وحب وتقدير لهذا البلد الذي كان مدى أجيال عديدة قبلة العرب والمسلمين ، ومركز الدولة الحاكمة في بلاد الخلافة الشاسعة الأطراف ، ومشعل النور والعرفان الذي يستضيئون به في كل مكان ، وتستضيء به معهم الانسانية جمعاء .

وإننا لنأمل أن تعود للأمة العربية تلك العصور المجيدة ، فتصبح وهي موحدة الكلمة ، موحدة الصف ، رافعة علم النهضة العلمية ، مؤدية للانسانية أعظم الخدمات في ميدان الخير والمعرفة ، والتطور المنشود ، وما ذلك على همم قادتها الأبرار ، وأبنائها الاحرار بعزيز والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٥ — تحية لبغداد

للأستاذ محمد عزيز أباظة

عضو مجمع اللغة العربية

حيي جناحك في الجواء ويممي ... بغداد تحتضني بها وتكرمي

بغداد أخت القريتين [1] وانها ... لها لثالثة البقيع وزمزم

جئناك تحملنا نجائب حوم ... لا في الجياد ولا النياق الجثم

يجزعن موج السحب بين مدنر ... منهـا وبين مسهم ومنمنم

تعوي حواليها الرياح وشد ما ... هجن الرياح بصولة المتحكم

ويشحن عن قلل الجبال شوامخاً ... شما اشاحة ساخر متهكم

فاذا علت فمدومات حمائم ... واذا هوت فربى تميد وترتمي

ويكدن يفرعن الأثير كأنما ... هن ابتهالة مرهق متهضم

لهفان لم يفزع بها لوساده ... فمضى يجمجمها ولم يتكلم

ولقد أقول وهن ينهلن المدى ... بعد المدى كالشارب المتلهم

يا أخت اثباج السماء سلمت من ... غضب السماء ورهجها المتهجم

وأظل مسراك الأمان وواكبت ... مسراك الطاف الأعز الأرحم

قدكان أكرم منك ذات المنسم [2] ... طوت القرون فلم تزن [3] بمأثم

لا تحمل الموت الزؤام تبثه ... بث الحواصب للغبار الأقتم

تهوي بألوان الدمار المرزم ... يقتدن أسراب القضاء المبرم

فاذا بأرض الله ساح جهنم ... واذا بخلق الله كومة أعظم

واذا الحضارة وهي نور الله في ... ملكوته غربت كأن لم تنجم

---

(١) المقصود بها مكة المكرمة والمدينة المنورة .

(٢) المنسم للابل كالظفر للانسان والمقصود الناقة .

(٣) تتهم .

واذا تراث الدهر من أدب ومن فن تطاوح كالغضا [1] المتهشم
ان كان علم الخلق دافعه إلى خلق الذئاب فليته لم يعلم

* * *

قالوا بلغتم . قلت أفق الأنجم ومدار كل مرجب ومعظم
لم ننأ عن وطن ولا أهل ، أما جرت العروبة بيننا مجرى الدم
قالوا بدت بغداد . قلت تدافعت بغداد بين تنعم وتقدم
وجعلت أشرع ناظري كأنما اشتف أقصى طلبة المتوسم [2]
فشهدت عرق العتق كيف أمدها عبر القرون بعزة وتكرم
قل للنواسي العظيم الملهم وأبي معاذ والشريف ومسلم [3]
والطائيين الخالدين على المدى من بلبل غرد وبحر خضرم [4]
هاتوا من السحر الحلال أزفه بسنائها القدسي سجدة مقدمي
اني أحج لها وبين جوانحي شوق كأنفاس اللهاب المضرم
وهبطت في بطحائها فكأنها البط حاء [5] تسنى في جلال الموسم
وسعيت في رحباتها ودروبها بخشوع معتمر وتقوى محرم
أمل يراوحني لديك فنصته فلقيتها في مجدها المتسنم [6]
مزهوة الأعطاف زهو الصبح قد أضفى سناه على الفضاء المظلم
بغداد والدنيا الفتية كنتها حين البلاد ولائد لم تفطم

---

(١) شجر من الأثل .
(٢) الناظر .
(٣) ابو نواس وبشار والشريف الرضي ومسلم بن الوليد .
(٤) البحتري وأبو تمام .
(٥) بطحاء مكة .
(٦) العالي المرتفع .

قربت للامم المشارع فارتوت ... من فيضها المتدفق المتسجم
فهوت تضلع من حضـارتك التي ... لم تعرف الدنيـا لها من توءم
وتسابقت تهفو لما وشيت من ... أدب زكا في حضنـك المترئم [(١)]
ما بـين بصـري وكوفي دعت ... أشياخك الفصحى لنهج أسـلم
هـذا رواق الأصمعي ومثله ... لأبي عبيدة مجلس والأسلمي [(٢)]
حجج الزمان معـلمو أمم ربا ... في حجرهم علم ثري المنجـم

* * *

العقل قد حررته ودفعتـه ... فمضى على غـلوائه لم يحجم
هتك السجوف عن الكهوف وخاضها ... كالهدي يقدح في الضلال المعتم
نصب الموازين الدقيقة وانبرى ... ينفي ويثبت بالدليل المعـلم
فإذا يجيز يجيز غـير مبالي ... وإذا يرد يرد لم يتـذمم
والعلم قـد أحييت دائره بما ... أعددت من واع له ومترجم [(٣)]
جمعته نتفا شـوارد سذجا ... يقبعن فوق وطـائد لم تحكم
فتلقفتهـا من يديك عبـاقر ... درجوا بهن على الطريق الأقوم
أنجبتهم وسننت روحك فيهمو ... كالشمس تسكب نورها في الأنجم [(٤)]
خلدوا على الأزمان بين مؤرخ ... ومشـرع ومفلسف ومعلم
وتناهبوا أخرى المعارف فاجتلوا ... منهـم كل مغيب ومكتم
حتى لأصبح كل علم يعـتزي ... لهمو وان سبقوا اليه وينتمي
إلا يكونوا خالقيـه فإنهم ... عن ماسه نفضوا تراب المنجم

---

(١) الرائم العاطف .
(٢) هو يحي بن زياد الفراء .
(٣) لم يستنح .
(٤) سن القانون وضعه وسن الماء صبه .

بغداد كرمت النساء ولم تك الدنيا تضـم غير تهضـم

سبقت حرائرك الحرائر حولها | في الغرب . ان الفضل للمتقدم
فرقين مع عباسة وعُلية [1] | للمشرف النسوي أكرم سلم
وملأن أرجاء البيوت وسامة | وأشعن فيها بسمة المتبسم
ونهلن من ترف الحياة وخفضها | علم الجمال وكان لم يتنسم [2]
فنظمن طاقات الزهور جوامعاً | للون لون أليفـه المتلئم
وعرفن أن الحسن يفقد سحره | وفتونه والثوب غير مهندم
وعرفن ما يلبسن إن وقب الدجى | وعرفن أردية النهار المعلم
قل للمدل اليـوم بالقمم التي | فرع النساء خذ الحقائق واحكم
جداتنا أشرقن لا في أعصر | بيض . ولكن في الزمان المظلم
بغداد ليس المجد فخرك وحده | ان التبطل بعض فخرك فاعلمي
والنفس ان لم ترو من آن إلى | آن بعذب اللهو لم تستجمم
أنشأت سمار الوقار وضدهم | كالأم من تنجب تعز وترأم
ومراسم الظرفاء قد قعدتها | وشرعت آيينـا لها [3] لم يثلم
ووضعت آداب السلوك بمجلس | أو مسجد أو مشرب أو مطعم
وأقمت للفتيات والشعراء والمجان مجتمعاً كريم المأثم
جهلاته لمع الدنا وحرامه | متع وكيف يلذ ما لم يحرم
يا رب مقذعة وغير عفيفة | بدرت فراعت في البيان المحكم
وكبائر وصفت ففصل [4] وصفها | سمقت بجارمها كأن لم يجرم

---

(١) العباسة وعلية أختا الرشيد .

(٢) لم يتجسد ولم يتنفس .

(٣) الآيين فارسية معربة ومعناها القانون .

(٤) بين وأحكم .

الفن والأدب الجمال . وربما شمت الجمال على أديم الأرقم
الفن والأدب الجمال وشد ما رف الجمال على دموع الأيم

* * *

بغداد كرخك أين ؟ أين عصابة سلكته في سفر الخلود الاعظم
هل كان كرخك غير مرتعهم إلى ساق وساقية ودن مفدم
ومدامة صهباء [1] أو ورسية [2] ومدامة محمرة كالعندم
وسلافة عصمت فلم يدخل بها ماء وأخرى قتلت [3] لم تعصم
وسلافة في ديرها هرمت فلم تبذل وأخرى عوجلت لم تهرم
كالغيد كل نحيلة وبدينة خصت اذا التقت الصدور بمطعم
أعصابة الكرخ الكرام خلقتمو أدباً أفذت [4] أمه لم تتئم
غنى روائعه الزمان وزفه مترنم لمعاقر مترنم
ما كان أملح قولكم للوم قول يسيل الظرف منه وينهمي
إنا لنشربها على قول ابن مسـ [5] عود وقول للإمام الأعظم
والله يعلم أنكم في قربها لم تحفلوا بمحلل ومحرم
عدل البقاء فضمكم وأشاع عن عصب على عقب المساجد جثم
تلك الحظوظ فان تقل ظلمت فني شرع السوية أنها لم تظلم

* * *

بغداد أندية الهوى ما حالها ما خطب مغرمة هناك ومغرم
ومها الرصافة هل تجيل عيونها فاذا اللحاظ كعاسلات [6] الأسهم

---

(١) الصهباء . الخمر عصرت من عنب أبيض عن الأصمعي .

(٢) صفراء .

(٣) مزجت .

(٤) ولدت وحيداً .

(٥) ابن مسعود الانصاري وهو صحابي : له انه قال شهدنا التحريم وشهدتم وشهدنا التحليل وغبتم .

(٦) المهتزة المضطربة .

واذا الاسود كأنها صرعى . فمن | يتنظر السهم المصيب كمن رمي
أحظين من بعد العباءة أم هوى | هجر العباءة بالقلوب الهيم
أماتهن خلقن الفي شاعر | قدم الزمان وشدوهم لم يقدم
وقتلن بالضعف الشهي وإن في | ضعف الاناث لذروة لم تحكم
وجلون من خلال العباءة فتنة | كالضوء ينفذ في السحاب الأقتم
ورمين بالنظر المنزه خلسة | فاذا آستبين فبالعباءة يحتمي
وظللن في الحبرات حسناً مبهما | والنفس تشره للجمال المبهم
بغداد أين مجالس قد زينت | بالزهر بين مفتح ومبرعم
عمرت على شطآن دجلة وارتوت | برضاب دجلة من فم والى فم
جليت لتكريم الغناء فما سما | بالنفس تطريب اذا لم يكرم
إسحق[1] ضم إلى القديم جديده | فزكا الأجد على غرار الاقدم
وافتن برصوما[2] وجود زلزل[3] | لجرى الغناء على رباط محكم
ما كان للهو الغناء نعيده | بل كان رياً للنفوس الحوم[4]
ومهذباً للروح يرفعها الى | أفق باشراق الالوهة مفعم

* * *

بغداد أين خلائف كالأنجم | رفعوا سناءك بين زهر الأنجم
درج الأعزة منهمو وبقيت في | خلف كأشلاء[5] القنا المتحطم
ومنيت من عقب الكرام بثلة | من قاهر فدم ومن مستعصم[6]

---

(١) اسحق الموصلي .

(٢) برصوما الزامر .

(٣) زلزل الدقاق .

(٤) جمع حائمة وهي العطشى .

(٥) الأشلاء البقية من كل شيء .

(٦) القاهر والمستعصم خليفتان مستضعفان من الخلفاء العباسيين .

هانوا وهان العرب تحتهمو ومن ‏ ‏ يسلم مقادته يزم ويخطم

لاسطوة[1] الأتراك أذكرها ولا ‏ ‏ طغوى[2] التتار ولا عتو الديلم

كلا ولا حرق النفائس وهي من ‏ ‏ اشراقة الله العلي المنعم

والفرس أعدوهم فأنت دعوتهم ‏ ‏ فولوا أمورك قيما عن قيم

إن وطدوا أركان دولتهم فقد ‏ ‏ مهدوا السبيل لعالم ومعلم

وتفرعوا التلعات بين مترجم ‏ ‏ ثبت وبين مطبب ومنجم

ومفسر للذكر يخشى الله في ‏ ‏ تأويله ومحدث متحرم[3]

لا لوم تقذفه على مستسلم ‏ ‏ لهمو بل اقذفه على المستلثم

الدهر يوم صالح ما ينقضي ‏ ‏ إلا على أغوال[4] يوم أيوم

لا تذكري بغداد أيام الأسى ‏ ‏ وفتونه إلا لكي تتعلمي

أنت ائتنفت المجد بعد أفوله ‏ ‏ وبعثت صحوك في بنيك النوم

فتبادروا الغايات ينتهبونها ‏ ‏ في حزم مقتحم . وعزم مصمم

وتدرعوا الايمان وانتفضوا الى الجلى انتفاضات الطموح المنثم[5]

وإذا الشعوب نفرن في سلم فلم ‏ ‏ تفلح إذن عذر الالجوء الى الدم

ما حاكم يرث الإمارة كالذي ‏ ‏ يختار بعد تفهم وتوسم[6]

* * *

بغداد والصدع الكبير شعبته ‏ ‏ ورأبت رأب الكيس المتحزم[7]

ألفت شملك فاعتصمت بقوة ‏ ‏ هي كفء ضخم في الجيوش عرمرم

---

(١) أغلب استعمالها في الشر .

(٢) الطغيان .

(٣) المتحرم المتخوف التقي .

(٤) الأغوال الدواهي .

(٥) الجريء الذي لا يثنيه شيء .

(٦) تفرس .

(٧) شعب الصدع جمعه وهي من الاضداد والمتحزم الحازم .

هل بين سني وشيعي سوى وهم يشيح بمسلم عن مسلم
تضفو المذاهب بالشروح وتلتقي بخلافها حول الكتاب المحكم
ما كثرة الاجناس في بلد بمقعـده عن العليـا ولا بمعتم[1]
تتعدد الاجناس فيه فتنطوي في حكمه وتقر فيه وتحتمي
الخير إن يحمل اليهم يعمم والشر أن يضرب عليهم يغمم
والخلف ان ينشأ على ركن من الا يمان مهما يحتدم لم يـذمم
الحلم والفهم الصحيح كلاهما يطآن كل تشعب وتفصم

* * *

من منبيء ألآفاق ان معارجاً للعرب تصعدها بأوثق سلم
بتأهب وتوثب وتبصـر وتطور .وتعرم[2] وتحـلم
الليل يوشك أن تبلج صبحه عن وحدة مرموقة لم تقسم
لم يبق غير تردد متلدد[3] إلا يعف عن الأنا لم يحسم

* * *

بغداد لاسمك هزة سحرية في كل مصر للعروبة ينتمي
هو عزة العرب الكرام وفخرها لا فرق بين مزنر ومعمم[4]
وهو المسدد خطوهم في حاضر متوثق أو قابل مستحكم
لك في ضمائرهم ودمائهم مكلوءة حرماته لم تكلم
أني سألت الله جل جلاله يحميك من كيد يحاك مدمدم
ويقيك غدر عدوك المستلئم ويقيك شر مسيطر متحكم[5]
قري على كتد الزمان عزيزة بغداد . واعتدي في سبيلك واسلمي

---

(١) متوق .
(٢) شدة وقوة .
(٣) التلدد الحيرة .
(٤) يقصد بذلك المسلمين والمسيحيين .
(٥) مهلك .
(٦) المستعد للقتال .

الجلسة الثانية

(خاصة)

صباح الأحد ٢٧ من رجب سنة ١٣٨٥

٢١ من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٥

١ ــ أعمال لجنة الأصول بمجمع اللغة العربية .

٢ ــ سيرة ابن إسحاق للدكتور عبدالعزيز الدوري ـ عضو المجمع العلمي العراقي .

٣ ــ قصيدتان توأمان للدكتور إسحاق موسى الحسيني ـ عضو مجمع اللغة العربية .

١ — أعمال لجنة الأصول

بمجمع اللغة العربية

أولاً — صيغة « فَعْلان » تأنيثها بالتاء وجمعها جمع مذكر سالماً .

أ ـ مراحل دراسة الموضوع .

ب ـ البحوث .

ج ـ المناقشات والقرار .

ثانياً — في صوغ أفعل التفضيل .

أ ـ مراحل دراسة الموضوع .

ب ـ بحث في الموضوع .

ج ـ المناقشات والقرار .

أعمال لجنة الأصول بمجمع اللغة العربية

أولاً — في صيغة « فَعْلان » : تأنيثها بالتاء وجمعها جمع مذكر سالماً

أ ـ مراحل دراسة الموضوع

١ — في الجلسة الثامنة من مؤتمر المجمع في دورته المتمة للثلاثين (جلسة السبت ٧ من مارس سنة ١٩٦٤) ، وفي أثناء النظر في أعمال لجنة الأصول المعروضة على المؤتمر ، قال الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع : « أحب أن أضيف شيئاً ، وهو التأنيث في صيغة « فعلان » المستعملة بكثرة في الصحف والقصص ، فيقولون « عطشانة » ويجمعونها جمع سلامة فيقولون « عطشانة » وهي في لغة بعض العرب ، فهل ترى اللجنة أن تنظر في المستقبل في الاباحة للدرجة الثانية من البيان كالصحف أن تؤنث صيغة « فعلان » بالتاء وتجمعها . فوفق على احالة هذا الاقتراح الى لجنة الأصول .

٢ — وفي هذه الدورة نظرت اللجنة في الاقتراح بحضور أعضائها : الأستاذ زكي المهندس ، والأستاذ علي عبد الرازق ، والشيخ عبد الرحمن تاج ، والشيخ محمد علي النجار ، والدكتور عبد الرزاق السنهوري ، والدكتور محمد مهدي علام ، والأستاذ أمين الخولى ، والأستاذ عبد الحميد حسن ، والأستاذ حامد عبد القادر . فقدم الأستاذ الشيخ محمد علي النجار مذكرة له بعنوان « سكرانة وسكرانون » فاتخذت اللجنة قرارها في الموضوع وطلب الأستاذ علي عبد الرازق والأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج اثبات معارضتهما له .

٣ — ثم قدم الأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج بحثاً في الموضوع ، فعقب عليه كل من الأستاذ الشيخ محمد علي النجار ، والأستاذ امين الخولى ببحث له ، ولم تر اللجنة أخيراً ما يدعوها الى العدول عن قرارها الذي اتخذته .

٤ — وهذا نص قرار اللجنة :

« من حيث ان تأنيث « فَعْلان » بالتاء لغة في « بنى أسد » كما في الصحاح ، ولغة بنى أسد – كما في المخصص – ، وقياس هـذه اللغة صرفها في النـكرة في شرح « المفصل » والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه ، كما في قول « ابن جنى » .

ترى اللجنة أنه يجوز أن يقال « عطشانة » و « غضبانة » وأشباهها ، ومن ثم يصرف « فعلان » وصفاً ، ويجمع « فعلان » ومؤنثه « فعلانة » جمعي تصحيح .

٥ — ومع هذا نسخة من :

أ – بحث « سكرانة وسكرانون » للاستاذ محمد علي النجار .

ب – بحث « تحرير القول في فعلان فعلى وفعلان فعلانة » للاستاذ عبدالرحمن تاج

ج – بحث « فعلان فعلانة » للاستاذ محمد علي النجار .

د – بحث تكميلي في « فعلان فعلى » وجواز تأنيثه بالتاء وجمعه جمع سلامة للاستاذ أمين الخولى ، والأمر معروض على المؤتمر .

محرر اللجنة

محمد شوقى امين

ب ـ البحوث

١ — سكرانة وسكرانون

للاستاذ الشيخ محمد علي النجار

يمنع النحاة جمع سكران على سكرانين لأن مؤنثه لا يقبل التاء إذ كان مؤنثه سكرى وجعلوا من قواعدهم أن فعلان فعلى لا يجمع جمع التصحيح .

وهم ينظرون في ذلك إلى لغة جمهور العرب . وهناك لغة لبني أسد في هذا الوزن تؤنثه بالتاء. فيقولون سكران وسكرانة وغضبان وغضبانة وفي اللسان (غضب) : « ولغة بني أسد : امرأة غضبانة وملآنة وأشباهها » وفيه (سكر) : الجوهري : لغة بني أسد سكرانة » .

وفي التصريح في مبحث ما لا ينصرف إذ عرض لوزن فعلان وصفا : « وأما ما نقل عن بنى أسد أنهم يقولون : سكرانة ويصرفون سكران فقال الزّبيدي : لبني أسد مناكير لا يؤخذ بها وكتب الشيخ ياسين على قوله : وقال أبو حاتم : وجه كونها مناكير أنها مخالفة للغات الفصيحة وقد يقال : كيف ينكر عليهم ما هو لغتهم التي طبعهم الله عليها؟.

وأياً ما كان الأمر فقد ثبت كونها لغة ، وكل لغة يجوز القياس عليها وإن كانت رديئة ، وقد عقد ابن جني في الخصائص بابا جعل عنوانه : « باب[1] اختلاف اللغات وكلها حجة » جاء في آخره : « وكيف تصرف الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء وإن كان غير ما جاء به خيراً منه » .

وإذا ثبت أنه يقال في لغة سكران وسكرانة جاز أن يقال في جمع سكران سكرانون وفي جمع غضبان غضبانون ، هذه الجموع جارية في لغة العامة فيقولون : الجماعة غضبانين وسكرانين .

---

(١) الخصائص ٢/١٠ .

٢ — تحرير القول في فعلان فعلى ، وفعلان فعلانة

بحث للاستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج

الكلام في « فعلان الوصف » ذي الألف والنون الزائدتين في مقامين :

« الأول » في منعه من الصرف وعدمه .

« والثاني » في جمعه جمع مذكر سالماً وعدمه كذلك .

أما الأول فقد قرر النحاة — في باب ما لا ينصرف — أن من موانع صرف الاسم ، أن تجتمع فيه الوصفية الأصلية مع زيادة الألف والنون .

وشرطوا هكذا أصالة الوصفية ، احترازاً عن الوصفية العارضة ، فإنها لا توجب منع الصرف كما في « صفوان » وصفا ، بمعنى قاس ، فهذه الوصفية عارضة ، وأصل « صفوان » اسم للحجر اليابس الصلد ، فيقال : « مررت برجل صفوان قلبه » بصرف صفوان .

وشرطوا كذلك للمنع من الصرف ألا يكون مؤنث الوصف على « فعلانة » بالتاء ، وذلك بأن يكون مؤنثه على « فَعْلَى » كسكران وسكرى ، وغضبان وغضبى ، أو لا يكون له مؤنث أصلا كلحيان لعظيم اللحية .

فيمتنع الصرف في هاتين الحالتين ، لوجود العلتين : الوصفية والزيادة ، وتحقق شرطي عملهما .

غير أن منع صرف « سكران » وبابه ، هو محل اتفاق العرب غير بني أسد ، أو يقال: إنه محل اتفاق النحاة فيما ورد عن العرب غير بني أسد .

أما لحيان فهو ممنوع من الصرف عند الجمهور ، وهو الأصح ، لأنه لو كان له مؤنث لكان على « فَعلى » إذ هو الغالب في مؤنث « فعلان » ومعنى هذا تقدير أن له مؤنثاً على « فعلى » فكان الشرط عندهم لمنع صرف « فعلان » أن يكون له مؤنث على « فعلى »

تحقيقاً أو تقديراً .

وحكي عن بعض العرب صرفه ، وقيل في تعليله : إن الأصل في التأنيث أن يدل عليه بالتاء ، فلو كان « لحيان » له مؤنث لجاء على الأصل ، أن يكون تأنيثه بالتاء ، فيقال فيه لحيانة .

ولعل ذلك معناه أن الشرط عند هؤلاء لمنع صرف « فعلان » الوصف ، أن يكون له مؤنث على وزن « فعلى » حقيقة لا تقديراً .

وهذا كله عند غير بني أسد ، أما هم فانهم يصرفون دائماً صيغة « فعلان » لأن مؤنثه عندهم يأتي دائماً أيضاً على « فعلانة » بالتاء .

* * *

هـذا ، وعلى أساس ما ورد عن العرب ، مما جعل النحاة يشترطون لمنع صرف « فعلان » الوصف أن يكون مؤنثه على « فعلى » يكون الحكم وجوب صرف الوصف إذا كان مؤنثه على «فعلانة» بالتاء ، فندمان من المنادمة مصروف ، لأن مؤنثه « ندمانة »

أما إذا كان من الندم : فأنه يمنع من الصرف ، لأن مؤنثه ندمى .

« ولكن قد يقال » : كيف يصرف « ندمان » المنادمة ، وهو وصف اشتمل على ألف ونون زائدتين ؟ وأي فرق بينه وبين « سكران » وكلاهما وصف زيدت فيه الألف والنون ؟

لماذا يكون « سكران » ممنوعاً من الصرف ، ويقال قد توفرت فيه العلتان المقتضيتان منع الصرف ، ثم لا يمنع « ندمان » من الصرف لذلك ؟

والجواب ان الوصفية متحققة في « ندمان » كما هي في « سكران » من غير شك .
وكذلك الألف والنون زائدتان في الصيغتين جميعاً ، لكن زيادتها في « سكران » وبابه لا شائبة فيها ولا شبهة ، وهي زيادة خاصة بوصف المذكر ، لا توجد في وصف المؤنث ، فان وصف المؤنث من ذلك يكون على وزن « فعلى » فتمييز المؤنث من المذكر إنما هو

بالصيغة لا بالعلامة التى هى التاء ، فلا يقال في المؤنث سكرانة .

ومن هنا كانت زيادة الألف والنون في « سكران » شبيهة بزيادة الفي « حمراء » ، فانهذه زيادة خاصة ، غير أنها خاصة بوصف المؤنث ، ثم التأنيث في ذلك بالصيغة لا بالعلامة فانه لا يقال في المؤنث « حمراءة » فتمت بذلك المشابهة التى بسببها منع « سكران » من الصرف .

أما الألف والنون في « ندمان » من المنادمة فهما شبيهتان بالحروف الأصول من حيث إنهما تثبتان في وصف المؤنث أيضاً ، ثم تلحقهما التاء في آخر الكلمة ، علامة على التأنيث ، فليست زيادتهما خاصة بوصف المذكر كما في « سكران » .

١) جاء في حاشية الخضري على ابن عقيل ـ تعليقاً على قول الشارح : « فان كان المذكر على « فعلان » والمؤنث على « فعلانة » صرف ـ ما نصه قال :« أي لضعف زيادته ، لشبهها بالأصول في لزومها للمذكر والمؤنث ، وقبولها علامة التأنيث ، فكأنها لم توجد ، ثم قال : « ويشهد لذلك أن بنى أسد يصرفون كل صفة على « فعلان » لأنهم يؤنثونه بالتاء مطلقاً [1] .

وقبل ذلك أورد الشيخ الخضري أربع عشرة كلمة على « فعلان » قال إنها هي التى يكون مؤنثها على « فعلانة » بالتاء . أما ما عداها فان المؤنث فيه على « فعلى » .

٢) وجاء في شرح الأشموني على الألفية ما يلي : « وكذا إنما صرف نحو « ندمان » مع وجود الفرعيتين ، لضعف فرعية اللفظ فيه ، من جهة أنّ الزيادة فيه لا تخص المذكر ، وتلحقه التاء في المؤنث نحو « ندمانة » ، فاشبهت الزيادة فيه بعض الأصول في لزومها فى حالتى التذكير والتأنيث ، وقبول علامته فلم يعتد بها ثم قال : « ويشهد لذلك أن قوماً من العرب ـ وهم بنو أسد ـ يصرفون كل صفة على « فعلان » لأنهم يؤنثونه بالتاء ، ويستغنون فيه « بفعلانة » عن « فعلى » فيقولون : سكرانة وغضبانة وعطشانة ، فلم

---

(١) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢/٩٨ طبعة البابي الحلبي.

تكن الزيادة عندهم شبيهة بألفي « حمراء » فلم تمنع من الصرف [1] .

* * *

« لغة بني أسد أم لغة لبعض بني أسد »

لقد اختلف رأي الباحثين في ذلك الذي نقل عن بني أسد في صرف « فعلان » وتأنيث « فعلانة بالتاء » : هل هو لغة القبيلة كلها ، أو هو طريقة لبعض هذه القبيلة ؟

والسبب في هذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف عبارات القواميس اللغوية وبعض المراجع الأخرى التي عرضت لما روي عن هذه القبيلة .

ففي لسان العرب والمصباح نسبة ذلك باطلاق إلى بني أسد .

في اللسان : « ولغة بني أسد امرأة غضبانة وملآنة وأشباهها » .

وفي المصباح : « وفي لغة بني أسد يقال في المرأة سكرانة » .

لكن جاء في الصحاح : السكران خلاف الصاحي ، والجمع سكرى وسكارى ، والمرأة سكرى ولغة في بني أسد سكرانة » .

وفي الصحاح أيضاً : — في مادة غضب — « ورجل غضبان وامرأة غضبى » ولغة في بني أسد غضبانة وملآنة وأشباهها ، وقوم غضبى وغضابى ، مثل سكرى وسكارى فقوله: « ولغة في بني أسد » سكرانة وغضبانة وملآنة ظاهر في أن ذلك ليس لغة القبيلة كلها وإنما هو طريقة لبعض هذه القبيلة .

على أنه إذا كانت العبارات التي قدمناها جميعها تحتمل أن يكون ما روي عن بني أسد في هذا الموضوع هو لغة القبيلة كلها وأن يكون طريقة لبعض هذه القبيلة ، فالعبارة التي ليس فيها أدنى احتمال ، هي التي جاءت في شرح المفصل لابن يعيش ، إذ يقول : « لا تقول سكرانة ولا عطشانة ولا غرثانة في اللغة الفصحى ... ، وقولنا في اللغة الفصحى

---

(١) شرح الأشموني على الألفية ٣/١٧٥ طبعة البابي الحلبي .

احتراز عما روى عن بعض بني أسد غضبانة وعطشانة ، فألحق النون تاء التأنيث ، وفرق بين المذكر والمؤنث بالعلامة لا بالصيغة » . [1]

فهذا صريح في أن الذي ورد عن بني أسد من مجيء المؤنث من وصف فعلان على فعلانة بالتاء ، ليس هو لغة قبيلة بني أسد جميعها ، وإنما هو شيء أثر عن بعض هذه القبيلة.

ومن هنا ينبغي أن تنزل تلك العبارات التي هي في محل الاحتمال ، على حكم العبارة الصريحة الجازمة ، التي حفظ بها شارح المفصل ما يقضي على الشك والتردد . ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

* * *

« وبعد » هل يمكن أن يتابع بعض بني أسد فيما ورد عنهم من ذلك الذي جاء على خلاف ما عليه الجمهور الغالب من قبائل العرب كما يريد بعض الباحثين اليوم ؟ وهل يمكن ذلك من غير حرج ولا استهداف للوم أو مؤاخذة ؟

والجواب عن ذلك يرشد إليه ما ننقله هنا عن بعض المراجع المعتمدة .

١ — فقد جاء في التصريح على التوضيح — بعد ما بين حكم سكران وأنه ممنوع من الصرف ، لأن مؤنثه « فعلى » — قال : وأما ما نقل عن بني أسد أنهم يقولون «سكرانة» ويصرفون « سكران » فقال الزبيدي : « ذكر يعقوب ان ذلك ضعيف رديء . ثم قال : وقال أبو حاتم : لبني أسد مناكير لا يؤخذ بها » . [2] يريد بذلك أن صرف سكران وتأنيث مؤنثه بالتاء يعد من مناكيرهم التي لا يؤخذ بها .

ثم كتب الشيخ « يس » على قوله : وقال أبو حاتم : « لبني أسد مناكير » قال : وجه كونها مناكير أنها مخالفة للغات الفصيحة » .

ثم عقب على ذلك بأنه قد يقال : كيف ينكر عليهم ما هو لغتهم التي طبعهم الله

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش جـ ١ ص ٦٧ .

(٢) شرح التصريح على التوضيح جـ ٢ ص ٢١٣

عليها »[1] وهو تعقيب ليس له وجه ولا كبير أثر ، ولا يدفع ما حكم به على تلك اللغة من أنها ضعيفة ورديئة وأنها منكرة من حيث إنها جاءت على خلاف اللغات الفصيحة ، فأبو حاتم لا يريد بكلمة مناكير أنها مآثم ومساو يعاب بها أصحابها ، وينعى عليهم من أجلها.

فتلك اللغة التي مرَّ الحديث عنها، هي لغتهم التي طبعهم الله عليها ، لا يجادل في هذا أحد، ولكن طبعهم الله عليها ضعيفة ورديئة ومنكرة ، من حيث مخالفتها اللغات الفصيحة التي طبع الله عليها غيرهم من العرب .

واذا طبع الله قوماً على لون من العامية المنحرفة في بعض الاستعمالات عن اللغة العربية الصحيحة ، فهل هذا يمنع أن يقال : انها عامية ومنكرة اذ كانت مخالفة اللغة الصحيحة ؟

هذا — وقد جاء في حاشية الشيخ « يس » — تأييداً لما حكاه صاحب التصريح ، من الاتفاق على منع صرف « سكران » وبابه ، وجوابا عما يقال : كيف يحكى الاتفاق على ذلك ، مع أن « بني أسد ، يخالفون فيه إذ يصرفون هذا الباب — ما حاصله : ان خلاف بني أسد هذا لا يعتد به ، بعد ما وصف ما ورد عنهم في ذلك بأنه ضعيف ورديء ، وأنه من مناكيرهم التي لا يؤخذ بها .[2]

٢— وجاء في شرح المفصل لابن يعيش — بعد ما قال : « إن « فعلان » يمنع من الصرف اذا كان مؤنثه « فعلى » ومثل لذلك بعطشان وعطشى ، وسكران وسكرى ، وغرثان وغرثى قال : لا تقول سكرانة ولا عطشانة ولا غرثانة في اللغة الفصحى » ثم قال : وقولنا في اللغة الفصحى احتراز عما روي عن بعض بني أسد غضبانة وعطشانة ، فألحق النون تاء التأنيث ، وفرق بين المذكر والمؤنث بالعلامة لا بالصيغة » قال : « وقياس هذه اللغة الصرف في النكرة كندمان ، فتقول : هذا عطشان ، ورأيت عطشاناً ، ومررت

---

(١) حاشية : « يس » على التصريح ج ٢ ص ٢١٣

(٢) « « « « « «

بعطشان »[1]

نظن أنه لا ينبغي متابعة بني أسد فيما انفردوا به من صرف « فعلان » وتأنيث مؤنثه بالتاء ، بعد ما عرف أن ذلك شيء إنحرف به بعض أفراد من هذه القبيلة ، وأنهم خالفوا به اللغة الفصحى التي عليها سائر العرب ، وبعد ما حكم عليه بأنه ضعيف رديء وأنه من مناكيرهم التي لا يؤخذ بها ، ثم بعد ما قرر العلماء أن المخالفة بذلك لسائر قبائل العرب مخالفة لا يعتد بها ، فلا تنقض الاتفاق أو حكاية الاتفاق على منع صرف سكران وبابه .

لكن قال بعض الباحثين : إن ما وصفت به لغة بني أسد في هذا المقام ، من الضعف والرداءة وما إليها — لا يمنع من اتباعها والاعتداد بها والقياس عليها ، فإن « ابن جني يقول : إن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء ، وان كان غير ما جاء به خيراً منه » .

ونحن نرى أن كلام « ابن جني » هذا لا ينطبق على الحالة التي معنا ، ولا نظن أن ابن جني يجيز أن يدخل في عداد اللغات التي أشار إليها هذا الذي نقل عن بعض أفراد من من قبيلة ، على خلاف ما يعرفه سائر أهل القبيلة نفسها ، وعلى خلاف المعهود من استعمالات سائر القبائل العربية ، ولا سيما أن ما انفرد به أولئك الناس من قبيلة أسد قد حكم عليه بأنه ضعيف رديء ، وأنه من المناكير التي لا يؤخذ بها ، وأن المخالفة به لما عليه سائر العرب هي - كما قيل - مخالفة لا يعتد بها .

إذاً ينبغي أن يفهم أن اللغات التي يشير اليها « ابن جنى » والتي يكون الناطق على قياس إحداها مصيباً غير مخطىء - هي التى لا تنحط إلى المستوى الذي توصم فيه بالضعف والرداءة ، وما إلى ذلك من الاوصاف التي وصم بها ما نقل عن بعض بني أسد . ثم لا بد أن تكون لغات عامة لقبائلها ، بحيث يطلق على كل منها اسمها منسوبة إلى القبيلة بإطلاق.

إن تلك الطريقة التى هي موضوع الحديث : طريقة صرف ما كان من الأوصاف على

---

(١) شرح المفصل جـ ١ ص ٦٠ .

وزن « فعـلان » مع تأنيث مؤنثه على « فعـلانة » ـ لو كانت مأثورة عن قبيلة « أسد » كلها ، لكان مما يمكن أن يقبل أن يقال : إن لـكل قبيلة عربية لغتها وطريقتها في التعبير ، ولـكان من الممكن أيضاً ـ ولـكن مع الحـــذر والتحفظ ـ أن يذهب ذاهب الى تجويز متابعتها ، معتمداً على تقرير « ابن جني » أن النطق على قياس أمثالها صواب غير خطأ .

لـكنها ـ كما عرفنا وكما قال ابن يعيش ـ طريقة لأفراد من هذه القبيلة ، انحرفوا بها عن سائر افراد قبيلتهم ، وعما جرى عليه سائر القبائل العربية ، فيكون من الصعب جداً أن نجعل ذلك مما تتناوله عبارة « ابن جني » وأن يكون الناطق على وفق ذلك الانحراف مصيباً غير مخطىء .

إن عبارة « ابن جني » ـ التي يقول فيها : « وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغـات العرب مصيب غير مخطىء »[1] ، وهي التي يستند إليها في تجويز متابعة بعض « أسد » في صرف ما يكون من الأوصاف على « فَعْلان » وتأنيث مؤنثـــه على « فَعْلانة » ـ لا ينبغي أن تؤخذ معزولة عن موردها ، مقطوعة الصلة عما قبلها ، فإن ذلك يوجب تفـكيك الجمل المترابطة ، وتشتيت المعاني المؤتلفة ، التي يجمعها موضوع واحد ويقصد بها إلى غرض واحد .

بل إن قطع تلك الجملة عما قبلها ، وقصر النظر في تفهم معناها على ألفاظها وحدها من غير أن تراعى في ذلك أحـــكام القرائن ، ولا ما يقضي به سابق الـكلام ، قد يؤدي إلى تناقض أو تضارب في الأحكام ، كما سيتضح الأمر فيه فيما بعد ، وذلك شيء يجب أن تبرأ منه مقالات عامة العقلاء ، بله خاصة المفـكرين والعلماء .

على أن عبارة « ابن جني » التى هى موضوع الـكلام ، نرى أنها ـ حتى مع قصر النظر عليها وحدها ، من غير أن تربط في فهم معنـــاها بما قبلها ، ومن غير أن يراعى في ذلك مقتضى المقام ، ولا ما يحتمه سابق الـكلام ـ لا يمكن أن يكون معناها أن من ينطق

---

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٢ .

بعبارة على خلاف الجيد المأثور من لغات العرب يكون مصيباً غير مخطىء ، متى كانت عبارته موافقة لغة ضعيفة هزيلة أو رديئة ، ولو جاءت هذه الموافقة عفواً من غير قصد وبمحض المصادفة . لا . لا . لا يمكن أن يكون هذا المعنى مقصوداً من تلك العبارة .

ذلك أن كلمة « الناطق على قياس لغة » تفيد بوضوح ضرورة تحقق الشعور ، وتوافر الإرادة والقصد ، إلى أن ذلك النطق قد روعيت فيه تلك اللغة ، فهو شيء لا يكون مع الغفلة عن نهج الاستعمال فيها .

فمن جاءت عبارته موافقة عفواً لغة من اللغـــات . من غير قصد إليها ، فلا يقال إنه ناطق على قياسها .

ثم هل يكون الناطق على قياس لغة مصيباً غير مخطيء في كل حال ، حتى في المواطن التى نبه « ابن جني » نفسه أنه لا يسوغ فيها القياس على تلك اللغة ، لا نظن أيضاً أن هذا مراد للمؤلف .

إن عبارة « ابن جني » التى هى موضوع الحديث ، هى جملة ختم بها المؤلف مقالا من كتابه « الخصائص » جعل عنوانه : باب اختلاف اللغات وكلها حجة » .

قرر في هذا الباب أن اللغتين قد تكونان متقاربتين ، من حيث سعة الاستعمال وقوة ما تجريان عليه من القياس ، وقد تكونان متباعدتين في ذلك . وبين حكم كل من النوعين ، من حيث جواز الأخذ به وعدمه .

وقد أتى في تضاعيف هذا البيان بأحكام أطلقها إطلاقاً ، فهي لذلك يجوز الأخذ بها من غير تحرج ولا توقف . وأحكام أخرى لم يبح الأخذ بها على وجه الاطلاق ، بل قيد ذلك بقيود ، وقصر الجواز فيها على مواطن خاصة لا يسوغ تخطيها .

فقد افاد ـ في اللغتين المتقاربتين في القياس والاستعمال ـ أنه يجوز في السعة والاختيار الأخذ بكل منها ، وأنه لا ينبغي أن ترد واحدة منهما بالأخرى ، ومثل لذلك بلغـــة أهل الحجاز ولغة تميم ، في إعمال « ما » وإهمالها ، قال : « لأن لكل واحد من القومين ضرباً

من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله » وقال : « وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداها فتقويها على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنساً بهـا ، فأما رد احداها بالأخرى فلا . أولا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم « نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف » ؟

وأفاد في اللغتين المتباعدتين ـ أنه لا يسوغ في السعة والاختيار الأخذ باللغة الدنيا منها ، وهي التي تبعد جداً عن صاحبتها في القياس والاستعمال ، وهي ـ وإن كانت عربية ـ لا يصار إليها إلا في ضرورة شعر أو سجع ، أو حيث يصرح ـ عند استعمال اللفظ الذي جاء على خلاف المشهور الغالب ، والجيد الفصيح من لغات العرب ـ بأنه قد استعمل هكذا متابعة للغة الدنيا . فإذا لم يقرن الاستعمال بهذا التصريح ، ولم ينبه عليه ذلك التنبيه الخاص ، فإنه لا يسوغ ، ولا يكون شيئاً مقبولا .

وقد يكون مما يشبه ذلك شبهاً قويا ، أن ينطق تلميذ مبتدىء في علوم العربية ، لا يعرف الوجوه غير المشهورة في باب الإعراب ـ وقد عرف أنه لم يتلق من أستاذ ، ولا قرأ في كتاب ، أن لغة من اللغات تلزم المثنى الألف في الأحوال كلها ـ فيقول : « إني كتبت في الامتحان ورقتان » ، « وذهبت إلى حفلة المدرسة مع اثنان مع الزملاء » ، أو يقول ـ وهو لا يظن به معرفة ما اشتهر بين أهل النحو بلغة البراغيث ـ « قد قمنا برحلة مدرسية رافقونا فيها الأساتذة » .

ألا يكون بذلك مخطئاً في اللغة العربية ؟

وهل يعفى من الحكم عليه بالخطأ أن تلك العبارات قد صادفت في الواقع لغة ضعيفة أو رديئة تقول بمثل ذلك ؟

إنه لا يعفى من الحكم بالخطأ في ذلك إلا أن يقوم دليل يفيد أن تلك العبارات قد أراد بها أصحابها أن تأتي هكذا مخالفة للمعروف المشهور في الاستعمال ، وذلك ـ كما قال

ابن جنى - بأن يصرح عند الاستعمال أنه قد توبعت في ذلك اللغة الدنيا التى هى أصل تلك المخالفة .

* * *

على أن الكلام يمكن ألا يكون في خطأ تعبير أو صوابه ، لمخالفته قواعد اللغة العربية وأصولها ، أو موافقة هذه القواعد والأصول .

وإنما يكون في شيء آخر : في لغة قرر العلماء ضعفها ورداءتها هل يكون من الصواب نشرها وتنشيطها ، والعمل على رواجها وتقوية أمرها ، اعتماداً على أن « ابن جنى » قرر في الخصائص أن النطق على قياس هذه اللغة لا يكون خطأ في اللغة العربية ؟

وإذا كان وضع المسألة على هذا النحو فكيف يؤخذ قول « ابن جني » هذا دليلا على تلك الإباحة المطلقة المدعاة : إباحة النطق على قياس لغة أي لغة ؟

كيف يلتقي هذا مع ما صرح به « ابن جنى » نفسه قبل ذلك مباشرة ، مما يمنع منعاً باتاً أن يعمل على نشر اللغة الضعيفة الرديئة وإنهاضها وإشاعة أمرها ؟

أليس هو الذي يقول في مثل هذه اللغة : إنه يجب أن يقل استعمالها ، وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها » ؟

يقول ذلك صريحاً ، ثم يقيد جواز استعمال تلك اللغة بقيود لا يمكن معها إطلاق القول في ذلك بحال فيقرر : أن إنساناً لو استعمل تلك اللغة لم يكن مخطئاً لكلام العرب لكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين » ثم يقول : فإما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منعي عليه ، وكذلك إن قال : يقول على قياس من لغته كذا بكذا ويقول على مذهب من قال كذا كذا » (١)

ومعنى هذا أنه لو استعمل تلك اللغة الدنيا من غير حاجة اليها في شعر أو سجع ، ومن غير أن يقول في العبارة التي عبر بها : انه استعملها على قياس من لغة كذا كذا ، كان ذلك غير

---

(١) الخصائص جـ ٢ ص ١٢

مقبول منه ، موجباً لانعي عليه .

* * *

هذا ـ وينبغي هنا أن ننبه الى تلك اللغـات ، التي قرر « ابن جنى » أنه لا يسوغ ترويجها ونشرها « والعمل على إنهاضها وتقوية امرهـا ، » وأنه يجب أن يقـل استعمالهـا ويتخير ما هو أقوى وأشيع منها » لنعلم هل يمكن أن يلحق بهـا ذلك الذي أثر عن « أسد » في صرف « فعـــلان » وتأنيث مؤنثه بالتاء ، وهو شيء ـ كما قانا وكررنا ـ لم يكن لغة بني أسد جميعهم ، ولـكـنه طريقة لبعضهم ، قد وصفت بأنهـا ضعيفة ورديئة ؟

هل تلحق هذه اللغة بلغة الـكـشـكشة عند ربيعة ، أو بلغة العنعنة عند تميم ، أو بلغة قضاعة في قولهـا : المال له ، ومررت به ، بكسر اللام وفتح الباء ، وما الى ذلك من اللغات التى عرض لهـا « ابن جنى » في « باب اختلاف اللغات » فيقضي عليها بمـا قضى به على تلك اللغات ، من أنه لا يؤخذ بهـا الا في شعر أو سجع أو حيث يصرح عند التعبير المنحرف عن جادة اللغات العربية الجيدة ـ بأنه قد توبعت فيه اللغة الضعيفة المنحرفة عن تلك الجادة؟

نظن أن لغة بني أسد في قولهـا سكرانة وغضبانة وعطشانة ـ وقد وصفت بما قدمناه من الصفات ، التي هى وصمات ـ لا تطمع أن تحظى من « ابن جنى » بقضاء أفضل مماقضى به على تلك اللغات المنحرفة التى أشرنا اليهـا ، واذا يكون حكمها هو حكم هذه اللغات .

وهاك طرفاً ممـا قاله « ابن جنى » في ذلك القضاء : قال مـا نصه : « هذا ـ أي ما سبق من الـكلام على اللغتين المتقاربتين ـ هو حكم اللغتين اذا كانتــا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين فامـا أن تقل إحداها جداً وتـكـثر الأخرى جـــداً فإنك تأخذ بأوسعهما رواية ، وأقواهما قياساً ، ألا تراك لا تقول : مررت بَكَ ، ولا المال لِكَ ، قياساً على قول قضاعة : هذا المـال لِهْ ، ومررت بَهْ ، ولا تقول : أكرمتُكِشْ ، ولا اكرمتكس قياساً على لغة من قال : « مررت بِكِشْ ، وعجبت منكِس » [1]

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٠ .

الخلاصة

وخلاصة ما تقدم من القول أن عباوة « ابن جنى » : وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء « لاتفيد أن كل نطق يجيء موافقاً لغة من اللغات العربية — ولو من غير شعور وقصد إلى تلك اللغة — يكون صواباً غير خطأ .

لابل هي تدل على أن النطق إذا جاء منحرفاً عن الجيد المشهور من لغات العرب فانه يجب أن يكون مقصوداً فيه اتباع اللغة التي هى أصل ذلك الانحراف .

هذا هو الذي يمكن أن يكون نطقاً على قياس لغة من اللغات .

أما إذا لم يلحظ فيه هذا الاتباع ، وكان منحرفاً عن الجادة ، فلا يعتبر صواباً في اللغة ، لأنه لم ينطق به على قياس لغة من لغات العرب ، بل يكون الناطق به مخطئاً كل هذه اللغات : يكون مخطئاً اللغات الجيدة الفصحى ؛ لأنه لم يسر عليها ، ويكون مخطئاً اللغة الدنيا أيضاً ، لأنه لم يقصد إليها ، ولم يرد السير عليها ، بل صادفها من غير شعور ولا وعي .

إن الذي يقرأ بإمعان ما قاله « ابن جنى » في « باب اختلاف اللغات وكلها حجة » يستطيع أن يخرج بالنتائج الآتية :

١) اللغتان المتقاربتان في قوة القياس وسعة الاستعمال ، لاشبهة في جواز الأخذ بكل منهما في السعة والاختيار ، فلا ترد إحداهما بالأخرى .

٢) اللغتان المتباعدتان في القياس والاستعمال ، لاشبهة أيضاً في الأخذ بالعليا منهما في السعة والاختيار كذلك .

أما اللغة الدنيا ففيها تفضيل رأى :

١ — في حالة الضرورة : ضرورة الشعر أو السجع يجوز الأخذ بها من غير لوم ولا تثريب .

٢ — وكذلك لا لوم ولا تثريب في الأخذ بها في حالة السعة والاختيار ، إذا صرح الناطق على قياسها ، بأنه انما عبر بما عبر به متابعة لتلك اللغة .

٣ — أما إذا نطق في السعة والاختيار على قياس هذه اللغة قاصداً متابعتها ، لكنه لم يصرح بأنه عبر بما عبر به متابعة لها ، فإنه يكون ملوماً منعياً عليه ، لأن ترك التصريح بذلك ، يوهم من يرى أو يسمع عبارته ، انها جرت على وفق الجيد من اللغات العربية ، فيذهب مذهبه في ذلك ، وينتشر أمر هذه اللغة الدنيا ، على حين انها لغة يجب أن يقل الأخذ بها ، وألا ينشط التعبير على وفقها .

وفي جميع الحالات التي جرى فيها الناطق على قياس لغة من تلك اللغات الدنيا ، لايكون مخطئاً في اللغة العربية ، وإنما يكون مخطئاً الجيد الفصيح من اللغة ، سواء في ذلك الحالات التي قلنا إنه لا لوم فيها على الناطق ولا عتب ، والتي يستوجب فيها شيئاً من ذلك اللوم والعتب ، لايكون مخطئاً في اللغة ، لأنه استعمل ما استعمله قياساً على لغة من لغات العرب ومتابعة لها .

أما إذا نطق بالعبارة ، لايقصد فيها متابعة لغة ولا القياس عليها ، فجاءت عبارته — عفواً وبمحض المصادفة — موافقة لغة من تلك اللغات الدنيا ، فإنه لايكون مصيباً في اللغة بل هو مخطيء فيها من غير شك .

وهذه الحالة — كما قلنا — لاتشملها عبارة ابن جنى التي يقول فيها : « وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء » .

* * *

ثم إذا تركنا هذه الملاحظة جانباً ، وافترضنا أن كل تعبير يقع موافقاً لغة من اللغات العربية ولو من غير قصد — يكون صواباً في اللغة فإنه ليس في شيء مما أورده « ابن جنى » في « باب اختلاف اللغات وكلها حجة » ما يبيح باطلاق إتباع لغة ضعيفة رديئة في نطق على خلاف الجيد المشهور من اللغات العربية . بل إن مقالات « ابن جنى » في ذلك الباب تحتم تجنب تلك اللغة الدنيا في السعة والاختيار ، وألا يصار إليها إلا في شعر أو سجع ، أو حيث يقول الناطق بذلك التعبير المنحرف : إنه استعمله على قياس لغة من يقول كذا كذا .

هذا شيء حكم به « ابن جنى » على لغات قضاعة وتميم وربيعة وهوازن وقيس وضبة وبهراء فيما انفردت به ، وانحرفت فيه عن الجيد من سائر اللغات العربية .

وليست لغة بني أسد — في صرف « فعلان » وتأنيث مؤنثه بالتاء على « فعلانة » بأسعد حظاً من تلك اللغات .

* * *

إلى هنا تم ما أردنا من القول « فعلان » الوصف من جهة صرفه أو منعه من الصرف، وقد عرفنا انه يصرف في كل موضع يكون فيه مؤنثه بالتاء .

فالصرف لازم — على أساس ما نقل عن بعض بنى أسد — في كل وصف على «فعلان» لأن مؤنثه عندهم يكون بالتاء ، ولو كان له مع ذلك مؤنث على « فعلى » .

وكذلك الحال عند الجمهور في الألفاظ الأربعة عشر المستثناة ، فهي مصروفة ، ومؤنثها بالتاء . أما إذا لم يكن « لفعلان » مؤنث بالتاء فإنه يجب منعه من الصرف .

والآن نريد بيان حكم « فعلان » من جهة جواز جمعه جمع مذكر سالماً وعدم جواز ذلك . وفي هذا السبيل يجب الرجوع إلى ما قرره النحاة من الشروط التي تلزم في جمع المذكر السالم ، ثم إلى ما أثبته علماء اللغة ، مما ينير السبيل للوصول إلى الغاية من هذا البيان .

فالنحويون قرروا أن من شروط جمع الوصف جمع مذكر سالماً ، ألا يكون من باب « أفعل فعلاء » ، ولا من باب « فعلان فعلى » ، ولا مما يستوي فيه المذكر والمؤنث .

ومعنى هذا ألا يكون تأنيث مؤنثه بالألف الممدودة ، كحمراء ، أو المقصورة كسكرى، فإذا كان تأنيث المؤنث بإحدى هاتين الألفين ، فلا يجمع وصف المذكر : « أحمر وسكران» جمع مذكر سالماً . وكذلك إذا كان الوصف مما يستوى فيه المذكر والمؤنث ، فإنه لا يجمع هذا الجمع ، مثل صبور وجريح .

وبعضهم عبر عن هذا كله بعبارة قصيرة شاملة ، وهي أن يكون تأنيث ذلك الوصف

بالتاء . فيخرج بذلك وصف « أفعل » الذي مؤنثه « فعلاء »، ووصف « فعلان » الذي مؤنثه « فعلى »، لأن تأنيث الأول بالألف الممدودة، وتأنيث الثاني بالألف المقصورة، فلا يجمع وصف المذكر فيهما جمع المذكر السالم .

وكذلك يخرج ما يستوي فيه المذكر والمؤنث، لأنه ليست له علامة تأنيث، فلا يجمع ذلك الجمع .

ولكن ما معنى هذا الشرط ؟ وما مداه ؟ وما الذي تقضي به طبيعة مثل هذا الاشتراط المعروف، أن الشرط هو شيء يتوقف عليه وجود شيء آخر أو صحته . وذلك يقضي بأنه لا يمكن أن يتحقق المشروط إلا إذا تحقق شرطه . لكن تحقق الشرط في ذاته لا يستلزم تحقق المشروط . ولذلك يقول العلماء : إن الشرط هو ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده الوجود .

وهذا هو الفارق بينه وبين السبب، الذي يلزم من عدمه العدم، كما يلزم من وجوده الوجود، متى توافرت له الشروط، وارتفعت الموانع .

فاذا طبقنا هذا على جمع المذكر السالم وشرطه الذي أشرنا اليه، كانت نتيجة ذلك، أن جمع وصف المذكر جمع مذكر سالماً، لايتحقق ولا يصح لغة إلا إذا كان مؤنثه بالتاء . فاذا تخلف هذا الشرط — وهو كون تأنيث الوصف بالتاء — فلا يتحقق المشروط الذي هو الجمع أو صحة الجمع .

لكن إذا تحقق الشرط في ذاته، وكان تأنيث الوصف بالتاء، فلا يترتب عليه شيء في المشروط، ولا يلزم حينئذ جواز أن يجمع الوصف جمع مذكر سالماً . وذلك اما لعدم تحقق السبب واما لقيام مانع يمنع أن يعمل ذلك السبب عمله، كأن يكون هناك مانع من جهة السماع .

« قد يقال » أن ما ذكرتموه من معنى الشرط وحكمه، وأنه لايلزم من وجوده وجود المشروط، إنما هو في الشروط الشرعية، فأما الشروط النحوية فالأمر فيها على خلاف ذلك .

فقد جاء في حاشية عصام على شرح الجامي على الكافية أن وجود الشرط النحوي يستلزم وجود المشروط ، لأن الشرط النحوي أمارة لثبوت الحكم ، ويذكر ليعرف بمعرفته ثبوت الحكم . وجاء مثل ذلك في حاشية التشقندي على شرح الجامي أيضاً [1] « والجواب » أن هذا الاشكال يدفعه من غير شك ما ورد في « اللسان » « مما سنعرض له بشيء من التفصيل فيما بعد ، فانه يقول في « ندمان » المنادمة : « أنه لا يجمع بالواو والنون وأن ادخلت الهاء في مؤنثه » .

وكذلك ما صرح به الرضى في شرح الكافية ، مما سنورده كذلك فيما بعد ، فانه نقل عن سيبويه أنه لايجوز من جهة السماع أن يقال — في جمع « ندمان » من المنادمة — ندمانون ولا في جمع « سيفان » سيفانون ، وإن كان ذلك سائغاً من جهة القياس ، قال : لأنهم — أي العرب — لايقولون ذلك .

وبيان دفع ذلك الاشكال ـ بهذا الذي نقلناه عن الرضى واللسان ـ ان النحاة قرروا أن من شروط جواز جمع الوصف جمع مذكر سالماً ، أن يكون مؤنثه بالتاء ، وقد تحقق هذا الشرط في « ندمان » من المنادمة ، وفي « سيفان » لطويل القامة ، إذ يقال في مؤنثها ، ندمانة وسيفانة ، ولم يتحقق المشروط ، فانهم قد منعوا أن يجمع شيء منها ومن أمثالها هذا الجمع .

ومن هذا يتبين أن طبيعة الشروط النحوية ـ التي هى من هذا القبيل ، والتى عبر عنها النحاة بكلمة « شروط » في مثل هذا الموطن : موطن جمع المذكر السالم وما يلزم له ـ لم تبعد عن طبيعة الشروط الشرعية ، فان الأولى أوضاع ومقررات استخلصت بالنظر فيما حفظ لنا من لغة العرب ، كما أن الثانية أوضاع ومقررات استخلصها الأئمة والمجتهدون ، بالنظر فيما حفظ لنا من أحكام الشريعة ، فالقول بالتفرقة بين الأمرين شيء يعوزه الدليل .

ويؤكد ذلك الذي قلناه ، صنيع علماء اللغة في مختلف القواميس التي نسوق بعض نصوص منها فيما يلى :

---

(١) حاشية عصام وحاشية التشقندي على شرح الجامي للكافية ٦١ الطبعة الهندية .

١ — في القاموس المحيط ـ في مادة غضب ـ قوله : « وهو غضب وغضوب . . . وغضبان ، وهي غضبى وغضوب ، وغضبانة قليلة ، جمعه غضاب وغَضابى ويضم . »

فهو لم يأت بجمع سلامة لغضبان ، مع أنه ذكر من صيغ المؤنث صيغة غضبانة بالتاء ، ومع أنه أتى في ذلك بعدة جموع تكسير .

٢ — وفي اللسان : « ورجل غضِب وغضوب ... ... ، وغضبان ، ... والأنثى غضبى وغضوب ، ... ... والجمع غضاب وغضابى ، عن ثعلب ، وغضابى مثل سكرى وسكارى ... ... ولغة بني أسد امرأة غضبانة وملآنة وأشباههما » .

ولم يعرض بشيء أيضاً لجمع التصحيح ، مع أنه ذكر لغة بني أسد في قولهم امرأة غضبانة وملآنة .

٣ — وفي القاموس ـ في مادة سكر ـ ما يلي : « سكر كفرح ، ... ... فهو سكر وسكران ، وهي سكرة وسكرى وسكرانة ، جمعه سكارى وسكارى وسكرى » .

ولم يذكر لذلك جمع تصحيح ، مع أنه أورد من الصيغ صيغة سكرانة بالتاء .

٤ — وجاء في اللسان : « سكر يسكر سكراً ... ... فهو سكر ، عن سيبويه وسكران ، والأنثى سكرة وسكرى وسكرانة ، الأخيرة عن أبي علي في التذكرة . قال : ومن قال هذا وجب عليه أن يصرف سكران في النكرة ... ... ، الجوهري لغة بني أسد سكرانة ، ... ... والجمع سكارى وسكارى وسكرى » .

فقد عرض هكذا لحكم « سكران » عند من يجعل مؤنثه « سكرانة » بالتاء ، من جهة أنه يجب صرفه حينئذ اذا كان نكرة ، أي لم يكن علماً مسمى به مثلا .

ولم يعرض لما يصنع في جمعه اذا كان له جمع آخر يغاير جموع التكسير التي أوردها .

٥ — وفي اللسان ـ في مادة عطش قال : « عطش يعطش عطشاً ، وهو عاطش وعطش وعطش وعطشان ،والجمع عطشون وعطشون وعطاش وعطشى وعطاشى وعطاشي، والأنثى عطشه وعطشة وعطشى وعطشانة ، ونسوة عطاش » .

فهو - كما ترى - لم يذكر لعطشان جمع تصحيح، مع أنه ذكر جموع تصحيح لما قارنه من صيغتى عطش وعطش، ومع أنه أتى للمؤنث بصيغة عطشانة بالتاء .

ألا يدل هذا كله على أنه اذا قيل في المؤنث « فعلانة » فلا يلزم من ذلك أن يجمع « فعلان » جمع تصحيح بالواو والنون أو الياء والنون ؟

على أنه قد جاء القول صريحاً في مادة « ندم » أنه يقال في المؤنث « ندمانة » بالتاء من المنادمة، لكنه مع ذلك لا يجوز أن يجمع وصف المذكر « ندمان » جمع مذكر سالماً .

٦ — وهاك ما ورد في اللسان في مادة « ندم » قال : « والنديم المنادم، والجمع « ندماء »، وكذلك الندمان، والجمع ندامى وندام، ولا يجمع بالواو والنون وان أدخلت الهاء في مؤنثة . قال أبو الحسن : « إنما ذلك لأن الغالب على « فعلان » أن يكون أنثاه بالألف، نحو ريان وريا، وسكران وسكرى، وأما باب ندمانة وسيفانة فيمن أخذه من السيف وموتانة فعزيز بالاضافة الى « فعلان » الذى أنثاه « فعلى » .

وعلى هذا لا يقال : « ندمانون ولا سيفانون » بجمع التصحيح وان كان المؤنث « ندمانة » وسيفانة بالتاء . فتأنيث وصف المؤنث بالتاء، لا يستلزم جواز جمع المذكر جمع تصحيح بالواو والنون .

٧ — وجاء في شرح الكافية [١] ما نصه : « وأجاز سيبويه قياساً لا سماعاً « ندمانون » في قولهم « ندمان » لقبول التاء، كندمانة [٢]، وكذا « سيفانون » لقولهم « سيفانة » قال سيبويه : لا يقولون ذلك، وذلك لأن الأغلب في « فعلان » الصفة ألا يلحقه التاء، فندمانة وسيفانة كأنها من قبيل الشذوذ، فالأولى ألا يجمعا هذا الجمع حملا على الأعم الأغلب » .

* * *

(١) شرح الكافية للرضى ١٨٢/٢ طبعة دار السعادة .

(٢) أفاد الجامي في شرحه على الكافية ص ٦٠ من الطبعة الهندية أنه يقال « ندمانة » بالتاء اذا كان من المنادمة، فيكون معناه النديم والمنادم . أما اذ كان من الندم فهو غير منصرف، بالاتفاق، ولا يجمع جمع المذكر السالم كذلك لأن مؤنثه « ندمى » .

قد يقال : إن هذا المنع : منع أن يجمع « فعلان فعلانة جمع تصحيح ـ ، قد يكون ملحوظا فيه ما عليه جمهور قبائل العرب من التضييق في باب « فعلانة » وانه يغلبون باب « فعلان فعلى » على باب « فعلان فعلانة » فيجرون حكم الأول على الثاني ويمنعون أن يجمع « فعلان فعلانة » جمع تصحيح ، كما منعوا ذلك في « فعلان فعلى » أما بنو أسد فقد يكون الحكم عندهم خلاف ذلك ، أي أنهم قد يجمعون جمع تصحيح كل ما قالوا فيه « فعلان فعلانة » .

والجواب أنه لم يعرض أحد ـ فيما نعلم ـ لتفرقة بين الجمهور وبني أسد في ذلك الحكم ، الذي هو منع جمع باب « ندمان » الذي مؤنثه « ندمانة » جمع تصحيح ، كما عرضوا للتفرقة بينهم فيما يجوز من صوغ « فعلان فعلانة » وفي صرف ما يراه الجمهور ممنوعاً من الصرف من ذلك .

بل ان العبارات الواردة في مختلف المراجع اللغوية ـ والتي تنص على أنه لا يجمع « ندمان » و « سيفان » وأشباههما جمع تصحيح ـ جاءت جميعها بصورة لا تخص فريقاً من العرب دون فريق ، فقصر حكمها على الجمهور دون بني أسد لا يدل عليه دليل .

ومهما يكن من شيء فلا أقل من أن يكون الأمر عند بني أسد ـ فيما يتعلق بجواز جمع « فعلان فعلانة » جمع تصحيح ـ في محل الشك والاحتمال ، فلا ينبغي حينئذ أن يجزم بأن الحكم عندهم أن يجمع « فعلان » هذا جمع مذكر سالماً ، اعتماداً على أنهم يقولون في مؤنثة « فعلانة » بالتاء ، فانا قد علمنا مما نقل عن العرب أنهم يمنعون أن يقال « ندمانون وسيفانون » مع أن القياس كان يقضي بجواز ذلك ، من حيث أنه قد ورد ندمانة وسيفانة بالتاء .

كلمة الختام

انا اذا كنا نمنع أن يتابع بعض قبيلة « أسد » في صرف « فعلان » وتأنيث مؤنثه بالتاء ، ونمنع كذلك أن يجمع « فعلان » جمع مذكر سالماً ، فانا نقول للذين أرادوا واختاروا هذه المتابعة : انه كان ينبغي أن يقتصروا فيها على الشق الأول ، وهو تجويز

الحاق التاء بوصف المؤنث من « فعلان » ولا يتخطوا الى موضوع الجمع : « جمع السلامة » ليجوزوه أيضاً في « فعلان » كان ينبغي أن يقتصروا على ذلك الشق الأول ، مع مراعاة القيود التي قررها ابن جني ، والمواطن التى حتم الوقوف عند حدودها وألا يتخطوا الى تجويز الجمع حتى يثبت صراحة وبالأدلة والشواهد أن أولئك الناس من بني أسد يجمعون جمع سلامة كل وصف على وزن « فعلان » اذا كان مؤنثه على فعلانة بالتاء .

وكان ينبغي ألا يركنوا في القول بجواز ذلك الجمع عند بني أسد ، الى مجرد الاحتمال أو الاعتماد على قياسية جمع السلامة ، فانا رأينا كيف أن القياس هنا قد قضى عليه السماع وألغاه . والله أعلم وهو سبحانه ولي التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٣ – فعلان فعلانة

تعقيب على بحث الأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج

للأستاذ الشيخ محمد علي النجار

ينسب الى بني أسد أنهم يقولون في نحو مؤنث سكران : سكرانة . وجاء في اللسان أن هذا لغة لبني أسد . وكذلك جاء في اصلاح المنطق لابن السكيت [١] : « ولغة بني أسد سكرانة وملآنة وأشباهها » وفي المخصص [٢] وقال قوم : « ان باب فعلان الذي أنثاه فعلى ، بنو أسد يدخلون الهاء في مؤنثه ويخرجونها من المذكر ، فيقولون : ملآنة وملآن، وسكرانة وسكران ، كما قالوا : خمصانة وندمانة ، وللمذكر خمصان وندمان » . وجاء في الصحاح عن هذا : « لغة في بني أسد ، والظاهر أن المراد : أن هذا لغة من لغات العرب في بني أسد ، وبذلك توافق عبارة الصحاح عبارة غيره من اللغويين . ولا تدل « في » على البعضية بدليل أن صاحب اللسان قال : « الجوهري لغة بني أسد سكرانة » .

وقد جاء في ابن يعيش لا تقول : سكرانة ولا عطشانة ولا غرثانة في اللغة الفصحى ... وقولنا في اللغة الفصحى احتراز عما روي عن بعض بني اسد غضبانة وعطشانة وهو يريد ببعض بني أسد قوماً منهم حتى يكون ما أسند اليهم لغة ، وقد أفاد بمقابلة هذه اللغة للغة الفصحى أنها لغة فصيحة عنده . وهذا أمر نحتاج اليه بعد .

ويبين من هذا أن اللغويين عندهم أنها لغة بني أسد ، وعند ابن يعيش أنها لغة بعضهم، ولا ريب أن اللغويين أوثق وأضبط في باب اللغات من النحويين المتأخرين .

وأياً ما كان الأمر فهذه اللغة عند بني أسد . وبنو أسد كانوا في نجد داخل الجزيرة العربية بعيدين عن أطرافها وعن التأثر بغير العربية ، فعربيتهم خالصة لا شائبة فيها . وهم

---

(١) ص ٢٩٥ .

(٢) ج ١٤ س ١٤٥ .

من القبائل التي أخذت عنهم اللغة . ونرى في المزهر في الفصل الثاني من النوع التاسع أن أبا نصر الفارابي [1] يقول : « والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس ، وتميم وأسد . فان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم » .

فاما قول أبي حاتم : إن لبني أسد مناكير ، فلا يقدح في عربيتهم ، ولا يسمها بالخطأ وحاشا لأبي حاتم أن ينسب الى قبيل من العرب الخطأ ، وإنما كان أبو حاتم معنياً باختيار الفصيح والمختار وله في ذلك كتاب ما تلحن فيه العامة وأكثر ما يكون ذلك نابياً عن الأفصح وهذه الطائفة في كلامها مجال للقول والرد كما رد على فصيح ثعلب وغيره . على أن هذا رأي شخص لا نرى من يتابعه .

ونعود الى تأنيث فعلان بالتاء والحكم عليه بأنه رديء . الظاهر أن هذا القائل تأثر بكلمة أبي حاتم العامة ، ولم يرد نص أن أبا حاتم رد هذا الأمر بعينه . قد يقول قائل إن الحكم عليه بذلك لمخالفته رأي الجمهور . وهذا لا يكفي في الحكم برداءة اللغة ، فالرداءة لا بد لها من سبب لغوي . فالكشكشة رديئة لأن فيها زيادة حرف لا داعي اليه اذا قلت : مررت بكش ، والعنعنة فيها ابدال الحرف واخراجه عن جوهره ، وذلك من غفلة اللسان وترك حفاظه على النطق الصحيح ، والتلتلة فيها كسر حرف المضارعة كما في تعلم ، وهذا انحراف عن الأصل . فالرداءة في هذه اللغات لها وجه صحيح .

فأما تأنيث نحو سكران بالتاء فهو جرى مع الأصل في التأنيث فما وجه الحكم برداءته ؛ انه في القياس أقوى مما عليه الجمهور . وذلك كما في اهمال ما التميمية ، فقد قالوا : إنه أقوى في القياس من إعمالها لأن ما النافية حرف مشترك بين الأسماء والأفعال فحقه ألا يعمل .

---

(١) صوابه : أبا ابراهيم .

فتأنيث نحو سكران بالتاء لغة فصيحة . ونأخذ هـذا بقول ابن يعيش السابق : إذ قابلها باللغة الفصحى انقياس على هذه اللغة عند بني أسد .

هل لنا أن نقيس على هـذه اللغة . أي هل لنا أن نقول : سكرانة وغضبانة احتذاءً لهذه اللغة سواء أ كان ذلك لغة جميعهم أم لغة بعضهم . لا شك أن لنا هـذا الاستعمال فهو استعمال يوافق لغة من لغات العرب . وهي لغة فصيحة كما أثبتنا . واذا سلمنا جدلا بأنها لغة رديئة فاحتذاؤها صحيـح عملا بما قرره ابن جني أن اللغات كلها حجة يقاس عليها ، ويقول في ختام قوله فذلـكة لما فصله : « وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء ، وان كان غير ما جاء به خيراً منه « فأما شرطه أن يقول القائل على قياس من لغته كذا كذا ، وعلى مذهب من يقول كذا كذا » فلا ريب أن الغرض من هذا أن يكون القائل عالماً بما يقيس عليه غير خابط في ذلك خبطاً لا يدري علام يسير . ولا يريد ابن جنى أن يقول القائل عقب قوله : رأيت الرجلان أن يقول : قلته على لغة من يلزم المثنى الألف . فهذا هو ما يريد ابن جني ، وهذا الأمر نقوله نحن : يجوز تأنيث سكران على لغة بني أسد . فأما تقييد كلام ابن جني بقيود ليست في كلامه فتحميل للـكلام ما لا يحمل .

ومن ذلك أن تكون اللغة لغة قبيلة بأجمعها ، وألا تكون اللغة رديئة الى غير ذلك مما ينافي اطلاقه .

آثار لغة بني أسد

من آثار لغة بني أسد أمران حتميان :

١ — صرف فعلان . وهذا أمر واجب . فلا نقول : في سكران سكرانة ثم نمنعه الصرف ، ولا يقول بهذا أحد .

٢ — جواز جمعه جمع تصحيح . وذلك لأن مناط جمع التصحيح في الوصف أن يؤنث بالتاء .

يقول السيوطي في « الهمع » في الفرق بين ما يقبل التاء من الصفة حيث يصح جمعها

وما لا يقبله [1] : « وانما افترق الصفتان لأن القابلة لتاء شبيهة بالفعل ، فانه يقبل التاء عند قصد التأنيث نحو قامت ، ويتعزى عنها عند قصد التذكير نحو قام وانما يجمع هذا الجمع ما اشبه الفعل الحاقاً به في أنه اذا وصف به المذكر العاقل لحقه بعد سلامة لفظة الواو ، كقاموا ويقومون » .

فجواز جمع الصحيح للوصف الذي يؤنث بالتاء . قياس لا يكسر ، ولا يحتاج في نوع خاص الى سماع اذ ثبت قاعدة كلية لا استثناء فيها ، كما تقول : هبطت الطيارة فترفع الطيارة وانه لم يرد هذا عن العرب . فنقول : سكرانون اذا قلت سكرانة وان لم يرد هذا عن العرب .

ويقول بعض الباحثين إن هذا الجمع لم يرد في المعاجم . والمعاجم لا تعنى بجمع التصحيح لأن أمره ظاهر لا اختلاف فيه وهو كالمثنى ولذلك يقال له الجمع على حد المثنى وظاهر ان المثنى لا يذكر في المعاجم ، وانما عناية المعاجم بجمع التكسير لأنه في أغلب أمره لا يسير على منهاج معين ولعدم انحصاره في وزن معين . والأمثلة في هذا كثيرة ، ففي فرح وسمج وشح يذكر جموع التكسير ولا يذكر جموع التصحيح .

وانظر ما ذكر في اللسان في عطشى فقد ذكر من الأوصاف عاطش وعطش وأتى بجمع التصحيح لعطش ولم يذكر جمع عاطش .

فأما أنه لا يقال : ندمانون في جمع ندمان من المنادمة مع قبوله التاء فهذا في لغة الجمهور الذين يفرقون بين ندمان من الندم وندمان من المنادمة ، لأن باب فعلان فعلى عندهم أكثر من باب فعلان فعلانة بل هو كالشاذ عندهم ، فالجاري على ألسنتهم في جمع فعلان هو جمع التكسير ، على أن سيبويه قال بقياس جمعه جمع تصحيح كما نقله الرضي

---

(١) ج ١ ص ٤٥ .

وينهي الرضى كلامه عن ندمان وسيفان بقوله : « فالأولى ألا يجمعا هذا الجمع حملا على الأعم الأغلب » فترى أن هذا أمر أولوي استحساني ، وليس واجباً ، فجمع التصحيح عنده جائز . وهذا عند الجمهور كما عرفت ، فأما من لغته سكرانة فليس عنده ما لا يقبل التاء حتى يصعب على لسانه جمع التصحيح . بل جمع التصحيح هو الجمع السهل السائغ . ولا يلزم أحد بني أسد أن يراعوا لغة غيرهم ، ويدعوا التصريف الذي تسيغه لغتهم .

٤ — بحث تكميلي

في « فعلان فعلى » وجواز تأنيثه بالتاء وجمعه جمع سلامة

للأستاذ أمين الخولي

بعد ما قررت لجنة الأصول جواز تأنيث صيغة فعلان كلها بالتاء وجمعها جمع سلامة ، جرياً على لغة بني أسد ، عاد الأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج يبحث الموضوع ، ويعيد الاعتراض عليه وقدم بذلك بحثاً للجنة ، فرد عليه الأستاذ الشيخ محمد علي النجار ببحث تلى في جلسة لجنة الأصول يوم ١٠ ـ ١٠ ـ ١٩٦٥ ، ووجدت في القول بقية عرضتها على اللجنة في جلستها المذكورة ، فرأت أن أقدم بها بحثاً مكتوباً ، وهأنذا أقدم هذا البحث.

— ١ —

ولكني أمضي دائماً سليم الصدر ، ولا أخفي شيئاً في نفسي أقدم القول بمعتبة على عبارة وردت في تقرير الأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج ، هي :

«... وذلك شيء يجب أن تبرأ منه مقالات عامة العقلاء ، بله خاصة المفكرين والعلماء »

فان أدب البحث عند أسلافنا لا يجيز مثل هذه العبارات في مناظرة ، ونحن جميعاً شديدوا الحرص على أن يكون جو لجنة الأصول نقياً من مثل هذه الشوائب ... أعاننا الله جميعاً على أنفسنا .

— ٢ —

لغة بني أسد لا لغة بعضهم

تعلل الأستاذ المعارض بورود عبارة الصحاح « ولغة في بني أسد » وقال : فقوله ولغة في بني أسد ... ظاهر في أن ذلك ليس لغة القبيلة كلها وإنما هو طريقة لبعض هذه القبيلة . وأول ما يقال له : ممنوع أن هذا ظاهر !! وعلى فرض أنه ظاهر فلا يجوز التعبير بأنما قصراً

في قولك ، وإنما هو طريقة لبعض هذه القبيلة « لأن كونه الظاهر لا يمنع وجود غيره فلا يجوز القصر عليه ثم ينقض عليه استدلاله بعبارة الصحاح بما أورده ونصه : « الجوهري لغة بني أسد سكرانة » فالجوهري هو صاحب الصحاح ، وتكون عبارته قد تغيرت بعض الشيء في نسخة عن أخرى ، أو في رواية عن أخرى ، ومع التنازل عن وثاقة كل نسخة من النسختين وهل التي نقل عنها صاحب اللسان أوثق ، أو التى نقل عنها ناشر الصحاح اليوم أوثق فانك تسوى بينهما ، فيلزم حمل إحداهما على الأخرى ، وفهم العبـارة بما يجمع بين الروايتين ، ولا نجد أن « في بني أسد » تفيد البعضية ، لأن في للظرفية ومتعلقها كون عام فالمعنى أنها لغة كائنة ، موجودة في بني أسد ، فهي لغة بنى أسد .. ولا حجة ظاهرة لهذه البعضية !! فليس من الحق أن يفهم من عبارة « في بني أسد » بعض بنى أسد ، ثم يتساهل في التعبير ، فيكونون بعض أفراد .

— ٣ —

جمع فعلان فعلى جمع تصحيـح لايتوقف على متابعة بنى أسد

قال الأستاذ المعارض في كلمة الختام ... نقول للذين أرادوا واختاروا لهذه المتابعة : انه كان ينبغي أن يقتصروا فيها على الشق الأول وهو تجويز الحاق التاء بوصف المؤنث من فعلان ولا يتخطوا الى موضوع الجمع — جمع السلامـة — ليجوزوه أيضاً في فعـلان ثم تابع الـكلام في عدم جواز ذلك الجمع ، فقال :

« وكان ينبغي ألا يركنوا في القول بجواز ذلك الجمع عند بني أسد الى مجرد الاحتمال، أو الاعتماد على قياسية جمع السلامة » .

ونوقش في ذلك بما بقي بعده مجال للقول هو :

— أ —

فقه العربية في جمع الصفة

إذ نقرأ في « ابن يعيش » شرحاً للمفصل (ج ٥ ص ٢٤ ط المنيرية) ما نصه : —

« اعلم أن تكسير الصفة ضعيف ، والقياس جمعها بالواو والنون ، وإنما ضعف تكسيرها

لأنها تجري مجرى الفعل ، وذلك انك إذا قلت : زيد ضارب فمعناه يضرب ، أو ضرب إذا أردت الماضي وإذا قلت مضروب فمعناه يضرب أو ضرب ، ولأن الصفة في افتقارها إلى تقدم الموصوف كالفعل ، في افتقاره الى الفاعل ، والصفة مشتقة من المصدر ، كما أن الفعل كذلك ، فلما قاربت الصفة الفعل هذه المقاربة جرت مجراه ، فكان القياس ان لا تجمع ، كما أن الأفعال لا تجمع ، فأما جمع السلامة فانه يجري مجرى علامة الجمع من الفعل إذا قلت يقومون ويضربون ، فأشبه قولك قائمون يقومون ، وجرى جمع السلامة في الصفة مجرى جمع الضمير في الفعل ، لأنه يكون على سلامة الفعل ، فكل ما كان أقرب الى الفعل كان من جمع التكسير أبعد ، وكان الباب فيه أن يجمع جمع السلامة لما ذكرناه » .

كما عاد ابن يعيش لتأكيد هذا المعنى في جمع الصفة جمع سلامة بقوله (ج ٥ ص ٢٦ س ٤) « .. استغنى عن تكسيرها بجمع السلامة ، وذلك لقوة الجمع السالم في الصفة » (كما قال في ج ٥ ص ٢٧ س ٤) فأما يقظان فكسروه على أيقاظ والباب فيه جمع السلامة كما قدمنا » ، وهو في خلال هذا يؤصل ذلك المعنى تأصيلاً بقوله : (ج ٥ ص ٢٦ س ٧) « والصفات قد تحمل على الأسماء في التكسير ، لأنها أشد تمكناً في التكسير من الصفات » فتى احتجت الى صفة ولم تعلم مذهب العرب في تكسيرها فانك تكسرها تكسيرها الاسم الذي هو على بنائها ، لأنها أسماء وإن كانت صفات ، وذلك في الشعر ، فأما في الكلام فالجمع بالواو والنون ، والألف والتاء لاغير ، إلا أن تعلم مذهب العرب في تكسيرها فلا يعدل عنه وهكذا جعل جمع الصفات في الكلام بالواو والنون ، والألف والتاء لاغير .

— ب —

ومذهب الكوفيين جمع الصفة التي لا تقبل التاء جمع سلامة

وهذا القول من فقه العربية في جعل الأصل جمع الصفة جمع سلامة يجعل جمع فعلانة جمع سلامة هو الذي تتقبله روح العربية ، ويستشرف له حسها على ما سمعنا ، من تكرار ذلك على أن الأمر لايقف عند إجازة سيبويه هذا الجمع قياساً كما نقل المعارض في مذكرته..

ولا عند الاطمئنان الى حسي ؟ العربيـة في جمع الصفة جمع سلامة كما سبق ، بل أن الأمر أوضح من ذلك وأنص عند الـكوفيين الذين ذهبوا الى تجويز جمع ذي التاء ، وجمع الصفة التي لاتقبل التاء جمع سـلامة ، وهو ما يورده السيوطي في « جمع الجوامع » وفي شـرحه « همع الهوامع » (ج ١ ص ٤٥ الخانجي) .

إذ يقول في المتن — الجمع — ما نصه — :

« وجوزه الـكوفيون في ذي التاء ، وصفة لا تقبلها .

ثم قال في الشرح الهمع بياناً للجملة الأولى ما نصه :

« وخالف الـكوفيون في هذا الشرط — أي خلو المفرد من التاء فجوزوا جمع ذي التاء بالواو والنون مطلقاً ، فقالوا في طلحة وحمزة ، وهبيرة : طلحون ، وحمزون ، وهبيرون ، واحتجوا بالسماع والقياس ، أما السماع فقولهم في علانية — رجل علانية ظاهر أمره — علانون ، وفي ربعة المعتدل القـامة ربعون ، وأما القياس فعلى ما ورد من جمعه جمع تكسير وان أدى أيضاً الى حذف التاء ، قال :

وعقبة الأعقاب في الشهر الأصم

وفي شرح الجملة الثانية قال في الهمع ما عبارته :

«وجوز الـكوفيون جمع صفة لا تقبل التاء كقوله :

منا الذي هو ما إن طر شاربه والعانسـون ومنـا المرد والشيب

وقوله :

فما وجـــدت نساء بني نزار حلائل أســـودين وأحمرينـا »

فجمع الصفة التي لا تقبل التاء مذهب أصيل ، يقبل جمع فعلانة الذي لايقبل التاء ، فهو أجدر بأن يقبل جمـع فعلان بعد ما قبلت التاء عند بني أسد ، وهو في كل أولئك أقرب الى فقه العربية التي تعد تكسير الصفة ضعيفاً ، والقياس جمعها جمع سلامة ، بالواو والنون وبالألف والتاء ، ولا يتوقف ذلك على متابعة بني أسد ، ولا يضعفه قبول هذه المتابعة . التأنيث دون جمع السلامة !!

الضرورة الحيوية أقسى وأقطع من الضرورة في السمع أو الشعر

يقول المعارض : ضمن النتائج التي يخرج بها من يقرأ عبارة ابن جني بامعان ، ما نصه :

« في حالة الضرورة ، ضرورة الشعر أو السجع يجوز الأخذ بها — أي اللغة الدنيا — من غير لوم ولا تثريب » .

ويعود لتقرير هذا بقوله :

« بل إن مقالات ابن جني في ذلك الباب تحتم تجنب تلك اللغة الدنيا في السعة والاختيار وألا يصار إليها إلا في شعر أو سجع » ثم يؤكد أن هذا في صرف فعلان بقوله :

« وليست لغة بني أسد ، في صرف فعلان ، وتأنيث مونثه بالتاء على « فعلانة » بأسعد حظاً من تلك اللغات » .

فهو بهذا يجيز هذا التأنيث في شعر أو سجع دون لوم ولا تثريب ، فتسأل هل يكون هذا الاستعمال إذ ذاك لفعلانة عربياً أو غير عربي ؟!

وإذا كانت ضرورة السجع ، الذي لا نحرص اليوم على شيء فيه ، بل نمقته تجوز استعمال فعلانة مؤنثة فهل ضرورات الحياة ، في تيسير اللغة على مستعمليها ومتعلميها ، ورأب الصدأع الناجم عن اختلاف لغة الحياة عن لغة العبارة والعلم ، ليست ضرورات تقدر بقدر ضرورة السجع ؟ وهل نستطيع أن نقول ذلك للدنيا اليوم ؟!

وإذا كان التيسير اللغوي على الناس قد جعل القرآن يقرأ على سبعة أحرف ، فهلا يكون ذلك التيسير اللغوي اليوم كافياً لاعطاء حكم ضرورة السجع لضرورة الحياة .

وكل هذا على فرض أن ليس في الأمر الا اشتراط التأنيث بالتاء فيما يجمع جمع سلامة ، فكيف وشطر النحاة وهم الكوفيون يخالفون في هذا الشرط ويجيزون جمع الصفة التي لا تقبل التاء جمع سلامة لعل ذلك كل ما قيل وكتب قبله يكفي لتبرير قرار اللجنة في تأنيث فعلان وجمعه والله المستعان .

المناقشات والقرار

الأستاذ أمين الخولي (مقرر لجنة الأصول) :

ان اجتماع المجمعين ، وتعاون أعضائها ، وتناظر آرائها فرصة طيبة لوضع النقط على الحروف — كما يقول المحدثون — أو لحسم الرأي في أشياء هي في تقديري جوهرية ، لأسباب تتعلق بمهمة المجمع ، ويثور حولها الخلاف بين الحين والحين ، لا أريد أن أبدأها بالكليات الكبرى ، ولكني أبدأها بجزئيات في البحوث التي تحت يدي حضراتكم ، ففي أحد هذه البحوث من يقول : ان اللغة الدنيا يمكن استعمالها في السجع ، وتعتبر ضرورة السجع مبرراً لاستعمالها ، فمن الأولى أن تكون ضرورة الحياة مبرراً للتيسير بها على الناس وتمكين اللغة العربية من الحياة .

وواضح أن غير هذا الرأي يقف ولا شك عقبة في سبيل مهمة المجمع الكبرى ، فهل المهمة هي حفظ العربية في مستوى من المستويات مطبق في عصر من العصور أخذا بما تقرر قديماً في أصول اللغة ، أو في أبحاث النحاة ، أو هي مهمة أجل من هذا وأكبر ، وهي تمكين اللغة العربية من أن تبسط جناحها ، بل من أن تبتلع ما حولها من العاميات التي نبتت منها ، لتكون لغة الحياة والفن ، وهي نفسها لغة العلم والدين ، وبذلك تضيق شقة الخلاف بين اللغتين ، ولا يكون بين لغة الحياة وبين لغة العلم والعبادة الا ما هو من الفروق المألوفة أو الممكنة في كل اللغات الحية .

أردت أن أقدم هذه المقدمة واطلب من حضراتكم التفضل بابداء الرأي في هذه المسألة الجوهرية ، لأن لجنة الأصول في حاجة إلى هذا الرأي الحاسم ، إذ أنها فيما بين أعضائها تتعرض كثيراً لهذا الخلاف وتضيع فيه الكثير من الوقت ، وكما قلت في البحوث التي بين أيديكم صورة لهذا الخلاف .

ففي صيغة « فعلان » اقترح أحد الأعضاء في مؤتمر المجمع النظر في تيسير استعمال

فعلان مؤنثة بالتاء ، وجمعها كذلك جمع سلامة ، ليكون ذلك أقرب وأيسر على الناس ، أو كما قال المقترح في الدرجة الثانية من البيان كما في لغة القصة الغالبة وفي لغة الصحافة ، وتعرضت لجنة الأصول لهذا الموضوع ، فاتجهت من المبدأ الذي أثاره المقترح . فقالت : اننا نجد في لغة بني أسد ما يمكننا أن نجيز صيغة فعلانة كما قالوا في سكران سكرانة ، وفي عطشان عطشانة وامتد الخلاف في اللجنة في هذا الأمر ، وبين أيديكم صورة للرأي المعروض ، ومما قيل في معارضة الرأي ان تأنيث فعلان بالتاء ليست لغة بني أسد ، ولكنها لغة بعض بني أسد ، وأنها لغة رديئة وضعيفة لايعتد بها ، ومما قيل أيضاً أنه إذا ساغ في فعلان فعلانة ، كسكران سكرانة ، فليس من اليسر أن نأخذ الأمر بالقياس ونجمعه جمع سلامة ، لأن التاء دخلتها ، والبحث في ذلك أدى الى أن هذه لغة بني أسد ، وان بني أسد من القبائل التي كانت تقيم داخل الجزيرة العربية ، وهي من القبائل التي سمعت عنها اللغة ، وأما جمع السلامة فأجازته ليست استنتاجاً وانما هي رأي الكوفيين .

ومن هنا انتهت اللجنة أخيراً الى القرار الذي تجدونه أمامكم ، ونصه :

« من حيث ان تأنيث فعلان بالتاء لغة في بني أسد — كما في الصحاح — ولغة بني أسد — كما في المخصص — وقياس هذه اللغة صرفها في النكرة ، كما في شرح المفصل ، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء ، وان كان غير ما جاء به خيراً كما في قول ابن جني ترى اللجنة أنه يجوز أن يقال : « عطشانة ، وغضبانة » ، وأشباههما ، ومن ثم يصرف فعلان وصفاً ، ويجمع فعلان ومؤنثه فعلانة جمعي تصحيح » .. والرأي لكم .

الدكتور ابراهيم مدكور : هل من تعليق أو ملاحظات على هذا القرار ؟

الاستاذ عبد الله كنون : أرى ان المسألة لم تكن بحاجة الى هذا البحث ولا الى هذا القرار الذي اتخذته فيها ، لأننا بعد هذا بقينا حيث كنا ، بعض بني اسد يقولون سكرانة وجمع التصحيح في صيغة فعلان صحيح ووارد ، ولا يحتاج الى قرار من لجنة الأصول ، لأن هذا معناه تأكيد هذه اللغة ، وابرازها الى حيز اللغة الصحيحة ، وإذا أضطر الكاتب

الى مخالفة هذه اللغة ، وأنث فعلانة ، قلنا انه فعل ذلك على لغة بني أسد ، وما ورد من لغة « بني أسد » على صيغة فعلانة ، فهو امثلة فقط ، اما ان نجعله لغة اصيلة فليس هذا مهمة المجمع لأن هناك كثيراً من اللغات المتخالفة ، وأشير إلى أن القرآن نزل على سبعة احرف ولكن عثمان جمع الناس على كتاب الله بلغة قريش ، وانتهى الأمر ، فنحن نريد ان نجمع الناس على لغة واحدة مبسطة ، وإذا أضطر واحد الى الخروج على ذلك في سجع أو نحوه ، فنقول له أنت تستطيع أن تتكلم بهذا ، ونسمي ذلك تجوزاً أو رخصة فقط ، أما أن نضع قراراً في هذا ففي ذلك اسراف .

الاستاذ أمين الخولي : الرخص هي في كلام أصحاب الأصول ، والنحو ، أما مسألة السجع فهي ليست من كلامي وانما هي من كلام ما ورد في البحث المعارض .

أما أن ما ورد على فعلانة مجرد أمثلة ، ونحن لا نتكلم بهذه اللغة ، لأنها كذا وكذا .. فتلك هي التي بدأت الحديث بالاشارة اليها ، وهي : ماذا نريد أن نصنع لتمكين اللغة العربية من مواجهة الحياة ميسرة سهلة ؟

فهمت أن الزميل الأستاذ عبد الله كنون يريد أن يقول : ان الأمثلة على صيغة فعلانة ليست في حاجة الى تقرير ، لأنها معروفة ، وما الذي يمنعنا إذن من ان نجيز استعمال هذه الصيغة ؟

الدكتور مهدي علام : يريد الزميل الأستاذ عبد الله كنون ان نجمع الناس على لغة سهلة ميسرة ، وهذا اليسر لا يتأتى لنا إلا إذا أقررنا الناس على استعمالاتهم ما دام لها سندها من اللغة ، اما ان يظلوا وبينهم وبين مثل لغة بني اسد حاجز يمنعهم ، فان هذا يحول دون اليسر الذي نطلبه للغتنا ، وان أعضاء لجنة الأصول انفسهم قد اختلفوا في هذا ، فما بالكم بجماهير الشعب في جميع الاقطار العربية عند ما يواجهون مثل هذا الاستعمال ؟

انه من الخير إذا وجدنا لغة صحيحة منقولة عن العرب ان نتوسع في استعمالها . أما ما ذكره الزميل الأستاذ عبد الله كنون من القياس على القرآن فهو قياس مع الفارق ، لأن

القرآن له وضع خاص ، ولو أننا قيدنا أنفسنا بحدود استعمال القرآن لحجرنا على انفسنا كثيراً من استعمالات اللغة .

الدكتور سليم النعيمي : في مثل هذه القضايا يكون الميل الى التيسير والتسهيل ضروريا جداً ، والحقيقة أن علامة التأنيث عند العرب طرأ عليها تطور . ونحن حين نجد لهجة عربية قديمة مستعملة ، تتطابق مع طبيعة التطور اللغوي فاننا عند ذلك نقبلها .

والحقيقة ان التطور اللغوي يميل الى التسهيل ، وفي التأنيث نجد ان تاء التأنيث هي التي بدأت تتغلب ، فما دامت كذلك فاني أعتقد أن لهجة بني أسد بها بدأ الانسجام مع تبديل الألف المقصورة والممدودة الى التاء ، ونحن نقبل هذه الفكرة ما دامت تنسجم ، ونحن نرى في لهجتنا العامية في مختلف الأقطار أن التاء هي التي صارت علامة التأنيث ، ونحن في العراق نقول (ليلة) في ليلى ، و « سكرانة » في « سكرى » وكذلك عطشانة وجوعانة ، فمتابعتنا لهذا التطور اللغوي يستوجب هذا التيسير ، وما دام له أصل في لغة العرب القديمة فان الفكرة تكون مقبولة وحسنة .

الدكتور مصطفى جواد : كيف علمنا ان هذا طريق الى التيسير ؟ لابد أن لجنة الأصول — أيدها الله — انتخبت أو اختارت لغة من لغات الاقطار العربية ، في لغة العراق حقاً يميلون الى التأنيث بالتاء كما في لغة بني أسد كما قال الدكتور سليم النعيمي ، ولكن في مصر لانعلم هل الناس يميلون هناك الى استعمال هذه اللغة وهل الأمر كذلك في المغرب أو تونس؟ لم نستطع بحث ذلك كله ، ونحن نطالع تقرير اللجنة . وأرى على أية حال انه من السداد تعميم هذه القاعدة الاسدية ان صح التعبير ، ولكن بعد التحقق من ان الشعوب العربية تؤثر هذه الصيغة ، وان حاجتها تطلبت ذلك .

والذي أذكره ان المصريين لايميلون في الغالب الى مثل هذه الصيغة . والآن ونحن في مؤتمرنا هذا يشترك معنا ممثلون للأقطار العربية احب ان نتبين الأمر في صيغة التأنيث عندهم .

الدكتور ابراهيم مدكور : يبدو لي أن التاء في عامية أهل مصر هي الغالبة في التأنيث ، وأوافق الدكتور جواد على أن نتبين الأمر من زملائنا العرب .

الاستاذ عبد الله كنون : يقـال في المغرب أيضاً سكرانة وعطشانة . واعقب على كلمة الزميل الدكتور مهدي علام بأني لم أقل بالقياس على القرآن في هذه المسألة ، ولكن قلت انه إذا كثرت اللغات فاننا نجمع على لغة واحدة كما صنع أسلافنا في لغة القرآن . اما إشارة السيد الأستاذ مقرر لجنة الأصول الى التيسير فأنا أقره على ذلك ، ولكن في شأن الكلمات والمصطلحات الجديدة التي نفتقر اليها في التعبير ، ولا نزيد على ما عندنا ، لأن ذلك يفضي إلى الترادف دون مسوغ ، ورأيي أننا نقول ان سكران فصيح وسكرانة لغة بني أسد ، وقرار اللجنة فوق المطلوب .

الأستاذ أمين الخولي : القرار هو المطلوب لأن صيغة فعلانة تشيع في البلاد العربية ، وآية ذلك أن صاحب اقتراح اجازتها من السودان ، واعضاء اللجنة من مصر ، وقد سمعنا الآن ان اهل العراق يستعملونها ، والاستاذ كنون نفسه قال انها مستعملة في المغرب ، وما كان لنا ان نقف عند الكلمات المسموعة ، ولكن بحثنا في امر هذه الصيغة التي طلب المقترح اجازتها في الدرجة الثانية من البيان ، لغة القصة والصحافة ، فألفينا انها لغة قبيلة عربية فصيحة ، ومن ثم اجزنا استعمالها تعميماً للتيسير ، وبهذا لا يكون القرار فوق المطلوب ، ولكنه عين المطلوب .

الدكتور ابراهيم أنيس : اني عضو في لجنة الأصول ، ومن الموافقين على هذا القرار ومع ذلك أؤكد للزميل الأستاذ كنون أن الهدف الذي دعا اليه وهو جمع أهل العربية على لغة واحدة هو هدف اللجنة عينه ، وأؤكد لكم على قدر علمي أن البلاد العربية جميعاً تؤثر هذه الصيغة . والواقع أن ٩٠ ٪ من الصفات في اللغة العربية تؤنث بالتاء ، فاذا أردنا أن تتسم لغتنا بالاطراد فلنقر هذه الصيغة .

الدكتور جميل سعيد : تأنيث فعلان بالألف المقصورة هو اللغة الفصحى ، وأما التأنيث بالتاء فلغة بني أسد ، وعلى مر العصور زاحمت لغة بنى أسد اللغة الفصحى في البلاد العربية ، ونستطيع اذن أن نقول ان الذوق العربي مال الى لغة بنى أسد ، وبهذا لا نكون قد أقررنا قاعدة جديدة أو فرضنا شيئاً مبتدعاً ، ولكن نكون قد أقررنا ما شاع بين العرب جميعاً .

الأستاذ أمين الخولي : سبق لي أن أشرت الى أن صاحب الاقتراح أراد الاقتصار في الاجازة على الدرجة الثانية من البيان ، ولكننا في اللجنة لم نستطع أن نجعل الكتابة على درجتين الاولى خاصة للكتاب بالألف المقصورة والثانية بالتاء لغيرهم ، وبهذا كان القرار أوسع قليلا مما طلب المقترح .

الدكتور محمد مهدي علام : أرجو أن يكون واضحاً في أذهاننا ما كان واضحاً في ذهن اللجنة ، وهو أنه ليس المقصود من القرار أن تطرد لغة بني أسد لغة قريش ، ولكن هو اقرار استعمال لغة بني أسد لمن شاء .

الدكتور اسحاق موسى الحسيني : هناك سببان يدعوان الى قبول هذا القرار : الأول الشيوع والآخر الاستناد الى لهجة من لهجات العرب ، ونحن لا نلغي قاعدة من قواعد اللغة ، بل نضيف اليها قاعدة أخرى تيسيراً على الناس . ويلوح لي أنه من الضروري النص على أن هذه رخصة للسببين اللذين ذكرتهما .

الدكتور إبراهيم بيومي مدكور : هذا واضح في نص قرار اللجنة ، فهي تقول ان ذلك « يجوز » ومعنى الاجازة أن القديم قائم لم يلغ ، وأن ما شاع حديثاً جائز .

الدكتور جميل الملائكة : لست من المشتغلين بالعربية ، ولكن هذه المناقشة دفعتنى الى الحديث . واقع الحال أن التأنيث بالألف المقصورة هو الأفصح ، في العراق ، فهم

يقولون: « اربيل العطشى » لا العطشانة، ولو كتبت صحيفة « اربيل العطشانة » لقيل إنها تكتب بالعامية.

الدكتور إبراهيم بيومي مدكور: لسنا بصدد الغاء عطشى ولكننا بصدد قبول عطشانة، وأقول بأنها عربية فصيحة. وفي ضوء ما قدم من آراء نستطيع الاطمئنان الى هذا القول.

الأستاذ محمد خلف الله أحمد: ألاحظ على الشق الأخير من الاقتراح وهو « ومن لم يصرف فعلان وصفا ويجمع فعلان ومؤنثه فعلانة جمعي تصحيح » أنه قد يؤدي الى لبس، إذ ينصرف اليه الجواز.

الدكتور عمر فروخ: أرى أن نقتصر على ما شاع استعماله من كلمات أو ما وردت الرواية به، لا أن نجعل ذلك قاعدة مطردة.

الأستاذ أمين الخولي: عبارة اللغويين الذين حكوا « سكرانة وعطشانة » أشعرت عبارتهم بأن ذلك لغة بني أسد في فعلانة مطلقاً.

الأستاذ الشيخ محمد علي النجار: عبارة اللغويين « سكرانة وعطشانة وأشباهها ».

الأستاذ محمد خلف الله أحمد: في النفس شيء من هذه الاجازة المطلقة، التي انصرفت الى الفقرة الأخيرة من القرار، لأنها تحدث بلبلة في أمر قواعد اللغة بالنسبة للصرف وعدم الصرف ومن الخير أن ينص على أن ذلك لغة مرجوحة. وسيترتب على اطلاق هذا الترخيص أن يضطرب المعلمون والتلاميذ في مثل سكران مصروفاً أو غير مصروف. فان المعلم اذا أجاز صرف فعلان لتلميذه، فهم التلميذ أن ذلك هو اللغة، فأوقعه بذلك في حيرة حين يصادف في النصوص هذه الصيغة ممنوعة من الصرف.

الدكتور عمر فروخ: لا أرى أن نتخذ من القواعد ما نقر به المخطىء على خطئه. ومن الخير أن نلتزم اللغة الفصحى، وننبه على أن المستعمل بخلافها في الصحف أو غيرها

غير مقبول ، وليس من الخير أن نضع خاتم الشرع اللغوي على اخطاء الكاتب أو المتحدث ، ولو أجزنا لكل مخطىء ان يخطىء فسينتهي بنا الأمر الى تسويد لغة العامة .

الأستاذ أمين الخولي : من اجل هذا قدمت لكلمتي بالاشارة الى ضرورة الاتفاق على مبدأ ، فانه كلما بذلت محاولة لتمكين العربية من ابتلاع العاميات قيل إننا ندعو الى العامية ، وبناء على هذا تضيع جهود التيسير وتبقى الفصحى في عزلتها عن لغة الحياة وتبتلعها العامية ، والقرار المعروض الآن لا يجيز العامية ولا هو وضع خاتم الشرع اللغوي على خطأ ، ولكنه اجازه لاستعمال له سنده من العربية . وأرجو أن تكون الموافقة على هذا القرار اذا صدرت موافقة على هذه الخطة في التيسير ، وهي اننا حين نجد سبيلا الى تضييق الشقة بين لغة الحياة واللغة الفصحى نعتبر ذلك كسباً عظيما ، فكل ما له وجه فى العربية مما يحقق سد حاجة فى لغة الحياة نأخذ به .

الدكتور عمر فروخ : ولكن نحاذر دائماً ان نجعل ذلك قاعدة مطبقة ملتزمة .

الدكتور إبراهيم مدكور : نحن نشرع للغة مستمدين تشريعنا من أصول اللغة وآراء أئمتها ، وفى حياتنا الدينية يشرع الفقهاء وأهل الفتوى المحدثون ما يلائم الزمن وطبيعة الحياة مما يجدون له سنداً فى آراء أهل الفقه والفتوى الأقدمين وان خالف ذلك ما قال به الأئمة الأربعة ، فاذا جاز هذا فى الاحكام الشرعية أفلا يجوز فى أحكام اللغة وقضاياها ؟. إن لجنة الأصول اتخذت قرارها مستندة الى لغة بني أسد ، ولو لم تجد هذه اللغة لما أجازت ما أجازته .

الدكتور عمر فروخ : نحن نقبل لغة بني أسد ، ولكن لا نطبقها على الفاظ جديدة .

الدكتور محمود الجليلي : أشار الاستاذ مقرر اللجنة الى ان الهدف هو ان تبتلع الفصحى اللغات العامية ، ومنذ ثلاثين سنة كانت العامية فى كلام الجمهور تبعد عن الفصحى ، اما الآن فقد دنت من الفصحى دنواً كبيراً ، وسيطرد هذا الدنو مع الأيام . ولا أرى هناك

مبرراً لاصدار قرار معين فى تيسير القواعد خشية ان يعرضنا ذلك لمشاكل فى المستقبل تتصل بتراثنا السابق الذي هو مصدر للقيم الروحية عندنا . واذا كان هناك تقريب فهو تقريب العامية من الفصحى ، واذا كانت الفصحى لا تتزحزح فان العامية سترتفع اليها ، واقصد عامية المثقفين لا عامية الجهلاء .

الدكتور ابراهيم مدكور : لا شك فى ان التقارب يسير بخطى فساح بين العامية والفصحى ، لأسباب مختلفة ، منها نمو الوعي والتعليم ، ولا شك ايضاً فى ان اللغة العامية فيها ظواهر وكلمات كنا نحسبها غير عربية ، فاذا هي ذات اصول عربية فصيحة ، ومن حقها ألا تبعد عن دائرة العربية .

الأستاذ أمين الخولي : إذا كان التقارب حادثاً فعلا ، أفليس من الخير أن نتعجل خطاه ؟

الدكتور محمد مهدي علام : أحب أن أذكر للزميل الدكتور محمود الجليلي وقد أشار الى تراثنا العربي وأبدى الحرص عليه أن لغة بني أسد جزء من تراثنا العربي ، وان في الأخذ بها حفاظاً عليها .

الدكتور إبراهيم أنيس : أضيف أن أبا ابراهيم الفارابي حين سمى القبائل التي أخذت عنها اللغة وضع بني أسد فى قمة القبائل الفصيحة .

اللواء الركن محمود شيت خطاب : بالاضافة الى ما ذكره الزميل أقول إن بني أسد كانوا فى طليعة من اضطلعوا بالفتوح الإسلامية وقادوا معركة القادسية ، ولهم فى العربية مكانة جليلة ، ولغتهم تستحق كل تقدير .

الدكتور فاضل الطائي : اذا كان الغرض تيسير اللغة فمن الواجب الالتزام بقواعد معينة ، فذلك من صلب التيسير وما دام الظاهر أن التأنيث بالتاء هو الغالب فى طريقة التأنيث فى العربية إذ يبلغ نحو ٩٠ ٪ وما دام تأنيث فعلان بالتاء كان لغة قبيلة عربية عريقة فالاتفاق على أن ذلك قاعدة جائزة على وجه عام فيه تقريب وتسهيل للعلماء والكتاب.

الأستاذ عبد الله كنون : أحرر مرادي مما قلته بأني ما قصدت منع الاجازة ، ولكني قصدت ألا نصدر قراراً فى ذلك .

الدكتور عمر فروخ : وأنا أيضاً لا اعارض فى أصل الموضوع ، ولكني أعارض فى أن يكون القرار عاماً .

الدكتور إبراهيم مدكور : الآن نأخذ الرأي ، والمعارض يتفضل برفع يده .

وتبين أن المعارضين من الأعضاء الحاضرين أربعة ، هم الأستاذ عبد الله كنون ، والدكتور عمر فروخ ، والدكتور عبد الحليم منتصر ، والأستاذ عبد الفتاح الصعيدي .

واعلن الدكتور ابراهيم مدكور أن الموافقين على القرار هم من عدا من رفعوا أيديهم من السادة الأعضاء .

(وبذلك اعتبر القرار موافقاً عليه بالأغلبية) .

ثانياً — في صوغ أفعل التفضيل

أ — مراحل دراسة الموضوع

١ — في الجلسة الثالثة من مؤتمر المجمع في دورته المتممة للثلاثين بتاريخ ٢٧ من فبراير شباط سنة ١٩٦٤ استمع المؤتمر الى بحث للاستاذ محمد الفاضل بن عاشور عضو المجمع في موضوع « تحرير أفعل التفضيل من ربقة قياس نحوي فاسد » وعقب عليه السادة الأعضاء، وتقرر احالة البحث الى لجنة الأصول .

٢ — وقد نظرت اللجنة في البحث المحال اليها بحضور الأستاذ زكي المهندس والأستاذ علي عبد الرازق والدكتور إبراهيم أنيس والأستاذ حامد عبدالقادر والأستاذ عبد الحميد حسن والأستاذ أمين الخولي والشيخ محمد علي النجار والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد والدكتور محمد مهدي علام، ودرست الأمثلة التي أوردها الباحث، وقدم الأستاذ الشيخ أمين الخولي مذكرة له، وبعد أن فرغت اللجنة من القسم الأول من البحث، وهو الخاص بالشروط التي يجب توافرها لصوغ أفعل التفضيل، انتهت في هذا القسم الى اتخاذ القرارات التالية، وقد وافق عليها أعضاء اللجنة، وطلب الأستاذ علي عبدالرازق تسجيل احتفاظه برأيه .

٣ — وهذا نص قرارات اللجنة :

١ — بين التعجب والتفضيل وحدة في المعنى واللفظ، أوجبت اشتراكهما في شروط الصوغ، وليس أحدهما في ذلك مقيسا على الآخر .

٢ — ناقشت اللجنة الأمثلة التي أوردها صاحب البحث المحال من المؤتمر الى اللجنة، مناقضة لبعض الشروط، وعددها أربعون . ردت اللجنة منها الى الشروط المتفق عليها أو المختلف فيها بين النحاة تسعة وعشرين مثالا، وهي : (في مذكرة الخولي) .

٣ — اختلاف النحاة في بعض الشروط لصوغ أفعل التفضيل يتيح للجنة أن تقرر ما يأتي :

أ — التخفف من شرط تجرد الفعل الثلاثي ، وفاقاً لسيبويه والأخفش ، (أنظر ابن يعيش ج ٦ ص ٩٢) وتشترط اللجنة امن اللبس .

ب — التخفف من شرط البناء للمعلوم ، أخذاً بقول ابن مالك في صوغه من المبني للمجهول اذا أمن اللبس (انظر التسهيل ص ٤٠ وجمع الجوامع ج ٢ ص ١٦٦) .

جـ — التخفف من شرط كون الفعل تاماً ، أخذاً بقول الكوفيين في صوغ التعجب من الناقص (انظر ابن عقيل على الألفية وجمع الجوامع ج ٢ ص ١٦٦) .

د — التخفف من شرط ألا يكون الوصف منه على أفعل فعلاء ، وهو ما يكون في الألوان والعيوب ، أخـذاً بقول الكوفيين والكسائي وهشام والأخفش (انظر جمع الجوامع ج ٢ ص ١٦٦) .

هـ — التخفف من شرط عدم الاستغناء عنه بمصوغ من مرادفه ، لأن من النحاة من تركه ، ومن ذكره لم يورد له الا مثالا واحداً .

وبذلك يتم التخفف من أكثر الشروط ، فلا يبقى منها الا ما اتفق عليه النحاة وهو :

أ — أن يكون فعلا ثلاثي الأصول ، مجرداً أو مزيداً ، سواء أكان هذا الفعل مسموعاً أم صيغ بمقتضى قرار المجمع في تكملة مادة لغوية وفي الاشتقاق من أسماء الأعيان .

ب — أن يقبل التفاضل .

جـ — أن يكون مثبتاً .

د — أن يكون متصرفاً .

* * *

ومع هذا مذكرة الأستاذ الخولي ، وعنوانها « دراسة للقسم الأول في بحث تحرير أفعل التفضيل » .

والأمر معروض على المؤتمر .

محرر اللجنة

محمد شوقي أمين

ب — دراسة للقسم الأول من :

بحث : تحرير أفعل التفضيل من ربقة قياس نحوي فاسد

للأستاذ محمد الفاضل بن عاشور

— للاستاذ امين الخولي —

إجمالي البحث

بعدذ كريات للباحث عن اتهام الأقيسة النحوية ، وفي فرصة وضع القياس من اصله للبحث . تجمعت عناصر مشكلة من مجازفة في القياس حملت النحاة على تضييق المواسع من باب أفعل التفضيل ، وتبين ضعف قياسهم هذا وفساده يمكن التوسع فيما ضيقوه والانتهاء الى قياسية كثير مما اعتبروه شاذاً في أفعل التفضيل ، لأن أفعل التفضيل من دقائق التصاريف وتحتاج اليه الحياة اليومية كثيراً .

وللوصول الى هذه النتيجة يبين الباحث القياس النحوي الذي بدأه الزمخشري وتبعه فيه ابن الحاجب وابن مالك في حمل كل من بابي التعجب وأفعل التفضيل على الآخر ...

وبعد كلمة في صيغة التفضيل يبين الباحث أن قياس المساواة الذي أجروه ليس قياساً بالمعنى المعهود في أصول العربية ، فليس له علة جامعة ، بل بينهما فوارق ، والشروط التي خرجوا بها من هذا القياس يهوله منها كثرة المخالفة لها وليست منطبقة على المسموع ، ولا مطردة في أصل القياس ، علاوة على أن بعض الشروط لم يتحقق الاتفاق عليها ، وسائرها كثر الوارد فيه على خلاف القاعدة ، وهو رائج في الكلام الفصيح ، وليس من الشاذ الذي يمتنع القياس عليه .. مع ما سبق من تساهل النحويين باجراء القياس بين التعجب والتفضيل قياساً مع وجود فوارق ثلاثة بينها . وذلك من شأنه أن يفتح باب التساهل في التزام تلك الشروط . وهكذا يصل الباحث الى التخلص من شروط صياغة أفعل التفضيل

عن طريق اضعاف هذا القياس ، وبذل الجهد الطويل في هـــذا الاضعاف . ليخلص اسم التفضيل من ربقة قياس نحوي فاسد .

نظرة في :

١ — القياس الفاسد .

٢ — وبدء الزمخشري له .

٣ — ومتابعة ابن الحاجب وابن مالك له وأن الأخير أوغل علماء العربية في هـــذا القياس .

٤ — جعل الزمخشري التفضيل أصلا ، وجعل ابن مالك التعجب أصلا .

ففي النقطتين الأولى والثانية « القياس وأول من أجراه » نسمع الباحث الفاضل يقول: « بنى الزمخشري في المفصل ، وتبعه ابن الحاجب في الكافيـــة ، وابن مالك في كتبه كلها (كذا) صوغ أفعل التفضيل على أصل قياسي ، وهو حمل كل من بابي التعجب وأفعـــل التفضيل على الآخر بحيث أنه لا يصاغ أفعل التفضيل الا مما يصاغ منه فعلا التعجب ، وكل ما امتنع أن يصاغ منه فعلا التعجب امتنع أن يصاغ منه أفعل التفضيل ـ ص ٥٩ ـ مجموعة البحوث والمحاضرات لمؤتمر الدورة الثلاثين لمجمع اللغة العربية .

كما يقول :

« ... تلك القاعدة القياسية في تحامل البابين التي ابتدأ بها الزمخشري ، وتبعه فيها ابن الحاجب ثم جاء ابن مالك فاحتفل بها ، وأجرى فيها قياس المساواة ، وعنه أخذها النحاة من بعده » ـ ص ٦٢ من المجموعة المذكورة .

* * *

وتبحث عن هذا القياس والبادىء به نترى صلة التعجب والتفضيل موضع البحث قبل الزمخشري بمئات السنين ، قد عرض لهـا سيبويه ـ ت ١٨٠ هـ ـ ، ولا ندري من عرض لهـا قبله ، فهو نفسه يتكلم عن النحاة وفعلهم بصيغة الجمع .

ونقف عند سيبويه فنقرأ له ماعبارته :

« وما لم يكن فيه ما أفعله لم يكن فيه أَفْعِلْ به رجلاً ، ولا هو أفعلُ منه »
ـ الكتاب جـ ٢ ص ٢٥١ س ٢ ط ١ أولى ـ

كما يقول في هذا الموضوع نفسه ، بعد نحو سطرين ـ ما نصه :

« والمعنى في أفْعِلْ به ، وما أَفْعَلَه واحد ، وكذلك أَفعَل منه » .

ثم هو يعقد في الصفحة نفسها باباً يقول مسهباً في عنوانه كعادته :

هذا باب يستغنى فيه عن ما أفعله ، بما أفعل فعله ، وعن أفعل منه ، بقولهم :
هو أفعل منه فعلا ، كما استغنى بتركت عن ودعت ، وكما استغنى بنسوة عن أن يجمعوا المرأة على لفظها . »

* * *

فهو ـ كما نقرأ ـ يربط بين التعجب والتفضيل مرات ثلاثة يصرح في احداها بأن معناها واحد .. ووحدة المعنى هذه التي صرح بها توفي بنا على ملحظ أشار اليه سيبويه في الكتاب غير مرة ، وذلك الملحظ هو :

« أنه حين يكون المعنى كالمعنى يجعلون الصيغة كالصيغة ، في الاسم والفعل » وذلك قوله :

« ... وقالوا شاب يشيب ، كما قالوا شاخ يشيخ ، وقالوا أشيب كقولهم أشمط فجاؤا بالاسم على بناء ما معناه كمعناه ، وبالفعل على ما هو نحوه أيضاً في المعنى » ـ الكتاب جـ ٢ ص ٢٢٣ س ٩ ، ١٠ ط أولى ـ

وهذا المعنى في تشابه الصيغة للمشاركة في المعنى ينتثر في الكتاب انتثاراً يغري بجمعه ودرسه .

وهذه الوحدة التي قررها سيبويه تسمعها أكثر تفصيلا بعده بقرون ، في مثل قول ابن يعيش : « وانما جرى هذا أفعل من هذا مجرى التعجب لا تفاقهما في اللفظ وتقاربهما في المعنى ، أما اللفظ فبناؤهما على أفعل ، فكما لا يكون أفعل في التعجب مما زاد على الثلاثة ،

فكذلك لا يكون هذا في باب « أفعل من هذا » لاستحالة أن يكون هذا البناء مما زاد على الثلاثة ـ ويتابع القول حتى يعرض للمعنى في التعجب والتفضيل فيقول :

« وأما المعنى فلأنه ـ أي التعجب ـ تفضيل كما أنه تفضيل ، ألا ترى أنك اذا قلت ما أعلم زيداً كنت مخبراً بأنه فاق أشكاله ، واذا قلت زيد أعلم من عمرو فقد قضيت له بالسبق والسمو عليه » ـ شرح المفصل ج ٦ ص ٩١ س ١٠ وما بعده ـ ط المنيرية ـ

وما هذا التفصيل الا ما أجمله سيبويه ، عند ما قال ان ما لم يكن منه ما أفعله ، لم يكن فيه أفعل به رجلا ، ولا هو أفعل منه ، اذ عقب بقوله :

« لأنك تريد أن ترفعه من غاية دونه ، كما أنك اذا قلت ما أفعله فأنت تريد أن ترفعه عن الغاية الدنيا » ـ الكتاب ج ٢ ص ٢٥١ .

وأحسب أن هذه الوحدة هي التي جعلت السيوطي في « جمع الجوامع ج٢ ص١٦٥ » يعقد باباً واحداً لصوغ التعجب والتفضيل ويقول :

« مسألة : تبنى صيغتا التعجب وأفعل التفضيل من فعل ثلاثي . . . الخ » ثم يتبع ذلك بعد الكلام عن الشروط بقوله :

« واذا امتنع صوغ التفضيل امتنع صوغ التعجب لتساويهما وزناً ومعنى وجريانهما مجرى واحداً في أمور كثيرة » ـ ج ٢ ص ١٦٦ س ٤ ط السعادة .

فهل هذه الوحدة قياس ؟ أو هي تقرير لمساواة جعلت الصيغتين يعقد لهما باب واحد ؟

نستمع الى قول الباحث الفاضل الذي نقلناه يقول :

بنى الزمخشري في المفصل ... صوغ أفعل التفضيل على أصل قياسي وهو حمل كل من بابي التعجب وأفعل التفضيل على الآخر ، فنرجع الى المفصل متناً وشرحاً فنجد أفعل التفضيل في الجزء السادس من شرح ابن يعيش ـ ص ٩٠ الى ٩٩ ـ ونجد التعجب في الجزء السابع من الشرح المذكور ـ ص ١٤٢ الى ١٥٢ ط المنيرية ـ

وفي المفصل متناً مطبوعا وحده نجد أفعل التفضيل من ص ٢٣٢ الى ص ٢٣٧ ـ ونجد

فعلي التعجب من ص ٢٧٦ الى ٢٧٧ ـ وليس في ذلك شيء من قياس أحدهما على الآخر ، ولا تحاملها كما يقول الباحث ، اللهم الا لفظة « قياسه » في أول التفضيل اذ يقول : قياسه أن يصاغ من ثلاثي .... الخ ، وليس في هـــذا اشارة الى قياس شيء على شيء . وكذلك يبدو : أن ما في التعجب والتفضيل هو وحدة المعنى تلك الوحدة التي يقول عنها سيبويه : انه حـين يكون المعنى كالمعنى يجعلون الصيغة كالصيغة في الاسم والفعل . على ما بيناه فيما سلف ، وهى وحدة يبلغ أمرهـا عند سيبويه أن يعقد الباب لما أفعله ، ثم لا يسوق الأمثلة من أفعل التفضيل على ما سنرى قريباً .

فليس في الامر قياس نحوي حمل فيه شيء على شيء ... وليس الزمخشري هو أول من بدأ بالكلام فيما بين التعجب والتفضيل ، فيكون هو الذي ابتدأ بهذا القياس الذي لا وجود له على ما رأينا .

واذا ما انتقلنا الى النقطة الثالثة عن متابعة ابن الحاجب وابن مالك للزمخشري في هذا القياس المزعوم ، وأن ابن مالك كان أوغل علماء العربية في هذا القياس ـ كما يقول الباحث في ص ٦٧ ـ آخر سطر ، وانه احتفل بهذا وأجرى فيه قياس المساواة ـ كما يقول في ص٦٢ س ١١ ـ لا نجد لهذا كله مجالا ، بعد أن لم نجد القياس المزعوم ، اذ وجدناها وحدة جمعت بين التفضيل والتعجب في باب واحد عند مثل السيوطي .

فاذا ما انتقلنا الى النقطة الرابعة عن : جعل الزمخشري التفضيل أصلا ، جعل ابن مالك التعجب أصلا ، لم نجد لهذا القول مجالا بعد الذي تبين من الوحدة التي قررها سيبويه منذ قرون قبل الزمخشري . . وليت الاستاذ الباحث ساق النصوص التي اعتمد عليها في القول بهذا التأصيل من الزمخشري وابن مالك ، لنستطيع تقديرها .

واذا لم يكن قياس فلا موضع للحكم بفساده ، ولا تحرير أفعل التفضيل من هذا الفساد كما لا يكون للقول بالفوارق بين التعجب والتفضيل مجال أيضاً حيث لا قيـــاس هناك ، صحيحاً أو فاسداً .

على أنا لو سلمنا جدلا بأن هناك قياساً للتفضيل على التعجب أو العكس لم تكن العلة الجامعة فيه الا وحدة المعنى « على ما قرره القوم في جلاد ، والعلة مشتركة بين الأصل والفرع فلا يضر القياس وجود فوارق بينهما في أشياء أخرى . على ما هو المعروف ، فقياس الحشيش على الخمر مثلا بعلة الاسكار وتغييب العقل لا يضره أن أحدهما سائل والآخر جامد ولا غير ذلك من فرُوق بينهما ... وكذلك الأمر في التشبيه البلاغي وأنه لا يقتضي المشاركة بين المشبه والمشبه به من جميع الوجوه ، لا يضر الوجه المشترك بينهماوجود فوارق متعددة بين كل واحد منهما والآخر ... ولا موضع للاطالة في هذا الكلام بعد ما ثبت أنه لا قياس هناك على ما هو الواضح الصريح .

* * *

وكذلك لا مجال للقول بمتابعة النحويين بعد ابن مالك له في هذا القياس المزعوم ، اذ رأينا الوحدة تتمثل كاملة في مثل صنيع السيوطي ، حين جمع بين التفضيل والتعجب في باب واحد ، اشارة ما الى قياس ما هو متأخر عن ابن مالك بقرون » .

* * *

الشذوذ . . والقياس في اسم التفضيل

قال الباحث الفاضل : انه يهوله كثرة المخالفة في الاستعمال لتلك الشروط مما حملوا بعضه على الشذوذ ، وخرجوا بعضه تخاريج ترجع بما في طرد الأصل من طريق خلاف مقتضى الظاهر ، حتى لا يكاد يسلم شرط من تلك الشروط من شذوذ كثير » ... الى أن يقول : « لم نجد واحداً من الشروط الأخرى أي غير قابلية التفاضل ـ الا وذكروه في كتب النحو فعقب بذكر الشواذ الخارجة عنه ـ ص ٦٤ س ٢ وما بعده من مجموعة البحوث والمحاضرات ـ وقد أحصى من ذلك أربعين مثلا .

ويقول الأستاذ محمد بهجة الأثري في التعقيب على بحث تحرير أفعل التفضيل من ربقة قياس نحوي فاسد » وأود أن أنهي الى المؤتمر أنني علقت من هذه الأمثلة الناقضة للقاعدة

المذكورة في « تذكرتي » في اللغة زهاء مائة مثال ، خالفت كلها شروط هذه القاعدة ، ولم أبلغ بعد الغاية مما أريد أستكثاره منها » ـ ص ٦٤ س ١٧ وما بعده من المجموعة ـ

وسرد بعض هذه الأمثلة ، ثم كان مما عقب به بعدها قوله :

« وإذا كان مثل هذه الكثرة شذوذاً فما حد الكثرة التي يزعمون ؟ وما عددها؟ وما سماتها ولغوتها ؟ انني ارجو مخلصاً ان يتوفر المؤتمر في أثناء عرضه لقضايا القياس على حل هذه المشكلة ، مشكلة الكثرة والقلة والشذوذ ، وتحديد معالم كل اولئك تحديداً قاطعاً جازماً — ص ٧٥ س ٢٠ وما بعده من المجموعة المذكورة .

وعلى ذكر ما قاله الأستاذ الأثري نتساءل : ما الشذوذ ؟ وما مناطه ؟ وهنا :

ملحظ ينبغي الوقوف عنده :

وهو حديث اصول النحو عن الشذوذ فقد جاء في كتاب الاقتراح للسيوطي — ص ٢٠ ، ٢١ ط الهند ما خلاصته :

ان الشذوذ مقابل للأطراد ، الذي هو التتابع والاستمرار ، فالمستمر الذي لا يتخلف مطرد ، وما فارق ما عليه بقية بابه ، وانفرد عن ذلك الى غيره شاذ ، وكأنما يريدون ليقولوا : ان المطرد هو ما عرف من الطبيعة العامة للعربية في الباب ، والشاذ يقابله، فيخالف الحال العامة ، وقد يفهم ذلك من تقسيمهم احوال الوارد من اللغة ، الى مطرد في القياس والاستعمال كرفع الفاعل ونصب المفعول ، ومطرد في القياس شاذ في الاستعمال ، كاستعمال الماضي من وذر وودع ... إذ نعرف ان اللغة تصوغ من الفعل صورة الثلاثة ، وهذا هو ما يسمونه الاطراد في القياس ، فاذا ماتت واحدة من هذه الصور صار استعمالها شاذاً ، ولو أنه باعتبار القياس مطرد .. وإن كان الباحث اللغوي اليوم يفسر هذا بغير ما قالوه ... فالشذوذ لا يناط بقلة ، بل بمخالفة الحال العامة في الباب من اللغة .

وفي أفعل التفضيل ، الذي نحن بصدد البحث فيه ما قد يؤيد هذا الفهم ، إذ يقول فيه سيبويه الكتاب ج ٢ ص ٢٥٢ س ٦ — ما نصه :

« هذا باب ما تقول العرب فيه ما أفعله [1] وليس له فعل » وإنما يحفظ هذا حفظاً ولا يقاس ، قالوا : أحنك الشاتين ، وأحنك البعيرين ، كما قالوا آكل الشاتين . كأنهم قالوا حنك ونحو ذلك ، فانما جاؤا بأفعل على نحو هذا وان لم يتكلموا به ، وقالوا : آبل والناس كلهم كما قالوا أرعى الناس كلهم . وكأنهم قد قالوا أبل يأبل ، وقالوا رجل آبل وان لم يتكلموا بالفعل ، وقولهم آبل بمنزلة آبل منه لأن ما جاز فيه أفعل الناس جاز فيه هذا ، وما لم يجز فيه ذاك لم يجز فيه هذا . وهذه الأسماء التي ليس فيها أفعل ليس القياس فيها أن يقال أفعل منه ونحو ذلك . وقد قالوا فلان آبل منه ، كما قالوا أحنك الشاتين .

فهذا سيبويه يذكر القياس المطرد في صوغ المشتقات من الفعل الوارد ، ويعد الشذوذ عن الاطراد هو صوغ المشتقات دون ورود فعلها .

وإنما أوردت هذا النص استئناساً به في بيان معنى الشذوذ ، ومقابلته للاطراد ، وأن ذلك مناطه وليس الشذوذ باعتبار قلة الورود أو ندرته ، وإن كان يرد على هذا المثل أبل ، أن القاموس المحيط ينقل : أبل كضرب كثرت ابله ... كما ينقل : « أبل كنصر وفرح أبالة وأبلا فهو آبل وأبل ، حذق مصلحة الابل والشاء ، وانه من آبل الناس من أشدهم تأنقاً في رعايتها » على ما سيرد ذكره ، فيما رد إلى القواعد من أمثلة الباحث والمعقب ، وربما أن هذا الملحظ أن أصحاب أصول النحو لا يذكرون الشذوذ عند كلامهم عن القلة والكثرة كما سنعرض له .

وعلى ذكر الشذوذ ، وإمكان ألا تكون القلة أو الندرة مناطه نشير إلى ما ذكره الأستاذ الأثري في تعقيبه عن :

مشكلة الكثرة والقلة

ورجا مخلصاً أن يتوفر المؤتمر على حل هـذه المشكلة ، وتساءل عن حد الكثرة التي يزعمونها ؟ وما عددها وماشياتها . ونعوتها ؟

---

(١) مما يلحظ هنا بوضوح أن سيبويه يعقد الباب لما يقال فيه ما أفعله ، ويمثل بأفعل من ، وهـذا أثر واضح لما قرره وقرروه بعده من أن المعنى في ما أفعله وأفعل من كذا واحد ، وليس في الأمر قياس .

وفى هذا المجال أضع بين يديه ما قال أصحاب أصول النحو فى ذلك من بيان وتحديد نسبة عددية يمكن أن تكون أصلا لنسبة مئوية كالتى يستعملها المحدثون فى الاحصاء .

وذلك هو ما نقله السيوطي صاحب الاقتراح فى ص ٢١ س ١٠ وما بعده ونصه :

« وقال الشيخ جمال الدين بن هشام : اعلم أنهم يستعملون غالباً ، وكثيراً ، ونادراً ، وقليلا ، ومطرداً فالمطرد لايتخلف ، والغالب اكثر الأشياء ، ولكنه يتخلف ، والكثير دونه ، والقليل دونه ، والنادر أقل من القليل ، فالعشرون بالنسبة الى ثلاثة وعشرين غالب ، والخمسة عشر بالنسبة اليها كثير لا غالب ، والثلاثة قليل ، والواحد نادر ، فاعلم بهذا مراتب ما يقال فيه ذلك . انتهى » .

وبمحاولة علم هذا مفسراً بالنسبة المئوية كما قال اليوم ، تكون النتيجة هى :

المطرد — الذي مثله بثلاثة وعشرين ، وجعلها نهاية هو ١٠٠ ٪

والغالب أو هو ٢٠ من ٢٣ يساوي ٨٦ ٢/٢٣ ٪ أو ٨٧ ٪ تقريباً .

والكثير : وهو ١٥ من ٢٣ ٪ » ٦٥ ٪

والقليل : وهو ٣ من ٢٣ » ١٣ ٪

والنادر : وهو ١ من ٢٢ » ٤ ٨/٢٣ ٪ أو ٤ ١/٢ ٪ تقريباً .

وبهذا يكتفون ولا يذكرون الشذوذ فى هذا المقام بعد ما وصلوا الى الندرة وهى أقل القليل كما رأينا ، وهو ما سبقت الاشارة قريباً الى انه يؤيد الملحظ فى ان مناطه لشذوذ ليس القلة ، بل مخالفة ما عليه الباب فى العربية ، كما تقدم .

ومن التنزل فى الاستدلال ان نسلم جدلا بأن الأمر منوط بالكثرة والقلة وننظر فى الامثلة التي ذكر الاستاذان ، الباحث والمعقب فنرى ان جملة ما ذكره الاستاذ الأثري انما هو ستة وخمسون مثالا يشترك فى عشرين منها مع الاستاذ صاحب البحث فيبقى له ستة وثلاثون مثالا فقط .

وننظر فيما أورده الباحث من الامثلة الاربعين فنرى أن لجنة الاصول قد ردت اكثرها الى الشروط النحوية القديمة .

فوجدت مما له فعل ثلاثي ما يأتي :

آبل — وأبلد — وأتبس — وأشد — وآمن — وأول — وأسرع — وأعمر — وأعنى — وأقصف — واكسى — واكيد — وأولع — وأقسط — « على أن منه قسط بمعنى عدل » . لوجود الثلاثي منها فى المعاجم .

ثم خرجت الاجنة بعضها على مذاهب نحوية ، تخالف فى الشروط المشهورة ، كالقول بصوغ أفعل التفضيل مما زاد فعله على ثلاثة أحرف ، مثل :

أشبه — وأقن — وأفلس — وأقسط « علماً انه من الرباعي » — وأفسد — وأمنع — وأولم .

وكذلك خرجت بعض الامثلة على رأي من يقول بصوغ أفعل التفضيل من المبني للمفعول ، إذا أمن اللبس ، أو لأنه على معنى الفاعلية ، اولأنه متأول فيه ، على معنى ذوكذا ، وبذلك خرجت الأمثلة الآتية :

أزهى — وأشغل — وأشهى — وألوم — وأعذر — وأشهر — .

ثم خرجت بعضاً آخر على القول بصوغه مما دل على لون او عيب مثل :

أبيض من — وأسود من — وأصم من .

وجملة هذه الأمثلة تسعة وعشرون مثالا من أربعين فلا يبقى منها إلا احد عشر مثالا. وليست هذه من التي تهول ، كما قال الاستاذ الباحث .

ولو أسرفنا فى التنزل لكانت جملة أمثلة الباحث والمعقب هى أربعون مثالا — لاشتراكهما فى عشرين منها — وإذا ما قدرنا أن الشروط كما يقول الباحث — ص ٦٠ س ١ — هى عشرة شروط ، فيكون فى كل شرط نحو أربعة من ستة أمثلة وهى نسبة لا تتغير بها قاعدة ، لأنها تدخل فى حدود النادر ، الذي نسبته نحو ٤ ٪ .

وأحسب أن هذا مما يبقى معه منطق النحاة غير فاسد ، ولا هو ربقة يلتمس التحرر منها ، فليس أفعل التفضيل أسير شيء من الفساد فى تفكير النحاة قياساً أو غيره .

وإلى هنا يبقى أمامنا ما فى عمل النحاة أنفسهم ، من أن بعض الشروط لم يتحقق الاتفاق عليها ، وفى هذا الاختلاف بين النحاة مجال للتخلص من كثرة شروط أفعل التفضيل والوصول الى ما يؤيده الأستاذ الباحث من تيسير صوغ أفعل التفضيل على المتعلمين ، وتقريب حاجة الحياة اليه اليوم كثيراً ، كما قال : ومن هذه الطريق يمكن :

تحرير أفعل التفضيل بعمل النحاة أنفسهم

وذلك بعرض شروطهم ، واختلافهم عليها ، فيسعنا أن نأخذ بقول من لا يشترط ، ونتخفف بذلك من أكثر الشروط على ما سنرى بالنظر فيها شرطاً شرطاً .

١ ، ٢ — ثلاثية الفعل وتجرده ، إذ يجيز سيبويه صوغ التفضيل من أفعل ، وقال الأخفش وتابعه المبرد يجوز البناء من كل فعل ثلاثي لحقته زوائد قلت أو كثرت ، كاستفعل ، وافتعل ، وانفعل — ابن يعيش على المفصل ج ٦ ص ٩٢ س ١٥ وما بعده — ط المنيرية .

فنترك هذا الشرط ، أو ننص على اشتراط أن يكون من ثلاثي أو مزيده ، ولعل وضوح الأمر فى عدم صوغه من مجرد غير ثلاثي يغنى عن الاشتراط ، فيترك القول فيه ... وهما فى الحقيقة شرطان فى عد الباحث الفاضل حين جعل الشروط عشراً — ص ١٠ س ١ من مجموعة البحوث .

٣ — البناء للمعلوم ، وفى هذا يجوز ابن مالك صوغ التفضيل من المبني للمجهول إذا أمن اللبس وهو فى التفضيل عنده أكثر من التعجب ويفسر أمن اللبس بكون الفعل ملازماً للبناء المجهول ، أو قامت قرينة على أنه من فعل المفعول — انظر — السيوطي : جمع الجوامع ج ٢ ص ١٦٦ س ١٠ — وحاشية الخضري على ابن عقيل — ج ٢ ص ٣٦ س ٢٢ وما بعده — .

٤ — ان يكون الفعل تاماً . وفي هذا نجد الكوفيين قد أجازوا فى التعجب صوغه

من الناقص ، ونقل السيوطي في المسألة التي عقدها للكلام عن صوغ التعجب والتفضيل معاً : ان قوماً جوزوا بناءه من الناقص وقال ابن الانباري تقول : ما أكون عبد الله قائماً وأكون بعبدالله قائماً ـ ابن عقيل على هامش الخضري ـ ج ٢ ص ٢٦ س ٢٦ ـ وجمع الجوامع ج ٢ ص ١٦٦ س ٩ .

وبهذه الوحدة المقررة بين التعجب والتفضيل في كل عصر يمكن الغاء شروط اتمام الفعل تماماً .

٥ — ألا يكون الوصف منه على أفعل ، وهو ما يكون في الألوان والعيوب . وفي هذا قال الكوفيون :

يجوز صوغه من السواد والبياض فقط . وقال الكسائي وهشام من الالوان . وجوزه الكسائي وهشام والاخفش من العاهات ، وبهذا يمكن الاستغناء عن شرط : الا يكون الوصف منه على افعل .

٦ — قبول التفاضل لاحاجة للنص على اشتراطه ، على فرض ان هناك افعالا لا تفاوت فيها — لأن معنى الباب منذ يبدأ القول فيه هو صوغ صيغة تدل على التفضيل .

٧ — عدم الاستغناء عنه بمصوغ من مرادفه ، وهو المثال الذي يرددونه ، في قال من القيلولة ، وانه لايقال منها ما أقيله استغناء بما اكثر قائلته ، وما أنومه في ساعة كذا ...

والأمر في مثل هذا أهون من أن يعد له شرط ، لعدم كثرته من جهة ، ولأن المنع فيه ليس بذاك .

* * *

وبهذا يتحرر أفعل التفضيل من شروط سبع من عشرة شروط ، ويهون على المتعلمين ، ويتداول في سهولة ويسر بين المتكلمين ، ويتحرر بعمل النحاة انفسهم وإمعانهم في البحث.

وعلى هذا الأساس تصدر قرارات اللجنة .

وبقيت مسألتان في البحث ينبغي التعرض لهما وهما :

أ — صوغ أفعل التفضيل من الأوصاف التى لا أفعال لها — ص ٦٧ س ١٢ — اعتماداً على قرار المجمع فى تكملة فروع مادة لغوية لم تذكر بقيتها » .

وفيما يخص الوصف قال القرار ما نصه :

ج — وإذا كان المذكور فى المعجمات ونحوها مشتقاً غير فعل استدلالنا على مصدره أو فعله بمعرفة ما يدل عليه هذا المشتق من المعاني والتعدية واللزوم .

وعلى هذا : إذا صيغ الفعل بمراعاة هذه الاعتبارات وعرفته العربية فقد صار صوغ أفعل التفضيل مما له فعل ثلاثي — أصلا — .

وتكملة المادة عمل مجمعي لا يمكن أن تطلق فيه اليد للعامة وكذلك لا تطلق اليد في صوغ أفعل التفضيل من الأوصاف التي لا أفعال لها .

ودنا ملاحظة هى عدم إيراد أمثلة كافية للصوغ من وصف لا فعل له في بحث الباحث ، فقد أورد اثني عشر مثالا قال انها ليست من فعل واحد ، بل من وصف واسم جامد ، وقد تبين من المراجعة أن ما بقي منها للتفضيل غير « أيوم » — يمكن رده إلى فعل ثلاثي الأصل وكأنه لم يأت .

— ب —

يقول الباحث عطفاً على عبارته السابقة من الأوصاف التي لا أفعال لها أو الأفعال غير المتصرفة ، ثم يعقب بقوله « عملا بما سبق اتخاذه أصلا من لون المجمع في دورته الثانية » . وعبارته هذه تؤذن بأن قرار المجمع في التكملة معناه تكملة صياغة الأفعال الجامدة كليس ولا يفهم ذلك من قرار المؤتمر لأنه يقيد في آخره بعبارة :

« وكل ما تقدم جائزة ما لم ينص على أن الفعل ممات أو محظور وما لم يسمع عن العرب ما يخالفه .. الخ » فهل يكمل مثل ليس وعسى ، أو هو من المحظور ؟؟

— ب —

عن الاشتقاق من الاسم الجامد يقول الباحث — ص ٦٧ س ١٩ ، ٢٠ — ما نصه :

« وأما في الاسم الجامد فان باب تضمين الأسماء الجامـــدة معنى الأوصاف واجرائها مجراها باب واسع » . ولم يزد على هذا بياناً بمثال ولا احالة على موضع هذا الباب الواسع ؟

وقد عاد في النهاية — ص ٦٨ س ٤ اسفل الصفحة فقال :

فلجملة هــذه الأوجه نرى أنه إذ ثبت فعل ، أو وصف ، أو إسم جامــد أوّل بالوصف وتضمن معنى تاماً يقبل الزيادة صح ان يبنى منه أفعل التفضيل بدون اشتراطات بشرط آخر بحيث يصح أن يقال : أكلس ، وأحجر وأميع وأجسم ، وأحجم ، وأنور ، وأبسط ، وأخرط ، وأعصب ، وغير ذلك .

فهو يذكر الجامد المؤول بالوصف كما ذكر مثل تضمين الأسماء الجامدة معنى الأوصاف ولم يبين هذا بشيء . »

على أنه ينظر الى قرار المجمع الذي يجيز الاشتقاق من أسماء الأعيان — للضرورة — في لغة العلوم وأكمله بقرار :

يراعى عند الاشتقاق من أسماء الأعيان القواعد التي سار عليها العرب .

وجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان — للضرورة — يسوغ صوغ أعمال التفضيـل من الفعل الذي اشتق من «الجامدة»، ولكن يراعى في هذا التقيد بالضرورة ،ولغة العلوم والتزام القواعد التي سار عليها العرب » .

وبهذا لا تكون المسألة مطلقة للعامة كما يريد الباحث .

— ج —

وهناك ملحظ آخر في فذلكة الباحث إذ يقول : « اذا ثبت فعل أو وصف أو إسم جامد أول بالوصف وتضمن معنى تاماً » في التمام في المعنى، مع ما عرف من التمام وصفاً للفعل في الاصطلاح .

ج — المناقشات والقرار

الدكتور إبراهيم مدكور : نستطيع الآن الانتقال الى الموضوع الثاني مما تعرضه لجنة الأصول ، وهو التخفف من شروط صوغ أفعل التفضيل .

الأستاذ أمين الخولي (مقرر لجنة الاصول) : قدم الاستاذ الفاضل ابن عاشور بحثاً الى مؤتمر المجمع في دورته الثلاثين في موضوع أفعل التفضيل ، وعنونه بأنه تحرير أفعل التفضيل من ربقة قياس نحوي فاسد ، وفي البحث أن النحاة قد نقص استقراؤهم للغة ، وأنهم فيما صنعوا من قواعـد القياس لم يحكموا العقل ، وأورد أمثلة كثيرة لما وصف بالشذوذ ، واستطرد الى موضوع القلة والكثرة ، وقد تصدت اللجنة لبحث الموضوع ، واحسب أنها كانت محافظة لا تحتاج الى طلب تأييدها فيما اتخذت من سبيل ، إذ انتهت الى أن عنوان البحث لا يصور الحقيقة أو ليس مسلما ، فالقياس عند النحاة الذين بدأوا به او الذين أغرقوا فيه لا يعروه فساد وهو لا يبدأ من الزمخشري كما أشار الباحث ولكن من سيبويه ، ولم يكن قياساً تحكمياً ، ولكنه كان شعوراً كاملا بالتنظير بين أفعل التفضيل وفعل التعجب ، وحين ناقشت اللجنة الأمثلة استطاعت ان تتبين في كثير منها استيفاء الشروط ، بحسب اختلاف النحاة في الاستمساك ببعضها ، وبذلك اتجهت اللجنة الى تيسير شروط صوغ أفعل التفضيل ، مستندة الى أقوال النحاة انفسهم ، فأصدرت بعد البحث والتمحيص هذه القرارات التي أتلوها على حضراتكم :

١ — بين التعجب والتفضيل وحدة في المعنى واللفظ ، أوجبت اشتراكها في شروط الصوغ ، وليس احدهما في ذلك مقيساً على الآخر .

٢ — ناقشت اللجنة الأمثلة التي أوردها صاحب البحث المحال من المؤتمر الى اللجنة ، مناقضة لبعض الشروط ، وعددها اربعون . ردت اللجنة منها الى الشروط المتفق عليها أو المختلف فيها بين النحاة تسعة وعشرين مثالا ، وهي : (في مذكرة الأستاذ الخولي) .

٣ — اختلاف النحاة في بعض الشروط لصوغ أفعل التفضيل يتيح اللجنة ان تقرر ما يأتي :

أ ـ التخفف من شرط تجرد الفعل الثلاثي، وفاقا لسيبويه والأخفش ، (أنظر ابن يعيش ج ٦ ص ٩٢) وتشترط اللجنة أمن اللبس .

ب ـ التخفف من شرط البناء للمعلوم ، أخذاً بقول ابن مالك في صوغه من المبني للمجهول اذا أمن اللبس (انظر التسهيل ص ٤٠ وجمع الجوامع ج ٢ ص ١٦٦) .

ج ـ التخفف من شرط كون الفعل تاماً ، أخذاً بقول الكوفيين في صوغ التعجب من الناقص (انظر ابن عقيل على الألفية وجمع الجوامع ج ٢ ص ١٦٦) .

د ـ التخفف من شرط ألا يكون الوصف منه على أفعل فعلاء ، وهو ما يكون في الالوان والعيوب أخذاً بقول الكوفيين والكسائي وهشام والأخفش (انظر جمع الجوامع ج ٢ ص ١٦٦) .

هـ ـ التخفف من شرط عدم الاستغناء عنه بمصوغ من مرادفه ، لأن من النحاة من تركه ، ومن ذكره لم يورد له الا مثالا واحداً .

وبذلك يتم التخفف من أكثر الشروط ، فلا يبقى منها إلا ما اتفق عليه النحاة وهو:

أ ـ أن يكون فعلا ثلاثي الأصول ، مجرداً أو مزيداً ، سواء أكان هذا الفعل مسموعاً أم صيغ بمقتضى قرار المجمع في تكملة مادة لغوية وفي الاشتقاق من أسماء الأعيان .

ب ـ أن يقبل التفاضل .

ج ـ أن يكون مثبتاً .

د ـ أن يكون متصرفاً .

الدكتور إبراهيم مدكور : كنا نود حقاً أن يكون بيننا زميلنا صاحب البحث الأستاذ الفاضل ابن عاشور ، والواقع ان بحثه قد فتح لنا أفقاً جديداً لتيسير باب من أبواب النحو

طالما ضاق به المتعلمون . ولعل فيما اقترحته اللجنة عوناً على استقرار الرأي في شروط صوغ أفعل التفضيل .

الاستاذ أمين الخولي : لا بد من الاشارة الى أن اللجنة فرغت من موضوع شروط صوغ أفعل التفضيل ، وفي البحث نواح أخرى تتعلق بتذكيره وتأنيثه وافراده وجمعه ، وهذا بين يدي اللجنة لم تفرغ منه بعد ، فالمعروض الآن هو ما انتهى اليه الرأي في القسم الأول من البحث .

الدكتور مصطفى جواد : اقترح بعض التعديل في هذا التسهيل ، وهو قصر الزيادة في الفعل الثلاثي على المزيد بالهمزة ، أعني « أفعل » ، لأن هذا هو الذي يهدي اليه الاستقراء لكلام العرب ، إذ قالوا : هو أسن منه ونحو ذلك ، كذلك يجب التنبيه على أن هذا الصوغ لا يكون إلا عند الحاجة وعند أمن اللبس . ولا شك في أن تيسير اللجنة سديد وأنا أؤيده .

الاستاذ أمين الخولي : الاقتصار على أفعل رأي سيبويه ، وهناك من النحاة من أجاز صوغ أفعل التفضيل من المزيد على أفعل وغيره . وأما التنبيه على أن هذا الصوغ يكون عند أمن اللبس فقد نصّ عليه في القرار نفسه .

الدكتور سليم النعيمي : الذي يثير الاشكال هو صيغة أفعل فعلاء ، وهي كثيرة في اللغة العربية ، وأفعل التفضيل منها مستعمل بكثرة ، أما التفضيل من المبني للمجهول فقليل ، وقد سمع من العرب التفضيل مما جاء الوصف فيه على أفعل ، فقالوا : أحمق من هبنقة . والتعدد في أقوال النحاة وشروطهم يرجع في كثير من الاحوال الى تعدد اللهجات ، ومن حقنا أن نحيي من هذه اللهجات ما يقبله التطور اللغوي أو يدعو اليه . وفي رأيي أن التدوين لو أنه تأخر قليلا او كثيراً لكانت قواعد اللغة العربية المدونة أوسع مما هي عليه الآن ، اذ تكون قد استوعبت ما جد في العصور التوالي من شيوع

صيغ تخالف الصيغ التي سادت من قبل ، ومثل ذلك صيغة أفعل فعلاء كما أشرت من قبل ، فان السائد هو أن يتوصل الى التفضيل في هذه الصيغة بأن يقال في أحمر هو أشد حمرة أو نحو ذلك ، وفي بعض اللهجات يقال أيضاً هو أحمر منه ، فيصاغ التفضيل على نحو صيغة الوصف ، وقد شاع هذا واصبحنا نستعمل التفضيل بصيغة أفعل مما جاء الوصف منه على أفعل ، ومن الخير أن نقر هذا التيسير على اطلاقه .

الدكتور إبراهيم مدكور : هل من ملاحظات أخرى ؟

(ولما لم تبد ملاحظة اعلنت الموافقة على قرار اللجنة في التخفف من شروط صوغ أفعل التفضيل) .

٢ — دراسة في سيرة النبي ﷺ ومؤلفها ابن اسحاق

للدكتور عبدالعزيز الدوري

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لقد تناول عـدد من الباحثين ابن اسحاق وسيرته ، ضمن دراسة السيرة او الحديث عامة . ومن هؤلاء (كيتاني) في (حوليات الاسلام) ، و (ميور) في مقدمة كتابه (Life of Muhammad) و (لامنس) و (كارل بيكر) في (Islam IV 265 Off) و (نولدكه) في (Islam V 160—170) و (ليفي ديلا فيدا) في (E.I.(1) Art. Sira) و (ادورد سخاو) في مقدمـــة الجزء الثالث من (طبقات ابن سعد) و (جب) في (E. I. (1) Suppl. Art. Ta'rikh) و (بلاشير) في مقدمة كتابه (Probleme de Mahomet) واحمد أمين في كتابه (ضحى الاسلام ج ٢ ط ٥ ص ٢٢٨ ـ ٢٣٣) وجواد علي في مقاله (موارد تاريخ الطبري ، مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ ١٩٥٠) والدوري في كتابه (بحث في نشأة علم التاريخ عنـــد العرب) وحسين نصار في كتابه (نشأة الـكتابة الفنية عند العرب) .

وخص ابن اسحاق باحثون آخرون بدراسات خاصة ، منهم (وستنفلد) في (Wüstenfeld-Geschichte und Geschichteschreiber der Araber 1850 No. 1) و (بروكلمان) في (E. I. (1) Art. Ibn Ishaq) وفي كتابه (تاريخ الادب العربي ج ٣ ص ١٠ـ١٢) و (مرغليوث) في كتابه (Lectures on Arab Historians P. 84-5) .
وهذه جميعاً دراسات عامة مختصرة .

ثم كتب (فوك) رسالة جامعية عن ابن اسحاق J Fück-Muhammad Ibn-Ishaq – Frankfurt am Main 1925 فكانت اول دراسة علمية شاملة . وتلاه (هوروفتس) ببحث عن المغازي الاولى وخص ابن اسحاق بنصيب حسن منها .

(J. Horowitz-The Earliest biographies of the Priophet and their Authors . Islamic Culture 1927 I P 535 – 9, II PP. 22—50, pp 164—182, pp. 415—520)

وقد عربه الدكتور حسين نصار بعنوان (المغازي الاولى ومؤلفوها ، القاهرة ١٩٤٦)

ثم نشرت الدكتورة (نابية ابوت) قطعة من « تاريخ الخلفاء » لابن اسحق مكتوبة على ورقة بردي مع ملاحظات وافية عنه .

(N. Abbott—Studies in Arabic Literary Papyrii, I. Historical texts, Chicago U. P. 1957 pp. 80—100)

وقام (الفرد غيوم) بترجمة سيرة النبي لابن اسحق لحذف زيادات ابن هشام واضاف مقتطفات باقية في كتب أخرى وخاصة الطبري ، وتناول ابن اسحق في مقدمة الترجمة .

(A. Guillaume—The Life of Muhammad, O. U P. 1955)

وبحث الاستاذ (مونتغومري وات) مواد سيرة ابن اسحق في

(M. Watt—The Materials used by Ibn Ishaq; in, Historians of the Middle East, ed. by B. Lewis and P. M Holt,, O. U. P 1962 pp. 23—34)

ان هذه البحوث تتباين في نتائجها . فبعضها مثل بحوث (بيكر) و (لامنس) شككت في قيمة مواد السيرة واعتبرت العنصر التاريخي فيها محدوداً ، واعتبرت تأخر زمن ابن اسحق دليلا على ضعف الاساس التاريخي متعلقة بتأخر التدوين وارتباك الاسانيد .

وحاول (وات) ان يبين أن مواد السيرة فيها من التاريخ اكثر مما ظن (لامنس) و (بيكر) . واقتصرت بعض الدراسات على تلخيص الاخبار الواردة عن ابن اسحق كما فعل (وستنفلد) و (مرغليوث) . وحاول البعض مثل (جب) و (هوروفتس) و (سخاو) وضع ابن اسحق في اطار تطور كتابة السيرة . وافاد كل من (فوك) و (هوروفتس) من

كتاب السيرة لحد ما في دراسة ابن اسحق .

ان هذه الدراسات كشفت الكثير عن حياة ابن اسحق وجهوده ولكنها تركت قضايا اساسية تحتاج الى توضيح .

واود ان ابين ان اسلوب دراسة اي مؤرخ او مدرسة تاريخية يتطلب فحص الآثار التاريخية (النصوص) التي كتبها المؤرخ او خلفتها المدرسة ، ولا يمكن تكوين اي رأي علمي او فكرة تاريخية دقيقة اذا اكتفينا بما اورده المؤرخون الآخرون عن موضوع الدراسة . ومن ناحية ثانية ، تبين لي ان مواد السيرة وهيكلها كانت في الاساس معروفة قبل زمن ابن اسحق وان الزهري استاذه سبقه الى ذلك . ثم ان كتابة الروايات والاخبار لم تبدأ في عصر التدوين كما ظن الكثيرون بل كانت مألوفة قبل نهاية القرن الاول للهجرة . كما اننا نعرف الآن ان الاسناد لم يكن السبيل الوحيد لتدقيق الروايات بل كان تدقيق المحتوى او المتن سبيلا آخر لا يقل اهمية عن ضبط الاسناد وذلك خلال القرن الاول والقسم الاكبر من القرن الثاني للهجرة . ومتى لوحظت هذه الامور فان اثرها يغير كثيراً من نتائج الدراسة.

وبعد كل هذا وصلنا اخيراً قسم من سيرة ابن اسحق بصورتها الاصلية قبل تهذيب ابن هشام وهذا يعطينا مادة مهمة لدراسته .

لقد حاولت في هذه الدراسة ان ابحث بعض المشاكل المتعلقة بحياة ابن اسحق وسيرته . فبعد عرض موجز لنشأة ابن اسحق ، تناولت اسباب اختلافه مع بعض اهل المدينة وخروجه منها وصلة ذلك باسلوبه في دراسة التاريخ ، ثم حاولت تحديد الاطار الذي اتخذه للسيرة ومحتواها . وبحثت نهج ابن اسحق واسلوبه التاريخي في السيرة ، ثم ناقشت دور ابن هشام في تهذيب سيرة ابن اسحق وتطرقت في الاخير الى ميوله . وارجو ان يلقي هذا البحث بعض الضوء على سيرة ابن اسحق ، والله الموفق .

١ — محمد بن اسحق من الموالي وكان جـده يسار مسيحياً من سبي عين التمر في العراق ارسله خالد سنة ١٢ هـ مع الاسرى الى المدينة (الطبري ١، ٢١٢٢ ، البلاذري ط . دي خوية ٢٤٧) . والظاهر انه كان عربياً مسيحياً (ينفرد الخطيب في قوله إنه فارسي وهذا غيرممكن لانه كان رهينة بيد الفرس . ج ١ ص ٢١٥) . وقد اعطي الى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، فاعتقه بعد اسلامه وصار ولاؤه لآل المطلب .

وكان اسحق أحد ثلاثة أخوة ، تزوج ابنة مولى فانجبت له محمداً . ويحتمل انه ولد في حدود سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م (هوروفتس ـ المغازي الاولى ص٧٦ : بروكلمان ـ تاريخ الادب ج ٣ ص ١١) . وكان اسحق واخوه محدثين معروفين (انظر

(J Fuck-Muh ibn Ishaq P. 28

ومحمد بن اسحق مولى عبـد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب وكنيته أبو بكر (في الفهرست كنيته أبو عبد الله ص ٩٣) . وتتباين الروايات في تاريخ وفاته ، فيذكر اقدمها انه توفي سنة ١٥١ هـ (تاريخ البخاري ج ١ ق ١ ص ٤٠ ، ابن سعد ج ٧ ص ٦٧ ، ابن النديم ص ٩٤) . واما الروايات التالية فتضطرب بين ١٥٠ ـ ١٥٤ هـ ، ولكنها ترجح سنة ١٥١ هـ (الذهبي ـ تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٤ يورد سنة ١٥١ ويضيف : قيل سنة ١٥٢ . ابن خلكان يذكر ١٥٠ و ١٥٣ ويرجح ١٥١ . ياقوت ـ معجم الادباء ج ٦ ص ٣٩٩ يذكر ١٥١ / ١٥٢ ، وانظر الخطيب ج ١ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ وابن سيد الناس ج ١ ص ٨ـ٩ والبستي علماء الامصار ص٤٠) . ومن هذا نرجح انوفاته كانتسنة١٥١هـ/٧٦٨م ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران (ابن سعد ج ٧ ص ٦٧ ، ابن العماد ـ شذرات ج ١ ص ٢٣٠) .

نشأ ابن اسحق ودرس في المدينة . وكان أبوه محدثاً ، وكثيراً ما يروي ابنه عنه في

كتاباته[*]. ويبدو أنه بدأ مثل كثيرين من جيله بدراسة الحديث وجمع كثيراً من الاحاديث، ولكنه اهتم بصورة خاصة بمغازي النبي .

ويظهر ان ابن اسحق اتصل في دراساته بكافة الاوساط من محدثين واهل كتاب ورواة وقصاص وأخذ عن الجميع كما سنرى .

ومعلوماتنا عن حياته في المدينة محدودة وهناك تناقض حاد حوله . وتلقي بعض الروايات ظلا على شخصه . منها جلوسه في مؤخرة المسجد مع النساء وتحدثه اليهن مما ادى الى ضربه بالسياط (ياقوت ج ٤ ص ٤٠٠ ، الفهرست ص ٩٢ انظر الذهبي ـ ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٣) . ويذكر عنه انه كان يلهو ويلعب بالديوك (تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٤) . وقد عرف ابن اسحق بذاكرته الممتازة (يورد الخطيب رواية : كان ابن اسحق من احفظ الناس ج ١ ص ٢٢٠ ، وقال شعبة عن يونس بن بكير ـ محمد بن اسحق أمير المحدثين لحفظه . تاريخ البخاري ج ١ ق ١ ص ٤٠) .

ويظهر أنه بدأ دراسته في وقت مبكر ، وعندما ناهز الثلاثين سافر الى الاسكندرية سنة ١١٥ هـ وحضر دروس يزيد بن ابي حبيب (ت ١٢٨ هـ) وأخذ عنه وعن محدثين مصريين آخرين (هوروفتس ص ٧٧) . وقد أخذ عن يزيد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله (ص) الى البلدان وملوك العرب والعجم وما قال لاصحابه حين بعثهم (السيرة ج ٤ ص ٢٥٥) . ثم عاد الى المدينة .

استمر ابن اسحق في دراساته وفي جمع احاديثه ورواياته في المدينة . ولكنه كما يظهر أثار جواً من الاستياء حوله . ويشار بصورة خاصة الى خصومة كل من مالك بن انس وهشام بن عروة بن الزبير له . وتلمح الروايات الى اسباب خاصة للاختلاف منها نفي هشام ابن عروة ان يكون ابن اسحق روى عن زوجه ، ومنها تبجح ابن اسحاق بعلمه تجاه علم مالك وتعريضه بنسبه (انظر الفهرست ص ٩٢ ، ياقوت ج ٦ ص ٣٩٩ـ٤٠٠ الذهبي ـ

(*) ورد اسمه (١٥) مرة في الطبري .

ميزان ج ٣ ص ٢١ ـ ٣ ، ابن قتيبة ص ٢٤٧ ، ابن خلكان ج ٢ ص ٦٧٨ الخطيب ج ١ ص ٢٢٢ . الاستصحاب لابن عبد البر ص ١١) . ويبدو ان الاسباب كانت أهم من ذلك . فهناك اشارات الى أن سبب خصومـــة مالك له هو اتهامه بالقدر (ابن حجر ـ التهذيب ٤٢/٩ ، الخطيب ج ١ / ٢٢٤) . ويتعذر الجزم بصحة هذه التهمة (انظر الذهبي ـ ميزان ج ٣ ص ٢١ ، ٢٤ . ويظهر انه روى احاديث في الصفة) .

ويبدو لي أن سبباً رئيسياً للاختلاف مع ابن اسحق هو اسلوبه ونظرته في دراسة السيرة والحديث ، اذ أنه لم يلتزم باسلوب المحدثين فى دراسته وكتابته ، وانه خرج بذلك عن تقاليد الدراسة وأسسها فى المدينة حين جمع معلومات من مصادر بعضها مشكوك فيه بنظر أهل المدينة . (انظر ابن سيد الناس ج ١ ص ١٧) .

وهذا بدوره يفسر الموقف السلبي من مغازيه فى المدينة . إذ ينفرد ابراهيم بن سعد من بين رواته بانه المدني الوحيد (الفهرست ص ٩٢ ، الخطيب ج ٦ ص ٨١ـ٦ ياقوت ج٦ ص ٤٠١) فى حين ان مغازيه وجدت قبولا واسعا فى العراق وايران إذ بلغ عدد رواته فى المشرق سبعة عشر .

(انظر J. Fuck, opr. t. cit p. 144; N. Abbott p. 89 p. 92)

ويمكننا ان نفهم ذلك اذا لاحظنا الاختلاف بين مدرسة الاخباريين العراقية ومدرسة الحديث المدنية فى كتابه التاريخ ، إذ أن المدرسة العراقية كانت فى هذه الفترة تتساهل فى الاسناد وتتذوق اسلوب قصص الايام وتحبذ الخبر المتصل فى حين أن مدرسة المدينة تأثرت باسلوب المحدثين .

رحل ابن اسحق إلى العراق بعد انتصار العباسيين سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م . وذهب الى الجزيرة سنة ١٤٢هـ / ٧٦٠م حين كان العباس بن محمد أميراً عليها ، وفيها يرد أول ذكر لسماع مغازيه عنه فى العراق . ثم قصد المنصور فى الحيرة فى الفترة بين ١٤٢هـ/٧٦٠م ـ ١٤٦هـ/٧٦٣م « فكتب له المغازي فسمع منـه أهل الكوفة بذلك السبب » (المعارف ٤٩١ ـ ٢، ط

القاهرة ، وانظر ياقوت ج ٦ ص ٢٩٩ ، الخطيب ج ٨ ص ٢٧٧) . ولا ندري ان كان ذلك بتكليف من الخليفة ولكننا نعرف ان المنصور في حرصه على تعليم ابنه المهدي طلب اليه ان يدرس المغازي على ابن اسحق (الخطيب ج ٧ ص ٢٤٥) . وذهب ابن اسحق إلى الري فسمع منه أهلها ثم جاء بغداد وأقام بها إلى وفاته (ياقوت ج ٦ ص ٣٩٩) .

٢ — تذكر مصادرنا أن ابن اسحق كتب في المبتدأ وفي السيرة والمغازي وفي تاريخ الخلفاء حتى ايام المنصور [١] . وتؤيد ذلك المقتبسات الكثيرة من كتاباته في كتب التاريخ والطبقات والسيرة ، وهي مقتبسات مهمة لتوضيح نطاق كتاباته التاريخية .

وقد نشرت قطعة من « تاريخ الخلفاء » لابن اسحق كتبت على ورقة بردي (انظر
N. Abbott—Studies in Arabic Literary Papyrii I, Chicago U. P 1955 -
PP. 80—100) وهي قطعة فريدة تعطي فكرة عن نهجه واسلوبه .

ولكن سيرة اسحق هي أول تاريخ للسيرة وصلنا باطاره الكامل ، وقد وصلتنا بعد أن هذبها ابن هشام (٢١٨هـ/٨٣٤م) . وقد وجدت أخيراً قطعة من مؤلف ابن اسحق هذا بعنوان « السيرة والمغازي » (الخزانة العامة بالرباط رقم ٥٨ في ١٦٧ صحيفة) .

وأول مشكلة تواجهنا هي معرفة اطار ما كتبه ابن اسحق . هل ألف كتاباً في ثلاثة أقسام ـ المبتدأ والمبعث والمغازي أم انه ألف اكثر من كتاب اعتمدها ابن هشام في تهذيبه ؟ يتجه الباحثون الى انه الف كتابه في ثلاثة أقسام ، المبتدأ والمبعث والمغازي [٢] .

ويبدو بروكلمان غير مستقر ، ففي حين يذكر في دائرة المعارف الاسلامية (ط ١ ج ١ ص ٨١) انه ألف كتابين أولهما يتناول الفترة من بدء الخليقة إلى الهجرة والثاني يتناول المغازي ، نراه في تاريخه للادب (ج ٣ ص ١١) يتحدث عن كتاب واحد في ثلاثة اقسام .

(١) يلخص الخطيب نطاق دراساته بقوله : « وكان عالماً بالسير والمغازي وايام الناس واخبار المبتدأ وقصص الانبياء » (ج ١ ص ٢١٥) .

(٢) انظر هوروفتس ـ المغازي الاولى ص ٨٢ ، Blachère, Opt. cit. P. 5
N. Abbott opt. cit PP . 87—9 ' Guillaume, life of Muh P XVII

ولننظر الآن إلى المعلومات المتوفرة .

يجب ان نلاحظ مبدئياً ان ابن اسحق لم يكن واضع هيكل المغازي ، بل ان استاذه الزهري سبقه إلى ذلك في دراساته الواسعة وفي الاطار الذي رسمه للسيرة وفي التسلسل الزمني الذي اتبعه . ويمكننا ان نقول إن اطار السيرة (بمعنى إيراد معلومات عن حياة الرسول قبل البعثة وبعدها) كان واضحاً لدى الزهري (انظر الدوري - بحث في علم التاريخ عند العرب ص ٧٨ وما بعدها) . ومن ناحية ثانية فان وهب بن منبه وضع مؤلفاً في المبتدأ ورسم اطاره وجمع مادة واسعة فيه وكان من المصادر الاساسية لابن اسحق في المبتدأ (الدوري - ن . م . ص ١٠٣ وما بعدها) . ويمكننا ان نذكر اثنين من معاصري ابن اسحق ومن تلاميذ الزهري وضع كل منهما كتاباً في المغازي هما موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ/٧٥٨م) ومعمر بن راشد (١٥٤هـ/٧٧٠م) .

ومع ان وهب بن منبه تناول المغازي في مؤلف له ، إلا أنه لم يجمعها مع المبتدأ ، ومع ان الزهري عني بموضوعات المبتدأ الا اننا لا نجد ما يشعر بانه جمعها مع السيرة .

لقد اعتمد ابن اسحق اعتماداً كبيراً على الزهري في السيرة وعلى وهب في المبتدأ ، فهل جمع بين هيكليهما ليضع كتاباً واحداً يشمل المبتدأ والسيرة ؟ انفرد الخطيب بالرواية التالية : « دخل محمد بن اسحق على المنصور وبين يديه ابنه فقال اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله آدم الى يومك هذا . قال فذهب فصنف له هذا الكتاب . فقال لقد طولته يا ابن اسحق فاختصره . قال فذهب فاختصره ، فهو هذا الكتاب المختصر . والقي الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين . قال . . . صنف محمد بن اسحق هذا الكتاب في القراطيس ثم صير القراطيس لسلمة ، يعني (سلمة) ابن الفضل ، فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القراطيس »(الخطيب ج ١ ص ٢١١) . وهذا يشعر بان ابن اسحق أخذ بفكرة المنصور ووضع تاريخاً شاملا . ولا ندري شيئاً عن مصير هذا الكتاب

أو محتواه ، ولكن الاشارات تتكرر الى كتابه (تاريخ الخلفاء) الذي بقي كتاباً متميزاً، ولذا فان رواية الخطيب لن تحل أي اشكال نجده .

ومما يعقد الموضوع الاشارات المربكة الى ما يفترض انه كتاب واحد لابن اسحق . فهو يدعي كتاب « المغازي والمبتدأ » (ابن سعد ج ٧ ق ٢ ص ١١٠) و « كتاب المبتدأ والمغازي »(المقدسي ج ١ ص ٨٤ ، ياقوت ج ٦ ص ٤٠٣) و « السير والمغازي » (ياقوت ج ٦ ص ٤٠١) و « المغازي والسير » (المسعودي ج ٤ ص ١١٦) و « السيرة والمبتدأ والمغازي » (الفهرست ٩٢) و « المغازي والسير واخبار المبتدأ » (المسعودي ج ٨ ص ٢٩١) (*) .

وهناك اشارات مغايرة . يقول ابن العماد « ومن كتب ابن اسحق اخذ عبدالملك بن هشام » (ج١ ص ٢٣٠) ، ولفظة (كتب) واضحة الدلالة . ويقول ياقوت عند ذكر كتب ابن اسحق « له من الكتب كتاب السير والمغازي ، كتاب المبدأ رواه عنه ابراهيم بن سعد ومحمد بن عبدالله بن نمير النفيلي » (ياقوت ج ٦ ص ٤٠١) ، والتمييز هنا واضح بين كتاب المبتدأ وكتاب السيرة . ويشير المقدسي الى كتاب « المبتدأ » لابن اسحق ويقول عنه «وهو اول كتاب عمل في بدء الخلق » (البدء والتاريخ ج٢ ص ٣٨ ، و ج ١ ص ١٤٩) . وفي السخاوي ما يشعر بوجود كتابين ، اذ يقول : « واما قصص الانبياء ففي المبتدأ لمحمد بن اسحق . . صاحب السيرة النبوية » (الاعلان بالتوبيخ ص ٩٤) . ويشير الى ابن اسحق بانه صاحب المغازي (ن . م . ص ١٥١) . ويذكر كذلك ان سلمة بن الفضل الرازي روى المبتدأ والمغازي وان آخرين رووا المغازي وحدها (الاعلان بالتوبيخ ص ٩٩) ،

(*) يقول المسعودي : « وفي أيامه (المنصور) وضع محمد بن اسحق كتب المغازي والسير واخبار المبتدأ ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا مصنفة » . وهو هنا يشير الى كتب لابن اسحق . وقد نتساءل عن قصده في العبارة الاخيرة فيما اذا كان يعني انه اول من فعل ذلك أو أنه أول من صنفها في تسلسل واضح. ولكن يتعذر علينا التوسع في التفسير الى القول بأن العبارة تعني انه جمعها في كتاب واحد كما ظنت الاستاذه ابوت . انظر N. Abbot opt. cit. p. 88

ونحن نعرف ان الرواية لا تكون لجزء من كتاب .

وهذه الاشارات تدل على أن ابن اسحق الف كتابين متميزين المبتدأ ، والسيرة .

ومن المناسب أن نرجع إلى مخطوطة ابن إسحق علنا نجد فيها الاجابة القاطعة . ونلاحظ ان عنوانها هو « السير والمغازي » ، وان الموجود يبدأ برحلة أبي طالب إلى الشام واصطحابه للرسول ، وهو بداية الجزء الثاني ، وتنتهي المخطوطة بالجزء الخامس الذي يبدأ بوفاة خديجة . ويبلغ عدد صفحات الأجزاء الاربعة ١٦٧ صحيفة ، وهي تقتصر على الفترة المكية . ويقع كل جزء في حدود ٤٠ صحيفة ، وإذا لاحظنا القسم الخاص بالفترة الأولى ، أي إلى مبعث النبي ويقع في ٤٤ صحيفة ، نجد أن الموضوعات هى نفسها الموجودة في سيرة ابن هشام (والتي تقع بين ص ١٩٠ — ٢٤٨) ، مع وجود فقرات وروايات في مخطوطة ابن اسحق حذفها ابن هشام .

ومن ناحية أخرى فان الجزء الأول من المخطوطة وهو الجزء المفقود ، ولنفرض انه في حدود (٤٠) صحيفة ، لا يمكن أن يوازي الـ ١٩٠ صحيفة في سيرة ابن هشام . ولنتذكر ان شؤون اليمن تشغل ص ١٥ — ٧٨ أي ٦٤ صحيفة والباقي يتعلق بنسب الرسول وبقريش وبالكعبة وبعبادات العرب . وهذا يعني بوضوح ان هذا المخطوط لا يمكن أن يكون قد تناول المبتدأ بحال من الأحوال ، وانه اقتصر على سيرة النبي وما يلقي ضوء على ظهور الاسلام في مكة والمدينة .

وحين ننظر إلى نهج ابن هشام في تهذيب السيرة كما عرضه ، نجده تناول نسب الرسول إلى إسماعيل في الخط المباشر « وترك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل » للاختصار ، ثم تناول السيرة وحذف منها « ما ليس لرسول الله فيه ذكر ... الخ » . (السيرة ج ١ ص ٤) .

فابن هشام ترك الحديث عن فروع سلسلة ولد إسماعيل لغرض الاختصار ، وليس في هذا ما يشعر انه حذف المبتدأ لأن هذا يشمل بدء الخليقة وتاريخ النبوات وبعض الشعوب . ومع ذلك تعرض ابن هشام لتاريخ اليمن ، ولا نجد لهذا تفسيراً في النهج الذي عرضه .

يتبين لنا مما مرّ ان ابن اسـحق وضع كتابين أحدهما فى المبتدأ والثاني في المغازي بمفهومها العام ، كما فعل أستاذه الزهري ، أي حياة النبي قبل البعث و بعده ، ولكنه توسع في الحديث عن شؤون قريش ومكة وعبادة الأوثان .

ويبدو لي ان ابن هشام أضاف من المبتدأ إلى مغازي ابن اسحق ، وأرجح أن تكون هذه الاضافة شملت القصص التاريخي عن اليمن وربما بعض ما يتصل بالنسب ، وليس ذلك بالأمر العسير خاصة إذا تذكرنا ان بعض تلاميذ ابن إسحق ومنهم البكائي رووا المغازي والمبتدأ معاً .

٣ — نشأ ابن إسحق فى المدينة حيث درس على شيوخها وجمع مادته فى السيرة والمغازي فيها . ولم يترك المدينة إلى العراق إلا بعد الخامسة والأربعين . ويبدو أنه استقر فى دراسته هذه قبل ترك المدينة ، إذ أن تلميذه المدني إبراهيم بن سعد (١١٠/٧٢٨ ـ ١٨٤/٨٠٠) سمع مغازيه منه (الفهرست ٩٢ ، الخطيب ج ٦ ص ٨١ ـ ٦ ، ياقوت ٦ ص ٤٠١) . وقد انتهت البحوث الحديثة إلى أن مادته فى المبعث والمغازي والمبتدأ تعود إلى مصادر مدنية مع قليل من المصادر المصريـة ، وليس بينها مصادر شرقية من العراق أو إيران (أنظر J. Fuck, opt. cit. pp. 34—41 هوروفتس ـ المغازي الأولى ص٨٧،وانظر الذهبي(نشره فيشر) ـ تراجم رجال روى عنهم ابن اسحق ـ ليدن ١٨٩٥، N.Abbott, opt. cit. p. 87-8)

ومن ناحية أخرى فان بين ثمانية عشر من تلاميذ ابن إسحق الذين رووا مادته التاريخية كلا أو بعضاً ، لا نجد إلا واحداً من المدينة (*) والباقون من العراق وايران . وهذا يشعر بعدم تقبل المدينة لدراسته ولاسلوبه. ومما يؤكد ذلك ان الواقدي ـ وهو في خط مدرسة المدينة ، قد أفاد من دراسـاته كما يبدو ـ لم يشر اليه ، وان البلاذري الذي يعتمد على المدينة بالدرجة الأولى في رواياته عن أحداثها ، استند إلى الواقدي والى شيوخ المدينة بالدرجة

(*) يقول ياقوت « وخرج من المدينة قديماً فلم يرو منهم أحد غير ابراهيم بن سعد » (ج ٦ ص٣٩٩ وانظر الخطيب ج ١ ص ٢١١) .

الأولى ولم يعط ابن إسحق مكانته (انظر الجزء الأول من أنساب الاشراف)، فى حين أن خليفة بن خيـاط (مخطوطات الأوقاف ـ الخزانة العامة بالرباط ١٩٩) والطبري استندا بالدرجة الأولى إلى أبن إسحق .

يظهر إذن ان ابن اسحق لم يلتزم بوجهة مدرسـة المدينة التاريخية في دراساته بل جمع مادته من جمـاعات متباينة تمثل مختلف نواحى الاهتمام بتاريخ ما قبل الاسـلام ودور الرسالة . فأخذ من الاسرائيليات ومن القصص العربي القديم ومن قصص القصاص والقصص الشعبي ومن الحديث ، واستعان بالآيات القرآنية وحتى بالشعر لغرض التوثيق .

وأضعف أقسام سيرة ابن اسحق ذلك الذي يسبق المبعث ، ويظهر فيه أثر الاسرائيليات والقصص العربي . يأتى ابن اسحاق بقصص العرب عن شق وسطيح الكاهنين (ج ١ ص ١١ وما بعدها . ونجد إشارة مماثلة في التيجان) . ويورد معلومات عن انتشار الوثنية عن كعب بن مالك القرظي (ج ٢ ص ٢٤) . وحين يتناول تاريخ اليمن نجد صدى القصص الشعبي اليماني وأقاويل أهل الكتاب . ففي أخباره عن مأرب يأخـذ من القصص الشعبي الجنوبي ويذكرنا بما جاء في كتاب التيجـان المنسوب لعبيد بن شريه ، مع إشارة الى القرآن (السيرة ج ١ ص ٩) .

ويأخذ عن وهب قصة انتشار النصرانية بنجران على يد فيميون (ج ١ ص ٣٠ـ٣٣) . وفى حديثه عن ذي القرنين يقول: «فحدثني من يسوق الأحاديث من الأعاجم فيما توارثوا من علمه ... الخ» (ج ١ ص ٣٢٨) . واسلوبه فى غزو الحبشة لليمن يذكر بأسلوب أيام العرب وينم عن أثر القصص (ج١ ص٣٦ وما بعدها) . وفى حديثه عن غزو أبرهة لمكة نجد القصة الشعبية جنب الاشـارة القرآنية مع كثير من الشعر على طريقة الأيام (ج ١ ص ٥٥ ـ ٥٩) . وفى حديثه عن الوثنية وعن الكعبة نجد القصص العربي والاسطورة جنب الاسرائيليات (السيرة ج ١ ص ٨١ ـ ٩٩ ومخطوطة ابن إسحاق ص١٦ وما بعدها). وهو يعتمد على أهل الكتاب (اليهود خاصـة) فى الاشارة إلى قرب ظهور النبى (مخطوطة ابن

إسحق ص ٩ ـ ١٣) . وهو فى حـديثه عن حلف الفضول يروي قصته ويكتفي بذكر الاسناد حين يورد قول الرسول (ص) : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان .. الخ » (ج ١ ص ٨١ ـ ٦) .

ومع أن أكثر أخباره دون إســناد إلا أنه يعطي أسانيد لبعض رواياته . ففي قصة انتشار النصرانية بنجران مثلا يورد رواية عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم (ج ١ ص ٢٧) . وفى كلامه عن حفر بئر زمزم يأخذ عن يزيد بن أبي حبيب المصري (ج ١ ص ٩١) . وفى معلوماته عن الحج والكعبة يورد بعض الأسانيد (فى مخطوطة ابن إسحق يرد ذكر وهب بن سنان ص ١٧ ، وعطاء ابن أبي رباح ص ١٧ ، ص ١٩ ، ص ٢١ ، وسلمة بن عبد الله القرشي عن عبد الكريم بن أمين ص ١٨ ، وهشام بن عروة ص ١٩ وص ٢٠ ، وعبد الله بن أبي بكر ص ١٩ وابن أبي نجيح ص ٢١) . وفى كلامه عن أنذار يهود بظهور النبي يورد رواية عن عاصم بن عمر (ج ١ ص ١٣٤) . وفى حديثه عن شعائر الحج يورد رواية عن هشام بن عروة (مخطوطة ابن إسحق ص ٢٠) . وفى كلامه على الحمس يورد رواية هشام بن عروة (ن . م ص ١٩) . كما انـه يحاول الاستشهاد بآيات قرآنية في بعض ما أورد (مخطوطة ابن إسحق ص ٢١ ، ص ٢٩ ؛ السـيرة ج ١ ص ٥٥) . ولـكن بعض اسانيده ضعيفة . كما أنه لجأ إلى الشعر كوسيلة للتوثيق ، على طريقة رواة الأيام ، وأكثر منه دون تمييز فكان ذلك ثغرة خطيرة في كتاباته كما سنرى .

ويزداد اهتمام ابن اسحق بالأسانيد بعد البعث ، لتوفر الأحاديث التاريخية . ولـكن هذه الأحاديث تختلط بشكل واضح باخبار وقصص بعيدة عن نهج أهل المدينـــة . فحين يذكر بدء الوحي يأخـذ عن عروة ، ولـكنه يذهب إلى إيراد روايات مأخوذة عن بعض أهل العلم (ج ١ ص ١٥١) . ونرى القصص الشعبي يتداخـل مع الحـديث وهنا يبتعد كثيراً عن اسلوب مدرسة المدينة (ج ١ ص ١٥٢ ـ ١٥٤) . وحين يتحدث عن وضع المسلمين عند بدء الدعوة يرجع إلى قصص مجالس السمر فيقول « وذكر بعض أهل العلم إن

رسول الله (ص) كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ... الخ » (ج١ص١٥٩).
ويورد قصصاً محلية عن موقف المشركين من الرسول ، دون اسناد ، ثم يرجع ويستشهد بالآيات ولعله أراد أن يسند ما ذكر بها . وحين روي قصة وفد قريش الذي فيه عتبة بن ربيعة ليستمع إلى تلاوة القرآن بصورة سرية ، نجدها خالية من الاسناد وبشكل قصصي ، ومثل ذلك حديثه عن فشو الاسلام في قريش (ص١٨٧ ط . وستنفلد) . وحين يتحدث عن طلبات زعماء قريش « أنزل كسفاً من السماء ... أو يتخذ إلى السماء سلماً » نجده يستهله بـ « حدثني بعض أهل العلم » ، وفى كلامه صدى القرآن والتفسير ، وأثر الشعر (ص ١٨٧ ـ ١٩١ ط . و).
ولكن قوة ابن إسحق تتجلى فى القسم الخاص بالمغازي في المدينة . وهنا يغلب الاسناد ويعتمد ابن إسحق على أساتذته المدنيين ، وأهمهم الزهري الذي وضع إطار السيرة ووضع دراسة المغازي على أسس راسخة ، ثم عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، وأضاف اليهم المعلومات التي جمعها (الذهبي في Z. D. M G. 1896 P. 417) . وأخذ كثيراً عن يزيد بن رومان ، مولى عروة بن الزبير ، وعن هشام بن عروة بن الزبير وعن زبيرين آخرين (أنظر جواد علي مجلة المجمع ج ١ ص ٢٠٩) . ان قلب مغازي ابن إسحق يتألف من أحاديث الزهري وعروة ، وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر . ويبدو لي ان شهرة ابن إسحق استندت إلى مغازيه (*) .

ولا بد أن نذكر إن ابن اسحاق حاول أن يتحفظ في رواياته وأخباره حتى قبل المبعث ، كأن يقول « فيما يزعمون » (ج ١ ص ١٩٤) ، أو مثل قوله حين يذكر قولا ينسب للرسول عن ذي القرنين « فالله أعلم أي ذلك كان أقال ذلك رسول الله (ص) أم لا فان قاله

(*) قال الزهري — من أراد المغازي فعليه بمولى قيس بن مخرمة هذا (البخاري ق ١ ج ١ ص ٤٠) وقال الشافعي ـ من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال علي محمد بن اسحق . أنظر الخطيب ج ١ ص٢٢٦ وانظر ابن كثير ج ١٠ ص ١٠٩ وابن خلكان ج ١ ص ٦٨٧ ، والذهبي ـ تذكرة ص ١٦٢ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٣

الحق ما قال » (١٨٧ ط . و) ، أو كقوله « وزعم الناس فيما يتحدثون والله أعلم » (ج ١ ص ١٧٨) أو قوله « فكان فيما بلغنا من حديث الأحبار والرهبان عن رسول الله (ص) قوله » (مخطوطة ابن اسحق ص ٩) ، أو مثل قوله « وحدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا خالد بن معدان الكلاعي ، إن نفراً من أصحاب رسول الله ... ألخ » . ويورد أحياناً ما يشعر برأيه ، فهو يذكر قصة الطير الأبابيل ثم يضيف « حدثني يعقوب ابن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام » (ص ٥٥ ط . و) .

كما ان ابن اسحق حفظ لنا بعض الوثائق، وانفرد بوثيقة مهمة هي « الكتاب » الذي وضعه الرسول في المدينة (السيرة ص ٣٤١ ـ ٢٤٤ ط . و) لتنظيم العلاقة بين المسلمين من جهة وبينهم وبين اليهود من جهة أخرى .

إن معلومات ابن اسحق عن الفترة المكية قليلة الاسناد ، وكثيراً ما نجد كلمة « قصة » عنواناً لأخباره مما يشير إلى أثر القصص (مثلاً ابن هشام ج ١ ص ٢٠٣ و ٢٢٤) . أما أخباره عن فترة المدينة فنيها عناية أوضح بالاسناد ، ومع ذلك نجد فيها أثر القصص الشعبي، وأثر التقوى في المبالغة . كما أنه يورد الشعر عادة مجموعاً في نهاية الحادث وهذا يشعر بأثر أسلوب القصاص .

لقد تعرض ابن اسحق لنقد شديد [١] ، لاعتماده على أهل الكتاب في الرواية [٢] ولإيراده كثيراً من الشعر الموضوع [٣] ولأخطائه في الأنساب [٤] ، ولأنه لا يمحص

---

(١) يقول الذهبي : وهو صالح الحديث حاله عندي الا ما قد حشا في السيرة من الاشياء المنكرة المنقطعة والاشعار المكذوبة » . ميزان ج ٣ ص ٢١ .

(٢) «وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتابه أهل العلم الاول» (ياقوت ج ٦ ص ٤٠٠ ، ابن النديم ص ٩٢ ـ ٣ .

(٣) يقول ياقوت « كانت تعمل له الأشعار فيدخلها في كتب المغازي فصار بها فضيحة عند رواة الاخبار والاشعار » ياقوت ج ٦ ص ٤٠٠ . ويقول ابن النديم « وكان يعمل له الاشعار ويوتى بها ويسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل ، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة

مصادره، كما وينقل من كتب الآخرين مباشرة دون سماعها (*) . ولم يكن ابن اسحق دقيقاً في الاسناد كما يتطلب أهل الحديث (أنظر الخطيب ج ١ ص ٢٢٠ ، ابن سيد الناس ج ١ ص٧، ص ١٣). فهو يبدأ بعض رواياته بما يثير النقد والشك مثل قوله « بلغني » و« ذكر لي » و « حدثت » و « حدثني بعض أهل العلم » و « حدثني بعض أصحابنا » و «كان هذا الحي من الأنصار يتحدثون » (ج ١ ص ١٠٦ ، ١٧٨ ، ١٩٢ ـ ١٩٣ ، ٢١٤ ، والمخطوطة ص ٣١ ، ص ٣٦) . وانتقد على استعماله الاسناد الجمعي ، مع أنه طور هذا الاسناد واستطاع أن يقدم قصة جذابة من رواياته . (أنظر الدوري — علم التاريخ ص ٢٨ ـ ٣٠) .

أما في الشعر فقد تورط ابن اسحق وكان يعتذر بقوله « لا علم لي بالشعر ، إنما أوتي به فاحمله » (ابن سلام ـ طبقات الشعراء ص ٤) . ولا نريد التوسع في الموضوع ويكفي

= الشعر » (الفهرست ص ٩٢) . وقد هاجمه ابن سلام قائلا « وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل كل غثاء محمد بن اسحق مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير فنقل الناس عنه الاشعار . وكان يعتذر منها ويقول لاعلم لي بالشعر انما أوتى به فاحمله . ولم يكن ذلك له عذراً، فكتب في السير من اشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط وأشعار النساء فضلا عن أشعار الرجال ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ،أفلا يرجع الى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ آلاف من السنين والله يقول « وانه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى » وقال في عاد « فهل ترى لهم من باقية » وقال « وعاداً وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله » طبقات الشعراء (ليدن ١٩١٣) ص ٤ . ويتهمه البعض بانه كان يعطى الاحاديث وأخبار المغازي إلى الشعراء ويسألهم أن يقولوا فيها الشعر ثم يدخله . وهذه مبالغة . (الذهبي — ميزان ج ٣ ص ٢٢) .

(٤) قال ابن النديم « وأخطأ في كثير من النسب الذي أورده في كتابه » ص ٩٣ . وتعليق ابن هشام يؤيد هذا .

(*) قال الخطيب « ذكر محمد بن اسحق ، فقال ابن حنبل : كان رجلا يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه » الخطيب ج ١ ص ٢٣٠ ، ابن سيد الناس ج ١ ص ١٢ .

وقال ابن حنبل: كان لايبالي عمن يحكي عن الكلبي وغيره . وقيل عنه : انما أوتى من انه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة . (الخطيب ج ١ ص ٢٣٧ وانظر ابن سيد الناس ج ١ ص ٣) . =

أن نقول ان كثيراً من هـذا الشعر يعكس حوادث وقعت بعد فترة الرسالة ، وانه يلقي ضوء على التيارات السياسية في النصف الثاني للقرن الأول الهجري وخاصة المنافسـة بين الانصار وقريش (أنظر Guillaume, opt cit· XXVII off) .

ولابد لنا أن نلاحظ أن التأكيد على الاسناد لم يكن من الدقة في عصر ابن اسحق كما أصبح فيما بعد وان المتن كانت له أهمية في نقل الأخبار والأحاديث ، وان كثيراً من المعلومات عن المغازي كانت تنقل دون اسناد لأنها معروفة لدى جماعات أو أسر [1] ، ومن ذلك قوائم اسماء من اشترك في بعض المغازي ومن استشهد . ثم أن النقل من الكتب لم يكن أمراً غريباً في عصره . وبعد هذا فان ابن اسحق انتقد على أخذه من أهـل الكتاب في المغازي ، ولم ينكر ذلك في المبتدأ [2] .

ولدينا ثلاث روايات مشهورة لمغازي ابن اسحق ، الاولى رواية سلمة بن الفضل (ت ، ١٩١ هـ ، الري) وقد اعتمد الطبري نسخته . ويخبرنا الخطيب ان ابن اسحق حين صنف كتاب التاريخ للمنصور صيره في قراطيس « ثم صير القراطيس لسلمة - يعني ابن الفضل - فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القراطيس » (الخطيب ج ١ ص ٢٢١).

وثانيتها رواية يونس بن بكير (ت ١٩٩ هـ ، الكوفة) ، وقد استفاد من نسخته ابن الأثير في أسد الغابة . ويوجد قسم من هذه النسخة مخطوطاً في جامع القرويين بفاس (وهي التي أشرنا اليها) .

وثالثتها رواية البكائي (زياد بن عبد الله ت ١٨٣ هـ ، الكوفة) ، وقد دون نسختين كاملتين أعتمد احداها ابن هشام . ويرى السخاوي أنها أوثق من رواية يونس بن بكير الشيباني (الاعلان ص ٨٨) . وأفاد ابن سعد من رواية هارون بن أبي عيسى ومن رواية

---

(١) M. Watt, in Historians of the Middle East PP. 23 - 35

(٢) يقول ابن سيد الناس : ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث انما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي من أولاد اليهود الذين اسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنظير وما اشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم . ج ١ ص ١٧ .

البكائي(ج ٣ ق ٢ ص ٥١) . ويذكر ابن النديم نسخة النفيلي . (أنظر
(Guillaume, opt.cit· P XVII

٤ — ويهمنا ان نلاحظ نهج ابن هشام في تهذيبه لسيرة ابن اسحق . لقد اوضحت انه ذكر في البداية نسب الرسول الى اسماعيل في الخط المباشر ، « وترك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل للاختصار » . ثم تناول السيرة فترك « بعض ما ذكر ابن اسحق . . مما ليس لرسول الله فيه ذكر ، وما نزل فيه من القرآن بشيء وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه لما ذكرت من الاختصار ، واشعاراً لم ار احداً من اهل العلم بالشعر يعرفها ، واشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ، ومستقص انشاء الله ما سوى ذلك بمبلغ الرواية له والعلم به » . (السيرة ص ٤ط . و .) .

ويفيدنا هنا ان نرجع الى مخطوطة ابن اسحق (وان كانت برواية يونس بن بكير) لغرض التوضيح .

ولنبدأ بالشعر ، ويظهر ان ابن هشام حذف كثيراً منه في السيرة . (في المخطوطة ص ٤ ـ ٥ قصائد لابي طالب في مسيره برسول الله الى الشام . ص ٢٨ ـ ٢٩ قطعتان شعريتان للزبير بن عبدالمطلب عن بناء الكعبة . ص ٢٩ قطعة شعرية للوليد بن المغيرة عن بناء الكعبة . ص ٧٣ قصيدة لورقة بن نوفل يستبطيء فيها بعث النبي (ص) . ص٤٠ قصيدتان لورقة بن نوفل . ص ٦٤ قصائد لابي طالب . وتوجد قصيدة اخرى طويلة في السيرة المطبوعة ص ٢٩١ ـ ٢٩٩ في حين لا يوجد منها في المخطوطة سوى سبع ابيات ص ٦٤ . في ص٦٥ قصيدة لصفية بنت عبدالمطلب ، وقصيدتان لابي طالب) . وحين ننظر للحذف لا نجد له تفسيراً الا ما اورده ابن هشام في تحديد موقفه من الشعر ، بل انه يثبت القصيدة احياناً ثم يشكك فيها اذ يقول « هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض اهل العلم بالشعر ينكر اكثرها » (ابن هشام ج ١ ص ٢٩٩ ، وانظر ص ٢٤٢ في تعليقه على

قصيدة تنسب لزيد بن عمرو بن نفيل) . ومن ناحية ثانية اثبت قصائد لزيد بن عمرو بن نفيل لا توجد في المخطوطة (انظر ج ١ ص ٢٤١ وبعدها) .

لننظر الآن الى الحذف في الروايات على سبيل التمثيل . حذف ابن هشام مجموعة من الروايات عن علم اهل الكتاب بظهور نبي ، وبأن زمانه قد اظل (المخطوطة ص ٩ ، ص ١٠ ص ١٣) . والذي نلاحظه ان بعض الروايات مسند (ص ٩ رواية عن عاصم بن عمر بن قتادة ، ص ١٠ رواية عن صالح بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عن يحيي بن عبدالله ابن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة) . وحذف الكثير من الروايات عن الكعبة وعن الحجر الاسود وعن شعائر الحج في الجاهلية ، وعن اصول الشعائر وبعض ما ادخله الاسلام عليها من تغيير (ص ١٦ ـ ص ٢٢) .

ان الكثير من المعلومات الواردة فيها قصصية او اسطورية ولعله حذفها لهذا السبب ، ولكن القليل منها يرد باسانيد افضل من كثير من الروايات التي اثبتها ابن هشام (مثلا ص ١٩ رواية عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة حول طواف القرشيين ورواية اخرى ص ٢٠ عن هشام بن عروة عن ابيه حول السعي بين الصفا والمروة) . وحذف ابن هشام بعض الروايات عن بناء الكعبة (ص ٢٤ ، ص ٢٩ ، ص ٣١) . وحذف روايات عن الاحناف (ص ٣٣ ، ص ٣٤ ، ص ٣٦) وبعض ما فيها مهم ، وحذف روايات عن ورقة بن نوفل (ص ٤٠ ـ ٤١ ، ص ٤٦ ـ ٤٧) كما حذف روايات مختلفة عن الرسول قبل البعث (ص ٤٠ ، ص ٤١) .

واذا فحصنا هذه الروايات المحذوفة نلاحظ ان ابن هشام حذف روايات تتصل بحياة النبي قبل البعث ، منها رواية عن محمد بن عبدالله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب عن ابيه عن جده علي بن ابي طالب قال : سمعت رسول الله (ص) يقول ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يلهون به الا ليلتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما» ثم يسرد محاولتين للهو بريء وهو التفرج على حفلة عرس (ص٧ـ٨) . ومنها رواية العين،

« ابن اسحق قال حدثني عبدالله ابن ابي بكر عن ابي جعفر قال كان رسول الله (ص)تصيبه العين بمكة فتسرع اليه قبل ان ينزل عليه الوحي . فكانت خديجه بنت خويلد تبعث الى عجوز بمكة ترقيه ، فلما نزل عليه القرآن فاصابه من العين نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة يارسول الله الا ابعث الى تلك العجوز فترقيك فقال اما الآن فلا » (المخطوطة ص ٤٠) . ومنها روايتان عن دعوة الرسول قبل البعث لزيد بن عمرو بن نفيل ، وهو من الاحناف ، الى تناول طعام ، فيعتذر زيد بانه لا يأكل ما ذبح على النصب ويهاجم الاوثان بانها باطل لا تضر ولا تنفع ، وان الرسول لم يأكل بعدها شيئاً ذبح على النصب وانه ما تمسح بوثن قط بعد ذلك . واحدى الروايتين تبدأ بـ « فحدثت » ، والثانية رواها « يونس عن المسعود عن فضيل بن هشام عن ابيه » (المخطوطة ص ٢٦) . ويلاحظ ان الروايتين الاولى والثانية جاءتا باسانيد مقبولة ،وان هذه الروايات جميعاً تتعلق بفترة تقل عنها المعلومات ، وانها ، مع روايتين عن رعي الرسول للغنم ، تؤلف مجموع الروايات الخاصة بالرسول قبل المبعث والتي لم يوردها ابن هشام . فهل حذف ابن هشام هذه الروايات لانه لم يطمئن لدلالتها او ان البكائي لم يروها ؟ يبدو ان الاحتمالين جائزان .

هناك روايات حذفها ابن هشام لانها تسيء الى بعض الناس . فمثلا الرواية عن سرقة كنز الكعبة (المخطوطة ص ٢٤) . وحذف ابن هشام رواية عن دور العباس في بدر (الطبري ص ١٣٤١ ، انظر هوروفتس ص ٨٣) .

ويتضح من المقارنة بين المخطوطة وبين نص ابن هشام انه حذفت بعض روايات يتعذر تفسير حذفها الا باختلاف بين روايتي البكائي ويونس بن بكير . مثلا الرواية عن كيفية نزول الوحي ، « عن هشام بن عروة عن عائشة (رض) قالت سأل الحرث بن هاشم رسول الله (ص) فقال كيف ينزل عليك الوحي . فقال رسول الله (ص) كان ذلك يأتيني أحياناً مثل صلصة الجرس وهو اشقه علي فيفصم عني وقد وعيته ، ويتمثل الملك أحياناً في صورة رجل فيكلمني فاعي ما أقول » (المخطوطة ص ٥٧ انظر ابن سعد ج٢ ص ١٩٧) .

وفي المخطوطة رواية واضحة عن دعوة علي وكيفية اسلامه لا نجـدهـا في ابن هشام (ص ٥٠)، ورواية أخرى توضح اسلام ابي بكر لا نجدهـا لدى ابن هشام (المخطوطـة ص ٥٢).

كما ان تسلسل الروايات في المخطوطـة يختلف أحياناً عما جاء في ابن هشام فمثلا يرد الحديث عن الصحيفة والمقاطعة في المخطوطة (ص ٦٤) قبل الهجرة الى الحبشة. وهـذا يدعو الى الاعتقاد بتصرف تلامذة ابن اسحق أحياناً في تنظيم الروايات.

وقد أكد ابن هشام على دلالة الآيات القرآنية أو تفسيرها في اثبات الروايات أو حذفها كأساس في تدقيقه. وهذه وجهة مقبولة في عصر ابن هشام وصار لها أثرها في تدقيق مواد السيرة (Blachere o.c. P. 7).

وان دلت الملاحظات السابقة على شيء فانما تدل على ان ابن هشام اجتهد وانه من الصعب تفسير حذفه لرواية ما وابقاء رواية أخرى تماثلها في المحتوى أو في طريقة الرواية أو حذف رواية تبدو أقوى اسناداً، الا اذا كان ذلك نتيجة لتكون نظرة تاريخية أو نقدية في عصر ابن هشام الى مجموعة من الروايات او الى محتوى بعض الروايات. كما اننا لا نرى محلا للقسم الخاص بالتاريخ القصصي لليمن لدى ابن هشام سوى اعتزازه بامجـاد اجداده اليمانيين ومكانتهم تجاه امجاد عرب الشمال.

٥ — ولابد من التعرض للاشارات الى ميول ابن اسحق. فقد عد من القـدرية (الخطيب ١ / ٢٢٤ / ٢٢٥، ابن قتيبة ص ٣٠١ ط. و.) ولكن البعض نفي عنه ذلك (الخطيب ١ / ٢٢٦). وليس في سيرة ابن اسحق ما يشعر بميله للقدرية، ولكننا نذكر انه اورد روايتين عن عمرو بن عبيد. ويحتاج الموضوع الى دراسة احاديثه ومقتطفات تاريخه عن الخلفاء للتثبت.

وقيل انه كان يتشيع (الخطيب ١ / ٢٢٤). وهـذه ناحية تحتاج الى تدقيق. ففي ياقوت أشارة عامة « قال احمد بن يونس ـ اصحاب المغـازي يتشيعون كابن اسحق وابي

معشر ويحي بن سعيد الاموي وغيرهم » (انظر معجم الادباء ج ٦ ص ٤٠٠) . ويمكن تفسير ذلك بان دراسة السيرة تثير نبرة احترام وعطف على العلويين . ويمكن الاشارة الى قول ابن اسحق ان علياً اول الذكور اسلاما دون أن يشير الى روايتين (اوردهما الطبري) مفادهما أن زيد بن حارثة او ابا بكر أول من اسلم من الذكور . ثم ان ابن اسحق يورد روايات عن العلويين - اذ يروى عن عبدالله بن الحسن (ج ١ ص ١٥٢ - ٤ ، ص ٢٩٥) . ويذكر ياقوت « كان له انقطاع الى عبدالله بن حسن بن حسن وكان يأتيه بالشيء فيقول له اثبت ذا في علمك فيثبته ويرويه عنه » (ج ٦ ص ٤٠٠) كما انه يروي عن ابي جعفر محمد ابن علي (ج ٢ ص ١٥٥ المخطوطة ص ٤٠) .

ولكننا بنفس الوقت نجد روايات تشعر بنظرة ودية الى العباسيين . فهو يورد رواية تجعل العباس بين المسلمين الاولين ولكنه يكتم اسلامه (ابن سعد ح ٤ ص ٥ ، ٧) ، بل ويورد رواية تجعل العباس يلحظ دليل نبوة الرسول فيحفظه سراً خوفا من اتهام ابن أخيه بالجنون (المخطوطة ص ٦) . ولنتذكر ان علاقات ابن اسحق كانت حسنة كما يبدو مع المنصور والعباسيين .

ويبدو لي انه حاول ان يجمع الروايات من كافة المصادر ، وانه اتخذ موقفاً بعيداً عن الانحياز .

وقد لقيت سيرة ابن اسحق ، خاصة بعد ان هذبها ابن هشام ، تقديراً واستحساناً واسعاً حتى اصبحت من اهم مصادر السيرة . (الذهبي تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٣ - ٤ ، ابن كثير - البداية ج ١ ص ١٠٩ ، ابن العماد - شذرات ج ١ ص ٢٢٥ ، ٢٣٠ ابن خلكان ج ٢ ص ٧ - ٨ ط . و . ، السخاوي ١٦٧) .

١ — المصادر الاولية

١ — البخاري ـ التاريخ الكبير ج ١ ، ٢ ، ٤ . دائرة المعارف حيدر أباد الدكن ١٢٦٠ ـ ١٢٦٤ .

٢ — البلاذري ـ انساب الاشراف ، ج ١ (ن . محمد حميدالله) القاهرة ١٩٥٩ .

٣ — البلاذري ـ فتوح البلدان ـ (ن . دي خويه)ليدن ١٨٨٦ .

٤ — ابن حجر العسقلاني ـ تهذيب التهذيب . حيدر أباد الدكن ١٣٢٥ هـ .

٥ — الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ، ١٤ جزء القاهرة ١٩٣١ .

٦ — ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ، جزءان بولاق القاهرة ، ون . وستنفلد .

٧ — ابن العماد ـ شذرات الذهب ، ٨ اجزاء ، القاهرة ١٣٥٠ .

٨ — البستي ، محمد بن حبان ـ مشاهير علماء الامصار . (ن . فلايشهر) . القاهرة ١٩٥٩

٩ — الذهبي ـ تذكرة الحفاظ ،(ن . مصطفى علي) ٤ اجزاء دائرة المعارف النظامية . حيدر آباد الدكن ط ٢ ، ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤ هـ .

١٠ — تراجم رجال روى عنهم محمد بن اسحق (ن . فيشر) . ليدن ١٨٩٥ وفي ZDMG ١٨٩٥ ص ٤٣٢ وما بعدها .

١١ — الذهبي ـ ميزان الاعتدال في تراجم الرجال ٣ أجزاء القاهرة ١٣٢٥ .

١٢ — السخاوي ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ دمشق ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) .

١٣ — ابن سعد ـ كتاب الطبقات الكبير ، (ن . سخاو) ، ٩ أجزاء ليدن ١٩٠٤ ـ ١٩٤٠ .

١٤ — ابن سلام ـ طبقات الشعراء (ن . ي . هل) ليدن ١٩١٦ .

١٥ — ابن سيد الناس ـ عيون الاثر في فنون المغازي والشمايل والسير جزءان القاهرة ١٣٥٦ .

١٦ — الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك (ن . دي خويه) ١٥ جزء ليدن ١٨٧٩ـ١٩٠١.
١٧ — ابن قتيبة ـ المعارف (ن . وستنفلد) غوتنغن ١٨٥٠ و (ن. ثروت عكاشة) مطبعة دار الكتب ١٩٦٠ .
١٨ — ابن كثير ـ البداية والنهاية في التاريخ، ١٤ جزء مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨ ـ ١٣٥٨ .
١٩ — المسعودي ـ مروج الذهب (ن . دي مينار ودي كورتني) ٩ أجزاء باريس ١٨٩٩ ـ ١٩١٩ .
٢٠ — المقدسي ـ البدء والتاريخ (ن . كليمان هوار) ٦ أجزاء باريس ١٨٩٩ ـ ١٩١٩.
٢١ — ابن النديم ـ الفهرست (ن . فلوجل) ليبزج ١٨٧١ ـ ٢ .
٢٢ — ابن هشام ـ السيرة (ن. وستنفلد) ٣ أجزاء غوتنغن ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠ و (ن . مصطفى السقا ورفاقه) ٤ أجزء القاهرة ١٩٣٦ .
٢٣ — ياقوت ـ معجم الادباء (ن . مرغليوث) ٧ أجزاء ليدن ١٩٠٧ ـ ١٩١٧ .

٢ — المخطوطات

٢٤ — ابن اسحق ـ المغازي والسير رواية يونس بن بكير ١٦٧ ص الخزانة العامة بالرباط رقم ٥٨ .
٢٥ — خليفة بن خياط ـ تاريخ، الخزانة العامة بالرباط رقم ١٩٩ .

٣ — مراجع حديثة

٢٦ — احمد امين ـ ضحى الاسلام ج ٢ الطبعة الخامسة ١٩٥٦ .
٢٧ — بروكلمان ـ تاريخ الادب العربي ٣ أجزاء (تعريب عبدالحليم النجار) القاهرة ١٩٦٢ .
٢٨ — الدوري ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠ .

٢٩ — جواد علي ـ موارد تاريخ الطبري ـ مجـــلة المجمع العلمي العراقي بغداد ج ١ ص ١٩٥٠ .

٣٠ — هوروفتس ، ي ـ (تعريب حسين نصار) المغازي الاولى ومؤلفوها ، القاهرة ١٩٤٩ .

31 . Encyclopedia of Islam , art . Ibn Ishaq , Sira .

32 . Abbott , N . Studies in Arabic Literary Papyrii (I . Historical texts . University of Chicago Press) Chicago 1957 .

33 . Blachere , R . — Le Probleme de Mahomet , Paris 1952 .

34 . Fuck , J — Muhammad Ibn Ishaq . Frankfurt am Main 1925 .

35 . Guillaume — The Life of Muhammad O . U . P . 1955 .

36 . Montgomery Watt — The Materials used by Ibn Ishaq(Historians of the Middle East pp . 23 — 35) O U P 1962

التعقيبات

الدكتور ابراهيم مدكور : شكراً للأستاذ الباحث على هذا البحث وعلى هذا العرض مع الدراسة المقارنة في هدوء ورصانة . ولا ريب في أننا بحاجة ماسة إلى متابعة أصولنا التاريخية لالقاء الضوء على المراجع التي بين أيدينا ، مما يتصل أوثق الاتصال بتراثنا الروحي والعلمي ، وإذا صدق حدسي فان الدكتور الباحث بصدد إخراج مخطوطة سيرة ابن اسحاق محققة ، وإني لأرجو أن يتحقق له ذلك ، فهذا المخطوط على أية حال وثيقة جديرة بالنشر .

الأستاذ الشيخ محمد علي النجار : الأستاذ الباحث مشكور كل الشكر على بحثه المفيد ، ولكن ألاحظ أنه أشار إلى ما بين مالك وابن اسحاق ، فقال إن ذلك كان لأسباب شخصية ، ومالك قال في ابن اسحاق قولة شديدة ، وهي أنه دجال من الدجاجلة ، وهو في علمه وتقواه أبعد عن أن يقول هذا لأسباب شخصية ، ولكن لأن ابن اسحاق كان لايتحرى الدقة في الرواية ، وذلك ما استبانه مالك منه ، فلم يرض عنه وقد ثبت من بحث الباحث الآن أن ابن إسحاق كان يعول على القصص الشعبية ، وعلى ما لايجب أن يعول عليه مؤرخ دقيق ، وفي هذا تأييد مالك في رأيه في ابن إسحاق .

الدكتور مراد كامل : يخيل إلي أن ابن اسحاق كان له كتاب المبتدأ وكتاب آخر . ويخيل إليّ أيضاً أنه سبق بكتاب المبتدأ لأن ذلك هو سبيل الكتاب في التأريخ ، وقد فعل مثل هذا اليونان ، إذ كانوا يكتبون التاريخ من بدء الخليقة ، وقبل ابن اسحاق صنع مثل هذا « يوحنا » في مصر ، وربما كان السبب في ضياع كتاب المبتدأ لابن اسحاق أن المؤرخين بعده حين ألفوا في بدء الخليقة رجعوا إلى ما رجع اليه ابن اسحاق من مصادر وأصول ، فلم تعد هناك حاجة إلى كتابه المبتدأ . أما كتابه في المغازي فيظهر أنه نهج فيه

منهجاً جديداً ظهرت فيه شخصيته ، فبقى للكتاب مكانه بين الباحثين والمؤرخين .

الأستاذ أمين الخولي : شكراً للأستاذ الجليل الدوري على اشتغاله بموضوع التأليف في ذلك العصر المبكر من عصور العربية والإسلام ، وأرجو أن يمتد به اشتغاله إلى تفسير هذه الظاهرة التي بدت في تأليفه ، وهي أنه لم ينهج نهج أهل الحديث في تسجيل الروايات والإسناد ، وبخاصة لأن مستشرقاً إيطالياً استنتج من ذلك أن المسلمين إلى منتصف القرن الثاني لم يكونوا يعنون في تأليفهم بالإسناد ، وإنما جاء الاسناد متأخراً ، واستدل بأن عبد الملك سأل عروة بن الزبير ، فكتب له جواب سؤاله دون إسناد ، فظاهرة الإسناد ، جاءت متأخرة عن هـذا العصر ، والمحدثون من بعد ملؤا مواضع الاسناد التي كانت فارغة ، فكأنهم بدؤا في تسجيل الرواية من « تحت إلى فوق » إن صح التعبير ، لا من البدء متسلسلاً إلى النهاية كما هو الوضع الطبيعي . والمستشرقون يبغون بهذا إتهام رواة الحديث بأنهم صنعوا مسلسلات الاسناد صنعاً بعد القرن الأول ، ومن أدلتهم في ذلك مقابلتهم بين رواية السيرة ورواية الحديث . وهي ظاهرة خطيرة أرجو أن يكون في عمل الاسناد ما يفسر عمل ابن اسحاق ، بما يفيد في فهم قضية الإسناد في الحديث .

الدكتور عبد العزيز الدوري : اني متفق مع الاستاذ النجار في ان مالكاً لم يرض عن نهج ابن اسحاق في دراسة السيرة بالأخذ عن القصاص وعن اليهود والنصارى وبايراد روايات ضعيفة . والواقع ان ابن اسحاق خرج على اسلوب المدينة . ولكني اردت ذكر المناسبة التي هاجم فيها مالك محمداً بن اسحق ووصفه بالدجل .

اما ما ذكره الدكتور مراد كامل من ان ابن اسحق بدأ بكتاب المبتدأ تأثراً بمن سبقه من اليونان او بيوحنا فلا اعرف لذلك وجهاً ، والثابت ان وهب بن منبه سبقه إلى هذا الاهتمام وان المادة المتصلة بالمبتدأ انما هي خليط من الاسرائيليات ومن شذرات من العهد القديم ومن القصص العربي القديم ، وان ابن اسحق اعتمد لحد كبير على وهب وهذا واضح من الاقتباسات الكثيرة الواردة في تفسير الطبري نقلا عن ابن اسحق . والثابت

ان ابن اسحق بدأ بالمغازي ، واشتغل بالمبتدأ فيما بعد توسعاً .

ولقد اثار الاستاذ امين الخولي قضية اساسية . ولا بد من تعليق موجز . يبدو لي ان ابن اسحق توسع في مصادر معلوماته حين أخذ عن أهل الكتاب وعن القصاص وحين توسع في اقتباس الشعر إلى الكثير من الشعر الموضوع . فهل نفسر هذا بجذوره الاجتماعية ، وبازدياد الرغبة في سماع القصص ، وباتجاه دراسة التاريخ إلى الانفصال عن دراسة الحديث ، وبظهور الميل إلى المبالغة في شؤون السيرة لدى البعض نتيجة مرور الزمن ! قد تكون كل هذه عوامل تفسر موقف ابن اسحق ولكن الموضوع يحتاج إلى دراسة أوفى .

لقد انكرت مدرسة المدينة نهج ابن اسحق ، وهذا دليل على تأكيدها على الاسناد . اما رأي بعض المستشرقين (مثل لامنس وليفي وديللافيدا وبيكر) ففيه نظر ، فهم يرون ان ابن اسحق هو اول من اعطى السيرة هيكلها ، وهذا غير دقيق ، فقد سبقه الزهري إلى وضع هيكل السيرة وإلى تثبيت خطوطه كما يتضح من المقتطفات الباقية من مغازيه في كتب التاريخ والسير . بل ويظهر ان عروة بن الزبير (استاذ الزهري) وضع هيكلا للسيرة كما يتبين من الروايات الباقية له والتي تتجاوز الخمسمائة رواية ، إلا أن هيكل عروة لا يخلو من ثغرات كما ان طابع المحدث المهتم بالمغازي يغلب عليه . نعم اجاب عروة على رسائل عبد الملك بن مروان حول السيرة دون ذكر الاسناد في اجاباته ، وكانت اجابات مركزة وشاملة . ولكننا لدينا اكثر من خمسمائة روايه لعروة في السيرة وكلها مسندة .

وإذا تذكرنا ان روايات عروة ، وتلميذه الزهري في السيرة تكون العمود الفقري لها ولاحظنا الخط التاريخي لتوالي مؤرخي السيرة في المدينة ـ عروة ـ الزهري ـ موسى بن عقبة (وفي جيله ابن اسحق) ـ الواقدي ـ ابن سعد ـ البلاذري (وفي جيله الطبري الذي يعتمد على ابن اسحق) وتذكرنا اهتمام عروة والزهري بالاسناد ، ثم اهتمام موسي بن عقبة به وفق نهج المدينة (عكس ابن اسحق) وكذا الواقدي فابن سعد ادركنا دور الاسناد

واهميته في دراسة السيرة ، وفي الحديث بالضرورة .

ولم يقتصر المسلمون في صـــدر الاسلام على الاسناد في تدقيق الحديث والخبر ، بل التفتوا إلى المتن او المحتوى ، كما انهم اتخذوا التاريخ(التوقيت باشكاله)سبيلا آخر للتثبت .

وهناك ناحية اخرى اربكت دراسة بعض المستشرقين ، وهى انهم لم يميزوا بين التدوين وبين كتابة الاحاديث والاخبار ، ذلك ان عصر التدوين ابتداء من حوالى منتصف القرن الثاني للهجرة هو عصر الجمع والتنسيق ، اما الـكتابة والتسجيل فكانت مألوفة قبل نهاية القرن الاول الهجري ولدينا الآن من المعلومات والشواهد ما يكفي لتأكيد ذلك .

٣ — قصيدتان توأمان

للدكتور إسحاق موسى الحسيني
عضو مجمع اللغة العربية

نظمت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قصيدتان تسترعيان النظر لأثرهما في الحياة العربية المعاصرة ، ولما بينهما من تشابه ، فكأنهما توأمان ولدتهما محنة العرب في ذلك الحين .

الأولى للشاعر الفارس محمود سامي البارودي المتوفى سنة ١٩٠٤ م والثانية للشاعر اللغوي ابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م .

وقصيدة البارودى نظمت في مصر سنة ١٨٦٨ ومطلعها :

متى أنت عن أحموقة الغيّ نازع	وفي الشيب للنفس الأبية وازع
ألا إن في تسع وعشرين حجة	لكل أخي لهو عن اللهو رادع
فحتى م تصبيك الغواني بدلّها	وتهفو بليتيك الحمام السواجع

وهي مؤلفة من خمسين بيتاً ، أكثرها تمهيد للموضوع الذى قصده .

وقصيدة اليازجي نظمت في بلاد الشام (لبنان) سنة ١٨٦٨ ـ كما يقول الأستاذ أنيس الخورى المقدسي ـ أو سنة ١٨٨٣ كما يذكر ديوان اليازجي (العقد) . ويرجع الاختلاف في التاريخ إلى أن القصيدة نشرت سراً وبلا توقيع فى أثناء الحكم العثماني لما فيها من هجاء وتهديد وحماسة قومية لا تبيح التصريح باسم صاحبها ، كقوله :

صبراً هيا أمة الترك التي ظلمت	دهراً فعمّا قليل ترفع الحجب
لنطلبنّ بحدّ السيف مأربنا	فلن يخيب لنا في جنبه أرب
ونتركنّ علوج الترك تندب ما	قد قدمته أياديها وتنتحب

ومن يعش ير والأيام مقبلة ... يلوح للمرء في أحداثها العجب

والقصيدة مؤلفة من ثمان وأربعين بيتاً ، كلها في صلب الموضوع ، بلا مقدمة ولا تمهيد ولذا جاء المطلع قوياً أشبه بالعنوان المحكم :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب ... فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

فيم التعلل بالآمال تخدعكم ... وأنتم بين راحات القنا سلب

الله أكبر ! ما هذا المنام فقد ... شكاكم المهد واشتاقتكم الرتب

كم تظلمون ولستم تشتكون وكم ... تستغضبون فلا يبدو لكم غضب

وربما جاز القول ان اليازجي ابتدأ من حيث انتهى البارودي من المقدمة .

قلنا : إن القصيدتين أثرتا في الحياة العربية المعاصرة .

أما قصيدة البارودي فقد سبقت الثورة العرابية التي نشبت سنة ١٨٨١ واشترك فيها البارودي نفسه . ومع أنها لم تذع ذيوع قصيدة اليازجي ، ولم يستشهد بها المؤرخون على حالة الأمة قبل الثورة وعلى أثر الأدب في الثورة ، فلا أقل من أن نفرض أن البارودي وصحبه الذين قرأوا شعره وأعجبوا به كالامام محمد عبده وزمرته الطيبة قد تأثروا بها وعقدوا العزم على الثورة في أوانها . وربما هون من وقع الدعوة الى الثورة طول المقدمة التي وقعت في خمسة وثلاثين بيتاً ، وعدم النص على الظالم من هو حتى تشرع السيوف في وجهه .

أما قصيدة اليازجي فقد ذاعت في بلاد الشام وتداولتها الألسنة واستشهد بها المؤرخون . وكان من نتاجها أن امتلأت النفوس حقداً على الحاكم ، وتهيأت للتحرر من سلطانه والمناداة بالاستقلال عنه استقلالا جزئياً في أول الأمر واستقلالا كلياً في نهاية الأمر كما هو معلوم .

وقد أسهب اليازجي في وصف حالة قومه وما هم عليه من استكانة وهوان واختلاف ، وما كانوا عليه من عز ومنعة وبسطة سلطان ، ووازن بين حاضرهم وماضيهم ، وحقر عدوهم وذمه بلا تحرز ، كقوله :

من كل وغد زنيم ماله نسب ... يدري ، وليس له دين ولا أدب

وكل ذي خنث في الغش منغمس ... يزداد بالحك في وجعائه الجرب

سلاحهم في وجوه الخصم مكرهم ... وخير جندهم التدليس والكذب

لا يستقيم لهم عهد إذا عقدوا ... ولا يصح لهم وعد إذا وعدوا

ودعا إلى الثورة صراحة :

فأسمعوني صليل البيض بارقة ... في النقع إني إلى رناتها طرب

واسمعوني صدى البارود منطلقاً ... يدوي به كل قاع حين يصطخب

لم يبق عندكم شيء يضن به ... غير النفوس عليها الذل ينسحب

فبادروا الموت واستغنوا براحته ... عن عيش من مات موتاً ملؤه تعب

وذكر اسم الخصم غير مرة بلا مواربة .

فالقصيدة من أولها الى آخرها في صلب الموضوع لم يخرم منها بيت واحد . وفيها من الحماسة والشدة والقسوة ما يندر مثله في الشعر المعاصر .

ووجوه الشبه بين القصيدتين هي :

أولاً : إن الشاعرين التقيا على تصوير حالة الأمة العربية يومذاك وتحديد أدوائها ...
فالبارودي ذكر فقدان الكريم الثائر على الظلم بسيفه ، وذكر انصراف الناس الى الألقاب يتحلون بألفاظها دون التهمات إلى الأفعال :

ولكنني في معشر لم يقم بهم ... كريم ولم يركب شبا السيف خالع

لواعب بالأسماء يبتدرونها ... سفاهاً وبالألقاب فهي بضائع

وهل في التحلي بالكنى من فضيلة ... إذا لم تزين بالفعال الطبائع ؟

واليازجي ذكر من صفات قومه احتمال الظلم ، وايلاف الهوان حتى أمسى طبعاً ، وفقدان النخوة :

كم تظلمون ولستم تشتكون وكم ... تستغضبون فلا يبدو لكم غضب

ألفتم الهون حتى صار عندكم ... طبعاً ، وبعض طباع المرء مكتسب

وفارقتكم لطول الذل نخوتكم   فليس يؤلمكم خسف ولا عطب

ولم يذكر اليازجي الألقاب لأنها لم تكن شائعة في بلاد الشام ، ولكنه ذكر التعصب الذي شتت الشمل وأورث الضعف :

خلوا التعصب عنكم واستووا عصباً   على الوئام ودفع الظلم تعتصب

هذا الذي قد رمى بالضعف قوتكم   وغادر الشمل منكم وهو منشعب

* * *

ثانياً : اتفق الشاعران على أن القلة تتحكم في الكثرة خلافاً لقانون الطبيعة . فقال البارودي :

أصبراً على مس الهوان وأنتم   عديد الحصى ، إني إلى الله راجع

وقال اليازجي :

لأنتم الفئة الكثرى ، وكم فئة   قليلة تمَّ - إذ ضُمت - لها الغلب

* * *

ثالثاً : اتفق الشاعران على أن الموت في سبيل الحرية خير من الحياة الذليلة . فقال البارودي :

فكونوا حصيداً خامدين أو افزعوا   الى الحرب حتى يدفع الضيم دافع

وقال اليازجي :

فبادروا الموت واستغنوا براحته   عن عيش من مات موتاً ملؤه تعب

* * *

رابعاً : انتهى الشاعران إلى استثارة النخوة والدعوة الى القتال فقال البارودي :

ودونكموها صعدة منطقية   تفل شبا الأرماح وهي شوارع

تسير بها الركبان في كل منزل   وتلتف من شوق اليها المجامع

فنها لقوم أوشح وقلائد   ومنها لقوم آخرين جوامع

الا إنها تلك التي لو تنزلت على جبل أهوت به وهو خاشع

وقال اليازجي :

هب أنه ليس فيكم أهل منزلة يقلد الأمر أو تعطى له الرتب

وليس فيكم أخو حزم ومخبرة للعقد والحل في الأحكام ينتخب

أليس فيكم دم يهتاجه أنف يوماً فيدفع هذا العار إذ يثب

فاسمعوني صليل البيض بارقة في النقع إني الى رناتها طرب

واسمعوني صدى البارود منطلقاً يدوي به كل قاع حين يصطخب

وعدا هذه النقاط التي التقى عليها الشاعران نجد تقارباً في الزمن . فبين وفاة الشاعرين سنتان ، وبين نظم القصيدتين تقارب، بأيّ تاريخي النظم أخذنا .

ونستخلص أخيراً أن الأمة العربية في مصر وبلاد الشام كانت تتوجع من آلام اصابتها ولكنها لم تقدر على الافصاح عما يعتلج في صدرها ، وان شعراءها بادروا الى التعبير عن آلامها وحثّها على الثورة رغم الظروف التي عاشوا فيها ، وان الأدب واكب الحياة ونفخ فيها من روحه في تاريخنا القديم والحديث ، وأن الأمة العربية وحدتها المحن كما وحدها المجد التليد . ورحم الله أمير الشعراء الذي أدى هذا المعنى أجمل أداء بقوله :

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجرح والآلام إخوان

التعقيبات

الدكتور ابراهيم مدكور : في البحث الذى سمعناه توضيح لمراحل من تاريخنا القريب وتحليل قوى لنموذجين من الأدب في القرن التاسع عشر ، والأستاذ الباحث مشكور على بحثه المفيد .

الدكتور محمد مهدي علام : أريد أن استوضح الدكتور الزميل في بيت جاء في قصيدة اليازجي ، فقد جاء على قافية الدال، وليست هي قافية القصيدة ، وأحسب هذا خطأ طباعياً. ولعل قافية البيت « إذا كتبوا » بدل « إذا وعدوا » أو نحو هذا .

الدكتور جميل الملائكة : جاء في قصيدة « البارودى » هذا البيت :

ألا إن في تسع وعشرين حجة　　　لكل أخي لهو عن اللهو رادع

والنحو يقتضي نصب « رادع » . فهل في البيت تحريف ناسخ أو راوٍ .

الدكتور يوسف عز الدين : سرني زميلي وأخي الدكتور إسحاق الحسيني ببحثه الممتع، ولكني ألاحظ أننا في دراسة الأدب ندرس الجو العام أولاً ، ثم نستخلص النتائج والحقائق ، ويبدو ان الأخ الباحث اكتفى بوضع القصيدتين إحداها بجانب الأخرى ، ثم أخذ يستنتج ، ونحن نعلم من تاريخ الأدب والمجتمع أن الثورة لاتقوم على قصيدة واحدة ، فما تهيىء القصيدة الواحدة جواً ثورياً ولا تهيج الجماهير دفعة ، وحين ندرس الأدب في نهاية القرن التاسع عشر في مصر نجد نماذج أخرى بلا شك من شعر وغير شعر تساعد على تهيئة الجو وتكوين الثورة ولعل الأخ الباحث يتناولها ، ويلاحظ أن « البارودى » كان من الطبقة الحاكمة ، ومثله لايشعر بما كان يشعر به الشعب من ظلم وحيف، وقد تقلد من وظائف الدولة أسماها شأناً وأكثرها حملاً للمسؤلية ، مما كان محرماً على

الإطلاق أو في الغالب على المصريين الذين كانوا يسمون عند الحكام الأتراك والجراكسة بالفلاحين. وأستبعد جداً أن يكون البارودى قد أحس بما استنتجه الأخ الباحث. وفي العصر الجاهلي نظم لقيط بن يعمر الأيادى قصيدة عينية منصوبة يحث فيها قومه على مقاومة العدو المغير ويحذرهم أن يستكينوا له وأن يتعاونوا معه، والقصيدة من مفاخر الشعر الحماسي، وأحسب أن « البارودى » كان يتمثلها حين نظم قصيدته، والجو الذى نظم فيه الأول هو الجو الذى نظم فيه الآخر، وإذن يكون التوأم الأول هو قصيدة لقيط، والثاني والثالث هما قصيدة البارودى.

الاستاذ الشيخ محمد علي النجار: ملاحظة الدكتور جميل الملائكة على بيت البارودى يمكن أن يجاب عنها بأن الشعراء الأقدمين كانوا يقعون في مثل هذا، ويحضرني الآن بيت الأخطل:

أن من يدخل الكنيسة يوماً يلق فيها جآذراً وظباء

اللواء الركن محمود شيت خطاب: أعقب على قول الدكتور يوسف عز الدين بأننا نعرف أن البارودى كان مع أنه من الطبقة الحاكمة رجل ثورة، واشترك فى الثورة العرابية، فلا عجب في أن يحس احساس قومه بالظلم والهضم، وقد سجن ونفي لما قام به من كفاح وطني مع الثوار.

الدكتور اسحاق موسى الحسيني: شكراً للزملاء على ما أبدوا من ملاحظات، ويلوح لي أن البيت المقفى بالدال وقع فيه تحريف، ولا أذكر الأصل الآن، ومن حيث القواعد لاحظت أن « البارودي » في عدد من الأبيات يخالف المعهود من النحو، وكان « اليازجي » يلتزم القواعد التزاماً تاماً « وللبارودي عذره وحجته، فهو لم يكن لغوياً واشتغاله بالشعر كان عن ميل وموهبة، وأما دراسته للغة فكانت فيما بعد، ولم أشأ أن أتناول هذا في البحث، لأن الموضوع كان يشغلني عن الصياغة، والنقطة الجوهرية التي أثارها الدكتور يوسف عزالدين تدعوني الى القول بأني لم استخلص النتيجة من القصيدتين وحدهما، ولكن

من روح العصر وحقاً ان البارودي كان مع صلته بالأسرة العلوية وحظوته معها على جانب كبير من الاعتزاز بالنفس ، وفي جميع قصائده يذكر أسرته ويعتز بنسبه ، إلى درجة المدح أو الفخر . ومن عنده هذا الاعتزاز بالنفس والأهل والقومية العربية لايعز عليه أن يدعو الى الثورة . وفي تاريخ مصر الحديث ما يدل على أن المصريين لم يكونوا براضين عن الأوضاع السائدة في ذلك العهد الغاشم وقد تبلورت المشاعر في النهاية وظهر جمال الدين الأفغاني وكأن المصريين كانوا في انتظار زعيم مخلص يقودهم إلى معركة التحرير من سـيطرة الأجانب ، فالنتيجة التي وصلت اليها كانت من وحي العصر كله . وما القصيدتان إلا وثيقتان من وثائق الاعتزاز بالوطن والثورة على الظلم ، لـكي يستند اليها والى أمثالها المؤرخ في تصوير تلك الحقبة ، بشرط ألا يتعارض ما يعتمد عليه من شعر أو غيره مع روح العصر وطابعه . فاذا جاء في الشعر ما لايتفق مع الوقائع التاريخية فانه يستوجب التوقف والتساؤل .

الدكتور ابراهيم مدكور : نكرر شكرنا للاستاذ الباحث .

الجلسة الثالثة

(عامة)

مساء الأحد ٢٧ من رجب سنة ١٣٨٥ هـ

٢١ من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٥ م

١ — ابن قتيبة والتوجيه اللغوي للكتاب ، للأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو مجمع اللغة العربية .

٢ — ابن النفيس ، للدكتور محمود الجليلي ، عضو المجمع العلمي العراقي .

١ — ابن قتيبة والتوجيه اللغوي للكتاب

للأستاذ محمد خلف الله أحمد

عضو مجمع اللغة العربية

كان لعلماء العراق فضل إرساء القواعد الأولى لتقنين اللغة في نحوها واشتقاقها ودلالات ألفاظها ، وبيان القياس والشاذ ، والفصيح والغريب ، والجيد والضعيف من وجوه استعمالها ، كما كان لهم الفضل في وضع الأسس الأولى لنقد الأدب العربي وتصنيف شعرائه ، وضبط موسيقا الشعر وأوزانه . وهذه هي المرحلة التي خلّد تاريخنا الثقافي أسماء أعلامها : من أمثال الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء والكسائي والفراء والأخفش وأبي زيد الانصاري والخليل وسيبويه وأبي عبيدة وابن سلام الجمحيّ .

وكان من الطبيعي في مرحلة الازدهار الثقافي وتنوع التأليف ، وعلى الأخص في القرون الهجرية الثالث والرابع والخامس ـ أن تكثر الكتب ذات الطابع التوجيهي في اللغة والشعر والخطابة والكتابة والنقد والبلاغة ، وأن يُعنى المؤلفون بإيضاح معالم الطريق ، وبيان الأدوات الضرورية للمتخصصين في بعض مهن التعبير ، والشادين في مختلف الفنون الأدبية ، وظل هذا الاتجاه ملحوظاً في كثير من تراثنا العربي إلى اليوم .

ومن أوائل من عنوا بهذا في كتبهم ووضعوا له منهجاً التزموه في معظم ما كتبوا ، عالِمُ أهل السنة في بغداد في القرن الثالث الهجري « أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري » الذي عاش على أرجح الأقوال من ٢١٣ إلى ٢٧٦ هـ (٨٢٩ ـ ٨٨٩ م) .

والذين ترجموا لهذا المؤلف قديماً وحديثاً متفقون على أنه كان عالماً أديباً ، شارك في نواح كثيرة من العلم : من لغة ، ونحو وشعر وحديث وفقه ، وتاريخ ومذاهب ، أفاد من

الثقافات المختلفة في القرن الثالث ، وفيه يتمثل التقارب والاندماج الذي انتهت اليه مدرستا البصرة والكوفة ، بعد أن أصبحت بغدادُ حاضرة الخلافة ومركز الحياة العقلية .

وكان غرض «ابن قتيبة» من أكثر مصنفاته - كما يقول « بروكلمان » - أن يُقَدِّمَ الى الطبقة التي عَظُمَتْ مكانتُها واتَّسَعَ نفوذُها في ذلك العصر - وهى طبقة الكتّاب وأصحاب الدواوين الذين كانوا طليعة طبقة المنشئين فيما بعد - ما يسدُّ حاجتها من عُدَدِ الثقافة الأدبية والتاريخية ، ولهذا دارت معظم كتبه - كما يقول « كرد علي » - على تربية المَلَكة العربية وتحبيب اللغة إلى الدارسين والشادين ... والظاهرة البارزة في تآليفه توخيه فيها الايجاز لتسهل روايتها ، ويخفّ حملها ولا تثقل مَؤُنَتُها » .

ومن هذه المصنفات كتاب « المعارف » ، وقد جمع فيه من التاريخ القديم ما يحتاج اليه الأديب والعالم ؛ وكتابا « تأويل مشكل القرآن » و « تفسير غريب القرآن » وهما من الكتب التي أفاد منها من جاؤا بعده من علماء الدراسات القرآنية ؛ وكتاب « تأويل مختلف الحديث » ، وفيه الدفاع عن أهل الحديث ضد شبه أهل الكلام ، والجمع بين الأحاديث التي يبدو أنّ بينها تعارضاً ، « وكتاب الأشربة » وهو كتاب يجمع بين الفقه والأدب ، وقد تناول فيه «ابن قتيبة مسألة »الأنبذة التي شغلت علماء الفقه في أيامه وفي الأيام السالفة ، وكتاب « الشعر والشعراء » وهو من الكتب المعتمدة في تاريخ الأدب والنقد العربي ؛ وكتاب « عيون الأخبار » ؛ وهو من الكتب الجامعة لأنواع من المعارف والأخبار والنصوص الأدبية ؛ ثم كتاب « أدب الكاتب » أو « أدب الكتاب » كما يسمى أحياناً ، وهو موضوع حديثنا في هذا البحث .

حاول ابن قتيبة في هذا الكتاب أن يضع منهجاً للثقافة اللغوية الضرورية لكتّاب الدواوين ، وأن يكشف عما كان يقع فيه كتّاب زمانه من الخطأ أو الوهم في معاني الألفاظ أو الاشتقاقات والتراكيب . والكتاب - على ما نعلم - أول كتاب منظم في الموضوع في تاريخ التأليف العربي ، لم تسبقه إلا أقوال أو رسائل توجيهية ، لعل أطول ما حفظه التاريخ

منها رسالة « عبد الحميد بن يحيى » كاتب « مروان بن محمد » آخر خلفاء « بني أمية » ، التي وجهها إلى الكتّاب يدعوهم فيها إلى التنافس في صنوف العلم والأدب ، والتفقه في الدين ، بادئين بعلم كتاب الله عزّ وجل ، والفرائض ، ثم العربيـة فانها ثقاف ألسنتهم ، وينبههم إلى إجادة الخط ورواية الأشعار ، ومعرفة غريبها ومعانيها ، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها ، مع عدم إهمال النظر في الحساب فانه قِوامُ كتّاب الخراج منهم . ويعدّ كتاب « ابن قتيبة » أحد أصول فن الأدب العربي وأركانه الأربعة ـ كما يقول « ابن خلدون » في عبارته المشهورة في « المقدمة » . وقد عنى بشرح كتاب ابن قتيبة والتعليق عليه وتعقب آرائه فيه جماعة من العلماء منهم ابن السيد البطليوسي (المتوفى سنة ٥٢١ / ١١٢٧ م) وأبو منصور الجواليقى المتوفى سنة ٥٢٩ / ١١٤٤) .

والكتاب يقع في مقدمة (أو خطبة) وأربعة كتب (أو أبواب) : الاول في المعرفة ، والثاني في تقويم اليد ، والثالث في تقويم اللسان ، والرابع في ابنية الأفعال وابنية الأسماء ومعاني كل منها . فاما الخطبة فيُضَمِّنُها « ابن قتيبة » عدمَ رضاه عن الموقف الأدبي والعلمي في عصره ، وانتدابه لعلاج الموقف بتوجيه حظّ من عنايته إلى تأليف كُتُبٍ خفافٍ في المعرفة ، وفي تقويم اللسان واليد ، تُنَشِّط للتحفُظ وتعين على الدرس ، وقد خصص كتابه « أدب الكاتب » لتقديم نواح من التثقيف الضروري لكتاب الدواوين : فالكتاب الأول منه يتضمن ذخيرةً من المعارف اللغوية ، مما كان الكتّاب اذ ذاك في حاجة اليه ، وفي النواحي التي كان يجيئهم الخطأ من قبلها : كبعض الألفاظ التي يضعها الناس في غير موضعها ، وبعض الألفاظ الشديدة التقارب فى المعنى ، ولكن بينها فروقاً دقيقة ، وبعض التعابير التى تجهل أصولها ، وبعض الجموع المشكلة التي جاءت على غير قياس . ويتضمن الكتاب إلى جوار ذلك أبواباً لأصول طوائف من الأسماء : كالمسمين بأسماء النبات أو الطير أو السباع أو غيرها ، وأبواباً عن النبات وأسمائه ، والنخل ، والخيل ، وبيان عيوبها وأسماء أعضائها وشياتها وألوانها والسوابق منها ، وعن معرفة ما في الانسان

من عيوب الخَلْق وأسماء أعضاء الجسم ، إلى غير ذلك من المعارف اللغوية النافعة .

ويخصِّص « ابن قتيبة » الكتاب الثاني لبيان ما يُشْكِل على الكتَّاب من صعوبات الكتابة . وهذا الجزء من « أدب الكاتب » من أقدم ما وصلنا من الصدر الأول في الهجاء ورسم الحروف ، وفيه ملحوظاتٌ مفيدة في رسم المصحف ، وله قيمته في الدلالة على اتجاهات التفكير العربي في ذلك العصر في تطوير الرسم ، وفي تعليل الكثير من قواعده التي نسير عليها اليوم ، وفي بيان النظام العربي في التاريخ . هذا إلى توجيهات في التذكير والتأنيث والنسب ، والصرف والمنع منه .

وفي القسم الثالث من الكتاب يحشد ابن قتيبة طائفة من الألفاظ يكثر فيها احتمال الخطأ : إما لتقارب اللفظين منها في اللفظ والمعنى ، فربما وضع الناس احدهما موضع الآخر ، وإما لتقارب الألفاظ واختلاف معانيها ، وإما لاختلاف الأبنية في الحرف الواحد لاختلاف المعاني ، وإما لاختلاف المصادر من الصَّدْر الواحد بحسب المعاني . ويتحدث فيه كذلك عما كان العامة في عصره يدخلونه من تحريف في الأسماء والأفعال : كترك همزِ المهموز أو تخفيف المشدَّد أو تشديد المخفَّف ، أو تحريك الساكن ، أو إسكان المتحرِّك ، أو إحلال حركة محلَّ أخرى في أحد حروف الكلمة . واما القسم الرابع فهو كتاب حافل بالفقه الصرفي واللغوي في ابنية الأفعال وأبنية الأسماء ومعاني كلٍّ ، والمؤلف يسوق فيه حشداً من الشواهد من القرآن الكريم والشعر ، ويتوسع في الإشارة إلى آراء العلماء : مثل سيبويه والأخفش والكسائي وأبي عبيدة .

هــذه هي الخطوط الرئيسية لكتاب « أدب الكاتب » . وهو مؤلَّف رائد في موضوعه كما أشرنا ، وقد نسج على منواله كثيرون ممن جاؤا بعد « ابن قتيبة » ، وإن اختلفت زوايا معالجتهم للموضوع باختلاف ثقافاتهم ومحاور اهتماماتهم ، واختلاف طبيعة المعارف ووظيفــة الكتابة في أزمنتهم : منهم « الجهشياري » في كتابه « الوزراء والكتاب » ، وأبو بكر محمد بن يحيي الصولي في كتابه « أدب الكاتب » ، وأبو جعفر النحّاس صاحب « صناعــة الكتاب » ، وأبو هلال العسكري مؤلف « الصناعتين » ،

والثعالبي في « فقه اللغة » ، و « ابن الأثير » في « المثل السائر » . واوسع كتاب في التأليف العربي في هذا الباب « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » للقلقشندي المصري (١٤١٨/٨٢١) الذي نظر في مؤلفات السابقين ، ونقدها وقرر أنه لم يكن من بينها تصنيف جامع للمقاصد ، ولا تأليف كامل بالمصادر والموارد ، وبيَّن أن كاتب الانشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ، ولا يسعه الوقوف عند فنّ ، وأن لكل نوع من الكتابة مادة يحتاج اليها بمفردها ، وآلة تخصها لا يستغني عنها . وقد وضع كتابه في أربعة عشر مجلداً كبيراً ، وجعل منه موسوعـــة للمعارف التي يحتاج اليها الأديب وكاتب الانشاء . وليس من غرضنا في هذا البحث أن نناقش « ابن قتيبة » في آرائه ، ولا أن نتعقبه فيما يؤخذ عليه ، فقد تكفل بذلك البطليوسي (المتوفى سنة ٥٢١ هـ) في كتابه « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » (نشره عبد الله البستاني في بيروت سنة ١٩٠١) ففسر الخطبة تفسيراً مبسوطاً ، وذكر أصناف الكتبة ومراتبهم وجلّ ما يحتاجون اليه في صناعتهم ، ونبَّه على ما غلط فيه «ابن قتيبة» أو الناقلون عنه، وما منع منه وهو جائز ، وشرح الأبيات الواردة في كتابه ونسبها إلى قائليها . كما شرح الكتاب أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (٤٦٥ ـ ٥٤٠ هـ) في كتابه « شرح أدب الكاتب » ط . القاهرة ١٣٥٠ هـ ولكنا سنقصر بحثنا على ناحيتين تتصلان بالكتاب :

الأولى : مناقشة الصورة التي رسمها « ابن قتيبة » في كتابه للموقف الأدبي والعلمي في عصره ؛

والثانية : موقفنا في العصر الحـــديث من بعض الآراء والتصويبات اللغوية الوارد في الكتاب .

فأما الموقف الأدبي والعلمي في عصر «ابن قتيبة» فيبدو أنه رسم صورته وهو في حال شديدة من الضيق وعدم الرضى ، فقد رأى أهـــل زمانه ـ كما يقول ـ عن سبيل الأدب ناكبين ، ومن اسمه متطيرين ، ولأهله كارهين ، الناشيء منهم راغب عن التعليم ،والشادي

تارك للازدياد ، والعلماء مغمورون ، والعلم صار عاراً على صاحبه ، وأموال الملوك صارت وقفاً على شهوات النفوس » . وهو يتوسع في تصوير هذا الموقف فيقول :

« فأبعد غايات كاتبنا أن يكون حسن الخط ، قويم الحروف ؛ وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتاً في مدح قينة ، أو وصف كأس ؛ وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب ، وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق ، ثم يعترض على كتاب الله عز وجل بالطعن وهو لا يعرف معناه ، وعلى حديث رسول الله (ص) وهو لا يدري مَنْ نقله ، قد رضي عوضاً من الله تعالى وما عنده بأن يقال : فلان لطيف ، وفلانٌ دقيق النظر ، يذهب الى أن لطف النظر قد أخرجه عن جملة الناس ، وبلغ به عِلم ما جهلوه ، فهو يدعوهم الرَّعاع والغُثاء والغُثر ، وهو لعمرُ الله بهذه الصفات أولى ، وهي به أليق ... » (أدب الكاتب ط ليدن ١٩٠٠ ص ٢ — ٣) .

ويستمر «ابن قتيبة» فيذكر إعراض الناس عن علم الكتاب ، وأخبار الرسول ، وعلوم العرب ولغاتها وآدابها ، وانحرافهم الى المنطق والعلوم والفلسفة المترجمة ، وتحذلقهم بالكون والفساد والكيفية والكمية والجوهر والعرض . وهذه نغمة يتردد صداها في كتب «ابن قتيبة» الأخرى ـ ولا سيما في كتابه «تأويل مختلف الحديث» ، اذ يشكو ما دأب عليه اهل الكلام من ثلبهم اهل الحديث وامتهانهم ، وإسهابهم في الكتب بذمهم ، ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض . وقد تدبر هو مقالة اهل الكلام ، فوجدهم يقولون على الله ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون ، ويتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آراءهم في التأويل ، ويتحذلقون بما جد من الألفاظ مع العلوم المجلوبة : « كالطّفرة والتَّولد والعَرَض والجوهر والكيفية والكمية والأينية » غير عالمين أن معاني الكتاب والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا تدرك بمثل هذه الألفاظ . « ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج واتسع المخرج . ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة ، وحبّ الاتباع ، واعتقاد الإخوان بالمقالات ؛ والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضا . . . »

«وابن قتيبة» يتناول زعماء الفرق وأهل الكلام وآراءهم بالتجريح والتفنيد، ويخص «الجاحظ» ـ زعيم المعتزلة في عصره بنصيب كبير من هـذا التجريح، وهو ـ في كتابه أدب الكاتب ـ يعير كثيراً من كتاب زمانه بأنهم ـ كسائر أهل ذلك الزمان ـ قد استطابوا الدَّعة، واستوطأوا مركب العجز، واعفوا أنفسهم من كدّ النظر وقلوبهم من تعب الفكر، حين نالوا الدرك بغير سبب:

هذه صورة قاتمة للموقف الأدبي والعلمي في عصر يعد عصر ازدهار في الثقافة العربية والإسلامية وهناك على الأقل ثلاثة عناصر يمكن أن تكون مسؤولة عن عن هذه الصيحة الغاضبة من ابن قتيبة: الاولى كثرة إقبال الناس اذ ذاك على الثقافات المترجمة من اليونانية والفارسية والهندية. وقد كان هذا أمراً طبيعياً، فالثقافات المترجمة كانت من نوع جديد على العقلية العربية، فهي تريد أن تلتهم منها أكبر قدر ممكن، وكان الخلفاء العباسيون يشجعون هذا الاقبال ويعتزون به، ويحرصون على اقتناء ذخائر التراث القديم وترجمتها. وكان طبيعياً كذلك أن يثير هذا الإقبال غيرة علماء الثقافة العربية الاسلامية الذين كانوا حريصين على المقومات الرئيسية للمجتمع الإسلامي، تلك المقومات التي تستمد من الدين واللغة وعلومهما. و «ابن قتيبة ـ رغم اتصاله بالثقافة الفارسية ـ زعيم من زعماء الاسلام والعروبة، حريص على ان تأخذ الثقافة الاسلامية العربية المكان الأول من الاهتمام والإقبال، وعلى ألا تطغى الفلسفة والمنطق والفلك ـ ولم يكن ابن قتيبة على ما يبدو معنياً بها فتشغل الناس عن ثقافتهم، وربما تزعزع ثقتهم بمقوماتهم. وهو موقف لا يختلف كثيراً عن موقف محافظينا في الثلث الأول من القرن الحاضر حين كانوا يتندرون بالثقافات الأجنبية الحديثة ومروجيها. وما صنعه «ابن قتيبة» في تعيير بعض كتاب عصره بالانصراف الى الدعة وعدم النشاط الفكري شبيه بما صنعه بعض نقادنا المحدثين حين رموا شعراء العصر بالكسل العقلي وعدم العناية بتثقيف أنفسهم.

والعنصر الثاني في غضبة «ابن قتيبة» ما حدث من انصراف بعض شعراء عصره الى

حياة الخلاعة والمجون وإنفاقهم شطراً من مواهبهم الفنية في وصف مظاهر هذه الحياة من شراب وقيان وغلمان ، واجتراء بعضهم على ألوان من التعبير لا تتفق ووقار الحياة الدينية ومقدساتها واندفاع بعضهم مع الحرية الفكرية التي لا تعرف حدوداً ، وولوع بعض الشعراء بإقحام التصورات الفلسفية والمنطقية في الشعر ؛ والشعر بطبيعته فيض العاطفة ووليد الخيال .

والعنصر الثالث أن كثيراً من الكتاب الذين كانوا يعملون إذ ذاك في دواوين الدولة العباسية كانوا من الموالي أو العرب الذين لم يستكملوا ثقافتهم العربية ، وأن المرحلة ذاتها كانت مرحلة مَدّ في النفوذ غير العربي في الدولة ، وأن الكتاب ـ بحكم مكانتهم في بلاط الخلفاء ، وتحكمهم في أقدار الناس وأرزاقهم ـ كانوا يثيرون على أنفسهم سخط كثير من العلماء والمثقفين وعداوتهم .

وهذا المعنى الأخير يبرز في شكل أوضح في الرسالة التي كتبها معاصره الجاحظ في « ذم أخلاق الكتاب » رغم رضاه عن طريقتهم في البلاغة ، فقد استعمل ـ كعادته مقدرته التعبيرية الساخرة في بيان رداءة مذاهب الكتاب وأفعالهم ، وتطاولهم على العلماء وطعنهم على القرآن ، وتحكيمهم المعقول في المنقول وافتتانهم بالمنطق وكتبه .

و « ابن قتيبة » يستشهد لجهالة بعض كتاب زمانه بشاهدين : أحدهما عن كاتب تختلف الروايةفي شخصه ، والمشهور ـ كما يقول البطليوسي ـ أنه « أحمد بن عمار بن شاذي وزير المعتصم » ، وكان لا يحسن شيئاً من الأدب ؛ وتحكى الرواية أن « المعتصم » نفسه كان قليل البضاعة من الأدب ، وأنه ورد عليه كتاب عامل الجبل وفيه « أنهم مطروا مطراً كثر عنه الكلأ » ، فقال لابن عمار : ما الكلأ ؟ فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال : لا أدري . فقال « المعتصم » : انا لله وانا اليه راجعون ، خليفة أمي وكاتب عاميّ ثم قال : أدخلوا عليّ من يقرب منا من الكتاب ، فأدخل عليه « محمد بن عبدالملك الزيات »ـ وكان يتولى قهرمة الدار ، وله حظ وافر من الأدب والنظم والنثر ، فسأله : ما الكلأ ؟

فقال : النبات رطبه ويابسه ، والرطب منه خاصة يقال له خلاً ، واليابس يقال له حشيش . ثم اندفع يصف له النبات من حين ابتدائه الى حين اكتهاله الى حين هيجه . فاستحسن المعتصم ما رأى منه وقال : ليتقلدْ هذا الفتى العرضَ عَلَيَّ ، فكان ذلك سبب ترقيه الى الوزارة . والرواية مع تأييدها لبعض ما يشكو منه « ابن قتيبة » تتضمن الجانب الآخر المشوق من الصورة ، وهو وجود مثقفين من الطراز الأول في بلاط الخلفاء ، وحرص الخلفاء - حتى قليلي الثقافة منهم - على اصطناعهم وإفساح المجال لهم في الكتابة والوزارة.

وقد اعتمد بعض مؤرخي الثقافة العربية من المحدثين على كلام « ابن قتيبة » في تصويره القاتم لبعض جوانب الحياة الأدبية واللغوية في العصر العباسي . فجرجي زيدان - مثلا في تاريخه للآداب العربية (ص ١٧٩ ج٢ ط المعارف) يقول :

« ظهر أثر الانقلاب الأدبي في ألفاظ اللغة العربية ، فتنوعت معاني بعضها حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم ، وشق ذلك على أدباء اللغة فوضعوا المقالات أو الكتب في انتقاد ذلك وإصلاحه ، ولكنه قلما أفاد ، لأن ذلك التنوع حدث بطبيعة العمران ، وممن انتقده ابن قتيبة في « أدب الكاتب » ...

ويقول في موضع آخر (ص ١٨١ ج ٢) :

« ظهرت في هذا العصر شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعر وانقضاء العصر الذي كان الشعر فيه فيه يثير النفوس ويستنهض الهمم - بذهاب الخلفاء والأمراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون أصحابه بالسخاء . وقد عبر ابن الرومي (المتوفى سنة ٢٨٣ هـ) عن ذلك بقوله :

ذهب الذين تهزّهم مُدّاحهم   هزَّ الكماةِ عواليَ المُرّان

كانوا اذا مُدِحوا رأوا ما فيهمو   فالأريحيةُ منهمو بمكان

ويقول في موضع ثالث (ص٢٠٦ ج ٢) مصوراً الكساد الذي أصاب صناعة الأدب:

« وأصاب الأدب في هذا العصر كساد - كما أصاب الشعر - للأسباب التي قدمناها من

فساد الدولة واشتغال الملوك والأمراء عن التنشيط ، وانصراف الناس الى الفلسفة والطبيعيات والمنطق من العلوم الحادثة عندهم ، وشيوع الشعوبية ، والطعن على العرب وكفاءتهم وعلومهم ، فأصبح الأدباء يشكون كساد بضاعة الأدب ، وفساد عقيدة الناس بالفلسفة ، وتقاعد الأدباء عن اتقان صناعة الانشاء ... »

ثم يورد كلام ابن قتيبة الذي أوردناه سابقاً « رأيت كثيراً من كتاب زماننا ... الخ »

هذه الصورة التي رسمها ابن قتيبة وتابعه فيها « جرجي زيدان » في العصر الحديث - لموقف الدولة في العصر العباسي من الأدباء والعلماء تبدو محل نظر : فنحن اذا رجعنا الى تراجم الكثيرين من أولئكم الأدباء والعلماء وجدنا أنهم حظوا بالتقدير والتشجيع من الخلفاء والوزراء وولاة الأقاليم ، وأن علماء اللغة والأدب خاصة كانت سوقهم رائجة في بلاط الخلفاء وفي تثقيف أولياء العهد : فالمعروف أن « أبا تمام » - مثلا - (٢٣٢ هـ) مدح المعتصم وسجل فتح عمورية ، ومدح آل طاهر في خرسان ، وغيرهم ؛ وأن البحتري (٢٨٤ هـ) خرج من الشام الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم « المتوكل على الله » وخلقاً كثيراً من الأكابر والرؤساء ، وأقام في بغداد دهراً طويلا ؛ وأن « ابن المعتز » تثقف على « المبرد » و « ثعلب » وغيرهما ؛ وأن « المتوكل » - وكان عازماً على اختيار من يؤدب ولده - لما بلغه أمر « الجاحظ » استقدمه اليه « سر من رأى ولكنه لما رآه استبشع منظره فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه ؛ وأن ابن أبي الدنيا (٢٨١ هـ) كان يؤدب « المكتفي بالله » ؛ وأن أبا عثمان المازني (٢٤٩ هـ) عاصر « الواثق بالله » « والمتوكل على الله » وجالسهما ونال جوائزهما ، ومن جملتها جائزة على اعراب :

أظلومُ إن مصابَكم رجلاً   أهدى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

وان « أبا اسحاق الزجاج » (٣١١ هـ) صار مؤدباً « للقاسم بن عبيد الله بن سليمان » ، فكان ذلك سبب غناه ؛ وان « ابن دريد » (٢٢٣ — ٣٢١ هـ) رحل إلى نواحي فارس وصحب « ابني ميكال » وهما يومئذ على عمالتها ، والف لهما كتاب الجمهرة ، وكانت تصدر

كتب « فارس » عن رأيه ، ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه ، ثم انتقل إلى بغداد بعد عزل « ابني ميكال » عن فارس فأجرى عليه الخليفة « المقتدر » خمسين ديناراً في الشهر الى وفاته؛ وأن « المتوكل » بعث في طلب « الزبير بن بكار » لتأديب ولده ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت وعشرة بغال يُحْمل عليها رحلة إلى « سرّ من رأى » وأن «البلاذري» المؤرخ (٢٧٩ هـ) صاحب « فتوح البلدان » تقرب من « المتوكل والمستعين والمعتز » وعهد اليه هذا بتثقيف ابنه « عبد الله » . وما لنا نذهب بعيداً فابن قتيبة نفسه قد عمل كتابه « أدب الكاتب » « لعبيد الله بن يحيى بن خاقان » وزير المتوكل وتوسل به اليه فأحسن « عبيد الله » صلته واصطنعه ، وعني به عند المتوكل حتى صرفه في بعض أعماله .

ثم إن العصر الذي عاش فيه « ابن قتيبة » كان حافلاً ـ إلى جوار من ذكرنا بكثير من الأدباء وعلماء اللغة : من أمثال « أبي سعيد السكري » (٢٧٥ هـ) الذي جمع أهم ما بين أيدينا من أشعار الجاهليين وصدر الاسلام من القبائل والأفراد إلى أيامه ؛ و « قدامة ابن جعفر هـ » (٣٣٧ هـ) صاحب كتابي « نقد الشعر ونقد النثر » ، وابن الانباري (٣٢٨ هـ) صاحب كتاب « الأضداد » وشارح « المفضليات » ، وأبي جعفر النحاس (٣٢٨ هـ) شارح المعلقات ، وأبي عمرو الهروي (٢٥٥ هـ) وأبي حاتم السجستاني (٢٥٥ هـ) اللغويين ، وأبي العباس المبرد (٢٨٥ هـ) صاحب « الكامل والمقتضب » . كما عاش فيه جماعة من كبار المؤرخين والجغرافيين ، كابن عبد الحكم (٢٥٧ هـ) صاحب « فتوح مصر والأندلس والمغرب » ، ومحمد بن حبيب (٢٤٥ هـ) مؤلف كتاب « القبائل والأيام » الكبير وقد ألفه للفتح بن خاقان ، و « ابن جرير الطبري » (٣١٠ هـ) والهمذاني (٣٣٤ هـ) مؤلف « الإكليل في وصف اليمن » وكتاب « صفة جزيرة العرب»؛ وعاش فيه من علماء الحديث البخاري (٢٦٥ هـ) ومسلم (٢٦١ هـ) وسائر أصحاب الكتب الستة .

لقد أطلنا قليلاً في ذكر أولئكم الأعلام لنبرز الوجه الآخر من صورة القرن الثالث

الهجري ولنبرز ما نرجحه من أن « ابن قتيبة » اندفع مع حماسه للعلوم العربية الأساسية، وغضبه مما جلبته الحضارة الجديدة معها من مجون وشك، ومن إقبال على الفلسفة والعلوم المستحدثة، ونقمته على موقف أهل الرأي والقياس تجاه علماء الحديث، فجاء ميزان صورته التي رسمها لعصره مائلاً إلى جانب واحد. وإذن فمن حقنا أن نتوقف في قبول الصورة التي خلفها لنا ابن قتيبة لعلوم اللغة والأدب والشرع وعلمائها وموقف المجتمع منها ومنهم في القرن الثالث الهجري.

ننتقل الآن إلى الشق الثاني من البحث، وهو موقفنا نحن المحدثين من كثير مما أورده ابن قتيبة من الآراء والتوجيهات في كتابه — وهو من أمهات كتب اللغة والأدب كما أشرنا — إلى أي حد يمكننا أن نعتمد على ما رسمه من الصحيح والخطأ في أمر الاستعمالات اللغوية؟ وما واجبنا إزاءه وإزاء مثله من الكتب التوجيهية التي ألفت في مرحلتي التقنين والازدهار اللغوى؟ وما الضوء الذى يلقيه كتابه على بعض الظواهر اللغوية الحاضرة؟ لقد كان « ابن قتيبة » من ذوى الإحاطة والاتساع في الثقافة العربية في عصره، وهو يجيء على رأس المدرسة البغدادية التي آل اليها إرث مدرستي البصرة والكوفة في اللغة وعلومها وقد رأيناه في مواضع من كتابه « أدب الكاتب » يقرر آراء العلماء ومناهج الكتاب قدمائهم ومحدثيهم، ثم يختار لنفسه رأياً يميل اليه ويرجحه؛ وكتابه حافل بشتى ضروب المعارف اللغوية من ألفاظ يحدد معانيها، ودلالات متقاربة يفرق بينها، وتعابير يرجعها إلى أصولها، وأخطاء في الاستعمال ينبه اليها، وقواعد في الرسم يوضح أسرارها. ولا شك أن مادة الكتاب قد وجدت طريقها الى مختلف المعاجم، وكتب الفروق اللغوية، وكتب الصرف والاشتقاق ورسم الحروف. والمطالع لموسوعة « القلقشندي » فى « صناعة الانشاء » يجد المؤلف المصري يشير إلى العالم البغدادى وينقل عنه في غير موضع؛ وجرجي زيدان يقرر أننا في حاجة حتى اليوم إلى مراعاة ما نبه اليه ابن قتيبة في كتابه، « وأحمد أمين » يتخذ من ابن قتيبة أحد نماذج ثلاثة للعلماء الذين يمثلون امتزاج الثقافات

المختلفة في العصر العباسي ؛ ومصطفى صادق الرافعي — في مقدمته لشرح أدب الكاتب للجواليقي (ص ١) يقول عن « أدب الكاتب » وأشباهه من الكتب القديمة :

« الحقيقة التي يعينها الوضع الصحيح أن تلك المؤلفات انما وضعت لتكون أدباً لا من معنى أدب الفكر وفنه وجماله وفلسفته ، بل من معنى أدب النفس وتثقيفها وتربيتها وإقامتها ، فهي كتب تربية لغوية قائمة على أصول محكمة في هذا الباب ، حتى ما يقرأها الأعجمي إلا خرج منها عربياً أو في هوى العربية والميل اليها . ومن أجل ذلك بنيت على أوضاع تجعل القارىء المتبصر كأنما يصاحب من الكتاب أعرابياً فصيحاً يسأله فيجيبه ويسترشد به فيرشده ويخرجه الكتاب تصفحاً وقراءة كما تخرجه البادية سماعاً وتلقيناً » .

غير أن ابن قتيبة لم يسلم من النقد — بل التجريح أحياناً — من بعض الباحثين : فأبو الطيب اللغوى (المتوفى سنة ٣٥١ هـ) يقول عنه :

« وكان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى أخذ عن أبي حاتم والرياشي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وقد أخذ ابن دريد عن هؤلاء كلهم وعن الأشنانداني ، إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات ، وكان يتسرع في أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه فى النحو ، وكتابه في تعبير الرؤيا ، وكتابه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وعيون الاخبار والمعارف ، والشعراء ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء ، وان كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له ... » .

(أبو الطيب اللغوى الحلبي « مراتب النحويين ص٨٤/٨٥ تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم مكتبة نهضة مصر (١٣٧٥/١٩٥٥) .

وأحمد أمين — رغم إشادته بسعة علم ابن قتيبة يقول عنه :

« وابن قتيبة واسع الاطلاع في غير شخصية قوية — كما يظهر لي — يعرف كثيراً ويجمع كثيراً ، ويؤلف كثيراً ، وقد يكون فى ذلك قريباً من الجاحظ ... ولكنه يفهم من التأليف أنه يجمع ، ويجمع عن سعة اطلاع ، ويختار ما يجمع من غير أن يظهر نفسه فيما يجمع ، فاذا حاول أن يبدى شخصيته اضطرب ... » .

(ضحى الاسلام ج ١ ط ٣ — ١٩٣٨ ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦) .

ولكن أوفى صورة من النقد لابن قتيبة وتعقبه فيما أورده في أدب الكاتب قد خلفها لنا البطليوسي (المتوفى سنة ٥٢١ هـ) ونورد فيما يلي نماذج من نقده ، نضيف اليها في بعض المواضع ملحوظات على بعض توجيهات ابن قتيبة في الضبط اللغوي .

يذكر ابن قتيبة أن « الركب : أصحاب الإبل وهم العشرة ونحو ذلك » ويستدرك عليه البطليوسي فيقول :

« هذا الذي قاله ابن قتيبة قد قاله غير واحد من اللغويين ، ولو قالوا : ان هذا هو الأكثر في الاستعمال لكان لقولهم وجه . وأما القطع على أنه لايقال راكب وركب إلا لأصحاب الإبل خاصة فغير صحيح ، لأنه لاخلاف بين اللغويين في أنه يقال : ركبت الفرس وركبت البغل . وقد قال الله تعالى (والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها) فأوقع الركوب على الجميع . وقول ابن قتيبة أيضاً : إن الركب عشرة ونحو ذلك غلط آخر لأن الله تعالى قال :

(والركب أسفلَ منكم (يعني مشركي قريش يوم بدر ، وكانوا تسعمائة وبضعةً وخمسين؛ والذي قاله يعقوب في الركب هو العشرة فما فوقها ، وهذا صحيح ، وأظن ابن قتيبة أراد ذلك فغلط في النقل ... » (الاقتضاب ص ١٥١ — ١٥٢) .

وفي باب اللفظتين يكثر فيهما ، احتمال الخطأ لتقاربهما في اللفظ أو المعنى يذكر ابن قتيبة كلمتي سَداد (بفتح السين) وسِداد (بكسرها) ، فالأولى : السَّداد في المنطق والفعل أي الإصابة ، والثانية السِّداد : كل شيء سددتَ به شيئاً : مثل سِداد القارورة وسِداد الثغر ، ويقال : أصبت سداداً من عيش أي ما تسدّ به الخلة ، وهذا سِداد من عوز ... ولكن البطليوسي يعد هذا مما لم يلتزم ابن قتيبة الدقة والوضوح في تقريره ، فقد قال في باب ما جاء فيه لغتان استعمل الناس أضعفهما : ويقولون سَداد والأجود سِداد » ، وقال في باب أبنية الأسماء سَداد من عوز وسِداد (بالفتح والكسر) فسوى بين اللغتين .

وفي باب ما تختلف فيه المصادر من الصدر الواحد يذكر ابن قتيبة : رأيت في النوم

رؤيا ، ورأى في الفقه رأياً ، ورأيت الرجل رؤية . فيستدرك عليه البطليوسي: بأن هذا هو المشهور، ولكن قيل في رؤية العين «رأي» كما قيل في الفقه، «ورؤيا» كما قيل في النوم، ويستشهد للأول بالآية (يرونهم مِثْلَيْهم رأيَ العين) ، وللثاني بقول المتنبي: ورؤياك أحلى في العيون من الغمض . ويبرر البطليوسي الاستشهاد بالمتنبي — وهو من المحدثين — بأن كثيراً من كبار النحاة كانوا معاصرين له ولم ينكروا عليه هذا القول .

وينكر ابن قتيبة و«عزت» (بالتخفيف) ذاكراً أن « الأصمعي »لم يعرفها ، والصحيح عنده وعَزَّتُ اليه في كذا (بالتشديد) وأوعزت. ولكن البطليوسي يعلق على هذا قائلاً :

« إن كان الأصمعي لم يعرف «وعزت» (خفيفة) فقد عرفها غيره ، فلا وجه لادخالها في لحن العامة من أجل أن الأصمعي لم يعرفها . وقد أجاز «ابن قتيبة» في باب فعلت وأفعلت باتفاق المعنى وعزت وأوعزت فان كان قول الأصمعي عنده هو الصحيح فلمَ أجاز قول غيره في هذا الموضع الآخر ؟ (الاقتضاب ١٩٦) .

وينكر ابن قتيبة تشديدَ الياء في الشجيّ في مثل قولهم « ويل الشَّجِي من الخليّ » ، ويظهر أنه لم يكن وحده في هذا ولكن البطليوسي في تعليقه يعجب لما ذهب اليه اكثر اللغويين من انكار التشديد في هذا اللفظ ، إذ لاخلاف بينهم في أنه يقال شجوت الرجل أشجوه إذا أحزنته، وشجِيَ (على وزن فرح)يشجى إذا حزن، فاذا قيل « شجٍ »بالتخفيف كان اسم فاعل من«شجى يشجى فهو شج »، وإذا قيل شجيّ بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته أشجوه فهو مشجوّ وشجيّ. ويورد البطليوسى خبر مناقشة قديمة في هذا فيقول:

« وقد روي أن ابن قتيبة قال لأبي تمام الطائي : يا أبا تمام أخطأت في قولك :

ألا ويل الشجيّ من الخليّ وبالي الربع من إحدى بَلِيّ

فقال[1] له أبو تمام : ولمَ قلتَ ذاك ؟ قال : لأن يعقوب قال: شجٍ بالتخفيف ولا

---

(١) إذا صح أن لقاءاً ونقاشاً حدثا بين ابن قتيبة وأبي تمام فلا بد أن كان ذلك و«ابن قتيبة» فتى لم يتم العقد الثاني من عمره فقد ولد سنة ٢١٣ هـ . وكانت وفاة أبي تمام سنة ٢٣٢ هـ .

أما يعقوب فقد توفى سنة ٢٤٣ هـ . (٢٤٤ ، ٢٤٦) (بروكلمان — الترجمة العربية — ج ٢ =

يشدد . فقال له أبو تمام : من أفصح عندك ، ابن الجرمقانية يعقوب أم أبو الأسود الدؤلي حيث يقول :

ويل الشجيّ من الخليّ فانه　　نَصب الفؤادِ لشجوه مغموم

ويعلق البطليوسي على هذا فيقول :

« والذي قاله أبو تمام صحيح ، وقد طابق فيه السماع القياس ، وقد قال أبو دواد الإيادي ، وناهيك به حجة .

من لعين بدمعها مَوْليَّة　　ولنفس مما عناها شجيّة

(الاقتضاب ١٩٧ — ١٩٨) .

ويأخذ البطليوسي على « ابن قتيبة » اضطرابه في بعض أبواب كتابه ويقول :

« ومثل هذا الاضطراب والتخليط يحيّر بال القارئ لكتابه ، وكان ينبغي أن يجعل ذلك في باب واحد ، ولا ينكر الشيء تارة ثم يجيزه تارة أخرى » (الاقتضاب ٢٠٥) . كما يأخذ عليه متابعة الأصمعي في تخطئته الاستعمالات الجائزة أو الواردة على قلّة ؛ وفي الأصمعي يقول البطليوسي « وكان الأصمعي « عفا الله عنه » يتسرع إلى تخطئة الناس وينكر أشياء كلُّها صحيح » (الاقتضاب ١٤١) .

ويأخذ عليه كذلك نقله من كتاب يعقوب بن السكّيت ومتابعته إياه في أخطائه . يقول البطليوسي في التعليق على ما أورده « ابن قتيبة » فى باب نيابة بعض الصفات (الحروف) مناب بعض :

= ص ٢٠٥) والجرمقاني : واحد الجرامقة ، قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الاسلام (قاموس) وبيت أبي تمام مطلع إحدى قصائده في مدح الحسن بن وهب . وشارح الديوان (الخطيب التبريزي) يعلق على هذا البيت بقوله : « فان قيل لم شدد الياء من الشجي ، والمثل المضروب انما هو (ويل للشجي من الخلي) مخففاً ، قلت : يجوز أن يكون شدد لأنه جعله (فعيلا) في معنى (مفعول) يقال شجاه كذا يشجوه شجواً فهو مشجو وشجى ، ويجوز أن يكون جعله (فعيلا) بمعنى (فاعل) كأنه قال شجى فهو شج وشجى ، كما يقال حزن فهو حزن وحزين ، ويحتاج في هذا الى سماع يؤيده .. » (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبرزي . تحقيق م . عبده عزام المجلد الثالث ص ١٧٥) .

«وجميع ما أورده «ابن قتيبة» في هذا الباب إنما نقله من كتاب «يعقوب بن السكيت» في المعاني، وفيه أشياء غاط فيها يعقوب فاتبعه «ابن قتيبة» على غلطه، وأشياء يصح أن تتأول على غير ما قاله ... » (الاقتضاب ٢٤٣).

والذي يبدو لنا بعد دراسة الكتاب وما استدرك عليه أن «ابن قتيبة» - كما لحظ البطليوسي - لم يعن العناية الكافية بأن ينسق بين مادته في أبواب كتابه : فاللفظ يعد لحناً في أحد أبواب الكتاب، ويذكر استعمالاً مرجوحاً في باب ثان، ثم يذكر في باب ثالث ضمن ما ورد فيه لغتان. ولعله في معظم ما تشدد فيه كان يحرص على الفصيح، ويحذر مما عداه من الاستعمالات المرجوحة، أو التي كان يعدها متزمتة اللغويين - في أيامه - من لحن العامة.

وأمر آخر لحظناه : ذلك ان «ابن قتيبة» يجري أحياناً على رأي القلة في اللغة أو النحو، ثم لا يكلف نفسه عناء التنبيه إلى الآراء الأخرى، حتى تكتمل الصورة أمام القارئ أو الباحث. ولهذه الظاهرة خطرها، فالكتاب من أمهات كتب الأدب واللغة، وإذا اعتمد القارئ الحديث على ما فيه من التصحيح والتخطئة في الاستعمال اللغوي دون ملاحظة ما استدرك على « ابن قتيبة »، ودون رجوع الى المعاجم المطولة أو الحديثة، فربما ضيّق واسعاً ومنع جائزاً.

ومن الواضح أن الموقف اللغوي في أيام «ابن قتيبة»، وفي أواخر مرحلة التقنين اللغوى، لم يكن محدّداً ولا قاطعاً : فالخلاف بين العلماء كان قائماً في كثير من المسائل. والمذاهب لم تكن موحدة في أمر ما ورد عن العرب على سبيل الكثرة أو القلة، ولم يكن العلماء على اتفاق في شأن السماع والقياس، والخلاف بين البصريين والكوفيين في هذا معروف. ولعل تأرجح موقف «ابن قتيبة» أحياناً في كتابه راجع إلى أن مدرسة بغداد التي يجيء هو على رأسها ورثت المدرستين، على ما كان بينهما في الفلسفة اللغوية والنحوية من تعارض واختلاف.

ومن الظواهر التي تستلفت النظر في تاريخ التطور اللغوى أن كثيراً مما كان يعدّه ابن

قتيبة مرجوحاً ، أو من لحن العامة قد ثبت على الزمن ، وعاش إلى اليوم في بعض البيئات العربية ، بل ربما ثبتت له الغلبـة على ما كان يعد أفصح أو أصح في الصدر الأول ، وتلك ظاهرة تستحق أن تدرس وأن تبحث عللهـا وأسرارها ، فلعل كثيراً منها كان من لغات القبائل ، ولعل أبا عمرو بن العلاء كان يشير إلى شيء من هذا حين سأله رجل : « أخبرني عما وضعت مما سميته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف تصنع بما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال : أحمل على الكثير وأسمي ما خالفتني لغات » (أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ط ١ ص ٢٥٩) .

وقد يكون من الطريف والمفيد أن نتبين ما آل اليه الموقف في بعض ما نبه اليـه « ابن قتيبة » في كتابه معتمدين في هذه المراجعة على « المعجم الوسيط » .

يقرر « ابن قتيبة » في كتابه أن الناس في عصره يستعملون « الطرب » في الفرح دون الجزع على أنه في الاسـتعمال العربى القـديم « خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع » .

وصاحب القاموس يؤيد «ابن قتيبة» في هذا فيقول : « الطرب محركة : الفرح والحزن ضدّ ، أو خفة تلحقك تسرك أو تحزنك ، وتخصيصه بالفرح وهم » . ويبدو أن الاستعمال القديم للطرب في الفرح والحزن يقرب مما يذهب اليه بعض المحدثين من علماء النفس ـ مثل وليم ماكدوجال ـ في تعريف الانفعال emotion بأنه خفة أو هزة مقرونة بأعراض جثمانية تصاحب إثارة الغريزة ، وهى أعم من أن تكون خفة لذة أو ألم .

ومن الملاحظ أن ما جرى عليه الناس فى عصر « ابن قتيبة » من تغليب استعمال لفظ « الطرب » على ما يتصل بالفرح اسـتمر حتى اليوم فى بعض البيئات العربية — كالمصرية مثلاً — « المعجم الوسيط » فقال : « وأغلب ما يستعمل اليوم فى الارتياح مما يحرك فى النفس الطرب » .

ويستعمل معظم الناس في أيامنا كلمة سَـداد (بفتح السين) في سداد الدين وسَداد

الحقوق ؛ وابنُ قتيبة في مثل هذا يلتزم كسر السين ، أو يَعُدُّ الفتحَ مما استعمل معاصروه فيه أضعفَ اللغتين .

ويُفَرِّق ابنُ قتيبة بين الرباعي أمدَّ والثلاثي مَدَّ : تقول أمددته بالمال والرجال ، ومددت دواتي بالمداد ، وعلى هذا يُفَسِّر قولَ الله عز وجل (والبحرُ يَمُدُّه من بعده سبعة أبحر) فيراه من المداد لا من الإمداد . ولكن « المعجم الوسيط » يُرادِف بين اللفظين فيقول : « ومَدَّ الشيء زادَ فيه ، يقال مدَّ النهيرُ النَّهر ، وفي التنزيل العزيز (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) ، ومدَّ الجيش : اعانه بمدد يُقَوِّيه ومدَّ القومُ الجيشَ : كانوا مددا له ، ومدَّ الدواة زاد مدادها، ومدَّ القلم غمسهُ في الدواة ، وأمد النهر مدّه ، وأَمدَّ الدواة زاد في نِقسها ، وأمدَّ فلاناً أعانه وأغاثه » .

وهناك أفعال مهموزة ، والعوام — في عصر ابن قتيبة — يدعون همزها : مثل توضأت ، وأبطأت ، وهنأتك بالمولود وناوأت الرجل إذا عاديته ، وتواطأنا على الأمر ، وقرأت الكتاب وملأت الإناء .. ويلاحظ أن ذلك مستمر في بيئاتنا العربية إلى اليوم . ومن هذا القبيل في الأسماء الإوزّ ، والعامة في عصر «ابن قتيبة» يسقطون الهمزة فيقولون وزّة ، وعامة عصرنا في بعض أقاليم صعيد مصر يقولون وِزة (بكسر الواو) والبطليوسي يستدرك على « ابن قتيبة » في أمر الاوزة فيقول : حكى « يونس ابن حبيب » في نوارده أن الإوز لغة أهل الحجاز ، وأن الوزّ لغة بني تميم (الاقتضاب ١٩٣) والمعجم الوسيط يقول : الوز : الإوزّ واحده وَزّة .

ويذكر « ابن قتيبة » في باب ما جاء خفيفا ـ والعوام تشدده ، الدُّخان والقُدوم ، وقَشَرت الشيء أَقْشِره (مخففة) . وهنا أيضاً نلاحظ أن التشديد في هذه لغة العامة في بعض جهات صعيد مصر والمعجم الوسيط يسجله عربياً صحيحاً [قشَّر الشيء : نزع عنه قشره] كما يسجل مطاوعه تقشَّرَ . ويورد ابن قتيبة كثيراً من تحريفات العامة باسكان المتحرك أو تحريك الساكن أو ضم المفتوح أو كسر المضموم أو المفتوح ... الخ واذا

راجعنا هذا الذي يعده تحريفاً وجدنا الكثير منه قد أخذ مكانه بين صحيح اللغة عند بعض الشراح أو في المعاجم اللغوية : ومن هذا الوادى كلمة الصِّبِر (بكسر الباء) بمعنى المرّ « فابن قتيبة » ينكر على العامة تسكين الباء فيها ، والبطليوسي يقول : إن هذا الانكار ظريف ، لأن كل ما كان على فعل (مكسور العين أو مضمومها) فان التخفيف فيه جائز ، وقد ذكر ابن قتيبة ذلك في أبنية الأسماء ، واذا خففوا مثل هذا فربما أبقوا حركة الحرف على ما قبله ، وربما تركوه على حالته فيقولون في فَخِذ (بكسر الخاء) فَخْذ وفِخْذ (بفتح فسكون أو كسر فسكون) . ومما جاء مفتوحاً ـ والعامة في عصر « ابن قتيبة » تكسره : كَتّان ونَسر (للطائر والنجم) وكذلك يفعل بعض عامة مصر اليوم . ومما جاء مكسوراً والعامة تفتحه : المطرقة والمكنسة والمخدّة والمظلّة ، ومرفق اليد ، وضفة النهر ، والجنازة والبطيخ والمنديل . ويلاحظ أن الفتح في الكثير من هذا مستمر إلى اليوم في بعض جهات مصر . أما الضِّفة فقد أورد المعجم الوسيط فيها الوجهين الكسر والفتح ، وكذلك المرفق يورد المعجم الوسيط فيه المَرْفِق أيضاً (على وزن مسجد) . ومما جاء مضموماً والعامة تكسره : الفُلفل واللُّعبة (في مثل قولك اقعد حتى أفرغَ من هذه اللُّعبة) وبعض عامة عصرنا يكسرون فيها ، والمعجم الوسيط يورد الفُلفُل بالوجهين (الضم والكسر) .

وفى باب الأفعال التي يخطىء العامة فيحرّفون صيغها يذكر « ابن قتيبة » ما يلي .

« يقال : استخفيت من فلان ، ولا يقال اختفيت ، إنما الاختفاء الاستخراج ، ومنه قيل للنبّاش مختف ، ورجل منهوم ولا يقال نَهِم ؛ وتقول : لا يساوى هذا الشيء درهما ، ولا تقول لا يسوى ؛ ويقولون فلان مستأهل لكذا ، وهو خطأ ، إنما يقال فلان أهلٌ لكذا ، وأما المستأهل فهو الذي يأخذ الإهالة أي الشحم ؛ ويقولون : لم يكن ذلك في حسابي ، وليس للحساب وجه ، إنما الكلام : ما كان ذلك في حسباني . ومنهم من يجعل الحساب مصدر حَسَبْت ، وقد يجوز على هذا أن يقال : ما كان ذلك في حِسابي (أدب الكاتب ٤٣٠ — ٤٤٠) .

فاذا رجعنا إلى المعجم الوسيط ـ مثلا ـ وجدنا فيه (في مادة خفى) اختفى الشيء : استتر وتوارى ، واختفى الشيءَ : أظهره واستخرجه ، وتَخَفَّى : استتر وتوارى ، واستخفى : تخفّى . ووجدنا فيه (في مادة أهل) استأهل الشيء : استوجبه واستحقه ؛ وفي مادة (نهم) ، نَهِم في الشيء يَنْهَم نَهَما ونَهامة : أفرط الشهوة أو الرغبة فيه ، يقال : نهم في الطعام ونهم في العلم فهو نهم ونهيم ؛ ونهم (بضم النون) بالشيء : أولع به فهو منهوم .

وقد يكون من المناسب هنا أن نستطرد إلى ملحوظة أوحت بها الينا مراجعتنا بعض مواد «ابن قتيبة» في المعجم الوسيط. إن هذا المعجم بما دعا اليه من الأخذ بما استقر من الفاظ الحياة العامة ، وبما فتح من باب الوضع للمحدثين ، وبما أقرّ من الألفاظ المولّدة والمعرّبة الحديثة ، وبما أفاد من الثروة اللغوية الحافلة في مختلف معاجمنا الكبرى ، قد اتاح للغة العربية السُبُل المشروعة للحياة والحركة والنموّ ؛ ووضع بين أيدي المشتغلين بها ، المعنيين بدراستها قاموساً حديث المنهج والأسلوب . ولكن المتتبع لكثير من المواد فيه ـ كما فعلنا في مقابلتنا لآراء «ابن قتيبة» ـ يلحظ عدم عناية المعجم أحياناً بمراعاة المطابقة بين ما يورده في مادة وما يُقرّره في مادة أخرى متصلة بالأولى، وعدم تنبيهه على الفصيح والضعيف والراجح والمرجوح في الضبط اللغوي . فكلمة القافلة ـ مثلا ـ وهي في أصل معناها الرُّفْقَة الراجعة من السفر ، يلحن الناس في عصر ابن قتيبة فيستعملونها في رُفقة السفر ذاهبةً وآيبةً ، ويستمر هذا الاستعمال الى اليوم ، فيسجله المعجم الوسيط في قوله : (القافلة) الرفقة الكثيرة الراجعة من السفر أو المبتدئة به ... الخ ومع موافقتنا على أن التوسع الذي أدخله العامة في استعمال هذا اللفظ له ما يبرره من طرائق التوسع في اللغة العربية ، فقد كنا ننتظر من معجمنا الحديث أن يُنَبِّه على الأفصح فيه ، ثم يشير الى ما حدث من التوسّع في معناه .

ويقول «ابن قتيبة» في الآل والسراب: إنّ الناس لا يكادون يفرقون بينهما ، وانما الآل

أول النهار وآخره الذي يرفع كل شيء ، وسمى «الآ» لأن الشخص هو «الآل» فلما رفع الشخص قيل هذا آل : قد بدا وتبين... وأما السراب فهو الذي تراه نصف النهار كأنه ماء قال الله تعالى : (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) . أما معجمنا الوسيط فيذكر في الآل المعنيين ، فيقول : (الآل) : السراب أو هو خاص بما في أول النهار وآخره ، ويُذكَّر ويُؤنث. ولكنه في (السراب) لا يذكر إلا معنى واحداً هو الذي ذكره « ابن قتيبة » وكان من الحق أن يشير الى الترادف هنا أيضاً ما دام قد ذكره في الآل .

ويذكر «ابن قتيبة» من الجموع التي يَشْكل واحدها «سواسية »واحدُه « سواء» ولكنك تفتش عن سواسية في المعجم الوسيط فلا تجدها .

وفي باب الأفعال المهموزة ، والعوامّ تبدل الهمزة فيها ، يذكر ابن قتيبة : آكلت فلانا اذا أكلتَ معه ـ ولا تقل واكلته ، وآزيتُه : أي حاذيتَه ولا تقل وازيْته . « هذا كله العوام تجعل الهمزة فيه واواً . ولكن المعجم الوسيط يذكر في الفصل الثاني المادتين الموازاة والمؤزاة دون أن يشير الى الصلة أو التفرقة بينهما ، يقول : وازاه : قابله وواجهه، وتوازى الشيئان : وازى أحدهما الآخر . وآزاه مؤازاة وإزاء : حاذاه وجاراه ، ويقال فلان لا يؤازيه أحد . وينكر «ابن قتيبة » أن يقال: أعسرُ أيسر للذي يعمل بكلتا يديه ، وانما هو أعْسَرُ يَسَر . ولكن المعجم الوسيط يقول في مادة (عسر) « يقال هو أعسر يَسر : يعمل بكلتا يديه ، وهي عسراء يَسَرة » ؛ وفي مادة (يسر) « والأيسر الذي يعمل بيده اليسرى يقال : هو أعسر أيسر » . ومن الواضح أن المقام هنا يقتضي تنبيها .

ويقول ابن قتيبة : إن مما تصحفه العوام الزمرد يقولونه بالدال وانما هو بالذال ولكن المعجم الوسيط لايذكره إلا بالدال .

وينكر « ابن قتيبة » ضم الأول في خصوصية ولصوصية في قولك فعلت ذلك به خصوصية ، ولصّ بين اللصوصية) ؛ على حين ينقل البطليوسي عن ثعلب وغيره أن الفتح والضم فيهما جائزان الا أن الفتح أفصح . ولكن المعجم الوسيط لايورد إلا الضم فيقول :

الخصوصيّة حالة الخصوص وخصوصيّة الشيء : خاصته ، وتلصّص فلان : تكررت سرقته ، وتلصّص : تكلف اللصوصية (بالضم) .

وفي باب ما جاء مكسور العين في الماضي (فعِلت) والعامة تفتحه ، يذكر ابن قتيبة : بلِعت اللقمة ، ولثِمت فم المرأة ، وقد نهِكته الحمى ... والمعجم الوسيط يذكر بلع بالكسر ولكنه حين يفسر ابتلعه وتبلعه يقول بلعه (بفتح اللام) ويضبط لثم ونهك بالفتح فقط . وفيما جاء على فعَلت (بفتح العين) والعامة تكسره يذكر ابن قتيبة : حرَصت على الأمر ، ونقَهت من المرض أنقَه بفتح القاف ، فأما نقِهت بكسرها فمعناها فهِمت. ولكن لسان العرب يذكر في «حرص» كسر الراء أيضاً . والمعجم الوسيط « كابن قتيبة » يذكر الفتح فقط ، ولكنه يضبط « نقه » بالكسر في معنييها المشار اليها في كلام « ابن قتيبة» .

وهناك ما جاء ساكناً والعامة تحركه ، وما جاء محركاً والعامة تسكنه ؛ وابن قتيبة يذكر من الأول : « يجد في بطنه مغساً ومغصاً (بسكون الغين فيهما) وأصله الطّعن ، وشغْب الجند (ولا يقال شغَب بفتح الغين) ؛ ويذكر من الثاني : فلان حسن السحَنة (بفتح الحاء) واخذته الذُّبَحة (بضم الذال أوكسرها وفتح الباء) وسعَف النخل الواحدة سَعَفَة (بفتح العين) والسَعَف أيضاً داء كالجرب يأخذ في أفواه الابل بفتح العين ، وأما السعْفة في الرأي فساكنة العين . قال ذلك أبو زيد ولم يعرف الذُّبْحة بالضم واسكان الباء ».

فاذا ما رجعنا في هذه الى المعجم الوسيط وجدناه يذكر « المغص (بسكون الغين وفتحها) وهو وجع في الأمعاء والتواء فيها ، ومَغِصَ (بكسر الغين) مَغَصاً (بفتحها) أصابه مغْص (بسكونها) ويذكر السعْفَة (بسكون العين وفتحها) وهي مرض جلدي فطري ، ويذكر : شَغَبَ القومَ وعليهم وفيهم وبهم يشغب شغباً (بسكون الغين أو فتحها) ولكنه حين يجيء لكلمة الشغب (تهييج الشر) يضبطها ساكنة الغين فقط ؛ ويضبط السحنة (بكون الحاء وفتح السين وكسرها) وفي مادة «ذبح» يذكر الذبحة (بضم الذال

وسكون الباء) : الذُباح وهو التهاب الحلق، ويذكر الذبحة الصدرية (بفتح الذال وسكون الباء — مجمع) .

هذه الأمثلة وما يشبهها توحى الينا بالرغبة فى أن تتضمن معاجمنا التي تصدرها هيئاتنا اللغوية العليا مزيداً من الهداية والتوجيه — فى أمر الألفاظ والاساليب المختلف فى ضبطها أو صحتها — بالقدر الذي تسمح به طبيعة المعاجم اللغوية .

خلاصة

يخرج الدارس لكتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة بثروة كبيرة من المعارف اللغوية والصرفية والإملائية والأدبية . وفي الكتاب مواطن — أشرنا إلى بعضها — تتطلب المراجعة والتمحيص وقد أدرنا هذا البحث حول ناحيتين :

احداها الصورة التي رسمها ابن قتيبة للموقف الأدبى واللغوي والعلمي في عصره ؛ والثانية موقفنا ونحن في العصر الحديث من مادة هذا الكتاب التوجيهي القيم . وقد انتهينا من بحثنا للناحية الأولى إلى أنّ من حقنا أن نتوقف في قبول الصورة التى رسمها « ابن قتيبة » على علاتها : فلم يكن الموقف في أيامه موقف ركود في الحياة الأدبية واللغوية والعلمية كما أرادنا أن نتصوره ، ولم يكن العلماء والأدباء مغمورين منبوذين من المجتمع ، بل كان العصر عصر ازدهار ثقافي ، وكان علماء الشرع واللغة والأدب موضع الحفاوة والتشجيع عند الخلفاء ورجال الدولة . ولا يتعارض مع هذا ما كان من الإقبال على الثقافات المترجمة والعلوم المستحدثة في ذلك العصر ، بل على العكس أفادت الثقافة الاسلامية العربية من تلك الثقافات والعلوم ، وزادت بها غنى وخصباً . وإذا وضعت الأمثلة التى رويت عن جهالة بعض الكتاب إلى جانب ما أثر عن مشهوري كتاب ذلك العصر من أدب بليغ ورسائل خالدة ، كان الرجحان دون ريب لكفة البلاغة والأدب والثقافة الواسعة . أما الشق الثاني من البحث فقد كشف أن كثيراً من المعارف التى ضمها كتاب « أدب الكاتب » لا يزال — كما كان في الماضي — ذا قيمة كبيرة في التثقيف اللغوي للدارسين وللمشتغلين

بصناعة الكتابة في العصر الحديث . وإن كان بعضه — كالمعارف الخاصة بالخيل والإبل وأسنان الحيوان — لم تبق له إلا قيمة تاريخية . ولكن هناك في الكتاب آراء وتوجيهات تتصل بالضبط اللغوي : منها ما نقده الأقدمون ، ومنها ما وجدناه في حاجة إلى أن يعرض عرضاً حديثاً تستكمل فيه جوانبه وتقابل فيه الآراء المختلفة ، قبل أن يطمئن الدارس والكاتب الحديثان إلى الاهتداء به والاعتماد عليه . وقد ذكرنا في تأييد هذه النتيجة أمثلة مما غيرت المقابلة وجه الحكم فيه من منع إلى جواز ، ومن إنكار إلى إقرار .

ووجَّهنا النظر في سياق البحث إلى ظاهرة لغوية تستحق الدرس والمتابعة ، وهي أن ألواناً مما كان يعده بعض قدامى العلماء كابن قتيبة من تحريف العامة أو من لحنهم — قد استمر على ألسنة الناس في بعض البيئات العربية طوال العصور حتى أيامنا هذه ، ومن المحتمل أن تكشف دراسة هذه الألوان عن بعض أصالة أو مزايا لغوية فيها أتاحت لها هذا الاستمرار .

وشيء آخر توجِّه اليه هذه الدراسة التي قمنا بها لأدب الكاتب ، هو حاجتنا في العصر الحديث إلى مؤلف يجمع شتات الألفاظ والأساليب التي يثار الغبار أحياناً حول صحتها أو فصاحتها ، ويناقش ما ورد بشأنها في مختلف كتب التوجيه اللغوي والأدبي ، ثم يصل في كل منها إلى رأي يرجحه ، يكون فيه هداية للدارسين والكتاب المحدثين . وإذا كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد عرض لطائفة من هذه الألفاظ والأساليب بالدرس والنقاش ، وكان « معجمه الوسيط » قد ردّ لطائفة منها مكانتها وقدرها ، فلا يزال الميدان يتطلب مثل هذا المؤلف الذي أشرنا اليه ، والذي يسمح بما لا تسمح به القواميس من النقاش وإيراد الآراء والترجيح بينها . وقد تستلزم هذه الخطوة خطوة أخرى سابقة أو مصاحبة ، وهي إعادة طبع مثل هذه الكتب التوجيهية القيمة ، مع التعليق والنقد ، والتنبيه إلى ما يكون قد جدّ على الاستعمال في التطور اللغوي الحديث .

ومن الدراسات النافعة التي توحي بها دراسة « أدب الكاتب » تتبعُ سلسلة التأليف

في هذا الميدان التوجيهي في خلال العصور إلى اليوم ، وما تشير اليه كل حلقة من هـذه المؤلفـات من ضروب المعـارف التي كـان كل عصر يراها ضرورية لـكاتب والمنشيء ، ثم ما تتطلبه ثقافة الـكتاب والمنشئين في عصرنا الحاضر من ألوان المعارف المختلفة ، ففي ذلك ربط بين ماضينـــا وحاضرنا ، واستجابة لمنطق التطور في الحياة والفـكر واللغة والأدب .

مراجع البحث

١ — « أدب الكاتب » : تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ـ ليدن ١٩٠٠

٢ — « شرح أدب الكاتب » لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ـ القاهرة ١٣٥٠ هـ

٣ — «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » لابن السيد البطليوسي ـ بيروت ١٩٠١

٤ — « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة ـ القاهرة ١٣٢٦ هـ

٥ — « البيان والتبيين » : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ـ تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ج ١ ـ ط ٢ القاهرة ١٣٨١ / ١٩٦١

٦ — « رسائل الجاحظ » تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ج ٢ ـ القاهرة ١٣٨٥ / ١٩٦٥

٧ — « أدب الكتاب » : تأليف أبي بكر محمد بن يحيي الصولى . تصحيح وتعليق محمد بهجة الأثري ـ القاهرة ١٢٤١ هـ

٨ — « مراتب النحويين » : تصنيف أبي الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي ـ القاهرة ١٣٧٥ / ١٩٥٥

٩ — « صبح الأعشى في صناعة الانشا» : تأليف أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي

١٠ — « تاريخ الأدب العربي » : تأليف كارل بروكلمان ـ ترجمة عبدالحليم النجار ج ٢ ـ القاهرة ١٩٦١ .

١١ — « تاريخ آداب اللغة العربية » : تأليف جورجي زيدان طبعة الهلال مصر ج٢

١٢ — « ضحى الاسلام » : تأليف أحمد أمين ج ١ ط٣ القاهرة ١٩٣٨ و ج٢ ـ ط١ ـ القاهرة ١٩٣٥

١٣ — « المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١

٢ — ابن النفيس

للدكتور محمود الجليلي

عضو المجمع العلمي العراقي

هو علاء الدين أبو الحسن علي ابن أبي الحزم القرشي الشافعي المشهور بابن النفيس ، ولد سنة سبع وستمائة الهجرية المقابلة لسنة عشر ومائتين والف الميلادية ، ونشأ في دمشق ودرس الطب فيها على أحد أساطينه مهذب الدين ابن الدخوار ، ثم نبغ فيه وسافر إلى القاهرة وأصبح رئيس أطبائها إلى أن توفي سنة سبع وثمانين وستمائة الهجرية المقابلة لسنة ثماني وثمانين ومائتين وألف الميلادية عن ثمانين سنة . ولست أنوي ترجمة تاريخ حياته حيث أنها متوفرة في كثير من الكتب ، ولكني سأقتصر على ما أضافه إلى المعرفة في الطب وعلى ما صححه من آراء من سبقه من أعاظم المؤلفين .

كان ابن النفيس مطلعاً على جملة من العلوم كما كانت حالة العلماء آنذاك ، فقد كانت له مشاركة في الفلسفة والشريعة وألّف فيها . ولكنه انصرف إلى الطب واشتهر به ، وكان كثير الحفظ ، سريع التأليف ، يروى أن الأقلام كانت تبرى له حتى إذا حفي قلم رماه وأخذ غيره واستمر في الكتابة .

ولقد ذكر له المؤلفون الكتب التالية : —

١ — الكتاب الشامل في الطب — الف منه ثمانين جزءاً وكان ينوي أن يجعله من ثلاثمائة جزء .

٢ — المهذب في الكحل .

٣ — المختار من الأغذية ـ وكان يعتمد كثيراً على الحمية في العلاج مفضلاً ذلك على العقاقير .

٤ — تفسير العلل وأسباب الأمراض .

٥ — الموجز في الطب وهو مختصر قانون ابن سينا وسنعود إلى ذكره .

٦ — شرح قانون ابن سينا ـ وقد نقد فيه آراءه في التشريح في بعض المواطن .

٧ — شرح تشريح القانون ـ جمع فيه ما كان بينه في شرح القانون عند بحثه عن التشريح . وهذا أهم كتبه من الوجهة العلمية ، توجد منه نسخ مخطوطة في الموصل وكثير من عواصم البلاد العربية وخزائن الكتب في تركيا وايران وأوربا .

٨ — رسالة في منافع الأعضاء الانسانية ومواضعها وأوضاع بعضها من بعض ، وهي من أهم كتبه من الوجهة العلمية ، بحث فيها التشريح الفسيولوجي ، توجد نسخة منها في جامعة الاسكندرية تقع في خمس وخمسين صفحة في كل منها واحد وعشرون سطراً فيه ثماني كلمات ، تستحق هذه الرسالة النشر .

٩ — شرح فصول أبوقراط .

١٠ — شرح تقدمة المعرفة لابوقراط .

١١ — شرح مسائل حنين ابن اسحق .

١٢ — شرح الهداية في الحكمة لابن سينا .

١٣ — تعليق على الاشارات لابن سينا .

١٤ — الرسالة الكاملية في السيرة النبوية .

١٥ — مختصر في علم أصول الحديث .

١٦ — « فاضل بن ناطق » على نمط « حي بن يقظان » لابن سينا .

وقد اشتهر من كتبه الموجز وتوجد منه نسخ مخطوطة متعددة ، وطبع أربع مرات في الهند بين سنة ١٨٢٨ وسنة ١٩٠٦ ، وقد شرح هذا الكتاب بعض ممارسى الطب وطبع من الشروح له حل الموجز لمحمد العسكري سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧٧ وشرح الموجز للقزويني طبع خمس مرات في الهند بين سنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٩٤ . وهنالك شروح أخرى

للموجز منها شرح السويدى وشرح « نفيس بن عوض » الكرماني وشرح محمد الامشاطي وشرح محمد البلبلي . وترجم الموجز إلى التركية مترجمان هما مصلح الدين السروري وأحمد ابن كمال ، وترجم الى اللغة العبرية في اليونان .

وكان يعرف في الأوساط الطبية الأوربية بـ Ebenefis ورأينا طبعة من الترجمة اللاتينية لشرحه للكتاب الخامس من القانون في الطب لابن سينا في خزانة كتب المتحف البريطاني وهي مطبوعة في البندقية سنة ١٥٤٧ م . عنوانها :

Expositio excellentissimi Ebenifis fu per quintnm canonum Ruicennae.

وتقع الترجمة في أربع عشرة صفحة كبيرة كل صفحة من عمودين ذى ستة وستين سطراً ، وتوجد ضمن مجلد ضخم يحتوى على ترجمة كتاب ابن سينا . وقد ترجم هذا الجزء من شرح القانون اندريا الباكو Andrea Alpago من العربية إلى اللاتينية .

والصفة المميزة لابن النفيس تمحيصه وتدقيقه لأقوال من سبقه ، ولم يكن الناقد الذى ينقد فقط ولكنه كان يضع الحل البديل لما ينقده ، فقد وجد أخطاء في آراء من سبقه من أساطين الطب خاصة جالينوس Galen وابن سينا ، وما أدراك من أولئك ! فقد كانت آراؤهما محاطة بهالة من القبول والاجلال ، لم يتصد لها ناقد على مر العصور . فعند ما وجد هذه الأخطاء صححها ووضع أهم رأى في حركة الدم في الانسان .

قال في مقدمة شرح التشريح — وبعد حمد الله والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله ، فان قصدنا الآن إيراد ما تيسر لنا من المباحث على كلام الشيخ الرئيس أبي علي الحسن ابن عبد الله بن سينا رحمه الله في التشريح من جملة كتاب القانون ، وذلك بأن جمعنا ما قاله في الكتاب الأول من كتب القانون إلى ما قاله في الكتاب الثالث من هذه الكتب وذلك ليكون الكلام في التشريح جميعه منظوماً . وقد صدّنا عن مباشرة التشريح وازع الشريعة وما في اخلاقنا من الرحمة ، فلذلك رأينا أن نعتمد في تعرف صور الأعضاء الباطنة على كلام من تقدمنا من المباشرين لهذا الأمر ، خاصة الفاضل جالينوس ، إذ كانت كتبه أجود

الكتب التي وصلت الينا في هذا الفن ، مع انه اطلع على كثير من المعضلات لم يُسْبق الى مشاهدتها ، فلذلك جعلنا اكثر اعتمادنا في تعرف صور الاعضاء واوضاعها ونحو ذلك على قوله ، الا في اشياء يسيرة ظننا انها من اغاليط النساخ ، او إخباره عنها لم يكن من بعد تحقق المشاهدة فيها ، واما منافع كل واحد من الاعضاء فانما نعتمد في تعرفها على ما يقتضيه النظر المحقق والبحث المستقيم ، ولا علينا وافق ذلك رأى من تقدمنا او خالفه .

ويقول في مقدمــة الموجز : (فنقول الطب ينقسم إلى جزء نظري وإلى جزء عملي وكلاهما علم ونظر) .

ولسنا ندري فيما إذا كان ابن النفيس قد مارس التشريح أم لا ، وان قال إنه قد صدّقنا عنه امور ، لانه وجدناه يقول عند بحثه عن شرايين الدماغ (... والمشهور بخلاف هذا وهيئة التشريح تصدق ما قلناه وتبرهن على ذلك كما ينبغي) . ويقول عند بحثه عن القلب : (... ولا منفذ بين هذين البطنين البتة ، وإلا كان الدم ينفذ إلى موضع الروح فيفسد جوهرها ، والتشريح يكذب ما قالوه ...) . ولم يكتف ابن النفيس بتخطيء ابن سينا في عدد من المواضع ، بل انتقد تبويب ابن سينا لكتابه وعدم تكلمه عن الاربطة بعد العضلات واشار إلى تأليفه كتابا كبيراً في الطب إذ قال (... ونبسط الكلام في ذلك وشبهه في الكتاب الكبير الذي نعمله في الصناعة الطبية ان شاء الله) وربما قصد الكتاب الشامل في الطب .

وسنذكر في بحثنا هذا عضوين من اعضاء الجسم الرئيسة كان لابن النفيس فيهما رأي يخالف جالينوس أو ابن سينا أو كليهما .

يقول عند البحث عن الزوج الاول من الاعصاب :

(... لان احساس القوة الباصرة إنما يتم بانطباع شبح المرئي في الروح النافذ في هذا العصب على ما بينته في موضعه . وانطباع الشبح إنما يكون في سطح له مساحة ظاهرة وإنما يمكن ذلك إذا كان الروح المنطبع فيه الشبح في موضع متسع ، وليس يكفي ان يكون ذلك الاتساع في موضع الانطباع فقط بل لا بد أن يكون في مسافة نفوذ الروح

بالشبح إلى امام القوة الباصرة ليمكن نفوذها والشبح فيها بحاله . ولا يكفي ذلك ايضاً بل لا بد ان يكون في مسافة نفوذ تلك الروح راجعة إلى الدماغ ايضاً ليمكن ايصالها الشبح إلى موضع القوة التي تسمى الخيال كما بيناه في موضعه) .

ثم يروى بعد ذلك قول الشيخ ابن سينا : « ان العصبين البصريين يلتقيان على تقاطع صليبي » ويقول : « قد قيل إن العصبتين متقاطعتان بحيث تنفذاليمنى منها إلى العين اليسرى واليسرى إلى اليمنى . وجالينوس يعتقد خلاف ذلك ويرى ان اليمنى تنفذ إلى العين اليمنى واليسرى إلى اليسرى . لان العصبتين لا تتقاطعان بل تتلاقيان وتنبعث كل واحدة منهما عند موضع التلاقي حتى يكون هناك موضع مشترك لتجويفهما ثم يفترقان ، فتذهب كل واحدة منهما إلى العين المحاذية لمبدئه . وهذا هو الرأي المشهور وبه يقول الشيخ ايضاً ، فقوله على تقاطع صليبي يريد أن يكون ذلك في الرؤية . وفي الحقيقة ليس كذلك) .

والواقع ان اهم ما توصل اليه ابن النفيس هو تصحيحه لاراء جالينوس وابن سينا فيما يختص بحركة الدم في الجسم . ولقد قال مؤرخ العلوم المشهور جورج سارتون (انه اذا ما تأيدت صحة نسبة النظرية إلى ابن النفيس ، ازدادت اهميته كثيراً ، وحينذاك يجب اعتباره احد السباقين المهمين لوليم هارفي واعظم عالم فسيولوجي في القرون الوسطى) .

ولتبسيط الموضوع نبين ان الدم يدور في الجسم كما يلي - يخرج من البطين الايسر ثم يدور في الشرايين ويتوزع في أوعية دقيقة لتغذية اعضاء الجسم كافة ، ثم يعود إلى الاوردة الدقيقة التي تصب في الاوردة الكبيرة ، ويعود الدم بواسطتها إلى الجهة اليمنى من القلب ، ثم يدفعه البطين الايمن إلى الاوعية الدموية في الرئتين حيث يتخلص الدم من ثاني اوكسيد الفحم ويحصل على الاوكسجين ويعود من الرئتين إلى الجهة اليسرى من القلب ، حيث يدفعه البطين الايسر إلى الشرايين مرة اخرى وهكذا .

اما الرأي الذي كان مقبولا في السابق لدى جالينوس وابن سينا فكان يقول إن الدم عندما يعود إلى الجهة اليمنى من القلب ينتقل إلى الجهة اليسرى بواسطة فتحات غير مرئية في الجدار الفاصل بين جهتي القلب ، وبقي هذا الرأي مئات السنين دون مناقشة . ومن كان

يتصدى آنذاك لاراء جالينوس او كتابات ابن سينا ؟

ولكن ابن النفيس عند ما شرح قانون ابن سينا ، لم يقبل هذا الرأي وبين أن بين جهتي القلب حاجزاً سميكاً لا يمكن أن يمر منه الدم ، ولم يكتف بايجاد الخطأ في ذلك وإنما وضع وصفاً دقيقاً لحركة الدم هو بالواقع من أهم الفتوح في ميدان الطب ، قال ابن النفيس (... وإذا لطف الدم في هذا التجويف (أي الأيمن) فلا بد من نفوذه إلى التجويف الأيسر حيث مولد الروح ... ولكن ليس بينهما منفذ ، فان جرم القلب هناك سميك ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم كما ظنه جالينوس) فان مسام القلب هناك مستحصنة وجرمه غليظ) . ثم يشرح ابن النفيس في أماكن متعددة كيف (ان الدم يذهب إلى الرئة ويخالط الهواء ويرشح ألطف ما فيه وينفذ إلى الشريان الوريدي ليوصله إلى التجويف الأيسر ، وقد خالط الهواء وصلح لأن يتولد منه الروح ..) ولكن بقيت مكانة ابن النفيس العلمية مجهولة لمدة طويلة ولقد أشار إلى منزلة ابن النفيس العالم الفرنسي Leclerc في كتابه تاريخ الطب العربي المطبوع سنة ١٨٧٦ ، ثم وجد طبيب مصري هو محي الدين التطاوي نسخة مخطوطة من كتاب ابن النفيس في المانيا فترجم آرءه إلى اللغة الألمانية وبين أهمية اكتشاف ابن النفيس في رسالة للدكتوراه من جامعة فرايبورغ سنة ١٩٤٢ ، ثم القى المستشرق الطبيب مايردوف بحثاً عن ذلك سنة ١٩٣١ ثم نشره سنة ١٩٣٤ بالفرنسية وبعدها باللغة الانكليزية والألمانية ، وبعد ذلك نشر طبيبان من لبنان سنة ١٩٣٦ الصفحات الخاصة بالقلب من كتاب ابن النفيس سنة ١٩٣٦ باللغة الانكليزية ثم العربية ونشر آخرون بعد ذلك ، وأصبحت المصادر الطبية تشير إلى ذلك .

وهنا برزت مسألة مهمة وهي معرفة أثر ابن النفيس في الطبيب الانكليزي وليم هارفي الذي يعزى اليه اكتشاف حركة الدم ثم دورة الدم في القرن السابع عشر والذي هو مدار فخر انكلترا منذ ذلك الحين .

لقد ناقش بعض معاصري «هارفي» أصالة اكتشافه . وقالوا إنه أخذه عن نمنيوس

كما جاء في كتاب لأحد معاصريه هو الدكتور Friend والذي دافع عن هارفي Nemenius وبين أنه لاصلة لرأيه برأي نمنيوس ، وهذا الأخير كان فيلسوفاً ومطراناً في حمص في نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس الميلادي ، ألف كتاباً عن طبيعة الانسان فيه آراء مهمة في علم وظائف الاعضاء وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية سنة ١١٥٩ ثم طبع أول مرة سنة ١٥٦٥ ثم ترجم إلى اللغات الانكليزية والالمانية والفرنسية . وكان في كتاب نمنيوس مايدل على أنه لم يقبل رأي جالينوس في حركة الدم وأنه عرض رأياً قريباً من رأى هارفي . ولا ندري فيما إذا كان كتاب نمنيوس هذا معروفاً بالعربية .

على أن التركيز على إيجاد علاقة بين ابن النفيس وهارفي أدى إلى اعتقاد البعض إن العالم الاسباني Servitus سرفيتوس (١٥١١ — ١٥٥٣ م) الذي سبق هارفي وتلا ابن النفيس، أثر في هارفي وتأثر بابن النفيس . ولكن الدراسة الحديثة لأصل ما كتبه سرفيتوس ـ ولا يوجد منه غير نسختين لأن الكنيسة آنذاك حرقته وحرقت كتبه بتهمة الزندقة ـ بينت هذه الدراسة التي نشرها Temkin تحت عنوان هل تأثر سرفيتوس بابن النفيس ـ أنه لم تتطور آراء سرفيتوس إلى ما يشابه أو يقرب من آراء ابن النفيس ، حيث أنه لم يصف الدورة الدموية في الرئتين وانما اكتفى بان قال بعض الدم يسير في الرئة بدل ان يمر فى الجدار الكائن بين جهتي القلب ، كما انه كان يرى ان جهتي القلب اليمنى واليسرى مستقلتان عن بعضهما وكان قد كتب ذلك في كتاب ديني .

ولكن كان هناك طبيب ايطالي اخر هو ريكاردو كولمبو Coiombo نشر رأيا عن الدورة الدموية قبل هارفي ورأيه مقارب لما كتبه ابن النفيس وتكاد تكون الجمل والعبارات متقاربة . وكان كولمبو هذا على صلة بمن ترجم كتاب ابن النفيس الى اللاتينية اندريا الباكو وابن أخيه بولص الباكو اللذين عاشا في البلاد العربية ثلاثين سنة عادا بعدها الى بادوا Padua في ايطاليا سنة ١٥٢٠ م .

واذا علمنا ان هارفي درس في بادوا بعد دراسة الطب في انكلترا وقضى فيها ثلاث

سنوات من سنة ١٦٠٠ م ، وكانت بادوا انذاك مركز العـالم في دراسة الطب ، تبين اثر الـكتب التي كانت موجودة آنذاك عليه . واول ما اشار هـارفي الى حركة الدم في الرئتين سنة ١٦١٦ في احدى محاضراته ، وكان يحاول ان يجد سنداً لرأيه من كتابات جالينوس ، إن كتب هارفي سرقت سـنة ١٦٤٢ وفقد كثير من كتاباته ومن الـكتب التي كانت لديه على أنه كان قد أشار في كتاباته الأخرى إلى الأطباء العرب .

وبيّن الذين كتبوا ترجمة هارفي وترجموا كتبه من اللاتينيـة الى الانكليزية انه كان مطلعاً على كتب التشريح الموجودة آنذاك ، كما ان الترجمات اللاتينية للـكتب الطبية العربية كانت موجودة في مستشفى سانت برثولوميز حيث كان هارفي يعمل . ويذكر المؤرخون الانكليز أن ترجمة الحاوي للرازي وترجمة قانون ابن سينا والأغذية لاسحق بن سليمان وكتب مدرسة ساليرنو كانت تدرس في انكلترا .

وسواء أثر ابن النفيس على هارفي بطريق مباشر أو غير مباشر فما لاشك فيه ان هارفي أضاف كثيراً إلى المعرفة وأجرى تجارب أيدت هذه الآراء في الدورة الدموية ، وان ابن النفيس كان كما نعلم أول من صحح الأخطاء الشائعة في حركة الدم وفحص آراء جالينوس وابن سينا ، ووضع أول وصف صحيح لحركة الدم في جسم الانسان ، وكان من واضعي قواعد علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجي) الأفذاذ . وألّف كتاباً فيه .

ما أحوج الباحثين لتدبر آراء ابن النفيس ليس لدقتها العلمية فقط ، ولـكن للعقلية العلمية التي سيطرت عليه فجعلته لا يتردد في نقد أساطين الطب ، لا لأجل النقد الذي يلجأ اليه كثير من مدعي العلم ، ولـكن لوضع حلول صحيحة لمشاكل قائمة . وهذا شأن العلماء .

الجلسة الرابعة

(خاصة)

صباح الاثنين ٢٨ من رجب سنة ١٣٨٥ هـ .

٢٢ من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٥ .

١ — دراسة في بعض صيغ اللغة للدكتور إبراهيم أنيس — عضو مجمع اللغة العربية .

٢ — معجمي المستدرك للدكتور مصطفى جواد — عضو المجمع العلمي العراقي .

٣ — المذهب الكوفي في النحو واللغة وأثره في التطور والتيسير

للأستاذ عبد الحميد حسن — عضو مجمع اللغة العربية .

دراسة في بعض صيغ اللغة

للدكتور إبراهيم أنيس
عضو مجمع اللغة العربية

حين نحاول الآن بحث ظاهرة من ظواهر اللغة ولا سيما ما يتصل منها ببنية الكلمات وهو ما يسمى بالصيغ ، أو ما يتصل بتكوين الجمل نعمد دائماً إلى إعادة الاستقراء وتقصي أمثلة هذه الظاهرة في النصوص المروية لنا عن العرب . ولا نشك لحظة في أن المتقدمين من علماء العربية قد قاموا بمثل هذا الاستقراء ، وقعّدوا قواعدهم على أساسه ، غير أن المتأخرين منهم قد قنعوا بترديد آراء المتقدمين محاولين تفسيرها حيناً ، وتأويلها حيناً آخر ، دون فهم حقيقي لبعضها في بعض الأحيان ، مما أدى إلى ذلك الخلاف العجيب بينهم بصدد الظاهرة الواحدة ، وإلى اضطراب الآراء في المسألة الواحدة . والمسلك العلمي السليم للدارس هو أن يعيد تجارب من سبقوه ، فقد يصل الى نفس النتائج التي أهتدوا اليها وبذلك تزداد تحقيقاً ، وقد يصل الى نتائج تختلف بعض الاختلاف فيكون بذلك قد خطا خطوة جديدة في تقرير الحقيقة العلمية .

لذلك ندعو دائماً الى إعادة الاستقراء ، ولا تصرفنا عن هذا الاستقراء تلك الكلمة المشهورة المروية عن أبي عمرو بن العلاء حين قال (ما انتهى اليكم مما قالته العرب إلا أقله ، ولو قد جاءكم كله لجاءكم علم وأدب كثير) !! فاذا صح أننا فقدنا الكثير من نصوص العرب القدماء فان هذا مما قد يأسف له دارس التاريخ الثقافي للعرب ودارس تاريخ الأدب العربي ، أما دارس الظواهر اللغوية في مجالها النحوي والصرفي فلديه من النصوص ما يكفي ، بل وفوق ما يكفي . ذلك لأننا لا نتصور أن القدر قد عمد الى الأمثلة الخاصة بظاهرة معينة واختصها بالاندثار ، بل الذي يتصوره الباحث الحديث أن نسبة شيوع هذه الظاهرة فيما

فقدناه من أمثلتها هى نفس النسبة أو ما يقرب منها جداً فيما بقى لنا من أمثلة . فالظاهرة اللغوية تنتشر في أمثلة اللغة بما يشبه شيوع الملح أو السكر حين يذوب في الماء ، فيكفي قدر من هذا المحلول لتحليله واكتشاف كثافته أو ما يتركب منه .

وإني لأعجب كل العجب حين أسمع بعض الدارسين يقول إن علم النحو والصرف علم نضج فاحترق ، وإنه ليس من اليسير أن نصل فيه إلى جديد . وفي رأيي أن معرفتنا الآن بطبيعة اللغة البشرية ، ووقوفنا على ظواهر الكثير من لغات العالم ، ثم قبل هذا وفوق هذا دراستنا للغات السامية شقيقات اللغة العربية كل ذلك يجعلنا أكثر استعداداً وقدرة على تفسير ظواهر لغتنا .

ودراستي اليوم تدور حول بعض الصيغ التي تسمى بالصفات ، والتي تكتفي كتب الصرف بتعدادها دون تحديد لدلالاتها تحديداً دقيقاً ، ودون توضيح نسبة شيوعها في نصوص العرب .

ويعنى دارس المنطق ودارس اللغة بما يسمى أسماء الذوات وأسماء الصفات ، أو بعبارة مبسطة الموصوف والصفة ، ويدرك كل منهما أن مجال اسم الذات محدود ، وأن مجال الصفة أعم ولا سيما في الدلالات المحسوسة . فكلمة الشجرة تطلق على كل أشجار العالم ، في حين أن كلمة « أخضر » توصف بها هذه الأشجار وغيرها من كل الأشياء الخضراء ، وهذا هو ما يعرف لدى المناطقة «بالماصدق» . غير أن اللغوي يرى الصلة وثيقة بين الموصوف والصفة في سلوكها اللغوي ، ويطلق عليهما من أجل هذا كلمة واحدة هى « الاسم » . كذلك يدرك اللغوي أن الكلمة الواحدة قد تستعمل أحياناً صفة ، وفي أحيان أخرى موصوفاً ، ويختلف الهدف من الكلام في كلتا الحالتين . فاذا تصورنا مثلاً معتقلاً في أثناء الحرب يضم جماعات من الألمان بينهم الجنود وبينهم المدنيون وشاء قائد المعتقل أن يصدر أوامر خاصة للجنود منهم قال (على الألمان الجنود القيام بكيت) ، أما إذا كان المعتقل خاصاً بالجنود من شعوب مختلفة منهم الألمان ومنهم الطليان ومنهم الأتراك فربما يقول القائد (على الجنود الألمان التزام عنابرهم .. الخ) !! وهكذا نرى أن كلمة « الجنود » في الاستعمال

الأول صفة وفي الاستعمال الثاني موصوفاً ، والعكس بالعكس مع كلمة « الألمان » أي أن الاستعمال اللغوي لا يأبى أن تكون الكلمة الواحدة مرة صفة وأخرى موصوفاً مع اختلاف الهدف في الحالين .

كذلك يدرس الدارس للتطور اللغوي أن اسم الذات قد يصبح صفة أي أن دلالته تصبح عامة بعد أن كانت خاصة ، وذلك حين تستعمل بعض الأعلام المشهورة في تاريخ مجتمع من المجتمعات بمثابة صفات مثل نيرون ، قيصر ، حاتم ، وغيرها . ولكن هذا النوع من التطور الدلالي قليل الشيوع ، وعكسه هو الكثير أي أن الدلالة العامة تصبح خاصة ، وهو ما عبر عنه بعض القدماء من علماء العربية بفقدان الوصفية ، وترتب عليه أن نشأت في لغتنا مجاميع كثيرة مما يسمى بالترادف . وقد بلغ من اعتزاز بعض المتأخرين بهذه المترادفات وتجاهلهم للفروق الدلالية بينها أن ألّف لنا الفيروزبادي كتابه المعروف (الروض المسلوف فيما له اسمان الى ألوف) !!

ولذلك لم ندهش حين تبين لنا من احصائنا للأمثلة التي على صيغة « فعيل » وهي احدى الصيغ الأصيلة للصفة في لغتنا العربية ، أن عدد ما أصبح منها يعبر عن الذوات أو الموصوفات هو ٤٤٤ مثلاً من مجموع أمثلة « فعيل » الذي بلغ ١٣٩٢ مثلاً على حسب ما ورد في قاموسنا الوسيط مثل :

(« الأفيق » بمعنى الجلد ، البعير ، « التريك » بمعنى العنقود ، « الجشير » بمعنى الجعبة ، « الخزير » بمعنى الحساء ، الرغيف ، الزبيب ، و « الزبيل » بمعنى القفة ، السبيل ، السرير ، الشعير ، « الشكير » بمعنى الزغب ، الصديق ، الصعيد ، الصقيع ، الطبيب ، العرين ، العسيب ، العقيق ، الغدير ، « القليب » بمعنى البئر ، « القليس » بمعنى العسل ، الكثيب ، المريء ، النبيذ ، البخيل ، « الهبيد » بمعنى الحنظل ، الوصيد ، الوصيف ، الوطيس ، الوريد) .

ولعل الأمثلة التي اخترتها هنا تكون من أوضح الأمثلة في الاشارة إلى اسم الذات

أو الموصوف ، فكثير من الأمثلة الأخرى نلمح فيها دون عسر الأصالة الوصفية .

أما الصيغ التي أخترتها لبحث اليوم فهي : فعول ، فعيل ، فعِل وهي التي قيل لنا إنها تشترك بين صيغ المبالغة والصيغ الخاصة بالصفة المشبهة . وقد قمنا باحصاء أمثلة كل صيغة من هذه الصيغ الثلاث في قاموسنا الوسيط وفي القرآن الكريم ، فتبين لنا أن الصيغة الأخيرة أي « فعِل » نادرة الاستعمال في القرآن الكريم ، فليس به إلا عدد قليل منها (حمئة ، فكهين ، وَجِلون ، أشر ، أسف) .في حين أن القاموس الوسيط ينص على ما يقرب من ٦٧١ مثلاً لهذه الصيغة بينها نحو ٢٤ مثلاً غلبت عليها الاسمية مثل : الوعل ، الوتد ، الفخذ ، الكبد ، الكتف ، الكرش ، الورك ... الخ . ولمعظم هذه الأسماء ضبط آخر ، ولذلك لاتستحق أن نقف عندها طويلاً .. وبينها نحو ١٨ مثلا أفعالها متعدية مثل: حذر ، خدع ، خسر ، رضع ، طعم ، فهم ، فقه ... الخ . وفى رأيي أن هذه الأمثلة مشتقة من أفعال لازمة ندّت عنها معاجمنا العربية . على أنها مع هذا قليلة العدد ولا تمنع من أن نقرر أن هذه الصيغة لا تكون إلا من الأفعال اللازمة . وأخيراً بينها ثلاثة أمثلة فقط كل منها بمعنى مفعول وهي : خنق بمعنى مخنوق ، دعق بمعنى مدعوق ، مزق بمعنى ممزق . لا غرابة إذن أن تردد معظم البصريين في قبول هذه الصيغة بين صيغ المبالغة التي تعمل عمل إسم الفاعل فقد جاء في همع الهوامع ما نصه « وأنكر الجرمي « فعِل » دون « فعيل » لأنه أقل وروداً حتى إنه لم يسمع إعماله فى نثر ، وقال أبو عمرو : يعمل « فعِل » بضعف . وجاء في شرح الكافية ما نصه واستدل سيبويه على عمل « فعِل » بقوله :

حَذِر أموراً لا تخاف وآمن ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ما ليس منجيه من الأقدار

ومنعه غيره وقال إن البيت مصنوع . يروى عن اللاحقي أن سيبويه سألني عن شاهد في تعدّى « فعِل » فعملت له هذا البيت » !! ولكن الغريب أن ينص في شرح التصريح قوله : وأجاز الجرمي إعمال « فعِل » دون « فعيل » لأنه على وزن الفعل كعلم وفهم وفطن » !!.

وإذا تذكرنا بعد كل هذا أن هذه الصيغة لايقبل عليها المتكلمون في العصر الحديث ولا تكاد تجري على ألسنتهم في الخطاب فمن الخير أن نمر بها مروراً سريعاً وألا نفكر في اشتقاق أمثلة جديدة منها وأن نعدها من الصفة المشبهة لحسب للأسباب التي سنعرض لها فيما بعد .

نعرض بعد هذا لصيغتي « فعيل » و « فعول » ، ويدل إحصاؤنا من القرآن الكريم على أن عدد أمثلة « فعيل » ١٢٠ ، وعدد أمثلة « فعول » ٣٠ أما في القاموس الوسيط فعدد « فعيل » ١٢٩٢ ، وعدد « فعول » ٥٤٠ ، وحين نستبعد الأمثلة التي غلبت عليها الاسمية من كل من الصيغتين نجد أن أمثلة « فعيل » ٩٤٨ وأن أمثلة فعول ٤٦٩ .

ويحسن هنا قبل ان نخوض في الحديث عن هاتين الصيغتين أن نجري تجربة بسيطة تتلخص في ان نتصور شكلين خياليين متماثلين تماماً إلا في الحجم فأحدهما صغير والآخر كبير ، ثم ننظر أي الكلمتين الخياليتين المرتجلتين « زليع ، زلوع » يناسب أحد الشكلين وأيها يناسب الشكل الآخر ؟ وسنرى أنه في الكثرة الغالبة من الحالات يتجه كل منا إلى وضع كلمة « زليع » للشكل الصغير ، وكلمة « زلوع » للشكل الكبير برغم أنه لا فرق بين اصوات الكلمتين إلا في أن الاولى تشتمل على ياء مد والاخرى على واو مد ، أي أن ياء المد وما يتفرع عنها من ياء عادية أو كسرة ترمز لصغر الحجم ، الأمر الذي لحظه اللغويون المحدثون في كثير من اللغات ، واعتبروا الياء والكسرة من اجل هذا رمزاً لصغر الحجم وضيق الوقت ، والرقة ، والضعف ، على عكس الواو والضمة . وليس من المغالاة إذن ان تعد الاولى سمة للبيئة الحضرية والأخرى سمة للبيئة البدوية . وهذه هى قضية اليائية والواوية . التي طالما عرضنا لها في بحوثنا والتي لا يتسع المجال للإفاضة فيها أكثر من هذا . أي أنه في رأيي أن صيغة « فعيل » حضرية شاعت في الحجاز ، وأن « فعول » نظيرتها البدوية وقد شاعت بين البدو . وقد روت لنا المعاجم أمثلة من

نحو : « بتول وبتيل ، بشور وبشير ، رحوم ورحيم ، سموع وسميع ، شروب وشريب ، رسول ورسيل ، خسوف وخسيف ، طعوم وطعيم » وغير ذلك من نحو اربعين مثلا عثرنا عليها في القاموس الوسيط وفيها نرى أن الصيغتين في كل مثل بمعني واحد .

ففي مثل هذه الأمثلة نقرر ونحن مطمئنون أن « فعول » كانت شائعة لدى البدو وأن « فعيل » كانت شائعة في الحجاز ، وأن جامعي اللغة أخذوا من هؤلاء وهؤلاء . ولكنهم فيما يبدو قد آثروا ما شاع في الحجاز بدليل أن المعاجم التي بين أيدينا وكذلك نصوص القرآن الكريم قد تضمنت من أمثلة « فعيل » عدداً أكبر ، أي أن النصوص المروية لنا من اللغة العربية تمثل في هذه الظاهرة البيئة الحجازية أكثر من تمثيلها للبيئة البدوية .

وهنا أشير إلى أن بعض الصيغ في اللغات السامية تتخذ صورتين إحداهما تنتمي إلى إلى البيئة البدوية أو البدائية ، والأخرى إلى بيئة حضرية مستقرة في القرى والمدن . ونلحظ بوجه عام أن نصوص اللغة العربية كما رويت لنا في القرآن الكريم والأدب الجاهلي تتجه إلى الصورة الحضرية في غالب الأحيان وتؤثرها في أفصح الاساليب . أي أن اللغة العربية في رأيي لغة حضرية أكثر منها بدوية على عكس ما شاع لدى الكثير من القدماء ولا يزال يتردد بين الدارسين حتى الآن . فهي في أصواتها وصيغها وكثير من تراكيبها تؤثر ما شاع في البيئة الحضرية . غير أن معظم العلماء من القدماء قد تأثروا بفكرة الانعزال لدى البدو ، وربطوا بين ما سموه بالسليقة العربية والتوغل في البداوة ربطاً وثيقاً ، فخصوا البدو وحدهم بالفصاحة أو خلوص اللغة من كل شائبة . ولذلك كانوا يحتكمون إليهم في المسائل اللغوية ويرضون حكمهم اعتقاداً منهم أن هناك أمراً سحرياً قد امتزج بخيام الأعراب ورمالهم ، وسرى في دمائهم وأرضعوه ألبان الأمهات ، وان هذا الأمر السحري هو سر فصاحة البدو وتميزهم على أهل الأمصار . ولم يخطر في أذهانهم أن اللغة ليست أمر وراثة أو جنس ، بل تكتسب اكتساباً ، فيتساوى في إتقانها والسيطرة

عليها الأجنبي مع من أبواه من أهل هذه اللغة متى اتيحت لهما فرص متكافئة في تعلمها وتلقنها .

علينا الآن أن نعرض عرضاً سريعاً لموقف اللغات السامية شقيقات اللغة العربية من صيغة اسم الفاعل وصيغة اسم المفعول من الثلاثي المجرد لنستأنس بهذا العرض في دراسة « فعيل » « فعول » في اللغة العربية .

يجمع المستشرقون على أن معظم اللغات السامية تشترك في صيغة اسم الفاعل من الثلاثي المجرد ، فهي في العربية على وزن « فاعل » ، وهى كذلك في الاثيوبية والاشورية والسوريانية . وهى في الآرامية الغربية على هـذا النحو مع فرق طفيف يتمثل في إطالة حركة وسط الكلمة مثل קָטֵל وهى في العبرية تجري على هذا النحو مع التغيير المألوف في هـذه اللغة وهو أن ألف المد في العربية وأشباهها تأخذ فى الصورة العبرية الحركة المسماة حولم أي וֹ مثل קוֹטֵל ، كما نلحظ فى الصورة العبرية إطالة حركة وسط الكلمة .

وهكذا نرى أن اللغات السامية بوجه عام قد اتحدت فى صيغة اسم الفاعل من الثلاثي المجرد ، ولـكنها تباينت فى صيغة اسم المفعول . فاستأثرت العربية وحدها بوزن مفعول ، ولـكنها اشتركت فى نفس الوقت مع بعض الساميات الاخرى فى التعبير عن « مفعول » بوزن « فعيل » مثل « قتيل وجريح » وكثر هذا فى العربية إلى حد أن قرر بعض القدماء ما نصه « مجيء فعيل بمعنى مفعول كثير فى لسان العرب ، وعلى كثرته لم يقس عليه بإجماع ... وجعله بعضهم مقيساً فيما ليس له فعيل بمعنى فاعل نحو قـدر ورحم لقولهم قدير ورحيم » .

والذي نلحظه فى الساميات أن اسم المفعول من الثلاثي المجرد قد جاء على صورتين آثرت كل لغة من هذه الساميات إحدى هاتين الصورتين :

ففي الأثيوبية « فـعول » ، وفي العبرية « فَعول » مثل קָטוּל ، وفي الآرامية الغربية والسوريانية «فـعيل» مثل קְטִיל ܩܛܝܠܐ [1] . ومن الأمثلة التي وردت في العهد القديم שְׁבִיק [2] ، עֲקִיר [3] ، חֲשִׁיב [4] ،

קְרִיב [5] .

ويذكر « روبنسون » في كتابه عن السوريانية أن الشائع في اسم المفعول في اللغة السوريانية هو مثل ܩܛܝܠܐ ، ولـكن وجدت كلمات مثل ܡܩܛܠ ، وعدّها اللغويون في الشرق اسم مفعول أيضاً وإن كان الأوربيون يعدونها أسماء أو مما غلبت عليه الاسمية . ثم يروي لنا أمثلة سوريانية منها :

ܟܪܝܗ (مريض) ، ܫܠܝܚܐ (رسول) ، ܙܩܝܦܐ (صليب) ،

ܚܒܝܒ (حبيب) ، ܫܦܝܪ (جميل) ، ܣܢܝܩ (محتاج) ،

ܙܕܝܩ (صديق) [6] .

ويؤكد المعنى المتقدم بروكلمان [7] فيقرر أن « فعيل » بمعنى « مفعول » كثير جداً في العربية مثل « قتيل » ، « نسيج » ، « نحير » ، وأن هذا الوزن قد يستعمل في العبرية استعمالاً إسمياً مثل אָסִיר

ويلخص موسكاتي ما قاله بروكلمان في هذا الصدد فيقرر أن صيغة اسم المفعول من الثلاثي المجرد في اللغات السامية لها وزنان شائعان هما : فعيل، فعول ، وكلاهما موجود حتى

---

(١) دانيال ٥ — ٣٠ (٢) دانيال ٤ — ٣٠ (٣) دانيال ٧ — ٤

(٤) دانيال ٥ — ٢٤ (٥) عزرا ٥ — ٧

(٦) Syriac gransmar by T · H Rohisen p . 54 Comparatia ebammar by W. wright y · 196 ·198 224 Coparatir ebammar by O' leary p 249.

(٧) جـ ١ ص ٣٥٤

في الأكادية التي حلت فيها صيغ الوصف الفعلي محل اسم المفعول . أما الوزن العبري « فاعول » فيمكن رده إلى « فعول » بسهولة ، في حين أن الوزن السورياني « فْعيل » يرد الى « فَعيل » . ونحن نجد أكثر النقوش الآرامية وأقدمها تكتب هذه الصيغة دون رمز إلى حركة الحرف الأول .

وتستعمل الحبشية « فْعول » لاسم المفعول غير أنها سكنت الحرف الأول ، ويمكن رد الصيغة بسهولة الى « فَعول » (١) .

ليس من الإسراف بعد ما تقدم أن نقرر أن صيغتي « فعيل ، فعول » قد اختصتا في أصل استعمالهما السامي بمعنى المفعول ، وأن اللغة العربية قد ورثت أيضاً هذه الدلالة الأصيلة ، واحتفظت بكثير جداً من كلمات على وزن « فعيل » كما احتفظت بأخرى على وزن « فعول » للتعبير عن اسم المفعول مثل :

خسوف ، خسيف . رسول ، رسيل . ظنون ، ظنين . طعوم ، طعيم . فتوت ، فتيت . حظوظ حظيظ .

ولكن اللغة العربية قد تطورت في دلالة هاتين الصيغتين تطوراً يتطلب بعض التأمل والدراسة . وقبل أن نعرض لما نراه في هذا التطور نشير إلى ما يمكن أن يتصف به الحدث من إيجابية وسلبية ، تلك الصفة التي عبر عنها نحاة العرب بالتعدية واللزوم حين تحدثوا عن الأفعال . فالفعل المتعدي أو كما يسميه الكوفيون الفعل الواقع هو الذي يتطلب مفعولاً به ، أما اللازم أو غير الواقع فلا يتطلب مفعولاً به .

ويبدو أن فكرة التعدية واللزوم وإن شاعت لدى كثير من اللغويين المحدثين لم تحقق كل الهدف في الكشف عما يتسم به الحدث في الفعل ، فما يعدّ متعدياً في لغة قد يعدّ لازماً في لغة أخرى ، والعكس كذلك .

ولما نظر المتأخرون من نحاة العرب في الحدث الذي تتضمنه الصفات عبروا عنه تعبيراً

---

(١) Galatine Moscati An intiᵊduclan to the conporatuie grammar of thd Smitic Lanquages - 1964 .

آخر فقالوا إن أهم ما تتسم به الصفة المشبهة هو الثبوت فى الحدث ، على حين أن اسم الفاعل وأمثاله يتسم بالحدوث ، ولم أعثر على هــذا التعبير لدى سيبويه ومن في طبقته . ونرى للمتأخرين جدلاً كثيراً فى معنى هـذا الثبوت وكيف يتحقق في الصفة المشبهة إلى حد أن وجدنا منهم من ينكر هذا الثبوت على إطلاقه ويفسره تفسيراً خاصاً مثل الرضي في شرح الكافية والشافية .

وكان سيبويه يحس أن الحدث في بعض الصفات يختلف أحياناً عن الحـدث فى الفعل واسم الفاعل ، وقد عبر عن هـذا في أول كتابه بما نصه « وما يجري من الصفات التي لم تبلغ أن تـكون فى القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين التي تجري مجرى الفعل المتعدى إلى مفعول مجراها »[1] .

ومنذ قال سيبويه تعبيره « ما يجري مجرى الفعل المتعدى » والنحاة بعـــده يحاولون تفسير هذا القول ويذهبون فيه مذاهب لا نملك أنفسنا من الابتسام عند قراءتها . ولم يخطر في أذهانهم أن سيبويه فى كتابه كان مغرماً بتعبير « يجري مجرى كذا » ويردده في أبواب مختلفـــة ، وأنه لم يرد إلا التعبير عن حال الحدث في بعض الصفات وحاله في إسم الفاعل .

ونحن الآن نحس بما كان يحس به سيبويه وبعض المستنيرين من النحاة القدماء من أن الحدث سواء في الفعل والصفة يتسم باحدى سمتين متقابلتين ، غير أنا نتحير أيضاً في التعبير عنهما . ولعل الإيجابيـــة والسلبية ، أو الاختيارية والاضطرارية يكون تعبيراً موفقاً لهاتين السمتين .

ففي أفعال من مثل « قعد . جلس . نزل » نشعر بالإيجابية أو الاختيارية ، في حين أنا نشعر بالسلبية أو الاضطرارية في أمثال « مرض . كبر . فرح » .

وكذلك الشأن فيما يسمى بالصفة المشبهة من مثل (مريض . صغير . ظريف » لانشك

---

(١) ج ١ ص ١٣

في أنها تفيد السلبية أو الاضطرارية ، وتلك هى السمة التي سماها القدماء فيما يبدو بالثبوت. فاذا وجد من صيغ اللغة ما هو مشترك بين الصفة المشبهة وما يسمى بالمبالغة أمكن التمييز بينهما عن هذا الطريق . فالألفاظ التي مثل « رحيم وعليم وقدير » تكون من المبالغة إذا أفادت الإيجابية أو الاختيارية وتكون من الصفة المشبهة إذا أفادت السلبية أو الاضطرارية.

ولعل قائلاً يقول كيف نتصور السلبية في مثل « رحيم وعليم » بوصفهما صفة مشبهة ؟

ولكن الخطب هين حين نتذكر أن الرحمة في مثل « رحيم » بوصفها صفة مشبهة ليس مما يصف المرء به نفسه وإلا كان غروراً ، وأن الكفر في مثل « كفور » ليس مما يخلعه الإنسان على نفسه وإلا كان هاجياً ذاماً لشخصه . فالرحيم رحيم من وجهة نظر الغير والكفور كفور من وجهة نظر الغير أيضاً ، أو بعبارة أخرى هو الموصوف بالرحمة أو هو الموصوف بالكفر ، وصفه الناس بالرحمة ووصفه الناس بالكفر ، ومن هنا نشعر أن صاحب هذه الصفة لا اختيار له فيما وصف به و نلحظ السلبية من جانبه فى هذا الحدث .

ولا ينافى هذا أن الموصوف بعد أن تستقر له فى اذهان الناس صفة معينة ، قد يصف نفسه بها إذا كانت حميدة كقوله تعالى « نبيء عبادي أنى أنا الغفور الرحيم » ، وقعت هذه الآية وحدها بين عشرات من آيات أخرى وصف فيها سبحانه بالرحمة والغفران . فالحفيظ والخبير والرحيم والسميع والعليم والنصير ، ونحوها من صفات قليلة وردت فى القرآن الكريم على صيغة « فعيل » هى التى يمكن أن تثير إشكالاً فى بعض الأذهان فيظن لأول وهلة أنها تفيد الإيجابية من جهة الموصوف ، ولكن حين نطبق عليها ما ذكرناه آنفاً نشعر بالسلبية من جانب صاحب الصفة فى معظم استعمالاتها القرآنية . ومع هذا فعدد هذا النوع من الكلمات التي جاءت في القرآن على هذه الصيغة قليل ، ففيه نحو ١٢٠ كلمة على صيغة « فعيل » ونرى بوضوح فكرة السلبية فى الكثرة الغالبة منها نحو : « بئيس . بعيد . حريص. خبيث . خفيف . رشيد . رفيع . زنيم . سحيق. سديد . سريع . سعيد. .سفيه . سقيم . شديد . صغير . ضعيف . عزيز . عسير . عظيم . عميق . عنيد . غليظ . فقير .

قريب . قليل . كبير . كثير . كريم . لطيف . مريض . مكين . وبيل . يسير » .

وليس من الإسراف إذن أن نقرر هنا أن الصفات التى جاءت فى اللغة العربية على صيغة « فعيل » ويقال لنا إنها بمعنى « فاعل » هى فى حقيقة دلالتها أقرب إلى المفعولية منها الى الفاعلية ، أو بعبارة أخرى أقرب الى السلبية منها الى الايجابية .

وفي احصائنا للكلمات التى جاءت على هذه الصيغة من قاموسنا الوسيط تبين لنا أن عددها في حدود ١٣٩٢ ، كلمة ، منها نحو ٤٤٤ غلبت عليها الإسمية من نحو « خليل . صديق . أديب . أريج . أصيص . أمير . تسيع . بقيع . ثريد . حديد . حرير . حفيد . حفيف ، حليف . حنين . خرير . خطيب . دليل . رئيس . ربيع . رغيف . رنين . زئير . زفير . سبيل . شعير . شخير . شقيق . صغير . صقيع . صهيل . طبيب . طنين . ظليم . عريش . عرين . عقيق . غدير . فحيح . قضيب . كثيب . لفيف . مليك . مديح . نحيب . نسيم . نعيم . نفير . هديل . وتين . وطيس . يتيم . يقين » .

وهذا النوع من الكلمات نمر به مروراً سريعاً في بحثنا هذا ونتجه نحو ما بقى من كلمات هذه الصيغة فنراه شطرين متساويين تقريباً ، شطر عدده نحو ٤٤٢ كلمة على صيغة « فعيل » ونصت المعاجم على أنها بمعنى مفعول مثل : « أسير . أثير . أجير . بغيض . جريح . حبيب . حنيذ . دفين . ذبيح . ذميم . رجيم . رهين . سفيك . سليب . شهير . صريع . صقيل . طريح . طريد . فقيد . فطيم . قتيل . كريه . كحيل . كسير . لعين . مزيج . نديف . نحير . نضيد . نظيم . هضيم . وثيق » .

والشطر الآخر على كثرته ليس بينه من أمثلة تُشعر بالإيجابية الا عدد قليل جداً من نحو « نصيح . نصير . قدير . فهيم . عليم . ضمين . شفيع . سميع . ركيب . رحيم . خسير . خبير . حفيظ » . في حين أن الكثرة الغالبة تشعر بالسلبية من جانب الموصوف مثل : « أثيم . أسيف . بخيل . بئيس . بطيء . بعيد . بليد . بليغ . ثقيل . ثمين . جزيل . جليل . جميل . حريص . حزين . حكيم . خبيث . خسيس . دنيء . رخيم . رديء . رشيق .

رشيد . رفيع . سخيف . سريع . سمين . سفيه . سقيم . شحيح . شديد . شريف . شنيع . صحيح . ضنين . ضعيف . طفيف . طويل . ظريف . عتيق . عجيب . عريض . عسير . عظيم . عليل . عميق . غريب . غزير . غليظ . فسيح . فظيع . فقير . قليل . كئيب . كثيف . لئيم . لذيذ . لطيف . منيع . مريض . مليح . نبيل . نبيه . نجيب . نشيط . نضير . وخيم . وبيل » .

وبرغم ما يقال لنا دائماً عن هذا الشطر الأخير إنه بمعنى فاعل نشعر أن الكثرة الغالبة من أمثلته أقرب الى المفعولية أو السلبية من جانب الموصوف ، فيمكن مثلاً أن نقول ان « الأثيم » هو الموصوف بالإثم و « الأسيف » هو الموصوف بالأسف و « البخيل » هو الموصوف بالبخل وهكذا في كل الأمثلة الأخرى . أي أن صاحب كل صفة من هذه الصفات بمثابة المفعول به لأن الناس قد وصفوه بها .

لا غرابة إذن أن ينص بعض القدماء من علماء العربية على أن مجيء « فعيل » بمعنى مفعول كثير في لسان العرب ، ولكن الغريب أن يقول لنا بعضهم إنه مع كثرته لم يقس عليه باجماع !! ثم يستدرك هذا البعض فيقول : « وجعله بعضهم مقيساً في الفعل الذي ليس له فعيل بمعنى فاعل » !!

أحس إذن طائفة من العلماء القدماء بامكان قياسية « فعيل » بمعنى مفعول لكثرة ما ورد منه في اللغة ، بل وربما أيضاً لإحساسهم بما نحس به الآن من أن أمثلته الأخرى معظمها يتصف بالسلبية ويتجه نحو المفعولية .

أي أن الدلالة الأصيلة لصيغة « فعيل » لم تنحرف عن اصلها كثيراً حين تطورت في النصوص الإسلامية ، وربما ساعد على هذا ما تتضمنه هذه الصيغة من الكسرة الممدودة التي تعد في الفصيلتين السامية والحامية رمزاً لصغر الحجم وقصر الوقت والتأنيث والضعف وقلة القيمة ، ولا شك أن كل هذا أقرب إلى مركز المفعولية في الجمل أو القضايا اللغوية .

اما صيغة « فعول » فقد مالت في تطور دلالتها إلى أن تأخذ مركزاً مرموقاً هو

مركز الفاعلية أو الإيجابية ، ولذلك جعلها جمهور البصريين حين تحدثوا عن عمل صيغ المبالغة صنوا لصيغتين المشهورتين فيها « فعّال ومِفْعَال » وهما اللذان لا نشك في أنهما يفيدان الإيجابية ، ولم يتشكك أحد من النحاة في إمكان أن تعمل صيغة « فعول » التي للمبالغة عمل اسم الفاعل ، على حين أن كثيراً منهم قد ترددوا في أن يجعلوا مثل هذا الحكم لصيغة « فعيل » .

وتدل الإحصاءات التي قمنا بها على ميل صيغة « فعول » فى الأساليب العربية نحو الإيجابية او الفاعلية . ذلك لأن عدد أمثلة « فعول » التي عثرنا عليها في قاموسنا الوسيط نحو ٥٤٠ مثلا منها ما يقرب من ٩٥ مثلا غلبت عليها الاسمية مثل : « الأتون . البتول . البخور . الحرور . الدبور . السعوط . السحور . القبول . القرور » ، ونحو ٣٦ مثلا بمعني مفعول مثل : « الدقوق . الذرور . الربوب . الرسول . ركوب . السخون . سفوح . نزوف » .

أي ان قلة ضئيلة من أمثلة هذه الصيغة هى التي حافظت على الدلالة الأصلية بل إن هذه القلة روى لبعض أمثلتها وجهان « فعول وفعيل » وكلاهما بمعنى مفعول مثل : « رسول رسيل . خسوف خسيف . ظنون ظنين . نقوع نقيع . طعوم طعيم . حظوظ حظيظ » .

وهكذا نرى أن الكثرة الغالبة من أمثلة « فعول » في اللغة قد اتجهت صوب الإيجابية ، ونحن الآن وقد ورثنا عن العرب القدماء ما يمكن أن يسمى بالحس اللغوي نشعر إزاء هذه الصيغه نفس الشعور ، أي لا نتصور أنها تفيد المفعولية ، بل نتصور فى غالب الحالات أنها مبالغة في الفاعلية .

ونتبين اتجاه اللغة فى تطور الدلالة لصيغتي « فعول وفعيل » من تلك الأمثلة التي ورد للمادة الواحدة كلتا الصيغتين ودلت صيغة « فعول » على الفاعلية أو الإيجابية وصيغة « فعيل » على المفعولية أو السلبية من مثل « بغوض بغيض . حلوب حليب . دبوغ دبيغ

رحول رحيل . طحون طحين . طروح طريح . قتول قتيل . ملول مليل . نحور نحير . هضوم هضيم . شرود شريد » .

وهى أمثلة فيما عثرنا عليه تكاد تبلغ الثلاثين مثلا وليس بينها إلا مثلان فيهما « فعول» بمعنى « مفعول » وفعيل بمعنى فاعل وهما : « ركوب ركيب . سخون سخين » ولعل من نوادر لغتنا العربية أن نرى فيها إحدى الصيغتين فقط للتعبير عن الحالتين الإيجابية والسلبية أو الفاعلية والمفعولية . ولم نجد فيما عثرنا عليه من هذا النوع إلا ستة أمثلة ، أربعة منها على صيغة « فعيل » وهى (بديع . حمىّ . خفير . شهيد) ، واثنان على صيغة فعول وهما (بلوع عضوض) ، مما قد يدل على إيثار اللغة المروية لنا لصيغة « فعيل » على صيغة « فعول » بوجه عام .

من كل ما تقدم نرى أن تطور هاتين الصغيتين فى اللغة العربية قد اتجه نحو تحديد الدلالة لكل منهما ، فأبقت اللغة فى أكثر الحالات على معنى المفعولية لصيغة « فعيل » وهى الدلالة الأصيلة لهذه الصيغة فى معظم اللغات السامية . وساعد على هذا تضمن الصيغة لياء المد التي اعتبرت رمزاً للمركز الثاني فى القضايا اللغوية .

أما أمثلة هـذه الصيغة التي يقال لنا الآن إنها بمعنى الفاعلية فكما أشرنا آنفاً نلحظ أنها تفيد السلبية من جانب صاحب الصفة ، مما يقربها من المفعولية أو على الأقل يجعلها في موقف بين بين . على أن كثيراً من هذا النوع من الأمثلة قد انحدرت فيما يبدو عن صيغة « فعِل » التي لم يرد لها ما يفيد المفعولية إلا النزر اليسير . أي أن بعض هذه الأمثلة ليست أصيلة فى صيغة « فعيل » ، بل طرأت هـذه الصيغة عليها بسبب تطور صوتي في موضع النبر من الكلمة . ويكفى أن نستعرض فى إحصائنا تلك الكلمات التي رويت لنا في المعاجم ولها صيغتان إحداها على « فعِل » والأخرى على « فعيل » وهى في كلتا الصيغتين بمعنى واحد مثل : « أخر أخير . أنق أنيق . بهج بهيج . أثم أثيم . أسف أسيف . جسد جسيد . جشم جشيم . حزن حزين . حنق حنيق . خسر خسير . خصب خصيب . خصم

خصيم . ربك ربيك . رضع رضيع . سرع سريع . شنع شنيع . صلف صليف . عتد عتيد . عدم عديم . عسر عسير . عشب عشيب . غرق غريق . فطن فطين . فقر فقير . فقه فقيه. فهم فهيم . كئب كئيب . مرض مريض . مطر مطير . نضر نضير . وثر وثير . وجع وجيع . وحد وحيد . وخم وخيم » .

« فبروكلمان » كان على حق حين قرر أن صيغة « فعيل » قد نشأت فى بعض من أمثلتها من تطويل الحركة المتوسطة في صيغة « فعِل » مثل « أنيق » من « أنق »، وبهيج من « بهج » ، و « حزين » من « حزن » .

أما صيغة « فعول » فى اللغة العربية فقد اتجهت فى تطورها نحو الإيجابية أو الفاعلية فلم يرد من أمثلتها ما يدل على المفعولية إلا عدد قليل جداً ، وهى من بين ما أجمع عليه البصريون من صيغ المبالغة التي تعمل عمل اسم الفاعل ، وأخيراً هى التى تشتمل على واو المد التى اعتبرت رمزاً للمركز المرموق فى الإسناد أي الفاعلية .

وبهذا تكون دلالة كل من الصيغتين « فعيل وفعول » قد تحددت أو تخصصت ويمكن بعد أن يقرّ المجمع هذا التحديد أن نستغله فيما نشتقه من كلمات جديدة على هاتين الصيغتين للمصطلحات العلمية . وإذا بدا لإحدى اللجان العلمية فى المجمع أن تشتق مصطلحاً جديداً يفيد المفعولية جعلته على صيغة « فعيل » ، فاذا كان يفيد الفاعلية جعلته على صيغة فعول .

لم يبق بعد هذا إلا أن نستقر على أمر فيما يتصل بهاتين الصيغتين من حيث لحاق تاء التأنيث بها . ذلك لأن النحاة يقررون في كتبهم أن الوصف الذي على صيغة « فعيل » بمعنى مفعول يغلب ألا تلحقه تاء التأنيث حيث يتبع الموصوف ، وأن الوصف الذي على صيغة « فعول بمعنى فاعل لا تلحقه تاء التأنيث . جاء هذا في كتب المتأخرين من النحاة ولم أعثر فى كتاب سيبويه إلا على اشارته لصيغة « فعول » ، حين يقول ما نصه : « وهذا قول

الخليل يمتنع من الهاء في التأنيث « فعول » وقد جاءت في شيء منه [1] » .

وملاحظاتنا على ما جاء في كتب المتأخرين من النحاة تتلخص فيما يلي :

(١) لا نكاد نظفر منهم بشواهد للبرهنة على هذه الظاهرة برغم كثرة ما استشهدوا له من ظواهر أخرى ربما تكون أقل أهميّة .

(٢) تحجر الأمثلة المنفردة المنعزلة التي ساقوها بصدد هذه الظاهرة فليس في كتبهم من أمثلة « فعيل » بمعنى مفعول إلا « قتيل وجريح » ، وليس في كتبهم من أمثلة « فعول » إلا شكور وصبور !!

(٣) مثل بعضهم « لفعول » التي خلت من التاء في حالة التأنيث بالآية الكريمة : « وما كانت أمك بغياً » ، ولكن كثيراً من النحاة تردد في قبول هذا الشاهد . فيقول ابن جني ليس « فعولا » وإلا قال « بغو » مثل « نهو » ، فقيل له هذا الأخير شاذ .. وقال آخرون إنها « فعيل » ولكنها للمبالغة أو للنسب ولذلك لم تلحقها التاء .. وقال صاحب الكشف لم يقل « بغية » رعاية للفواصل .. وآراء أخرى لا ضرورة لذكرها هنا ، غير أن خير الآراء عندي هو ما قال به بعض القدماء من أن « بغيّ » من الأوصاف الخاصة بالنساء ولذلك لم تلحقها التاء برغم أن صاحب المصباح يقول رجل بغي أيضاً [2] .

(٤) أجمع النحاة على أن عدم لحاق التاء « لفعيل » التي بمعنى مفعول هو الغالب فاذا لحقت هذه الصيغة لم يعد هذا شاذاً ، فيقال مثلا صفة ذميمة وخصلة حميدة حملا على الذي بمعنى « فاعل » كما حمل الذي بمعنى فاعل على الذي بمعنى مفعول مثل : « إن رحمة الله قريب » وقوله : « قال من يحيي العظام وهي رميم » .

(٥) نصوا على ان لحاق التاء « لفعول » بمعنى مفعول ليس واجباً ، أي يمكن ان يقال : « ناقة ركوب » .

(٦) وأخيراً لم أظفر في كلام أحد من هؤلاء النحاة بتفسير او تعليل لهذه الظاهرة أي

(١) الكتاب ج ٢ ص ٩٢ .

(٢) حاشية شرح التصريح ج ٢ ص ٢٨٧ .

لماذا « فعيل » بمعنى مفعول ، وفعول بمعنى « فاعل » .

والحقيقة أن هـــذه الظاهرة تخالف المألوف الشائع فى مطابقة الوصف للموصوف ، وليس لها من مبرر سوى ما يقال من أنها وردت عن العرب هكـذا . فاذا بحثنا عن شواهـــدها فى نصوص العرب لا نكاد نظفر إلا بالنادر من أمثلة قليلة جداً تناثرت فى المعاجم مثل قول الشماخ :

ولو أني أشاء كننت نفسي لدى بيضاء بهنكة شموع

وقول امريء القيس :

هصرت بفودى رأسها فتمايلت علىّ هضيمَ الكشح ريّا المخلخل

واذا كان البحث فى ثنايا المعاجم المختلفة قد تطلب شهوراً قبل أن نعثر على هذين الشاهدين فكيف يقال مع هذا . إن هذه الظاهرة كثيرة الشيوع فى كلام العرب القدماء ؟ بل حتى فى هـذين الشاهدين يمكن أن ينـاقش أحد الدارسين فيقول إن تركيب « هضيم الكشح » يشبه النعت السببي وأن كلمة « الهضيم » هي في الحقيقة وصف للكشح وهو مذكر ، ويقول عن « شموع » إنها وصف خاص بالمؤنث ولذلك لم تلحقها التاء .

أليس الأولى إذن أن نقرر أن أمثلة قليلة جداً لهذه الظاهرة هي التى وردت عن العرب، وأن هذه الظاهرة تجري على غير الشائع في الكثرة الغالبة من نصوصهم حين طابقوا بين الصفة والموصوف فى التذكير والتأنيث .

وإذا حاولنا تفسير ما وقع فى نصوص اللغة من تلك الشواهد على ندرتها قلنا إنها تفهم في ضوء السلوك العام للغة حين تفرّق بين المذكر والمؤنث . فالفعل لا تلحقه علامة التأنيث وجوباً إلا مع المؤنث الحقيقي ، أما مع المؤنث المجازى فيجوز الأمران ، أي يقال: ذهبت فاطمـــة وذُبحتِ البقرة ، في حين أن « طلعت الشمس » يمكن أن تكون أيضاً « طلع الشمس » ..

بل يؤكد لنا النحاة أن أقلّ فصل بين الفعل والفاعل في مثل « ذهبت فاطمة » يجوّز

حذف علامة التأنيث أي يقال « ذهب إلى الحقل فاطمة » .. ومع هذا فيجمعون على أن وجود علامة التأنيث مع المؤنث الحقيقي والمجازي أولى ، بل ربما هو الأفصح والأوضح، لأنه يجري على الاتجاه العام للغة في التفرقة بين المذكر والمؤنث .

أمّا علامة التأنيث التى تلحق الصفة فالكثير الشائع هو أن تلحق التاء هذه الصفة حين تصف مؤنثاً حقيقياً أو مجازياً ، أي يجب أن نقول الشمس طالعة ، وفاطمة ذاهبة . ثم رأوا أن هناك صفات خاصة بالإناث من نحو « عانس وكاعب » ، وجاءت في نصوص العرب خالية من تاء التأنيث ، فقرروا أن هذا النوع من الصفات غير محتاج للتاء لأنه لايكون إلا للمؤنث . وهو تعليل مفهوم معقول ، وظاهرة لها ما يبررها .

ولما وجدوا بعض النادر من نصوص العرب يتضمن صفات على صيغة « فعيل وفعول» خالية في حالة التأنيث من التاء بدا منهم الإسراف والمغالاة حين اتخذوا منها ظاهرة عامة أو قاعدة عامة .. فعلى افتراض ورود أمثلة قليلة من هذا النوع عن العرب القدماء يجدر بنا أن ننظر إليها على أنها تشبه سلوك اللغة مع المؤنث المجازي في بعض الأحيان وان الأولى ان نخضعها للسلوك العام الكثير الشيوع ، فنلحق التاء مع المؤنث ونمنعها مع المذكر ، وأن نقول كما قالوا هم إنه في القليل من الحالات يحمل المؤنث على المذكر ويحمل المذكر على المؤنث فيقال خصلة حميدة وصفة ذميمة ، كما قيل « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، وقوله « من يحيي العظام وهي رميم » ..

والغريب أن يقع فى القرآن الكريم أمثلة خالية من التاء لحال قرروا فيها لحاق التاء مثل « إن رحمة الله قريب من المحسنين » وقوله « من يحيي العظام وهي رميم » ولا يقع في القرآن مثل واحد لتلك الظاهرة التى صوروها لنا على انها قاعدة شائعة وهى خلو « فعيل» بمعنى مفعول وخلو « فعول » بمعنى « فاعل » من التاء في حالة التأنيث .

الأمر إذن أيسر مما يتصوره بعض الدارسين ، ومن واجبنا إزاء تلك الأمثلة النادرة التى من هذا النوع أن نقف منها موقف السماع ، فلا نحذو حذوها حين نشتق كلمة جديدة

على هاتين الصيغتين ، بل نخضع هـذه الكلمة للشائع في الكثرة الغالبة من نصوص اللغة ونلحق التاء في حالة التأنيث ونمنعها في حالة التذكير .

لذلك أقترح أن يجوز المجمع الحاق تاء التأنيث لصيغة « فعيـل » بمعنى مفعول و « فعول » بمعنى فاعل جرياً على الشائع في معظم النصوص من مطابقة الوصف للموصوف، أو على الأقل كما قال بعض القدماء حملا لفعيل التي بمعنى مفعول على التى بمعنى فاعل « وحملا لفعول التى بمعنى فاعل على التى بمعنى مفعول » . وبذلك نتخلص من الحرج الذي يشعر به معظم الكتاب الآن حين يقولون مثلاً « مصر فخور بأبنائها » !!

فاذا استقر الرأي على تخصيص صيغـة « فعيل » للمفعولية ، و « فعول » للفاعلية وجوزنا بعد هذا لحاق التاء بهما في هاتين الحالين نكون قد يسرنا على الكتاب في العصر الحديث استعمال هاتين الصيغتين ، وأخضعنا القليل للكثير ، وعملنا على زيادة الاطراد في ظاهرة المطابقة بين الصفة وموصوفها .

ولست أشير بهذا الى ما ورد فعلاً عن العرب من تلك الشواهد القليلة أو النادرة ، ولا سيما ما اشتهر منها ، فلتبق على حالها ولتستعمل كما وردت عنهم ، وإنما أشير إلى ما يمكن أن نشتقه الآن على هاتين الصيغتين من كلمات لم ترو عن العرب ولم تسمع عنهم لاستعمالها في المصطلحات العلمية . فاذا شاءت إحدى اللجان العلمية بالمجمع أن تعبر عن المفعولية اختارت لها صيغة « فعيل » ، أما إذا أرادت التعبير عن الفاعليـة اختارت لها صيغة « فعول » ، وسمح للجنة بالحاق التاء في حالة التأنيث بأي من الصيغتين .

أي أن كل ما أطمع فيه بعد هذا البحث أن يقرّ مجمعنا الموقر صورة القرار التالي :

إذا شاءت إحدى اللجان العلمية في مصطلحاتها أن تشتق صفة جديدة للتعبير عن المفعولية يجدر بها أن تجعلها على وزن « فعيل » ، أما في حالة التعبير عن الفاعلية فيجدر أن تجعلها على وزن « فعول » ، وفي كلتا الحالين تؤنث الصيغة بالتاء .

التعقيبات

الاستاذ الشيخ محمد علي النجار : نشكر الزميل الدكتور إبراهيم أنيس على بحثه القيم فهو دراسة ممتعة عودنا ان يتحفنا بأمثالها بين الحين والحين وهي تفتح لنا آفاقاً واسعة فى البحث والتفكير ، ولي بعض ملاحظات على ماورد فى هذا البحث أجملها فيما يلي :

أولا : يذكر الدكتور أنيس استقراء الأقدمين الذي بنى عليه قواعده وكأنه يرميهم بالقصور ويرى أن الاستقراء الآن المبني على الإحصاء أوفى من استقراء القدامى وأولى بأن نبني عليه قواعد . وأحب أن أشير إلى أن النحاة الأقدمين كانوا أقرب عهداً بالعرب الذين يحتج بلغتهم ، بل كانوا يعاصرونهم وكان حسهم العربي قويا . ومن ثم فإنهم أعرف وأدرى بالمزاج العربي ،أما الاعتماد على إحصاء مافى الكتب فلا يقوم مقام استقرائهم ؛ لأن هذه الكتب منها المبسوط ومنها الموجز والمختصر . ويذكر الاستاذ في بحثه الذي قدمه لنا أنه اعتمد في إحصائه على المعجم الوسيط ، وهو كما نعرف من المعاجم المختصرة التي روعي فيها أن تفي بالثقافة العامة وقد ترك سيادته الدواوين المبسوطة كاللسان وغيره . ومثل هذا الاستقراء أو الإحصاء لا يصح أن تبنى عليه قاعدة .

ثانياً : عرض الأستاذ الباحث لصيغة فَعِلْ وذكر أنها قليلة فى العربية وماورد منها غير متعد . ومن ذلك قول الشاعر :

حَذِرٌ أموراً لا تضير وآمنٌ ما ليس منجيه من الأقدار

ويذكر أن أبان بن عبدالحميد اللاحقي عرض عليه سيبويه أن يأتيه بشاهد فيه (فَعِلْ) معدى فصنع له هذا البيت . والواقع أن سيبويه عرض فى كتابه لصيغة «فعل» هذه وأورد فيها هذا البيت ، وسيبويه لم يكن يستشهد إلا بمن يوثق بعربيته ، وكثيراً ما نجده يقول

حدثني من أثق بعربيته ، ويذكر الناس أن «أبان بن عبد الحميد» لم يكن صادقاً فيما قال وأنه إنما أراد أن يتشرف بهذا ويطعن في رواية سيبويه فنحن لذلك لا نقبل هذه القصة .

ومن الشواهد متي اوردها سيبويه : ـ

حتى شآها كليل موهنا عَمِـد   بات اضطرابا وبات الليل لم ينم

وقول الآخر :

أتاني أنهـم مزقون عرضي   جحاش الـكِرْمَلَين لهم فديد

ثالثاً : عرض سيادته لصيغة فعيل وفعول فذكر أن « فعيلا » فيه رقة ولـين لمكان الياء التي تدل على التأنث فمن ثم يناسب الحضر ، وفعول فيـه شدة ومن ثم يناسب البدو ، ومثل هذا الحكم بهذه المناسبة الضعيفة لا يصح أن يصدر فى لغة أويذهب إليه دون حجة بينة .

كذلك يذكر أن فعيلا الشأن فيه أن يكون للمفعول وفعولا للفاعل ومن أبواب الأفعال في الصرف تعرف باب فَعُل والوصف منه على فعيل دائماً مثل شرف فهو شريف وكرم فهو كريم ، ومن الأبواب الأخرى قد يأتى فعيل بمعنى فاعـل مثل سلم فهو سليم ، ويذكر سيادته أيضاً أن فعولا بمعنى فاعل ينبغي أن يؤنث بالتاء ، وقد عرضت هذه المسألة فى لجنة الأصول فدرستها وقتلتها بحثاً . والأستاذ إبراهيم انيس عضو فيها ولم يستطع أن يقنع اللجنة بما رآه ، والبحث مستفيض لم يزل في لجنة الأصول وقد قررت أغلبيتها استواء المذكر والمؤنث في هذه الصيغة .

الدكتور سليم النعيمي : إن البحث الذي تقدم به الزميل الدكتور إبراهيم أنيس بحث جيّد ، وإن كنا نلاحظ عليه بعض الملاحظات :

اولا : يجب أن نلاحـظ أن صيغتي فعول وفعيل من صيغ المشتقات القياسية ، ودراسة هذه الصيغ تحتاج إلى كثير من التحقيق ، فنحن نجد أن صيغة فعول مستعملة فى معنى المفعول وفي معنى الفاعل ، ولكن هل هي نفس ما نسميه ، أو ما يطلق عليه النحاة اسم فاعل مثل : كاتب وذاهب وجالس ؟ الحقيقة أن ثمـة فروقاً بين المعنيين جعلت النحـاة

يسمونها صفة مشبهة مرة ، وصيغة مبالغة لاسم الفاعل مرة أخرى، وأرجح أن الذي دفعهم إلى ذلك أنهم وجدوا منها ما يعمل عمل الفعل المتعدى ، وأرادوا أن تطرد قواعدهم في العمل فقالوا : هذه صفة مشبهة وهذه صيغة مبالغة لاسم الفاعل ، وكذلك كان صنيعهم في وزن « فَعِل » .

ثانياً : يقول سيادته إن ماورد من صيغة « فعل » في القرآن الكريم هو ثلاثة أمثلة ، ويبدو أنه لم يستقص تماماً ما ورد في القرآن على هذه الصيغة ، وأذكر مما جاء عليها ـ غير الثلاثة التي ذكرها سيادته ـ قوله تعالى : « فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا » وقوله تعالى : « بل هم قوم خصمون » وقوله تعالى : « سيعلمون غداً من الكذاب الأشر » ولعله اقتصر على ما جاء منها بمعنى فاعل ، والحقيقة أن هذه الصيغ كانت في الأصل صفات يوصف بها الفاعل ، ويوصف بها المفعول ، ثم نقلت إلى صيغ المبالغة ، لأن النحاة أرادوا أن تطرد قواعدهم في العمل كما أشرنا من قبل .

بقي الاقتراح الذي يدعو إليه سيادته ، ويريد أن يقره عليه المجمع ، وهو تأنيث فعيل ، وفعول بالتاء، وجعل ذلك قاعدة مطردة ، وأعتقد أن الأمر لايحتاج إلى قرار يتخذ من المجمع في هذه المسألة ، لأنه يجر إلى التعميم ، ونحن نعلم أن « فعولا » جاء خالياً من التأنيث بالتاء ، وجاء مؤنثاً بها ، وكذلك « فعيل » .

والغريب أن أكثر الأمثلة المسموعة ، جاءت مؤنثة ، وغير مؤنثة في القرآن الكريم وفي غيره ، وغاية ما يمكن قوله هو أن نفعل بهذه الصفات ما فعلناه بالأمس مع صيغة « فعلان » فنقول إنها ترد بالتاء وبدونها . أو بعبارة أخرى يمكن القول إن التأنيث بالتاء وعدمه في هذه الصيغ شيء لا ينكره العرب والذي يستعمله لا يخرج عن لغة العرب ، والأمر بعد هذا لا يحتاج إلى قرار يجرّ إلى التعميم .

الدكتور مصطفى جواد : سيادة الرئيس : في مثل هذه الأمور المهمة التي ترجع الى التقنين العلمي للقواعد يجب علينا أن نراعي القواعد العامة في الاشتقاق ، فالنظرية الحديثة

في الاشتقاق أن اسم المادة هو الأصل في الاشتقاق لا اسم المعنى كما هو المألوف في كتب الصرف ، وأن الصفات وغيرها ترجع بالاشتقاق أيضاً الى قانون في اللغة عموماً ، وهو أن اللغة العربية وجدت موسيقية ، جاء فيها الابدال والاعلال وغير ذلك من التغيير من أجل المحافظة على هذه الموسيقية الرائعة في هذه اللغة الغناء المتغنية .

ونعود ـ بعد هذه المقدمة ـ الى قول الدكتور الفاضل ابراهيم أنيس ـ حفظه الله ـ في مسألة الواو ومسألة الياء فنقول : يجب أن نرجع الى النظرية الأولى في نشأة اللغة العربية وتطورها وهو النظر الى موسيقيتها ، ووجود الواو ، أو الياء انما هو للمحافظة على هذه الموسيقية ، قالوا « كوثر » من « الكثرة » جاءت الواو لأنها تناسب الكاف ، ومثلها « الفوضى » فهي من « فضى » وقد جاءت الواو فيها لأنها تناسب الفاء .. وهكذا .

وأنا لا أريد بهذا أن أعقب أو أو أخطيء الدكتور أنيس ، ولكنني أود أن أنبه الى أن هذه الموسيقية تتحكم فى اللغة العربية ، لأن السنة العرب تميل الى الخفة .

وفي مسألة الأقيسة أو الأبنية الخاصة بالأسماء أقول إنها قليلة محددة ، في اللغة العربية على الرغم من أنها لغة اشتقاقية كما نعرف ، وخوفا من الالتباس في بعض الحالات رأينا الصيغة كثيراً ما تتحول إلى صيغة أخرى ، ذلك لأن اللغة موضوعة للإبانة والتمييز ، فكيف إذا جاءت بشيء ملتبس ؟ الى الآن لم تخترع اللغة العربية أوزاناً جديدة بحيث تتسع للمعاني جميعها ، ولذلك وقع اشتراك ضروري ، ففعيل تأتي بمعنى المفعول ، ولكنها عند الالتباس لا تشتقها العرب باطراد ، لم يقل مثلا « مليء » بمعنى « مملوء » لم يشتقوا مليئاً بهذا المعنى مخافة أن يلتبس بالمليء بمعنى الكفيل والضامن .

يجوز أن يأتي فعيل بمعنى مفعول ، وأن يأتي بمعنى مفاعل ، من « فاعل يفاعل » وإن لم ينص الصرفيون على اشتقاقه ، من ذلك شارك فهو شريك ، وشابه فهو شبيه ، وراسله فى الغناء فهو رسيل (والرسيل : هو الذي يمد صوته في الغناء مع المغني) .. هذه أمثلة وهناك غيرها كثير وعليه شواهده ، وكلها تدل على أن « فعيلا » جاءت من الفعل (فاعل).

ونعود إلى موسيقية اللغة التي لاحظنا أنها تتحكم في أبنيتها ، فنجدهم قالوا سمع فهو سميع ، ولم يقولوا سموع ، لأن الميم في الفعل مكسورة فناسب ذلك مجيء سميع في اشتقاق الوصف منه ، وللسبب نفسه قالوا عَفُوّ ، من الفعل عَفَوَ ولم يقولوا عَفِيّ .

أما مثال « بَغِيّ » فإنها فعيل بمعنى مفاعل ، ونستطيع أن نطبق عليها القانون العام الذي ذكرناه ، فالمرأة تباغي الرجل فهي بغيّ ، فهذه فعيل من الفعل باغَتْ تُباغي . أما مجيء فعول بمعنى مفعول فهو في الحقيقة لأجل التمييز بينه وبين فعيل التي بمعنى فاعل .

ولكنني اؤيد الدكتور ابراهيم أنيس في أن هذه الصفة يجب أن تؤنث بالتاء ، ولا نحاول أن نحيد عن الانصاف وعن تطور اللغة لحاجة اجتماعية ، فالآن لانجد أحداً من الكتاب يستعمل كلمة غيور ويجمعها على « غُيرُ » لأن ذلك صعب في الحقيقة ولا يتكلم به إلا العارفون ، وعلى هذا فإن غفوراً يجب أن تجمع على غفورين ففعول هنا بمعنى فاعل.

أما تأنيث فعول بالتاء فلعله معروف في مصر ، لأنهم يقولون للمرأة « عروسة » ونحن في العراق نقول « عروس » .

والوصف بالجامد الذي تطرق إليه الدكتور المحاضر شيء مقرر في كتب النحو ، وفي شرح الكافية ورد : « واذا وصفت بالجامد فجيء به على صورته تقول ، هذا خاتم ذهب» وعليه نقول وهذه سكة حديد ، وسافر فلان بالسكة الحديد ، أما ما شاع من قولهم السكة الحديدية فهو خطأ ، ويجب أن نقول كما كان يقول المصريون في أول نهضتهم الحديثة « السكة الحديد » والخاتم الذهب ، والكرسي الخشب ، وهكذا ، فالمثال الأول يدل على أنه خاتم من الذهب الخالص ، أما اذا امتزج بغيره فاننا نقول الخاتم الذهبي ، لأن فيه ذهباً وشيئاً آخر .

الدكتور إبراهيم إنيس : أشكر السادة الزملاء الذين تفضلوا فعقبوا على كلمتي المتواضعة وأود أن أخص بالشكر الدكتور سليم النعيمي الذي نبهني الى نقص استقرائي لصيغة فَعِل في القرآن الكريم ، وأنا لا أدعي مطلقاً أنه استقراء كامل ، ولكنني قلت:

إنه يكفي في مثل هذه المسائل أن نستقرىء ما نريد في كتاب معجمي كالمعجم الوسيط الذي اشترك في تحريره فضيلة الأستاذ النجار فنحن نثق بهذا المعجم كل الثقة ، وإن كان الأستاذ النجار يريد أن نستقرىء كل ما جاء في المعاجم الأخرى ، فأرجو أن يتفضل بمساعدتي مع غيرنا من السادة الزملاء حتى نستطيع أن نقوم بمثل هذا العبء ، ويبدو لي من الملاحظات أن الاتفاق على تأنيث فعول وفعيل بالتاء موضع إجماع بيننا .

الأستاذ الشيخ محمد علي النجار : من قال إنه موضع اجماع بيننا؟ لا أعتقد ذلك . لأننا لم نتخذ قراراً في هذه المسألة .

الدكتور ابراهيم مدكور : لم يتخذ المجمع قراراً بعد .

الدكتور إبراهيم أنيس : أما مسألة موسيقية اللغة التي عرض لها الزميل الدكتور مصطفى جواد فلاشك أن اللغة العربية لغة موسيقية دائماً ، ونحن نقول بذلك غير أننا لا نغالي فنقول في مثل كوكب وكوثر أن الواو تناسب الكاف ، وأنا أجري تجارب الأصوات في كلية دار العلوم ، ولا استطيع ـ حسب مبلغ علمي ـ أن أدرك أي صلة بين الكاف والواو ، وعلى كل حال فأن الذي عرضته على السادة الزملاء مجرد رأي استندت فيه إلى استقراء ، وأعترف أنه ليس كاملا ، ولكن الحجة القوية هى الاستناد إلى اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ، لأن ماورد من هذه اللغات هو نصوص قديمة موغلة في القدم ، أما الذي حدث في اللغة العربية فهو تطور حديث نسبي ، لأننا حين نتذكر ما يمكن أن يسمى طفولة اللغة العربية نجد أنفسنا في ظلام دامس ، فليس بين أيدينا نص عربي يمكن أن نرجعه إلى عهد المسيحية أو ما قبلها ، كما نجد بين أيدينا من نصوص سامية للغات السامية الأخرى ترجع إلى ما قبل المسيحية بكثير . والسبب معروف وهو أن الأمية كانت سائدة في بلاد العرب ، فلم يخلفوا لنا مثل هذه النصوص التى نفتقدها ، ونحتاج إليها اليوم لنستكمل بحوثنا ، وعلى كل حال ففي البحث الأمثلة التي عثرت عليها ، وأرجو حين ينشر

البحث - إذا كانت ستتاح له فرصة النشر - أن يكون فيها ما يجعل بعض السادة الزملاء يغيرون آراءهم حين يرون الأمثلة التي استقرأتها أو عثرت عليها فيما وجدت .

الدكتور إبراهيم مدكور : أكرر شكري للدكتور إبراهيم أنيس ، وهو كعادته قد فتح آفاقاً جديدة ، وأقترح عليكم أن يحال هذا البحث على لجنة الأصول لتستكمله وليكون صالحاً لاتخاذ قرار نهائي .

(موافقة) .

٢ — معجمي المستدرك

للدكتور مصطفى جواد

عضو المجمع العلمي العراقي

ايها السادة الكرام الأعلام . حببت الى العربية منذ أيام التعلم الأولى ، فأقبلت على حرثها ودراستها وقراءة الكتب المؤلفة في فنها ، المقصورة عليها ، فألفيت بعض تلكم الكتب يفضل بعضاً في المواد اللغوية والشروح ، ووجدت علماءها ـ رحمة الله تعالى عليهم ـ يبر بعضهم على بعض في فهمهم لها واجتهادهم في جمعها ابراراً مبيناً ، وطالعت كثيراً من كتب الأدب العربي القديم وأسفار العلوم والفنون التى صنفت العرب فيها تصانيف جليلة وفيرة فبان لي أن جملة كبيرة من الكلم لم تسجل فى موادها وأبوابها من المعجمات اللغوية ، وجملة أخرى تطور استعمالها على توالي العصور فلم يثبت اللغويون ذلك الاستعمال في كتب اللغة ، لأن ناسا منهم لم يفطنوا للتطور وآخرين منهم ، وهم أولو قلّة ، اعتدوا ذلك التطور مولداً ليس له حق في أن يسجل ولا أن يضاف الى العبارات الفصيحة والكلمات الصالحة للاستعمال ، مع أنهم ذكروا في أثناء كلامهم فى الشرح طائفة من الكلمات والعبارات لا تعترف كتبهم بصحتها ، وألفيت من اللغويين أيضاً من يفسر أحياناً الكلمة بكلمة معروفة في عصره مجهولة في مادتها من معجمه ، وغير مفهومة بعصر آخر حتى لكنت أجد الكلمة المفسورة أوضح من شرحها ، يضاف الى ذلكم أني دريت وجود معجمات استدراكية ألفها علماء مستشرقون كمعجم « ادوارد وليم لين » المستشرق الإنكليزي ومعجم دوزي الهولندي « تتمة المعجمات العربية » وقد اطلعت عليها ، فلذلكم انتدبت لاستدرك ما أستطيع ادراكه من الكلم والعبارات والاصطلاحات منذ سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م)

ولما أزل آتي ذلك حتى جمعت جملة صالحة من المستدركات تبلغ أن تكون مجلدة كبيرة حاوية فيما حوته كثيراً من الشواهد اللغوية النادرة والنكت النحوية الغابرة في الغموض والاستبهام ، والدقائق الصرفية الباقية في طي الاستعجام ، ولا يزال هذا المعجم في المسودة لأني لم أجد من يشجعني على تبييضه واخراجه بالنشر ، وهو عمل فردي ثقافي شاق ، متفمصٍ من ربقة التقليد ، موسوم بالتوليد والتجديد لايعلم ما فيه إلا من عالج فن الاستدراك في اللغات المسجلة المحررة ذوات القواعد المقررة كالعربية . والاستدراك اللغوي يعتمد على الحس اللغوي وهذا الحس ينشأ عن اللهج باللغة والميل الطبيعي إليها ويستند إلى الحفظ الكثير فالراز لا تظهر قوة إنشائه وبنائه الا بعد أن تعد له الحضرة التامة — أعني ما يسمى بالمواد الإنشائية اليوم — ولا يبعد ان يؤدي اللهج والميل والحفظ الى شبه سليقة وملكة أيدة تجعل صاحبها سدكاً بفنه اللغوي شديد الولوع به ، محال النزوع . والذين عدموا الحس اللغوي من أهل اللغة غلب عليهم التقليد ، واعتمدوا على النقول ، ويلجوا دون ادراك المعقول المقبول ، فلهم فضل النقل ، ولا رسم لهم على من سبقهم الى التأليف فيما سوى ذلك لأنهم لم يتجاوزوا التكرار الى الاستقراء والاعتبار ، اللذين هما أصل اتخاذ القواعد وسبيل اكتناز الفوائد ، ويراد بالاعتبار حقيقة معناه اللغوي وهو الموازنة بين ما ورد في كتب الأدب والتاريخ والفنون العربية الأخرى وبين ما سجل ودون في كتب اللغة لاصلاح مايستوجب الاصلاح وتدوين ما يستحق التدوين واستدراك ما يستأهل الإدراك ، وتخريج ما هو أهل للتخريج ، فهذا الفعل « تنازل » الذي بمعنى « نزل وتخلى وترك » وما جرى مجراهن ، قد استفاض على ألسنة المعاصرين لنا وفي كتب العصر وصحفه ومجاله ومنشوراته الأخرى للأخبار وغيرها ولكنه لم يجد لنفسه مكاناً في العربية المدونة الفصيحة وانما تسرب في لغة المجتمع العربي على اختلاف أصقاعه وبقاعه من معجم فرنسي عربي ألفه الاستاذ اليوس أو الياس بقطر القبطي المصري المتوفى بباريس سنة ١٨٢١ الميلادية ، وكان من أعضاء المجمع العلمي الذي ألفه نابليون بونابرت بمصر في أثناء

احتلاله لها وكان أيضاً ترجماناً للفرنسيين المتولين على مصر أيامئذ ، ثم سافر معهم الى باريس عند ارتدادهم فولى هناك وظائف تعليمية ، وطبع معجمه بعد وفاته ، وكيفية تسربها أنه ترجم فى معجمه المذكور آنفاً كلمة Aldiqus الفرنسية ومرادفاتها بالفعل « تنازل » وترجم كلمة Condescendence ومرادفاتها بالتنازل ، على ما قال دوزى فى كتابه « تتمة المعجمات العربية » المقدم ذكره ، ثم ألفت معجمات عربية مدرسية ومنها المنجد فأثبتت للتنازل ذلكم المعنى فقد جاء في المنجد ما هذا نصه :

« تنازل القوم : نزلوا عن ابلهم الى خيلهم فتضاربوا ونزلوا الى ساحة القتال فتضاربوا وتنازل القوم في السفر : أكلوا عند هذا نزلة وعند هذا نزلة أي مرة وفي استعمال المولدين تنازل الرجل انحط عن درجته وتساهل » أ هـ .

وجاء أخيراً المعجم الوسيط وجاء فيه « تنازل القوم : نزل كل فريق أمام [1] فريق وتضاربوا وتنازلوا في السفر ونحوه : أكلوا عند هذا نُزلة وعند هذا نُزلة » ووقف المعجم عند النزلة ضاماً نونها ولم يعرض لتنازل بمعنى نزل وترك وتخلى كأنه أبى الاعتراف به ، ولكنه استعمله في الشرح في مادة « أبى » ما هذا نصه : وفى المثل : رضى الخصمان وأبى القاضي . يضرب لمن يطالب بحق تنازل أصحابه عنه . « فهذا استعمال للتنازل غير الاشتراكي المسجل فى كتب اللغة وحده ، ونحن طالما استعملناه كذلك في كتبنا وبحوثنا التاريخية فكيف يكون الحكم في أمره ؟ والجواب أنه ولا ريب في ذلك ، من باب الاستدراك ، وقد احتواه « معجمي المستدرك » وجاء فيه أن أقدم ما عرف من استعمال « تنازل » بهذا المعنى الفردي الموهوم فيه هو قول ابن بدرون في شرح القصيدة البسامة لابن عبدون ، فقد ورد فيها — ص ٢٠ — عند الكلام على سير ملوك الفرس القدامى قول الشارح : « ثم ملكت بعده — أي بعد أردشير بهمن — جمانة أو جمانى ابنته ولها حروب كثيرة ، وسياسة شهيرة ولم يلبث ملكها الا ثلاث سنين فانه لما بلغ أخوها أشده

(١) يراد « بازاء فريق وقبالتهم » وكلمة أمام توجب استدبار فريق لفريق آخر كامام الصلاة .

— وهودارا الأول — (تنازلت عن الملك) وسلمته اليه . أ هـ . وقد عالج المعجم المستدرك بيان وجه الخطأ في استعمال الفعل وذلك بتطبيق صيغة « تفاعل » على معانيها التي عناها العرب وعينوها ، فتفاعل يأتي للاشتراك كما مرّ في النقل اللغوي ، ويأتي للرياء والتصنع كتمارض وتناوم ، وللمبالغة على قول « كتوانى » و« تباعد » ، ولمطاولة الفعل كتماهد الشيء وتكاءده الأمر وتعايا هو به ، وليس في « تنازل » المذكور « معنى من هـذه المعاني فلا اشتراك فيه ولا تصنع ولا مبالغة ولا مطـاولة ، ومما أوهى استعماله بمعنى النزول وأوهنه أنه استعمل عند الفصحاء للتصنع منذ القرن الخامس للهجرة ، ففي طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي في وصف خلق الوزير نظام الملك الطوسي – ج ٤ س ١٣٥ – ما هذه صورته « يتضاءل بين العلماء ويتنازل وان كان منزله أعلى من نجم السماء » . وبعد هذا كله يحق لنا أن نسأل لماذا تركوا نزل « المؤدي للمعنى المراد وعمدوا الى « تنـازل » المخالف للسماع والقياس في المعنى الذي عنوه ؟ فقد جاء في لسان العرب « نزلت عن الأمر » اذا تركته كأنك كنت مستعلياً عليه مستولياً ، وعلى هذا جرت عبارات المؤلفين العرب حتى في العصر الموصوم باسم العصر المظلم ، قال المقريزي المؤلف المؤرخ الكبير في حوادث سنة ٧٠٨ هـ من السلوك — ج ٢ ص٤٦ — ما نصه « وشهد عند قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف الأميران عزالدين الخطيري والحاج آل ملك ومن كان معهم من الأمراء بنزول الملك النـاصر عن المملكة وترك مصر والشام . فأثبت ذلك » . وقال ابن شاكر الكتبي في ترجمة المتوكل على الله العباسي الأول : « وبايع بولاية العهد لولده المنتصر ثم أراد عزله وتولية أخيه المعتز لمحبته لأمه ، وكان يتهدده ويشتمه ويحط منزلته لأنه سأله « النزول » فأبى . وأنا لا أشك في أن « ابن شاكر » نقل نصاً قديماً لهذا التعبير . هو من عبارات المعاصرين للمتوكل أو من عبـارات من جاء بعدهم بقليل من الدهر فهذه شواهد صحة « النزول » بمعنى التخلي في المسجل من اللغة والمستعمل منها .

وأعرج على فعـل آخر هو « أدى » ومصدره التأدية فقد أكثر العصريون تعديتـه

بالباء كقول القائل : « هذه الحال تؤدي بهم الى الاضمحلال » ولا شك في أن أول من عبر به على هذا الغرار كان قد قرأ جملة أو جملاً عدى فيها « أدى » بالباء ثم اقتدى بـه الآخرون ، فاين نجد نصاً لهذه التعدية ؟ نجده في معجمي المستدرك ، فقد ورد فيه « قال ياقوت الحموي » في ترجمة الحسن بن حمدون وقد توفى الحسن هذا سنة ٦٠٨ هـ : « كان اذا تنفس خاف أن يكون على نفسه رقيب يؤدي به الى العطب » قال يؤدي به ولم يقل يؤديه كما ينبغي أن يقال على حسب ما في معجمات اللغة وقال العلامة عزالدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني في شرح نهج البلاغة : « وأيضاً فان المرأة قد تؤدي بها الغيرة الى ما يكون كفراً على الحقيقة كالسحر ، فقد ورد في الحديث المرفوع انه كفر » . وقد عداه بالباء أيضاً فهل تعد هذه التعدية من الخطأ ؟ والجواب هو أننا لايجوز أن نخطيء المعدى الا اذا يئسنا من وجدان تخريج قياسي لها كما فعلنا بالفعل « تنازل » ، وحكم المعجم المستدرك هو أن « أدى به » من اللغة الفصيحة وتعليله فيه أن من دقائق اللغة العربية كون الأفعال التي تفيد التحريك والدفع تجوز تعديتها بأنفسها أو الباء ان كانت متعدية في الأصل ، نحو أحاله وأحال به ودفعه ودفع به وأدلاه وأدلى به ، وأذاعه واذاع به ورماه ورمى بـه وطوحـه وطوح به ، وقذفه وقذف به ، وقاله وقال به ولفظه ولفظ به ، ومذله ومذل به وأنبته وأنبت به « وغباوة هذه الدقيقة اللغوية على العلماء القدامى — رحمة الله عليهم — حملتهم على اعتداد الباء زائدة في قوله تعالى « وتنبت بالدهن » مع أن الإنبات يفيد الدفع الطبيعي فيما يفيده . فالتعدية بالباء هنـا داخلة في قاعدة عامة جائزة وكذلك قول الامام ـع ـ وهو يذكر مسجد الكوفـة : « في زاويته فار التنور وفيه هلك يغوث ويعوق وفيه ثلاث أعين أنبتت بالضغث تذهب الرجس وتطهر المؤمنين [1] . قال ابن قتيبة : قوله أنبتت بالضغث أحسبه الضغث الذي ضرب به أيوب أهله والعـين التي ظهرت لما ركض الماء

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٦٣ .

برجله ، والباء في الضغث زائدة ، تقديره أنبتت الضغث كقوله تعـالى : تنبت بالدهن ، وكقوله تعالى : يشرب بها عباد الله .

والوجه المقبول عندي ماذكرت آنفا ،أما الباء في «يشرب بها عباد الله» فهي مسموعة مع هذا الفعل وذلك كقوله تعالى : «يشرب بها المقربون »، والسماع سابق للقياس في اللغة ، قال الشاعر القديم :

شربن بماء البحر ثمّ ترفعت … متى لجج خضر لهن نئيج

وقال نبهان بن عكى العبشميّ :

وأن ارد الماء الذي شربت به … سليمى وقد ملّ السرى كل واخد[1]

وقال عنترة العبسي :

شَربتْ بماء الدحرضين فأصبحت … زوراء تنفر عن حيـاض الديلم

وقال عروة بن أذينة :

خرجت خيفة أهلها فتبسمت … فعلمت أن يمينهـا لم تحرج

فلثمت فاها آخـذاً بقرونها … شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقال عبدالله بن أبي كثير :

رقّت عليـه عـداته … كذبا فعـاقبه أميره

في أن شربت بجمٍّ مـاء كان حـلّا لي غـديره

ومما يستغرب في هذه النكتة اللغوية النحوية أن ابن قتيبة ـ رح ـ ناقض نفسه في كتابه الموسوم بمشكلات معاني القرآن قال : « وتأتي الباء بمعنى (من) تقول العرب : «شربت بماء كذا» أي منه وقال تعالى : «عيناً يشرب بها عباد الله ». أي منها[2] .

وإني خاتم هـذه « النمذجة » لمعجمي المستدرك بالكلام على الفعل « اسـتهدف » فان

(١) الكامل ١ : ٣٩ طبعة الدلجموني الأزهري .

(٢) راجع مادة بعض من المصباح المنير

معجمات اللغة الأمات أو الأمهات لم تذكره ، متعدياً بنفسه بمعنى « اتخذ المفعول به هدفاً وغرضاً » مع شيوع استعماله في هذا العصر وحلوله محل « رمى » و « قصد » و « انتحى » و « توخى » ومرادفاتهن ، ومع جريانه على أسلات الأقلام ، وهنا نفزع إلى المعجم المستدرك فقد جاء فيه « وقد عدى استهدف بنفسه قديماً في كلام الفصحاء ، قال الإمام علي ـ ع ـ في وصف الدنيا « دار بالبلاء محفوفة ، وبالغدر معروفة » ثم قال : « وانما أهلها فيها أغراض مستهدَفَة ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بحمامها ، قال العلامة عز الدين بن أبي الحديد : ومستهدفة بكسر الدال : منتصبة مهيأة للرمي ، وروى مستهدفة بفتح الدال على المفعولية كأنها قد استهدفها غيرها أي جعلها أهدافاً [1] . وقال فخر الدين الطريحي من علماء القرن الحادي عشر للهجرة في كتابه « مجمع البحرين ومطلع النيّرين في شرح الغريب : » فيه : أغراض مستهدفة هي بكسر الدال المنتصبة ، واستهدفت : أي طلبت اتخاذ هدف ، وهو كل شيء مرتفع من تراب ورمل ومنه مستهدفة بفتح الدال » فالسماع قد ورد بوجود استهدفه أي استهدفه ، وقد قرأت في بعض كتب الأخبار الخاصة بوقعة كربلاء واستشهاد الحسين بن علي ـ ع ـ « استغرضه » بمعنى اتخذه غرضاً ، والقياس مجيز لهما بعد السماع ، وذلك أننا نقول: استخدمه أي اتخذه خادماً ، واستوزره : اتخذه وزيراً ، واستحجبه : جعله حاجباً واستبدله : اتخذه بدلاً ، واستكتبه : جعله كاتباً له ، واستخلفه : جعله خليفة له ، واستعمله : رتبه عاملاً واستسفره اتخذه سفيراً ، ومنه ما ورد في حديث علي لعثمان ـ رضي الله عنهما ـ « ان الناس ورائي ، وقد استسفروني بينك وبينهم ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم [2] .

وأنا أقول لكم ـ ياسادتي ـ ما أعرف شيئاً تجهلونه ولا أدلكم على أمر لا تعرفونه ولكن المرء مفتون بما عنده وبولده ، وشعره ، على ما قال بعض الأدباء القدامى .

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٤ .

(٤) نهج البلاغة

التعقيبات

الدكتور ابراهيم مدكور : أشكر الدكتور مصطفى جواد على هذا العرض الواضح السريع ، ولا شك أن المستدرك على المعجمات بحث شاق وعمل مضن ، وانا لنرجو له التوفيق كله فيما حاول ، ونأمل أن يرى هذا العمل النور ، لنفيد منه جميعاً ، ونقرأه في هدوء وروية واذا كان لأحد الزملاء أي تعقيب على السيد الباحث فليتفضل .

الاستاذ الشيخ محمد على النجار : أشكر الأستاذ الدكتور مصطفى جواد على بحثه القيم الذي أبان فيه عن سعة اطلاع في اللغة ، وذكانة فيها ، وأقدر له عمله الذي يقوم به ، وهو تدوين ما فات المعاجم من ألفاظ واستعمالات غاب عن أصحاب هذه المعاجم تدوينها ، واعتماده في ذلك على ما وجد في كتب المؤلفين والكتاب ، فذلك عمل جليل يشكر عليه .

وأذكر أن طيب الذكر الأب أنستاس الكرملي شغل نفسه بهذا الموضوع دهراً ، وعمل في ذلك ما سماه المعجم المساعد الذي لا أدري ما مصيره الآن ، وأود بعد هذا أن اذكر بعض ملاحظات بدت لي على بحث الدكتور جواد أجملها فيما يلي :

١ — ذكر سيادته في تصحيح استعمال « تنازل » بالمعنى المعروف للناس اليوم عبارة وردت في المعجم الوسيط في أثناء شرح بعض المواد ، على حين أن استعمال « تنازل » بهذا المعنى لم يرد في مادة « ن ز ل » ومثل هذا لا يكون حجة على صحة هذا الأسلوب ، ومثل ذلك يقع كثيراً للمؤلفين ، يخطِّىء أحدهم شيئاً حين يعنى ببحثه ثم يقع فيه في استعماله هو ومن ذلك ما وقع لابن هشام في المغنى ، فقد خطأ قول الناس : هأنا قادم ، وأوجب أن يقال هأنذا قادم ، وقد جاء في خطبته للمغنى ـ الذي دون فيه هذا الحكم ـ قوله : « هأنا بائح » ولم يقل « هأنذا بائح» على مقتضى قاعدة ، ولم ير العلماء في هذا رجوعا من ابن

هشام عن آرائه ، وحملوا ما ورد له في الخطبة على تأثره بالاستعمال الشائع في زمانه .

٢ — ويسوى الاستاذ جواد بين « تنازل عن كذا » و « هذا الأمر يؤدي بنا الى كذا » وهما ليسا سواء البتة ، فالعبارة الثانية لها تخريج لغوي صحيح ، وهو أن يكون هذا من باب التضمين . ضمّن الفعل «أدى» معنى « أفضى»،والتضمين باب مسلوك،أما «تنازل عن كذا » فليس له وجه معروف .

٣ — كذلك يريد الأستاذ الدكتور أن يخرج العبارة الثانية على عبارة قرأها يريد يجعلها قاعدة مطردة وهو قوله « كل ما أفاد حركة يصح تعديته بالباء » وقد أورد في ذلك الآية الكريمة « عيناً يشرب بها عباد الله » وقول أبي ذؤيب :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

والواقع أنه لا ينبغي لنا أن نعتبر هذه قاعدة عامة ، فهل يقال : ضربت بزيد ، وكتبت بالرسالة ؟ وقد قالوا إن الباء في « شربن بماء البحر » . . للالصاق ، مثلها في قوله تعالى : « فامسحوا برؤسكم » فالمسح المتعدي بنفسه عدى هنا بالباء لافادة معنى الإلصاق .

٤ — وعرض كذلك الاستاذ الدكتور جواد لما شاع من قول الناس : « استهدف فلان الأمر الفلاني .. » ونحو ذلك ، وأذكر أن هذا الاستعمال عرض على لجنة الأصول بحثه ، وقد انتهت اللجنة الى القول بأن استعمال السين والتاء للجعل قياسي « وعلى ذلك فهذا الاستعمال جائز » .

هذا بعض ما بدا لي وشكراً .

٣ — المذهب الكوفي في النحو واللغة وأثره

في التطوير والتيسير

الاستاذ عبدالحميد حسن

عضو مجمع اللغة العربية

موضوع كلمتي يتجه إلى أثر المذهب الكوفي في تيسير قواعد اللغة وتطويرها .

وحين يرد بالخاطر اسم المذهب الكوفي يجيء إلى جانبه منافسه ، وهو المذهب البصري، ويجيء كذلك المذهب البغدادي ، وتجيء أيضاً مذاهب أخرى وهي المغربي والأندلسي ، ويجيء كذلك اسم هؤلاء النحاة واللغويين الذين عكفوا على التفكير والدرس والتأليف والتحقيق في مصر والشام وغيرهما من الاقطار العربية التى اهتم رجالها بالثقافة اللغوية وأولوها جانباً عظيماً من عنايتهم وجهودهم المثمرة القيمة .

وعن كل هذه الجهود نشأ هذا البناء اللغوي الشامخ الذي اكتمل على تعاقب العصور، وبه أصبحت قواعد اللغة علماً متشعب الأطراف تستغرق دراسته والالمام به سنوات من أعمار الشادين والدارسين والمتعمقين . ولا نغالي إذا قلنا إن هذه الدراسة تجاوز القدر المعقول الذي يخدم الأغراض المنشودة للغة وللتعبير السليم .

على أننا إذا شكونا قلة جدوى كثير من مسائل هذا العلم واقتنعنا بصواب الآراء التى تنادي بضرورة الاستغناء عما لا يمت بصلة وثيقه إلى أهداف اللغة العربية ، فانه لا يسعنا إلا أن نعترف بأن فى هذا التشعب واختلاف آراء العلماء ظاهرة محمودة لها شأنها ، وهى الدلالة على ما كان يسود ذلك الجوّ اللغوي من حرية الفكر ، وعلى أن القوم كانوا يسلكون سبيل الاجتهاد ، فان كل عالم من علماء اللغة كان يبدي رأيه فى حرية واستقلال مستنداً إلى ما صح عنده من الشواهد وما اقتنع به من الحجج .

وكان العالم البصري أحياناً ينحاز إلى الكوفيين وينصر رأيهم في بعض المسائل كما كان الكوفي ينحاز إلى البصريين في بعضها .

وإذا كان لنا أن نتخـذ من كل هذا توجيهاً فيما نرسم من خطة أو منهج في اللغة وتطويرها ، فإنا نقول إنه يجدر بنا أن نطلق لعقولنا الحرية في أن نرجح مذهباً لغوياً على آخر وأن نبتكر رأياً جديداً ، ما دمنا نستند إلى ما ورد عن العرب جميعهم أوطائفة منهم ، وما دمنا نسلك النهج السليم في علم اللغة وفى نظرياته الحديثة .

وإن ميدان التيسير ونواحيه كثيرة متشعبة كالعامل والعلل والتأويلات والتخريجات وغير ذلك . ولست أريد فى هذه الكلمة العابرة أن أعالج كل هذا ، ولكني تخيرت ناحية واحدة ، هى آراء الكوفيين وما يمكن أن نفيد منها في التيسير والتطوير .

وإن المذهب الكوفي إنما يتضح إذا نظرنا اليه إلى جانب المذهب البصري لكي نتبين منشأ الاختلاف ووجوه الرجحان وأسباب ذيوع المذهب البصري وحجج كل من الفريقين المتنافسين ، ولنبدأ بنظرة إجمالية في نشأة هذه المذاهب :

نشطت الثقافة العربية في شتى نواحيها في مرحلة مبكرة من ظهور الاسلام ، وشحذ العلماء عزمهم وأعملوا أفكارهم في البحث والدرس ، وكان للعلوم اللسانية من ذلك نصيب عظيم .

وكان النشاط الثقافي بارزاً في الأقطار العربية الأصيلة ، وفي البلاد التى أمتد اليها الاسلام وفي العواصم التى أنشأها العرب حين أتسع سلطانهم وامتد نفوذهم وبنوا المدن في شتى أنحاء العالم العربي .

ومن بين المدن التي أنشأها المسلمون وكان لها شأن عظيم في الدرس والبحث مدينتا البصرة والكوفة ثم مدينة بغداد ، ثم المدن الأخرى في مصر وفي المغرب وفي الأندلس ، ثم في الأقطار التي امتد إليها ظل الإسلام في مدن فارس وغيرها .

وأسبق المدن إلى الاهتمام بالثقافة اللغوية مدينتا البصرة والكوفة ، ففي ربوع هاتين

المدينتين وضع الأساس الأول للدراسة النحوية والصرفية واللغوية . ثم تعاقبت طبقات الباحثين ، وكانت كل طبقة تضيف إلى البناء اللغوي لبنات ترفع قواعده وتعلي صرحه ، حتى تم البناء اللغوي شامخاً وكثرت فيه المؤلفات وتعددت الآراء إلى درجة تسترعي الأنظار وانقسم علماء الأمصار إلى طوائف لكل منها اتجاهه وحججه .

وكان مرجع العلماء والباحثين في تدوين اللغة وقواعدها وخصائصها هو كلام العرب ، فهو المنبع الأصيل ، فان الكلمات وتفرعها وضبط أواخرها هي ظواهر لغوية بدت في كلام العرب . وللعرب لهجات مختلفة ، ولكل لهجة طابعها ومقوماتها ، وكل هذه اللهجات عربي صحيح وإن اختلفت في درجة الفصاحة في رأي العلماء أو بعضهم .

ولهذا الاختلاف اختلف العلماء في الاعتداد ببعض الشواهد ، فكان بعضهم يرتضيها أساساً للاستنباط ، وبعضهم يشك فيها أو يراها قليلة فيهمل الاستشهاد بها . ولهذا تجيء القاعدة اللغوية شاملة عامة عند بعض العلماء وتجيء عند بعض آخر مقيدة بقيود تجعل استعمالها محدود الآفاق .

وقد حرص العلماء والمؤلفون الذين سجلوا هذا على أن يلتزموا جانب الدقة والأمانة العلمية فدونوا كل شيء وذكروا في المسألة الواحدة جميع الآراء . ومن هذا اتسع الخلاف وتشعبت مسائله .

ولعل هذا الحرص على تدوين مختلف الآراء هو الوضع الذي يقضي به التسجيل العلمي ، ولكنا إذا اتجهنا الى تطبيق كل هذه الأوجه من الخلاف تطبيقاً عملياً نجد حرجاً وحيرة فيما نأخذ وما ندع .

البصريون والكوفيون :

وقبل أن ننظر في أوجه الخلاف وما نرتضيه منها وما لا نجد داعياً إليه ، ننظر إلى الطائفتين الكبيرتين اللتين احتملتا أعباء البحث والدرس والاستنباط والتدوين النحوي واللغوي ، وهما طائفة البصريين وطائفة الكوفيين .

والذي يدعو إلى الاعتداد بهاتين الطائفتين هو أن رجال كل منهما من خيرة العلماء وكبار اللغويين ولهم آراء تستدعي النظر وتستحق التقدير .

وإن الذي يعنينا في بحثنا هو طائفة الكوفيين، ولكي تعرف آراء هذه الطائفة وبيان ما لها من وزن وأثر انما يتجلى اذا قرنا المذهب الكوفي بالمذهب المناظر له ، وهو المذهب البصري ، وذلك لكي يتضح منهج كلتا الطائفتين ومدى عمقه واستجابته لما ينشده دعاة التجديد والتطوير .

١ — البصريون :

اختطت البصرة في خلافة عمر بن الخطاب على نهر شط العرب وهو ملتقى نهري دجلة والفرات ، ويصب في الخليج العربي . وفي البصرة تتلاقى الطرق التجارية ، وقد رحل إليها بعض أهل فارس لقربها منهم ، ووفد إليها كثير من مختلف الطبقات وذوى الثقافات،واختلط بهم بعض الموالي وللموالي في ذلك العصر اتجاه بارز إلى الاشتغال بالعلوم.

لكل هذا كانت نزعة البصريين في بحوثهم وآرائهم نزعة فيها كثير من الميول الفلسفية والحقائق المنطقية ، وكان منهجهم في النحو واللغة خاضعا لهذه النزعة ، فكانوا يعتمدون على القياس ويتمسكون بأن تتوافر فيه الأمثلة الكافية التي ثبتت روايتها عن العرب الموثوق بصفاء عروبتهم والتي رواها الرواة الذين يعتد بهم،وكانوا يردون على الكوفيين بأن ما استدلوا به لا يعرف قائله ، أو لم تثبت عندهم صحته ، أو أنه ضرورة أو أنه شاذ ، وإذا لم يجدوا في هذا وسيلة للرد لجؤا إلى التأويل الذي يوافق رأيهم .

ومن الغريب أن فريقاً من النحاة البصريين الأولين كانوا يخطئون كبار الشعراء كما فعل عبد الله الحضرمي في شعر الفرزدق ، وكما فعل غيره من متشددي النحاة البصريين الذين كانوا يتحرجون إزاء قبول الشواهد العربية ، ولم يرتضوا كل ما سمعوا من العرب ، ولا كل ما روى الرواة ، وبذلك أهدروا بعض الكلام العربي وتحكموا في رفضه وعدم الاعتداد به .

وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن النحو البصري لم يكن نحو العربية كلها ، بل نحو فريق من القبائل ، حقاً إن هذه القبائل التي ارتضاها البصريون هى من القبائل العريقة التي يعتد بلهجاتها وبذيوع لغاتها ، ولكننا لانقول إن غيرها لا وزن لهم أو أنه لايسوغ للباحثين أن يتخذوا منها سنداً لقواعد ، نحوية ولغوية صحيحة يجوز احتذاؤها .

ولهذه النزعة المنطقية الفلسفية في المذهب البصري نرى أن علماءه قد رسموا لمنهجهم قواعد مستمدة من الأسس المنطقية والفلسفية ، مثل قولهم :

١ — الحرف إنما يعمل إذا كان مختصاً ، و « لولا » لا تختص بالاسم .

٢ — النفي له صدر الكلام فلا يعمل ما بعده فيما قبله . وكذلك الاستفهام .

٣ — الفعل إنما يتصرف عمله إذا كان متصرفاً في نفسه .

٤ — لايجوز استعمال « من » في الزمان .

٥ — الأصل في الاسماء ألا تعمل .

٦ — لايجوز الجمع بين علامتي تعريف .

٧ — تجري الأداة مجرى أداة أخرى إذا شابهتها من وجهين مثل ما ، ليس .

٨ — الفعل المضارع معرب لأنه أشبه الاسم .

٩ — في نحو « قمت وزيد » لايجوز عطف « زيد » على التاء لأن التاء بمنزلة الجزء من الفعل فلو جوزنا العطف عليها لكان بمنزلة عطف الاسم على الفعل .

إلى غير ذلك من الأسس التي بنوا عليها بعض الأحكام اللغوية .

(٢) الكوفيون :

اختطت الكوفة فى خلافة عمر بن الخطاب أيضاً بعد البصرة بمدة قليلة فى وادي الفرات الخصيب وموقعها بين البادية والحضر ، وقد غلب عليها الطابع العربي ، فحياة الكوفة عربية خالصة . وقد توفر الكوفيون على كل ما هو عربي أصيل ، وأكثروا من رواية

الشعر قديمه وحديثه ، وكان للشعر العربي ـ وهو المعول عليه فى الاستشهاد وفى كثير من الأحكام اللغوية ـ مكانة وللكوفيين به عناية .

وإلى جانب ذلك كان الكوفيون مهتمين بفن قراءات القرآن الكريم ، وقد تخرج أكثر القراء فى الكوفة ، والكسائي وهو مؤسس المدرسة الكوفية النحوية كان أحد القراء السبعة .

وكان أساس مذهبهم الاعتماد على الرواية والنصوص العربية قرآنية وشعرية أكثر من اعتمادهم على الأقيسة النظرية المنطقية ، ومنهجهم أقرب الى الدراسة اللغوية منه الى الأخذ بأسباب المنطق ويقوم منهجهم العام على اعتماد المسموع من العرب .

ولم يبالوا بتلك الأصول المنطقية التي اتخذها البصريون سنداً لآرائهم ، فلم يبالوا باجتماع عاملين على معمول واحد ، أو بإعمال العامل الواحد فى معمولين .

ومن هذا يتضح أن المذهب الكوفي أساسه الاجتهاد ، فإن الكسائي ذهب الى البصرة ولقى الخليل بن أحمد وأخذ عنه ، وسأله عن مصادر الاستفادة في النحو فقال له : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فأسرع اليها وأستمد منها ، ثم استقل عن مذهب البصريين وأقام مذهب الكوفيين وخالف البصريين فى بعض أصولهم وتبعه تلميذه الفراء.

وقد حفظ الكوفيون لبعض الشواهد اللغوية اعتبارها فجوزوا القياس على كل ما سمع عن العرب ولو كان بيتاً واحداً .

من هذا يتضح أن المذهب الكوفي له دعائمه الصحيحة القوية ، وأن الكوفيين لهم وجهات من النظر فى المسائل اللغوية تتسم بالسلامة وترتكز على الكلام العربي وتساير واقع اللغة فى الميدان العملي القويم .

وقد يجول بالخاطر أن نتساءل عن السبب في ذيوع المذهب البصري واعتداد طائفة من العلماء به دون المذهب الكوفي .

ويرجع السبب :

أولا : إلى السبق الزمني ، فان العناية باللغة والنحو نبتت منذ أن قام أبو الاسود الدؤلي بضبط القرآن الكريم بالشكل على طريقته التي وضعها ، ثم جاء الرعيل التالي من نحاة البصرة فرسموا الخطوط العريضة لمسائل النحو ، وجاء بعدهم ذلك العالم المتواضع ذو العقل الكبير وهو الخليل بن أحمد فأملى على تلاميذه ما أملاه فى مسائل اللغة وترك ذلك الأثر الجليل وهو « كتاب العين » فى اللغة ويعتبر أول معجم عربي . وقد ساق الخليل في ثنايا هذا المعجم كثيراً من الشواهد والعبارات التي تحمل فى طياتها مسائل توحي بطائفة من قواعد النحو بطريقة غير مباشرة .

ثانياً : إن الأثر النحوي الذي تركه الخليل قد ظهر فيما جمعه تلميذه « سيبويه » في كتابه الذي يعد حاوياً لمسائل النحو جميعها على الأسلوب الذي سلكه « سيبويه » وبالاصطلاحات التي وضعها . وقد وجد علماء ذلك العصر والعصور التي تلته فى كتاب سيبويه عملا عظيماً في تصنيف القواعد النحوية وتدوين جميع مسائلها فعكفوا على دراسته وتباروا في شرحه وتدريسه ، وكانوا يرون أنه كتاب عميق الغور ، ولا يجرؤ على دراسته أو تدريسه إلا ذوو المقدرة والكفاية ، واصبحت كلمة « الكتاب » في البيئات العلمية في البصرة علماً على كتاب سيبويه .

وهكذا ذاع كتاب «سيبويه» وملأ المجامع وشغل الأذهان وعلت مكانته ، فلم يهتم الدارسون والباحثون بكتاب غيره ، وتتابعت العصور والمذهب البصري بفضل كتاب سيبويه يزداد رسوخا وذيوعاً ، وظل العلماء والمؤلفون يأخذ لاحقهم عن سابقهم على النهج البصري حتى أصبح النحو الذي بين أيدينا والذي يتدارسه العلماء هو النحو البصري في معظم مسائله .

أما الكوفيون فقد كان مما عاق مذهبهم عن الذيوع أنهم لم يجمعوا قواعد نحوهم في كتاب ، غير أنهم مع ذلك استمروا في خطتهم مستمسكين بالآراء التي ارتضوها مبرهنين على صحتها . ولذا احتدم الجدال بينهم وبين البصريين ، وانبرى كل فريق للانتصار لرأيه

ودعم وجهة نظره بالحجج والأدلة .

وقد جمع ابن الأنباري في كتابه « الإنصاف » مئة وإحدى وعشرين مسألة مما اختلف فيه الفريقان وساق حجج كل منهما في كل مسألة وانتصر للبصريين في جميع المسائل ما عدا سبعاً منها .

ولنا الآن أن نعيد النظر في هذه المسائل وفي غيرها مما اختلف فيه النحاة لندلي بما نرى ، ونضع الأساس لمنهج نرسمه يحقق الغاية من دراسة النحو في يسر وسهولة .

وقد فتح لنا « ابن مالك » الطريق في « ألفيته » فأبدى رأيه في بعض مسائل الخلاف ورأى فيها رأي الكوفيين .

* * *

هذا ، وإن الخلاف بين النحاة في أي مظهر كان من مظاهره، أو طريق من طرقه ليحمل في ثناياه بواعث التفكير في الترجيح وفي اختيار الأجدى ، والأيسر ، وإن آراء الكوفيين تنطوي على تيسير كثير دون مساس بجوهر اللغة وخصائصها .

فلننظر في آراء الكوفيين ، وسنجد فيها منافذ إلى بعض وجوه التيسير ، وإننا إذا ارتضينا وجهة نظرهم فلن نحيد عن الصواب ، فان للكوفيين آراء في التخريج والتوجيه تستحق الاعتبار وتنطوي على كثير مما تنشد من عوامل التيسير .

وقبل ذلك نشير إلى عالم من علماء الشريعة واللغة وهو « ابن مضاء » القرطبي (٥١٣ — ٥٩٢ هـ) الذي حمل حملة عنيفة على النحو والنحاة ، ونقد طائفة من آرائهم نقداً مراً في كتابه « الرد على النحاة » .

ولعله لو استعان بآراء الكوفيين في بعض ما ذهب إليه من نقد لوجد فيهم نصيراً ، ولأيقن أن هناك فريقاً من العلماء الأجلاء يشاطرونه الرأي في وضع الأساس السليم لبعض مسائل النحو .

* * *

نعود بعد ذلك إلى المسائل التي نجد أن آراء الكوفيين فيها تنطوي على التيسير والتطوير . فمن ذلك :

(١) تراكيب الاشتغال مثل « محمد أكرمته » .

يرى الكوفيون أن الاسم منصوب بالفعل الواقع على الهاء (المسألة رقم ١٢ من كتاب الانصاف) .

(٢) فعل الأمر معرب مجزوم (المسألة ٧٢ من كتاب الانصاف) .

(٣) العطف على الضمير المخفوض .

أجازه الكوفيون (المسألة رقم ٦٥ من الانصاف) .

وقد وافقهم « ابن مالك » فقال :

وعود خافض لدى عطف على	ضمير خفض لازماً قد جعلا
وليس عندي لازماً إذ قد أتى	في النظم والنثر الصحيح مثبتا

(٤) المضارع المنصوب بعد :

فاء السببية (المسألة رقم ٧٦ من الأنصاف) .

واو المعية (المسألة رقم ٧٥ من الأنصاف) .

لام التعليل (المسألة رقم ٧٩ من الأنصاف) .

لام الجحود (المسألة رقم ٧٢ من الأنصاف) .

والكوفيون لا يرون أن المضارع في هذه المواضع منصوب بأن المحذوفة .

(٥) الاسم المرفوع بعد « أن » الشرطية :

يرى الكوفيون أنه يرتفع بما عاد اليه من الفعل من غير تقدير فعل المسألة رقم ٨٥ من الأنصاف) .

(٦) « أي » الموصولة :

يرى الكوفيون أنها معربة مطلقاً وقد وافقهم ابن مالك وذكر ذلك في الفيته .

(٧) نصب خبر كان وثاني مفعولي ظننت :

ذهب الكوفيون إلى أن كلا منهما منصوب على الحال (المسألة رقم ١١٩ من الأنصاف) .

* * *

هذه بعض المسائل التي سلك فيها الكوفيون مسلك اليسر دون أن يبعدوا عن خصائص اللغة أو ينحرفوا عن نهجها . وقد شمل ميدان الخلاف الذي عرض له ابن الأنباري مسائل ينبغي أن تنال عناية في النظرة الشاملة لتطوير النحو ، كموضوع العامل ، والتقديم والتأخير والميزان الصرفي للكلمات .

وهناك كذلك مسائل أخرى متناثرة في كتب النحو يرى فيها العلماء آراء تلقي أضواء على طرائق التطوير والتيسير .

كما أن هناك أيضاً ما تعرض له ابن مضاء القرطبي في كتابه « الرد على النحاة » من وجوه النقد كالعامل والعلل ومسائل الاشتغال والتنازع وغير ذلك .

كل هذا يستدعي نظرة عميقة فاحصة حين نعرض للتطوير الشامل لقواعد اللغة في شتى نواحيها وجميع مسائلها ، وعسى أن يكون ذلك قريباً إن شاء الله .

* * *

إن عصرنا الحديث هو عصر البناء والتجديد ، وان العروبة سائرة بهمة قوية في طريق النهوض والازدهار ، فليكن للغة العربيـة من هذه النهضة المباركة نصيب يضفي عليها من الصفاء والنضارة وعوامل القوة ما هي جديرة به .

والله يرعانا ويسدد خطانا .

الجلسة الخامسة

(خاصة)

صباح الاربعاء ٣٠ من رجب سنة ١٣٨٥ هـ .

٢٤ من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٥ م .

١ – المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم للواء الركن محمود شيت خطاب – عضو المجمع العلمي العراقي

٢ – المصطلحات الطبية الدكتور محمود الجليلي – عضو المجمع العلمي العراقي

١ — المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم

للواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي

مقدمة في أهمية توحيد المصطلحات العسكرية

— ١ —

قدم العراق سنة (١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م) وفد عسكري من إحدى دول المغرب العربي لزيارة مقرّات [١] ومؤسسات [٢] وتشكيلات [٣] في الجيش العراقي .

وكان في منهاج ذلك الوفد زيارة وحدات [٤] الموصل العسكرية ، وكنت حينذاك آمراً لأحد أفواج المشاة هناك ، فلم أستطع ولم يستطع آمرو الوحدات وآمر اللواء التفاهم مع الوفد العربي إلا بلغة أجنبية !!

وقد زرت وحدات وتشكيلات ومؤسسات عسكرية في بعض الدول العربية الشقيقة فلم استطع فهم معاني كثير من مصطلحاتهم العسكرية إلا بصعوبة .

ولكي ندرك مدى الاختلافات الكبيرة بين ألفاظ المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، أضرب مثلاً بالمصطلحات العسكرية لسلاح صغير من الأسلحة الخفيفة هو :

(١) المقرات : جمع مقر ، ويتألف كل مقر من القائد أو الآمر وهيأة ركنه والمراتب لادارة المؤسسات والتشكيلات والقطعات ، مثل : مقر الجيش ، ومقر الفيلق ، ومقر الفرقة ، ومقر اللواء ، ومقر الوحدة ، ومقر السرية ، ومقر الفصيل ، ومقر المدرسة ، ومقر الكلية .

(٢) المؤسسات : جمع مؤسسة ، وهي المدرسة أو الكلية ، مثل : مدرسة المشاة ، ومدرسة المدفعية ، والكلية العسكرية ، وكلية الأركان .

(٣) التشكيلات : جمع تشكيل ، وهو اللواء والفرقة والفيلق ، والتشكيلات هي القطعات الفعالة .

(٤) الوحدات: جمع وحدة ،وهي قطعة فعالة مثل الفوج للمشاة ، والكتيبة المدفعية والهندسة والمخابرة والدروع والخيالة .

(الغدّارة) [1] لـكي نقارن بين قسم من أسماء أجزائها في الجيش العراقي باسماء تلك الأجزاء بأعيانها في جيش الجمهورية العربية المتحدة [2] ، لتصوير فكرة واضحة عن البون الشاسع في المصطلحات العسكرية بين الجيشين العربيين الشقيقين ، مع أن هذه المصطلحات في هذين الجيشين ، أقل اختلافاً عند مقارنتها بالمصطلحات العسكرية في الجيوش العربية الأخرى.

في الجيش العراقي	في جيش الجمهورية العربية المتحدة
١ ـ السبطانة	١ ـ الماسورة
٢ ـ الزناد	٢ ـ التتك
٣ ـ الشعيرة	٣ ـ الدبّانة
٤ ـ النابض	٤ ـ الزنبرك
٥ ـ التصويب	٥ ـ النيشان كاه
٦ ـ الاملاء	٦ ـ التعمير

هذا الاختلاف في ألفاظ المصطلحات العسكرية ، يشمل أنواع الاسلحة الخفيفة الأخرى ، وأنواع المدافع ، كما يشمل مصطلحات الرمي الخاصة بالاسلحة الخفيفة والثقيلة وأنواع عتادها ، كما يشمل مصطلحات صنوف الجيش كالمشاة والخيالة والدروع والمخابرة (سلاح الإشارة) والقوة الجوية والقوة البحرية ، كما يشمل مصطلحات الخدمات الإدارية كالميرة والتموين والعينة وكالنقلية الآلية والهندسة الآلية الكهربائية ، ويشمل أيضاً أجزاء السيارات والمدرعات والدبابات والطائرات والسفن والبواخر والبوارج وحاملات الطائرات وأدواتها الاحتياطية ، كما يشمل أسماء الرتب والمناصب وأسماء القطعات والمقرات والتشكيلات

(١) الغدارة : رشاشة خفيفة ترمي بطلقات منفردة وبصليات ، وهي من أسلحة المراتب للقتال القريب.

(٢) المفروض أن كثيراً من هذه المصطلحات العسكرية المستعملة في جيش الجمهورية العربية المتحدة ، قد تبدلت بعد صدور المعجم العسكري السوري الذي وضع لغرض توحيد المصطلحات العسكرية في الجيشين المصري والسوري وذلك قبل الانفصال ، وبعد صدور المعجم العسكري الموحد في العراق .

العسكرية ، ومصطلحات التدريب والتعبية [١] والسواق [٢] وواجبات الاركان وصفحات القتال ، وكلها مختلفة أشد الاختلاف في الجيوش العربية الشقيقة .

— ٢ —

فهل سارت المصطلحات العسكرية في البلاد العربية نحو التوحيد ؟.

الحق أن المصطلحات العسكرية العربية قطعت شوطاً بعيداً نحو التوحيد داخل البلاد العربية ، أي أن كل جيش عربي بذل جهوداً مشكورة لتوحيد مصطلحاته العسكرية داخل نطاق جيشه .

فقد كانت هذه المصطلحات مختلفة أشد الاختلاف في كل جيش من جيوش البلاد العربية وذلك أمر طبيعي لأن تلك الجيوش ولدت بعد نيل البلاد العربية استقلالها فكانت النواة الاولى لكل جيش عربي عبارة عن ضباط ومراتب تدربوا تدريباً أجنبياً بلغة غير عربية ، فحاول كل جيش عربي بعد استقلال بلاده ، أن يستبدل بالمصطلحات العسكرية الاجنبية مصطلحات عسكرية عربية .

ولعل أهم مظهر من مظاهر توحيد المصطلحات العسكرية داخل الجيوش العربية هو تأليف عدة معجمات عسكرية أهمها ثلاثة : المعجم العسكري العراقي ، والمعجم العسكري السوري ، والمعجم العسكري اللبناني .

(أ) أولاً : يضم المعجم العسكري العراقي ، وهو انكليزي ـ عربي [٣] ، اكثر من اثني عشر ألف [٤] مصطلح عسكري ، كلها مقتبسة من صميم اللغة العربية الفصحى ، ولكن الجيش العراقي لايقتصر على استعمال ما جاء في هذا المعجم من مصطلحات عسكرية ، بل

(١) Tactics

(٢) Strategy

(٣) أصل هذا المعجم كتيب صغير صدر سنة ١٩٣٢ باسم : « Modern Military Vocabulary . English - Arabic »

(٤) انظر المعجم العسكري العراقي ص (ب) من المقدمة .

يتابع المسؤولون فيه المصطلحات العسكرية الجديدة في الجيوش الاجنبية الراقية، ويضعون لها المصطلحات العسكرية المناسبة لها بلغة عربية سليمة ، فقد انبثقت عن كلية الأركان مصطلحات عسكرية خاصة بالقضايا السوقية والتعبوية والإدارية وواجبات الأركان ، كما انبثقت مصطلحات عسكرية أخرى عن المدارس العسكرية الإدارية خاصة الامور الادارية وأسماء أجزاء السيارات والمدرعات والدبابات والطائرات والبواخر ، كما انبثقت عن مدارس التدريب العسكري وكلياته مصطلحات عسكرية خاصة بالأسلحة الخفيفة والاسلحة الثقيلة وعتادها وقنابلها [1] وقنابرها [2] ، مثل مصطلحات مدرسة المشاة ومدرسة المدفعية ومدرسة المخابرة ومدرسة الدروع وكلية الطيران .

وقد أضيفت هذه المصطلحات العسكرية الجديدة الى المعجم العسكري العراقي ، لذلك فكرت مديرية التدريب العسكري للجيش العراقي ، باعادة طبع المعجم العسكري العراقي، ليضم المصطلحات العسكرية الجديدة إلى ما كان فيه من مصطلحات عسكرية ، وستصدر الطبعة الجديدة من المعجم العسكرى العراقي منقحة مزيدة قريباً باذن الله .

ثانياً : وقد صدر عن مديرية التدريب العسكري للجيش العراقي معجم عسكري جديد ، هو : « المعجم العسكرى الموحد » الذي يرمي فيما يرمي إلى توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية عامة وللجيش العراقي وجيش الجمهورية العربية المتحدة خاصة .

وقد أعد هذا المعجم في ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : إعداد مصطلحاته العسكرية المستعملة في الجيش العراقي وتصنيفها وتنقيحها من لجنة عسكرية عراقية .

والمرحلة الثانية : عرض هذه المصطلحات العسكرية على لجنتين عسكريتين : لجنة عسكرية من ضباط الجيش العراقي ، ولجنة عسكرية من ضباط جيش الجمهورية العربية المتحدة لإقرار

(١) القنابل : (ج) : قنبلة ، والقنبلة عتاد المدافع (Gun) .

(٢) القنابر : (ج) : قنبرة ، والقنبرة عتاد مدافع الهاون (Mortars).

تلك المصطلحات .

والمرحلة الثالثة : طبع هذه المصطلحات العسكرية في مطبعة الجيش العراقي ونشرها في الجيوش العربية لاستعمالها في الاغراض العسكرية .

وتنفيذاً لمهمة إصدار المعجم العسكري الموحد ، طلبت دائرة الأركان العامة للجيش العراقي من صنوف الجيش ومدارسه وكلياته ومقراته ، جمع المصطلحات العسكرية المألوفة لديها والمتداولة عندها وتنقيحها .

وقدمت صنوف الجيش العراقي ومدارسه وكلياته ومقراته ، ما لديها من مصطلحات عسكرية إلى مديرية التدريب العسكري فى مقر وزارة الدفاع ، فألفت دائرة الأركان العامة لجنة عسكرية من ثمانية ضباط يمثلون المقر العام وكلية الأركان وقيادة القوة الجوية والقاعدة البحرية والمدفعية والمخابرة والهندسة الآلية الكهربائية، فنقحت اللجنة العسكرية العراقية المصطلحات العسكرية التي قدمتها إلى مديرية التدريب العسكرى صنوف الجيش العراقي ومدارسه وكلياته ومقراته ، فجمعت شملها وصنفتها وبوبتها ، وبذلك انتهت المرحلة الأولى من إعداد المعجم العسكري الموحد .

وقد تمكنت اللجنة العسكرية العراقية من مراجعة وإقرار ألفي مصطلح عسكري من مجموع ثمانية آلاف مصطلح عسكري هيأته للدراسة والتنقيح والصياغة النهائية ، وذلك خلال اجتماعاتها ـ التي بدأت في بغداد في الفترة من ٢٧ آذار ١٩٦٥ إلى ١٦ نيسان ١٩٦٥ ـ باللجنة العسكرية الموفدة من الجمهورية العربية المتحدة إلى العراق [١] .

وفي يوم ٦ حزيران ١٩٦٥ غادرت اللجنة العسكرية العراقية العراق إلى القاهرة، وبدأت اجتماعاتها باللجنة العسكرية لجيش الجمهورية العربية المتحدة في القاهرة حتى يوم ٢٦ حزيران ١٩٦٥ ، فأنجزت اللجنتان العسكريتان خلال هذه الفترة تنقيح واقرار ستة آلاف مصطلح عسكري ، وعادت اللجنة العسكرية العراقية إلى بغداد ومعها أصول المعجم العسكري الموحد

(١) كانت اللجنة العسكرية الموفدة من جيش الجمهورية العربية المتحدة مؤلفة من ستة ضباط .

الذي يحتوي على ثمانية آلاف مصطلح عسكري ، وبذلك انتهت المرحلة الثانية من إعداد هذا المعجم .

وقد عكفت مديرية التدريب العسكري للجيش العراقي على نشر تلك المصطلحات العسكرية مبوبة في ثمانية عشر باباً [١] ، فصدر المعجم العسكري الموحد في أول شهر تشرين الثاني ١٩٦٥ ، وبذلك انتهت المرحلة الثالثة من اعداد هذا المعجم واصبح كتاباً بين أيدي القراء [٢] .

والذي يؤخذ على هذا المعجم ، أن إعداده اقتصر على الضباط فقط ، وكان من الضروري أن يشارك في إعداده أعضاء من مجمع اللغة العربية ومن المجمع العلمي العراقي ، لإمكان تفادي الأخطاء اللغوية أولا ، ولإعطاء المعجم قوة لغوية تجعل له قيمة لاغبار عليها في البلاد العربية كافة .

ويؤخذ على إعداد هذا المعجم أيضاً أن القيادة العربية الموحدة لم تشارك في إعداده ، فكان من الواجب أن يكون بين أعضاء لجان اعداده ضباط من الجيوش العربية كلها يمثلون جيوشهم والقيادة العربية الموحدة ، ليأخذ هذا المعجم معنى الشمول ، ولتعترف به جيوش الدول العربية قاطبة وتعمل على تطبيقه في جيوشها نصاً وروحاً .

والظاهر ان القيادة العربية الموحدة لا علم لها بإعداد هذا المعجم ، فقد اصدرت نشرة [٣] تحتوي على (٢٨٥) مصطلح عسكري في اربع وعشرين صفحة ، ولكن مصطلحاتها تختلف عن مصطلحات المعجم العسكري الموحد كل الاختلاف ، ومن امثلة

(١) ابواب المعجم العسكري الموحد هي : ١ ـ التعابير العسكرية ٢ ـ واجبات الأركان ٣ ـ مصطلحات التعبئة ٤ ـ مصطلحات التدريب ٥ ـ الرتب والوحدات ٦ ـ القوة الجوية ٧ ـ القوة البحرية ٨ ـ الدروع ٩ ـ المدفعية ١٠ ـ الهندسة ١١ ـ المخابرة ١٢ ـ المشاة ١٣ ـ الكيمياء ١٤ ـ هيأة الامداد والتموين ١٥ ـ الهندسة الآلية الكهربائية ١٦ ـ الطبابة ١٧ ـ العينة ١٨ ـ الأشغال العسكرية . انظر التفاصيل في مقدمة المعجم العسكري الموحد ص (ج)

(٢) المعجم العسكري في (٣٠٨) صفحة من القطع المتوسط ـ مطبعة الجيش ـ بغداد ـ ١٩٦٥ .

(٣) وصلت هذه النشرة إلى مديرية التدريب العسكري في خلال الأسبوع الأول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ .

هذه الاختلافات ما جاء في صفحة واحدة فقط من صفحات نشرة القيادة العربية الموحدة، وهي :

في المعجم العسكري الموحد	في نشرة القيادة العربية الموحدة	المصطلح بالإنكليزية
الرعيل	الفصيل	Troop
البطرية	السرية	Battery
فوج	كتيبة	Battalion
جحفل لواء	مجموعة لواء	Arigode group

فإذا كان هذا مبلغ الاختلافات بين المصطلحات العسكرية للقيادة العربية الموحدة التي وردت في صفحة واحدة تضم عشرة مصطلحات عسكرية فقط وبين أعيان هذه المصطلحات الواردة في المعجم العسكري الموحد، فمعنى ذلك أن المعجم العسكري في واد، والقيادة العربية الموحدة في واد آخر، وأن ما بذلته القيادة العربية الموحدة من جهد في إعداد مصطلحاتها العسكرية ما هو الا جهد مضاع.

ويؤخذ على تنظيم المعجم العسكري الموحد كذلك، أنه كان يجب أن يبوب على حسب حروف الهجاء، ثم تنظم مفردات المصطلحات العسكرية في نهاية المعجم حسب صنوف الجيش، وهذا الأسلوب يجعل أمر استخراج المصطلح العسكري سهلا ويحول دون تكرار المصطلحات العسكرية دون مبرر.

ويؤخذ على هذا المعجم أن الذين نظموه كتبوا عناوين المصطلحات الإنكليزية باللغة الإنكليزية فوق عناوين المصطلحات العربية مباشرة، وليس من المناسب أن يعلو التعبير الأجنبي على التعبير العربي في معجم صدر في بلد عربي يرمي إلى توحيد المصطلحات العسكرية في البلاد العربية.

وقد كان بالإمكان تلافي هذه المآخذ على المعجم العسكري الموحد، لتشمل فائدته جيوش العرب من الخليج إلى المحيط، فيكون - بحق - معجماً موحِداً لا موَحداً.

وعلى كل ، فهذا المعجم خطوة عملية موفقة على طريق توحيد المصطلحات العسكرية العربية .

(ب) أما المعجم العسكرى السوري ، فتؤلف من قسمين : القسم الأوّل إنكليزي ـ عربي والقسم الثاني فرنسي ـ عربي ، ويضم كل قسم من هذين القسمين نحواً من أربعين ألف كلمة ، ويقع هذا المعجم في نحو ثمان مئة صفحة من القطع الكبير .

لقد كان وضع المعجم العسكري السوري وإخراجه للناس عملا عسكريا مهماً وإنجازاً لغوياً كبيراً ؛ لأن وضع المصطلحات العسكرية أمر شاق لا يقوى عليه إلا الخبراء بدقائق العلوم العسكرية ، المجيدون لإحدى اللغات الأجنبية إجادة تامة ، المتضلعون في الوقت نفسه من اللغة العربية الفصحى .

والذين يدرسون هذا المعجم يلحظون أن كثيراً من مصطلحاته العسكرية تشابه المصطلحات العسكرية العراقية ، ذلك لأن المعجمين العسكريين السوري والعراقي ، اعتمدا في جملة ما اعتمدا عليه ، مجموعة المصطلحات العسكرية للجيش السورى التي وضعت في الفترة الكائنة بين استقلال سورية بعد الحرب العالمية الثانية و بين الاحتلال الفرنسى لسورية عام (١٩٢٠ م) ، فقد بذل المسؤلون عن الجيش السوري في تلك الفترة جهوداً مشكورة لوضع المصطلحات العسكرية العربية للجيش السوري ، فكانت تلك المصطلحات العسكرية أول مصطنحات عسكرية في الجيوش العربية كلها .

كما ان لجنة [1] وضع المعجم العسكري السوري استعانت بالمعجم العسكري العراقي الذي صدر قبل المعجم العسكري السوري بنحو اربع عشرة سنة .

ولكن المعجم العسكري السوري يحتوي على عدد كبير من المصطلحات العسكرية التي

(١) كانت لجنة وضع المعجم العسكري السوري مؤلفة برئاسة الأمير مصطفى الشهابى رئيس المجمع العلمي العربى في دمشق ، وعضوية الأستاذ عز الدين التنوخى واثنين من الضباط السوريين ، وقد تألفت هذه اللجنة في مايس سنة ١٩٥٩ إبان الوحدة بين مصر وسورية .

تختلف عن مصطلحات المعجم العسكري العراقي ، ومن امثلة هذا الاختلاف ما يلي :

المصطلح الإنكليزي	ترجمته في المعجم العسكري العراقي	ترجمته في المعجم العسكري السوري
Battalion	فوج	كتيبة
Intellegence	استخبارات	مخابرات ، استعلامات
Air Jet	نفاثة	نضاحة هواء
Signal Corps	صنف المخابرة	سلاح الاشارة
Air Support	الإسناد الجوي	طيران الموافقة
Depot	مستودع	مأوى
Ammunition Truck	حافلة عتاد	كميون الذخيرة
Battalion drill	تعليم الفوج	مدرسة الكتيبة
Tactics	تعبئة	تكتيك
Military Report	تقرير عسكري	نشرة حربية
Field Cables	أسلاك الميدان	وشيعة
Rifle Man	جندي حامل بندقية	رامي مناوش جوّال
Standing Orders	أوامر ثابتة	أوامر دائمة

ومما يؤخذ على المعجم العسكرى السورى ، أنه يضم طائفة من الكلمات العامية مثل (كميون) وهي كلمة فرنسية اطلقت على سيارة الشحن (Truck) .

كما ان مصطلحاته لا تعبر عن المعنى المقصود في الأصل الأجنبي تعبيرا أميناً ، فمثلا مصطلح (Military Report) ترجم في المعجم العسكرى السورى بـ (نشرة حربية) ، في حين ان معناه : (تقرير عسكرى) ، والفرق كبير بين (النشرة) وبين (التقرير) من الناحية العسكرية .

كما يؤخذ على المعجم العسكري السوري كثرة المترادفات للكلمة الواحدة ، فمثلا كلمة :ـ (Adjutant) ترجمت بثلاث كلمات هي : (معاون ، نائب ، مساعد) في حين انها تعني في الجيش العراقي كلمة : (مساعد) ، وفرق كبير بين (المساعد) و (النائب) و (المعاون) من حيث المنصب والرتبة والواجبات في الوحدات العسكرية ، فكان الواجب يقضي بوضع مصطلح عربي واحد للمصطلح الاجنبي الواحد ، يفي بالمقصود منعاً للارتباك والالتباس .

(ج) أما المعجم العسكري اللبناني ، فهو فرنسي ـ عربي ، يقتصر على المصطلحات العسكرية البحتة ، غير ان اوجه الاختلاف بين مصطلحاته العسكرية ومصطلحات المعجم العسكري العراقي ، هي اكثر من الاختلافات بين مصطلحات المعجم العسكري العراقي ومصطلحات المعجم العسكري السوري ، ومن امثلة هذه الاختلافات ما يلي :

في المعجم العسكري اللبناني	في المعجم العسكري العراقي
عسكر	قطعات
عسكر مجوقل	قطعات منقولة جواً
عسكر درّاج ناري	قطعات الدراجات البخارية
عسكر حلول	قطعات الحامية
نهاية الخط	رأس السكة
انبار القنابل	مستودع القنابل
بقعة العمليات	ساحة الحركات
رمي المساندة القوية	رمي الاسناد الفوري
مدفعة دابيّة	مدفعية حيوانات
مدفعة المدافعة ضد الجويّات	مدفعية مقاومة الطائرات
هدف دقيّ	هدف دقيق
الاطباق	الحملة

كما ان المعجم العسكري اللبناني يحتوي على كثير من الالفاظ العاميـــة والاشتقاقات الغريبة حقاً .

-٣-

إن توحيد الجيوش العربية هو الحجر الأساسي في بناء الوحدة العربية الشاملة ، فلا وحدة للعرب بغير قوّة ضاربة ، ولا قوة ضاربة إذا بقيت الجيوش العربية متفرقة .

وتوحيد الجيوش العربية يشمل توحيد مصطلحاتها العسكرية ، وتوحيـــد تنظيمها وتسليحها وتدريبها وتجهيزها وتوحيد قيادتها .

ولسنا في صدد توحيد تنظيم وتسليح وتدريب وتجهيز وقيادة الجيوش العربية ، لأن ذلك ليس من صميم بحثنا ، ولأن واجب المجامع العلمية واللغوية يقتصر على وضع مصطلحات اللغة العربية لمختلف العلوم والآداب والفنون .

إن القيادات السياسية للعرب هي التي تقرر توحيد قيادة الجيوش العربية ، وقد أقرت تشكيل القيادة العربية الموحدة عام (١٩٦٤) في مؤتمر القمة الأول في القاهرة ،وقد تمّ تشكيل تلك القيادة ، فمن واجباتها الأساسية أن تعمل لتوحيد تنظيم الجيوش العربية وتسليحها وتدريبها وتجهيزها .

ولعل ذكر القيادة العربية الموحدة في هـــذا المجال ، تذكير لها بقسم من واجباتها الحيوية فتعمل على إنجازها .

أما المصطلحات العسكرية ، فعلى المجامع العلمية واللغوية أن تأخـــذ على عاتقها أمر توحيدها في البلاد العربية ، وأقترح أن يكون السبيل الى تحقيق ذلك كما يلي : ـ

(أ) تؤلف لجنة من بين أعضائها يكون واجبهم توحيد المصطلحات العسكرية العربية.

(ب) تجمع هذه اللجنة المعجمات العسكرية المتيسرة في البلاد العربية ، وتوحد ما جاء فيها من مصطلحات عسكرية ، ويكون المعجم العسكري الموحـد هو المعجـم المعتمد في البلاد العربية كلها .

(ج) تعمل هذه اللجنة في وضع المصطلحات العسكرية الجديدة، لما يستجد من مصطلحات عسكرية في الجيوش الأجنبية، وتنشر هذه المصطلحات تباعا في مجلات المجامع العلمية واللغوية وفي المجلات العسكرية للجيوش العربية، ثم تضاف الى المعجم العسكري الموحد في طبعاته الجديدة.

(د) يكون مع لجنة المصطلحات العسكرية الموحدة المؤلفة من بعض أعضاء المجامع العلمية واللغوية العربية ما لا يقل عن ضابطين من ضباط القيادة العربية الموحدة للمشاركة في وضع المصطلحات العسكرية الجديدة وفي توحيد المصطلحات العسكرية العربية في معجم عسكري واحد.

(هـ) تعمل القيادة العربية الموحدة على تعميم المعجم العسكري الموحد والمصطلحات العسكرية الجديدة على الدول العربية للعمل بها في جيوشها، ولعله من المفيد أن يكون للقيادة العربية الموحدة مجلة عسكرية تنشر فيما تنشره في صفحاتها المصطلحات العسكرية الجديدة تباعاً.

(و) تنشر القيادة العربية الموحدة المعجم العسكري الموحد على نفقتها باشراف لجنة المسطلحات العسكرية المؤلفة من المجامع العلمية واللغوية العربية ومن ممثلي القيادة العربية الموحدة.

إن وجود لجنة للمصطلحات العسكرية في كل مجمع علمي أو لغوي، يؤدي إلى أن تجتهد كل لجنة بحسب طاقاتها لوضع المصطلحات العسكرية لجيش بلادها ولن تتفق اجتهادات هـذه اللجان في أغلب الأحيان، وذلك لا يؤدى إلى توحيد المصطلحات العسكرية في البلاد العربية.

كما ان ترك أمر وضع المصطلحات العسكرية لكل من هب ودب، يزيد المصطلحات العسكرية اختلافاً.

وقد آن الاوان لأن تأخذ المجامع العلمية واللغوية العربية المبادرة في قيادة وضع

وتوحيد المصطلحات العسكرية نحو الاتجاه اللغوي الصحيح .

إن بقاء طائفة من المصطلحات العسكرية التركية أو الانكليزية أو الفرنسية أو الامريكية حتى الايطالية ، أثر من آثار الاستعمار الفكري البغيض لأن الجيوش التي لا تزال تستعمل تلك المصطلحات الأجنبية تتذكر دائماً استعمار تلك الدول لبلادها ، ولا تنسى أنها كانت خاضعة للدول الأجنبية في يوم من الأيام ، كما إنها باستعمالها تلك المصطلحات العسكرية الأجنبية تقر بفواق جيوش الدول الأجنبية عليها حتى في لغاتها ، وكل ذلك يؤثر اسوأ الأثر في معنويات الجيوش العربية دون مسوغ .

ان اللغة العربية ليست عاجزة عن وضع المصطلحات العسكرية باللغة الفصحى ، مستقاة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكتب الأدب واللغة والفقه والتاريخ .

والمجامع العلمية واللغوية في البلاد العربية ، لا بد أن تتسنم دورها القيادي لتوحيد المصطلحات العسكرية في البلاد العربية ، ووضع المصطلحات العسكرية الجديدة لما يستجد من أسلحة مختلفة وآلات ومعدات وأساليب تعبوية وسوقية .

ان توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، عامل مهم لإشاعة الانسجام الفكري بين صفوفها ، وهذا الانسجام عامل مهم للتعاون العسكري بين الجيوش العربية في السلم والحرب .

وقد وحدت الأحلاف العسكرية الشرقية والغربية مصطلحاتها العسكرية ، وهي مختلفة اللغات والجنسيات ، فلماذا لا توحد الجيوش العربية مصطلحاتها العسكرية ، وهي أمة واحدة تتكلم بلغة القرآن ؟ !

لقد كانت هناك محاولات لتوحيد المصطلحات العسكريه في الجيوش العربية ابتدأت من سنة ١٩٤٨ تحت ظل الجامعة العربية ، وانتهت في عام ١٩٦٤ في محاولة توحيد المصطلحات العسكرية بين الجيشين العربيين الشقيقين : جيش الجمهورية العربية المتحدة ، وجيش العراق . وقد نجحت بعض تلك المحاولات في نطاق ضيق محدود ، لأن الذين حاولوا ذلك

لم يعطوا القوس باريها ، فاستبعدوا المجامع العلمية واللغوية عن قيادة تلك المحاولات ، ولأن بعض تلك المحاولات كانت لبعض الجيوش العربيـــة لا للجيوش العربية كلها ، مما يشعر الدول العربية غير المشتركة في مهمة توحيد المصطلحات العسكرية بأن الأمر لا يعنيها من قريب أو بعيد .

— ٤ —

بقي عليّ أن انبّه السادة المجمعيين إلى أن اللغة العسكرية هى لغة علمية بعيدة عن الألفاظ الأدبية الغريبة ، فالعسكريون لا يقولون مثلا : « يُبَعِّقون لِقَاحَنَا » ، بل يقولون : « ينحرونها » ، فلا بد من تذكر هذه الحقيقة عند توحيد ووضع المصطلحات العسكرية العربية .

وهذا البحث عن : « المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم » ، يدل على الطريق السوي لوضع المصطلحات العسكرية العربية وتوحيدها .

وحين بدأت بإعداد هذا البحث ، ظننت أن المدى لإنجازه لن يطول ، وإنه سيكون وريقات محدودات ، ولكنني وجدت أن القرآن الكريم بحر خضم لا يدرك ساحله ولا يسبر غوره حتى في ميدان المصطلحات العسكرية ، وإذا بالوريقات التي ظننت أن إعدادها سينتهي في ايام ، تصبح كتاباً ضخماً لم ينته إعداده في سنة كاملة .

تلك هي عظمة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتلك هي معطياته التي لا تنتهي في شتى المجالات .

وأي جيش عربي لا يتقبل ما ورد في القرآن من مصطلحات عسكرية على الرأس والعين، وأي دولة عربية لا تقر ما ورد في القرآن في جيشها من هذه المصطلحات ؟!

لقد فصّلت كل مصطلح عسكري ورد في الذكر الحكيم في ثلاث مواد : جعلت عنوان المصطلح العسكري ، صيغته بالفعل الماضي . وأوردت في المادة الأولى بعض الآيات القرآنية أمثلة لاستعماله ، وذكرت في المادة الثانية مشتقاته ومعانيها اللغوية كما وردت في

المعجمات اللغوية ، وسجلت في المادة الثالثة استعمالات المصطلح العسكري الوارد في القرآن الكريم ومشتقاته في المصطلحات العسكرية الحديثة في الجيوش العربية . وأخيراً أوردت في هامش كل مصطلح عسكري ورد في القرآن الكريم إحصاءاً لعدد الآيات القرآنية التي ورد فيها ذلك المصطلح العسكري ومشتقاته .

وسأعمل على طبع هـذا البحث في كتاب مستقل ، أقدمه هدية للعاملين في حقل توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، لعله ينير لهم الطريق في تذليل مهمتهم الشّاقة المجدية ، فيكون هذا الكتاب بركة من بركات هذا الإجتماع الميمون بإذن الله .

ولعلّ الله يوفق السادة المجمعيين في مؤتمرهم هـذا لإقرار أسس وضع وتوحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، فيكونون بذلك قد قاموا ببعض ما عليهم من واجبات لأمتهم العربية .

والله اسأل أن يفيد بهذا البحث ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

والحمـد لله كثيراً ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله :سيد القادات ، وقائد السادات ، رجل الرجال ، وبطل الأبطال ، الرسول القائد ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، ورضي الله عن قادة الفتح الإسلامي وجنوده ، وعن العاملين بصدق وإخلاص في خدمة لغة القرآن الكريم وفي خدمة العرب والإسلام .

التعقيبات

الدكتور سليم النعيمي : نشكر الأستاذ المحاضر على بحثه القيم ، وعلى ملاحظاته حول الرتب العسكرية خاصة . ونرجو ان يوفق في مشروعه لإنجاز المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ، فلا شك أن المصطلحات متى أخذت من اللغة المسموعة المألوفة على الألسنة كلغة القرآن ، تكون أفصح وأفضل .

الدكتور إبراهيم مدكور : لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر للأستاذ المحاضر على المجهود القيم الذي بذله في إعداد هذه المصطلحات . وأود أن أعرض لأمرين .

أولهما : أن مجمع اللغة العربية لم يعرض للمصطلحات العسكرية حتى الآن ، وذلك عن رغبة ، وهي أنه عرف أن جهوداً تبذل في هذا المجال في دمشق وأخرى تبذل في بغداد . فانتظر ما تسفر عنه هذه الجهود من نتائج .

ثانيهما : أقترح تكوين لجنة منبثقة عن القيادة العسكرية الموحدة في جامعة الدول العربية تضم إليها بعض العلماء . وعلى هذه اللجنة أن تبحث فيما بذل من جهود فردية سابقة فى هذا المجال ، وتسير بالعمل قدماً إلى الأمام . ولنا في ذلك أسوة بلجنة المواصلات السلكية واللاسلكية التي تعمل الآن في جامعة الدول العربية .

الدكتور مراد كامل : أشكر اللواء الركن محمود شيت خطاب على بحثه القيم وأريد أن أضع بين يديه جهود الجمهورية العربية المتحدة في هذا المجال :

نشرت إدارة الجيش سنة ١٩٥٦ قاموساً للمصطلحات العسكرية وقد شاركت في وضعه وذلك فى أربعة أشهر بالانكليزية والفرنسية والألمانية والعربية في حجم متوسط في حوالي ٣٢٠ صفحة وكان الهدف من وضعه أن يمكن للرجل العسكري أن يقرأ أي كتاب مختص

في لغته الأصلية من اللغات الأجنبية الثلاث ويجد المصطلح المقابل المستخدم في الجيش وضم هذا القاموس مصطلحات سلاح المشاة على الأكثر .

ثم رأت إدارة الجيش أن تكوّن سبع لجان كل لجنة من سلاح من أسلحة الجيش لوضع المصطلح في سلاحه ثم كونت لجنة تنسيق بين اللجان تضع المصطلح في شكله الأخير ، وكان لي شرف عضويتها . وأعتقد أن هذا العمل قد طبع .. أقول أعتقد لأن مطبوعات الجيش عندنا سرية ، ثم وضعت لجنة فنية معتمدة على هذا العمل قاموساً للمصطلحات الفنية نشر ١٩٦٣ ، وقد ضم المصطلحات الفنية المستعملة في الجيش وفي غيره .

لهذا أقترح إذا دعى خبراء من العسكريين للجنة المقترحة لتوحيـــد المصطلحات العسكرية في البلاد العربية أن يراعى حسن انتمائهم لأسلحة مختلفة ، ولا يقتصر على سلاح دون آخر .

٢ — المصطلحات الطبية

للدكتور محمود الجليلي
عضو المجمع العلمي العراقي

للمصطلحات الطبية اهميتها الخاصـــة ، ويتوقف تدريس الطب في البلاد العربية باللغة العربية على وجود مصطلحات مقبولة لدى القائمين بتدريس الطب في هذه البلاد اضافة إلى توفر العدد الكافي من مدرسي الطب والانتاج العلمي الاصيل في هذه البلاد ، بحيث يكون لدى طلاب الطب والاطباء مادة كافية تتطور مع التطور العلمي السريع في الفروع الطبية .

ان الحاجة إلى وضع مصطلحات حديثة في الطب مُلِحَّة جداً قبل ان يضع كل بلد مصطلحات يصعب توحيدها في المستقبل ، وهذا من واجب العاملين في الطب بالدرجة الاولى تساعدهم في ذلك المجامع في البلاد العربية ، ومما يسر به تبني اتحاد الاطباء العرب لهذا المشروع الحيوي .

وتتبين صعوبة وضع المصطلحات الطبية بالعربية عندما نتذكر ان المصطلحات الاجنبية مأخوذة من لغتين مهمتين هما اللاتينية واليونانية ، مع ما فيهما من الاشتقاق والتركيب .

ولقـد جرت محاولات متعددة في كثير من البلاد العربية لايجاد مصطلحات باللغة العربية ولـكن هذه المصطلحات لم تلاق القبول العام في الاوساط الطبية ، وكثير منها لم يستعمله إلا الذين وضعوه ، وما وضعته المجامع اللغوية ما زال حبيس منشوراتها لم يخرج إلى الاستعمال العام وذلك لان تدريس الطب ما زال يجري باللغات الاجنبية في البلاد العربية عدا كلية الطب في دمشق . ثم ان المصطلحات المنشورة في بعض الـكتب والمراجع التى وضعتها المجامع العلمية والاطباء لم تشمل جميع الفروع الطبية ، ولا بد من القول انه لا يوجد الآن مصطلحات يجب التقيد بها لانها غير واسعة الانتشار وغير ملتزم بها ، وان

عدد طلاب الطب الذين يعرفون المصطلحات الموجودة قليل جداً بالنسبة إلى عدد طلاب الطب الذين ينتظر أن يدرسوا باللغة العربية في المستقبل .

ونحن نقدم هنا الطريقة التي نراها مفيدة وواجبة الاتباع :

١ — توضع المصطلحات العربية وضعاً بحيث يساير المصطلح العربي المعنى العلمي الحديث للكلمة الاجنبية دون الالتزام بالترجمة الحرفية لان بعض الكلمات الاجنبية فقد - مع التطور العلمي - معناه الاصلي عند ما وضع ، فاذا ترجمت هذه الكلمات الآن كانت الكلمة العربية الحديثة غير صحيحة ولا تفي بالغرض ، مثال ذلك ترجمة Hay fever حمى الدريس بينما هي في الحقيقة Nasal allergy أي حساسية الانف .

٢ — تفضل الكلمات العربية التي سبق ان استعملها الاطباء العرب السابقون إذا وفت بالغرض اما إذا لم تف بالغرض فلا داعي للالتزام بها . ومثال ذلك ان بعض المشتغلين بالمصطلحات يريدون استعمال كلمة الديابيط لداء السكر والشريان الاورطي للشريان الابهر ، لان ابن سينا استعملها ، ولكن ذلك غير صحيح لان الكلمتين غير عربيتين ويوجد كلمتان عربيتان خير منها ثم ان بيننا وبين ابن سينا مئات السنين لم يستمر استعمال هذه الكلمات فيها ، فما هو مبرر احيائها ؟

٣ — استعمال الكلمات العربية التي شاع استعمالها في بعض البلاد العربية في الوقت الحاضر إذا كانت تؤدي المعنى العلمي الصحيح .

٤ — تخصص كلمات عربية لتقابل المصطلحات الاجنبية ويحدد معناها الاصطلاحي ، ومن الضروري استعمال بعض الصيغ العربية مثل صيغة فعال (بضم الفاء) وصيغة فَعَل (بفتح الفاء والعين) وان يقاس عليها ، مثال ذلك :

كُباد	بدل التهاب الكبد	Hepatitis
جُفان	بدل التهاب الجفن	Blepharitis
قُلاب	بدل التهاب القلب	Carditis
ويقاس عليه : كُلاء	بدل التهاب الكلية	Nephritis

وكما قيل : السَّهَر

الضَّنَى

النَّهَك

يقاس عليه : الذَّوَى Anoxaemia

وكذلك يمكن الاستفادة من صيغ المبالغة مثل تفعل وتفعال فيقال :

تغدّد Adenoma

تعضّل Myoma

٥ — جواز النحت عند الضرورة والاشتقاق منه ، ولا خوف من ذلك على اللغة فلن ينحت إلا عدد محدود من الكلمات ، وقد سبق ان استعملت بعض المجامع اللغوية النحت بحدود ضيقة .

ومثال على النحت نذكر استعمال قدرسي أي قبل الدراسة وبدرسي أي بعد الدراسة Post- graduate . ومثال آخر ان الجراثيم التى ترى بالمجهر الاعتيادي تسمى مجهرية Microscopic والتى لا ترى بالمجهر الاعتيادي تسمى Ultramicroscopic أي فوق المجهرية وتكون بالنحت (فجهرية) وهكذا يقال كباد فجهري بدل ان يقال التهاب الكبدالفيروسي من كلمة Ultramicroscopic Virus

وكذلك الحال في : Pre, Post, Ultra .

٦ — عدم استعمال الكلمات الاجنبية بحروف عربية إلا إذا كانت اسم علم مثل مرض اديسون Addison's Disease أو مشتقة من اسم علم مثل بلهارزيا Bilharzia نسبة إلى العالم الذي اكتشفها بلهارز . اما التوسع باستعمال الكلمات الاجنبية الاخرى مثل انكلستوما أو اوديما وما شابه ذلك فأمر لا نقره . ولقد سبق للعرب ان وضعوا كلمات عربية بدل الكلمات الاجنبية فلم يستعملوا كلمة اوتوموبيل وقالوا سيارة ، ولم يقولوا ايروبلين وقالوا طيارة ، ولم تبق كلمة شمندفير إلا مدة قليلة وقالوا قطار .

٧ — وبعد أن تقر المبادىء المذكورة يعاد النظر في المصطلحات التى سبق ان جمعت وتعرض على مؤتمر من المشتغلين بالمصطلحات الطبية في البلاد العربية من الاطباء واللغويين .

الجلسة السادسة

(عامة)

مساء الأربعاء ٣٠ من رجب سنة ١٣٨٥ هـ
٢٤ من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٥ م

١ — لغة الشاعر — للأستاذ محمد عزيز أباظة — عضو مجمع اللغة العربية

٢ — النهضة العلمية والأدبية في ليبيا — للأستاذ علي الفقيه حسن — عضو مجمع اللغة العربية

١ — لغة الشاعر

للأستاذ عزيز أباظة

عضو مجمع اللغة العربية

هذا الذي أدلي به بين أيديكم ، أيها الخالدون ، ليس بحثاً بالمعنى المفهوم الذي أصبحت هذه الكلمة تحمله وتفيده ، فإن البحث يقوم على وطائد كثر ، منها التحقيق والتعمق والأصالة والإحاطة ، وليست كذلك كلمتي هذه التي يشرفني أن جعلتم لها موضعاً في هذا المؤتمر ذي الخطر والمكانة ، ولكنني أحببت أن أعرض لهذا الموضوع ـ لغة الشاعر ـ حتى تتاح الفرص هنا ليعرض له ، ويعني به ، ويتحدث عنه ، ويجال فيه ، ويعلق عليه .

وعندي ـ بدأة ذي بدء ـ أن لغة الشاعر هي لغة القلب والعاطفة ، يسكب فيها الشاعر أحاسيسه وعواطفه ، جاهداً أن ينقل بها أو فيها خواطره التي تتدافع في نفسه ، والتي تتصل بطبيعتنا الإنسانية الثابتة بوشائج محكمة ثابتة ، وهي طبيعة ـ أغلب الظن ـ أنها لا يتراقى إليها التغير والتبدل ، هي خليقة الإنسان البدائي ، أو إنسان الغابة ، كما هي خليقة الإنسان المتحضر ، فيها جميعاً مسيطرة عليها نفس الغرائز ، ونفس المشاعر والنزوات والرغبات ، على أن الذي يميز المتحضر بالقياس إلى أخيه البدائي ، أنه مستطيع أن يضبط نوازعه قليلا أو كثيراً ، ولكن جوهر جبلته الإنسانية يظل مع ذلك مستقراً في أعمق أغواره ، ولقد أتاح ذلك للغة الشاعر ضرباً من الثبات ، فهي لا تتطور ولا تتحول إلا بقدر ، ذلك لأنها لغة الفطرة الانسانية ، والفطرة الإنسانية قديماً وحديثاً غير متغيرة القوام ، وكذلك كل ما عبر عنها ، فإنه يتشح مثلها بالثبات والبقاء ، فما نظمه امرؤ القيس و«هو ميروس» ، سيظل باقياً إلى ما شاء الله ، لا يحول ، ولا يمسه بلى أو فناء ، ذلك لأن الانسانية تجد نفسها على سبيل الدوام ، مجلوة فيه على نحو يرضيها ـ كما يرضيها بنسب تختلف ـ الشعر الذي تعاقب بعد

هذين الشاعرين في أمتيهما العربية واليونانية .

وهذا الخلود وهذا الثبات في لغة الشعر ، هو الذي وسد لها مهما توغل في القدم ، أن تنبض بحيوية دافقة ، كما هيأ لها أن تنتقل عبر الزمن كأنها شيء مقدس راسخ ، له جلاله وله قراره واستمراره ، ليس فيه قديم ولا جديد بالمعنى الكامل المطلق لهاتين الكلمتين .

والأصل ألاّ يستقل الجديد بنفسه ، بل لا بد له من وصلات تربطه بالقديم ، وكأنما هما جميعاً رؤى للشعراء على مر العصور .

ومن الحق ، أن لكل شاعر طوابعه في التعبير والأداء ، على أنها طوابع لا تنجم في عالم طليق، فذلك وهم ، وإنما تنشأ من خلال قراءاته في تجاريب أسلافه من الشعراء ، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إن شعره إنما هو الثمرة الآخرة ، التي تمخضت عنها قراءاته ، وتجسدت من محاولاته وتدريباته الأولى ، التي كان يحاكي فيها قصائد سابقيه ، محاكاة جد قريبة من الأصل ، بل لعلها كانت موشكة أن تطابقه أتم مطابقة ، وما زال هذا الشاعر يحاكي ويقتاس حتى تبين نفسه وطوابعه ، ويكشف عن أصالته وذاتيته ، ولا يعني ذلك بحال الانقطاع عن الماضي ، فقد تكونت لغته من روافده ، فتشبعت بها حواسه . واستقرت في عقله الباطن كما يقولون استقراراً لا سبيل إلى امحائه .

من أجل هذا الذي أشرت إليه في إيجاز مخل ، تختلف لغة الشاعر عن لغة الناثر ، من حيث البقاء والتنقل من جيل لجيل ، إذ النثر أداة الفكر ووعاؤه ، والفكر متطور ، بل التطور لبه ، ولب كل ما يتصل به من صور الأداء ، أما الشعر فكما قلنا لغة العاطفة ، والعاطفة لا تتطور بتطور الزمان، ولهذا ظل التواصل وثيق العرى، بين لغة الشاعر في قديم الزمان وحديثه ، فكان كل ما يطرأ على لغة الشاعر من عصر إلى عصر ، إنما هو إضافات ، لا تغيرات ولا تطورات ، ولعل إحساس نقادنا القدامى بهذا المعنى هو الذي جعلهم يصرون على أن للشعر لغة خاصة به ، تفرقه عن لغة النثر مفارق واسعة ، فإذا كان الرأي عند عبد القاهر قائماً على أن الحكم لا يكون على اللفظة المفردة منزوعة من سياقها ، فإن الرأي عند ابن رشيق ، أن للشعراء ألفاظاً معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها

أو يستعمل غيرها ، وابن رشيق بذلك يدعو في قوة إلى الاستمساك بلغة الشعر كأنما هي رواس ثابتة ، وقد يكون ذلك إغراقاً عرض له من شعوره العميق بالترابط في لغة الشعر التي رددتها العصور ترابطاً فسح على الدوام لتيار الصياغة الموروثة ، وانه لتيار ظلت غواربه مندفعة تغذو الصياغةالشعرية الجديدة بخير ما فيه ، ثم هو يعدها بعد ذلكلتتخلق من خلاله خلقاً جديداً .

والكثرة الغالبة من ألفاظ اللغة مزدوجة الإشارة ، إذ تشير اللفظة الواحدة بجزء من مضمونها إلى شيء ما من عالم الأشياء ، بينما تشير بسائر المضمون إلى حال من حالات النفس عند قائلها وبمقدار ما يكون في اللفظة من الدلالة الأولى ، تكون صالحة للعبارات العلمية ، وبمقدار ما يكون فيها من الدلالة الثانية ، تكون صالحة للشعر ، وقد يحدث أن تتعرى اللفظة عن المضمون النفسي ، لتجيء مشيرة إلى عنصر من عناصر العالم المادي ، كما هي الحال في مصطلحات الكيمياء مثلا أو في اعداد الرياضة ورموزها ، وعندئذ تكون تلك اللفظة علمية خالصة ، كما قد يحدث أن تتجرد اللفظة عن كل إشارة إلى عالم الطبيعة المادية لتجيء دالة على حالة نفسية خالصة ، وعندئذ تكون أداة مواتية للشاعر تعينه على قوة التعبير الشعري ، على أن الدلالتين في الأغلب الأعم يتداخلان تداخلا ، يصبح من العسير معه أن نضع حجازاً يفصل بين ما يشير من اللفظة المعينة إلى خارج وما يشير منها إلىداخل لكن التفرقة بينهما لا معدى لنا عنها إذا أردنا أن نتبين في وضوح ، طبيعة ألفاظ الشعر

وهذه التفرقة نفسها ، هي التي يترتب عليها الاختلاف في معنى الصدق ، حين نصف به جملة علمية ، أو نصف به قولا شعرياً ، لأن الصدق في الحالة الأولى منصب على مطابقة اللفظ للواقع ، وأما الصدق في الحالة الثانية فيراد به ما يولده اللفظ من موقف انفعالي باطني ، ولا علاقة بينه البتة وبين ما يقع في دنيا الطبقة الخارجية ، وفي هذا يقول الناقد الكبير « آي . أى . ريتشارد » في كتابه مبادىء النقد الأدبي ، في فصل يخصصه لبيان هذا الازدواج في وظيفة اللغة ، يقول إنه في حالة اللغة العلمية يكون أدنى اختلاف بين الصورة

اللفظية من جهة ، وبين الواقع المادي من جهة أخرى ، معناه الاخفاق والضلال عن الغاية المنشودة ، وأما في حالة اللغة الانفعالية ، وهي لغة الشعر — فليس هناك قيمة على الإطلاق لما يكون بين اللغة والواقع من اختلاف إذ العبرة فيها هي بما يترتب على اللفظ عند قارئه من أثر فاعل قصد اليه الشاعر .

وكذلك يفرق « جان بول سارتر » في كتابه « ما الأدب » بين لغة الشعر ولغة النثر ، فيجعل لغة النثر دالة على شيء سواها ، أما لغة الشعر فهي مقصودة لذاتها ، يقول إن لغة الشعر غاية وليست أداة ، وإنه لمن خطأ التعبير أن نقول عن الشعر ، إنه يستخدم اللفظ على هذا الوجه أو ذاك ، وأصح من ذلك أن يقال إن الشعر يخدم اللفظ ، وإن الشاعر لا يورد ألفاظه على نحو يهيء لها أن تكون أسماء تطلق على مسميات بعينها ، لأن التسمية ـ كما يقول سارتر ـ تتطلب تضحية تامة بالاسم ، في سبيل المسمى إذ ليس للاسم في ذاته مكانة جوهرية إذا قيس إلى مدلوله ومسماه ، لا ، ليست اللغة أداة في يد الشاعر يتوسل بها إلى غاية سواها فذلك هو الشأن في لغة العلم ، أو هو الشأن في لغة النثر بصفة عامة ، إنما الكلمات عند الشاعر هي أشياء في ذواتها ، وليست مجرد علامات ترد لتشير الى ما عداها ، فلئن كان اللفظ العلمي بمثابة زجاجة شفافة تنظر خلالها لا اليها . ثم تستشف ما وراءها من مدلول مشار اليه . فإن اللفظ الشعري بمثابة المرآة ، تعكس الصورة على نفسها . فإذا بالنظر واقع عليها لا نافذ من خلالها .

والكلمات في الشعر ، هي كسائر الأشياء ذوات كيان مستقل ، ولما كانت ألفاظ الشعر أشياء كما قلنا وليس رموزاً لأشياء ، فقد تعددت دلالاتها تعدداً لا نهاية له عند مختلف السامعين والقارئين .

والى جانب «سارتر» ، يقول الشاعر الامريكي الكبير« روبرت فروست » :إن الشعر هو الجانب الذي نفقده ويذهب ضياعاً عند الترجمة ، وفي قوله هذا تأييد للمعنى الذى أسلفناه ، لأن الذي تجوز عليه الترجمة هو الرموز لا الاشياء ، إنك تترجم رمزاً إلى رمز سواه ، يعادله ويساويه فلا تفقد بالترجمة شيئاً ، لكنك لا تترجم شيئاً إلى شيء سواه ،

إن هذه الشجرة ، لا تترجم الى شجرة تساويها ،كلا ولا هذا النهر أو هذا الجبل ، ومن هنا جاءت كما يقولون عمومية العلم وخصوصية الشعر ، فترجمة الشعر الى غير لغته بكل دقائقه ودفائنه أمر عسير المنال ، لان الترجمة لن تقع في اللفظ الشعري ان كان مزدوج الاشارة الا على مستقر العلم منه ، وهو الجزء الصالح للترجمة ، اما الجزء الآخر الذي تتخاذل دونه الترجمة فهو مسبح الشعر وآفاقه ، والى جانب هذا كله ، فان لغة الشاعر ، لغة رامزة عن المعاني المختلجة في نفسه ، وهي معان غير محدودة ، إنما المحدود الفاظها وحروفها وما تحتله من مساحة في الورق أو في الزمن أما بعد ذلك فمدلولها غير منحصر ولا محدود ، مدلول متعدد العناصر ، اذ كل بيت من الشعر يصور معنى انفعاليا ، وهو معنى يتشابك مع الحاضر والواقع ، ومع الماضي والذكريات ، ومع الكون والوجود الانساني ، وكأنه ملتقى لاحاسيس لا عداد لها ولا حصر ، وكل هـذه الاحاسيس تبهظ البيت ، كما تبهظ القصيدة ، وهما جميعاً لا يؤديانها الا باللمح أو بالرمز ، اذ يرمزان بالفاظ توحي بهذه الاحاسيس من قريب أو من بعيد ، وحتى الفاظ الشاعر المفردة فانك واجـد فيها نفس الظاهرة ، توحي باللحظة النفسية ، ولا تؤديها أداء تاماً ، تؤدي النوع ولا تؤدي الدرجة ان جاز استعمال هذا التعبير ، وكأنها نوافذ تفضي بنا الى آفاق مترامية ، والى جو زاخر بالضباب ، جو يفسح لنا في الخيال ، وفي كثرة الاصداء الوجدانية ، التي يذيعها في قلوبنا شعر الشاعر . وهي اصداء وظلال تختلف باختلاف ظروفنا النفسية ، ولقد قال القدماء ان للغة الشاعر سحراً خاصاً ، وهذا حق . فكثير من تعبيراته تطالعنا ، فاذا هي ذات ظاهر قريب وباطن بعيد ، وهذا هو الذي يتيح لها اتساع الايحاء . كما يتيح لها كثرة التأويل ، والشعراء يختلفون في مدى ما يثيره شعرهم من احتمالات وتأويلات ، ويفضل بعضهم بعضاً ، بعمق هذه التأويلات وكثرتها ، ولعل شيئاً لا يؤذي لغة الشعر كما يؤذيها الوضوح السافر المطلق ، لأنها لغة العاطفة كما قلنا والعاطفة لا تعرف هذا الوضوح ، وانما تعرف الرمز والحجب والاستخفاء ، وهذه حال قد تكون بين العوامل التي دفعت بالشاعر من

قديم ، الى استخدام قدر من الالفاظ الغريبة في لغته ، لكي يقهر بعض ما يعترضه من عقبات في اداء مدلول هزاته الوجدانية ، التي تخفق أو تقصر عن ادائها الالفاظ الشائعة في اغلب الاحايين ، وعرف ذلك نقادنا القدماء ، فقالوا إن الشعر يقبل فيه من الغريب ما لا يقبل في النثر ، معبرين بذلك ، عن حس صادق بلغة الشعر وخصائصها التعبيرية ، واذا كان الشاعر يلجأ في كثرة أو في قلة الى الغريب من الالفاظ ، ليحل بها عقدة من لسانه او من معانيه العاطفية ، فانه يلجأ الى جانب ذلك الى الخيال ليعينه على الرمز عن تلك المعاني ، وليتلافى به ما يجده في ادائها من قصور ، ولقد يتسع الخيال عنده حتى تصبح لغته لغة تصويرية تحمل اشباحاً لا تكاد تحصى من التشبيهات والاستعارات والمجازات ، وكأنما تعود اللغة على لسانه الى صورتها الحسية المعرقة في القدم ، اذ تحتشد فيها أطياف تفد عليه من كل صوب ، فاذا كل ما حوله من الوجود والاشياء عوالم من الرؤى الحالمة ، وكأنه يعيش في عصر من عصور الاساطير ، وكأنما كل الذي حوله ناطق أو مجمجم ، وهو مستمع فواع فتذوق ثم هو ناقل ذلك كله في شعره آخر الأمر .

ومعروف ان الانسان في نشأته الأولى كان يعيش عيشة خيالية خالصة ، بث هو فيها الألهة والارواح في كل شيء من حوله ، وكأنما خبا فيها الخيال بفعل الزمن والمؤثرات وخمدت اضواؤه ، ولكن ما أن يلم بشعر شاعر حتى يستر خياله ويعيش عالمه المسحور القديم ، الذي كان يفيض بكائنات روحية لا اول لها ولا آخر . ولكل شاعر عالمه الخيالي ، الذي يرتفع فيه الحجاب بينه وبين الاشياء ، فاذا هو يقيم بينها علامات التشبيه ، واذا هو يستعير لبعضها اسماء أخرى ، واذا هو باعث فيها الحياة والحركة ، بما نسميه على التوالي تشبيهات واستعارات وتشخيصات .

وعلى هذا النحو يعيد الشعراء بلغتهم التصويرية وصلنا بعالمنا الاسطوري القديم ، ماهدين لنا التجرد من عوالمنا ، وحياتنا اليومية الرتيبة بشواغلها واعبائها ، الى عوالمهم الخيالية وكثير من الناس يظنون أن التصوير في لغو الشعر هو زينة ووشى وتطريز ، وهو ظن خاطىء هو على القطع ليس غاية في ذاته ، وانما هو غاية لما يجسمه ويمثله من

انفعالات نفسية ، ينقل سرائر روح الكون الى خيال الشاعر ، وتستحث قدرته على التحليق في آفاقه وسماواته تحليقاً يتحرر فيه قليلا أو كثيراً من حياتنا المادية واغلالها الثقيلة .

وليست لغة الشاعر تصويرية خيالية فحسب ، ولكن هي لغة موسيقية ، تزخر بالنغم بل إن النغم جزء لا يتجزأ من كيانها ، فكل كلمة ينبغي أن تكون منغمة ملحنة ، أو بعبارة أدق ينبغي أن تذيع معنى صوتياً موسيقياً بجانب معناها اللغوي ، وهو معنى مزيد يتلافى به الشاعر كعادته ما يحسه من قصور في ادائه للمعاني العاطفية ، اذ يطلع علينا بكلامه في صورة ترانيم ملحنة ، يستكمل بمكنونها الصوتي اداء انفعاله الوجداني ، وكأنه يريد أن يربطنا بهذا الانفعال ربطاً محكماً عن طريق التنسيق بيننا وبين لغته الموسيقية واهتزازاتها الصوتية المتلاحقة ، ولعلنا لا نغلو اذا قلنا إنه بلغته الموسيقية الموقعة ، يفصلنا فصلا يكاد يكون كاملا من محيط حياتنا الجارية ، ذلك لأنه ينسقنا مع لحظات الزمن تنسيقاً جديداً ، فالكلمات تتوالى في وحدات زمنية منغمة ، تخرجنا عن سياق زمننا المألوف الى سياق ايقاعي يبعث فينا الشجى والطرب ، وليست هناك لغة تبلغ ما تبلغه لغتنا من وفرة الانغام والالحان ، فالكلمات تتواكب والابيات تتعاقب في انغام متساوية في صدور الشعر واعجازه ، متوازية في القسمة باعداد لا تنقص ولا تزيد ، اعداد تتخذ شكل قوانين عروضية صارمة ، وهي اعداد تنتهي بالقافية ، وكأنها القرار الاخير لكل طائفة من النغم في القصيد ، فتصغى لها الآذان وتلتهمها القلوب ، ويقيس علم العروض والقوافي الظاهر الخارجي من هـذا النغم المنساب في لغة الشاعر ، اما باطنه المستجن الخفي فانه لا يستطيع قياسه ، وهو يتراءى في جانبين جانب اختيار الالفاظ المعبرة في دقة عن اصوات المعاني التي تختلج في قلب الشاعر والشعراء يختلفون في قدرتهم على انتخاب هذه الالفاظ ، واستدعائها للابانة عن دقائق احاسيسهم ومشاعرهم ، أما الجانب الثاني فهو جانب الملاءمة الموسيقية بين الفاظ البيت والابيات ، بحيث يكتمل فيها التوافق والايقاع الداخلي

فلا نحس عوجاً ولا التواء وانما نحس كأن الالفاظ رحيق خالص من النغم الصافي .

وهذه الموسيقى الخفية في الشعر بجانبيها السالفين ، هي التي تتباين بها أصوات الشعراء فهم جميعاً ينظمون أوزاناً عروضية معروفة ، ولكن لكل منهم اصواته وأنغامه فشاعر كالمتنبي مثلا تتميز أصواته ولا أقول أنغامه ، برنين كأنما يرسل أناشيد حربية صاخبة ، وشاعر كالبحتري ، تتميز اصواته وانغامه ولغته بالصفاء والعذوبة والجمال ، فهو معبر أكبر تعبير عن خوالجه ، بأساليب شعرية ليس اعمق من تأثيرها ولا أروع ولا أبدع ولا أمتع .

ومن الحق أيضاً ، أن قيثارة الشعر واحدة ، ولكن الاصوات والانغام التي ترسلها تختلف بين الشعراء ايما اختلاف ، بل لو أرهفنا آذاننا ، لوجدنا من غير عسر أن هذه الأصوات والانغام تختلف عند الشاعر الواحد ، فهما على القطع لا يتماثلان تماثلا تاما في دقائقها الصوتية بل أن بيتين من قصيدة واحدة لا يتماثلان في تلك الدقائق ، ففي كل بيت منها تتجلى هذه الدقائق في لغة لحنية جديدة ، لغة يحاول كل شاعر أن يحملها جميع ماهو مختزنه في كنزه الموسيقي المكنون .

اساتذتي وزملائي :

تحمّلوني خمس دقائق أخرى ، لن تزيد انشاء الله ، اني تحدثت عن لغة الشاعر ، ولكني لأعتدّ هذا الحديث أبتر ، إذ أنا لم أتحدث عن اللغة التي يتعين ألا تكون لغة الشاعر .

في مدارس الشعر مدرسة تذهب إلى نقيض ما تشرفت بطرحه بين ايديكم ، تذهب الى أن لغة الشاعر ، يجب أن تكون لغة الناس في حياتهم المعتادة ، وفي احاديثهم الجارية ، ومن أعلم وأشهر القائلين بهذا الرأى ، الشاعر الناقد الأنجليزي « وليم وردزورث » ، في مقدمته لديوان « الحكايات الغنائية المنطوقة » ، وهى المقدمة التي جعل عنوانها « الشعر والفاظه » ، وتابعه فى ذلك كثيرون من الشعراء والنقاد المعاصرين ، لعل أشدهم تحمساً هو

الشاعر « ازارا باوند ». ويبدو لي أنه سيكفيني مؤونة الرد على هذا الاتجاه . ذلك الكلام الطويل الذي سقته . والذي أوشك صبركم معه على أن ينفد ، ولكنني مع ذلك مجمع أن أدلي بين ايديكم بموجز لما استقر عندي في هذا الشأن . فاخذت به في اقتناع بالغ منذ بدأت أتصل في بواكير حياتي بالأدب والأدباء ، ثم مرت السنوات الكثر بعد ذلك فلم تزده الا دعماً واستقراراً .

أولا : الواقعية المتزمتة ليست لغة الشاعر ، ولقد تكون لغة للناثر ، للناثر غير الاديب ، ويقول ناقد وكاتب كبير من نقاد المسرح وكتابه هو « وولتر كير » يقول إن الصور الواقعية هي ضرب تافه من التصوير الشمسي . والشاعر ـ ومفروض فيه انه الفنان الاول ـ عليه ألا يحاكي وانما عليه ان يخلق وان يحمل ، على ان هذه الواقعية قد تكون في حدود بالغة الضيق لغة للشاعر في بلاد لغة الكلام فيها لا تفترق عن لغة الكتابة . وليس هذا هو الشأن على أية حال في بلادنا الشرقية . ويتفرع عن ذلك ان لغة الشاعر ليست هي تلك اللغة التي تجري حول صناعة الحديد . وصهر الصلب . واستخراج النفط . ودبغ الجلد ، واسعار السمك وتجارة التمر . وما الى ذلك مما يحب نفر لاسباب أو اخرى ان يقحموها على الشعر اقحاماً ، بحجة ان هذه المواضيع مواضيع حية . فاذا تناولتها لغة الشعر فهي اذاً مشحونة بالمضامين الحية ، وعندي ، وانا مؤمن معهم انها مواضيع حية ملابسة لحياتنا الجارية ، ان ابعد لغة عنها هي لغة الشعر . وان اقرب لغة لها . واصلح لغة لمعالجتها . هي لغة الصحف وكتب المدارس ونشرات الاسواق .

ثانياً : اللغة التي تلمح العامية فيها ثالثة كل كلمتين أو رابعة كل ثلاث كلمات : هي لغة في تقديري مثيلة للعامية فهي ليست لغة لشاعر ولا لناثر ، ولا لاحد ممن يحبون ان يقعوا على التعابير المؤدية الى اهداف ذات قيمة وخطر وجمال . او لاحد ممن يطمعون أو يأملون ان يكتب لما يكتبون ويصنفون قدر من البقاء ولا اقول الخلود ، او قدر من التداول ، بين اولئك الذين يميزون في الكلم بين الطيب والخبيث .

وهذه اللغة المهجنة بالعامية التي يبشر بها في هذا العصر في بلادنا العربية كلها مع بالغ الهم والاسف نفر ممن اخذوا على انفسهم ان يناضلوا دونها ، حتى تصبح لغة الشعر ، او لغة يعترف بصلاحها للشعر ، هـــذه اللغة لا تحمل في اطوائها لهذا الذي يراد لها ، إلا محاولات جريئه لهدم الجليل القيم من المأثورات ، والقضاء على كل جمال سلف ، وهؤلاء النفر فريقان . اما اولها فليس بمستبعد ان يكون ممن في قلبه مرض ، وممن له وخيم هدف، وقد يكون هذا الهدف التعرض للغة القرآن ، او تقطيع اواصر القومية العربية والنهضات الاسلامية ، واما ثاني الفريقين وهو اقلهما جلباً لخطر ، او اشاعة لضرر ، ففريق طامع للوصول الى منزلة ادبية ، بين ليلة وضحاها ، عن طريق العجز وازدراء عقول الناس واذواقهم وذلك باسم التجديد ، وكم هو ظلم أفدح الظلم لهذا التجديد .

ثالثاً : هذا الكلام الذى لا رباط له ولا ضوابط ، والذى يسمونه الشعر الحر او الشعر الحديث . ليس هو عملا لشاعر ، وذلك لانه لا وزن له ، ولا موســـيقية فيه ، ولا قافية له يستقر عندها ، فهو شيء قد يكون صدره عشر كلمات ، وعجزه كلمة ، او كلمتين وقد تقوم النقاط مقام الكلمات ، وقـــد يستغنى عن الكلمات كذلك بخطوط أفقية أو عرضية ، مصحوبة بعلامات استفهام وتعجب . وعلم ذلك كله عنـــد علام الغيوب فاذا احتوى هذا الكلام مضموناً فيه جودة . او معنى فيه حسن . فهو اذن قد يرتفع الى مقام الشعر المنثور او النثر المشعور .

رابعاً : ليس لغة لشاعر تلك التراكيب العجيبة التي يظن مؤلفوها انهم شأوا بها الاولين واعجزوا الآخرين : الشعاع المنكود . الشفق السكران . الاثير المذبوح . القارب المتشنج . القمر المتمرد . الهوى الصعلوك . الشمس الراقصة . الليل الحامل . الى آخر هذه الرطانة التي لا تصح لغة إلا لقارىء كف او حاسب طالع .

خامساً : ليست لغة لشاعر تلك العبارات المتهافتة الضئآلة ، التي درج بعض هؤلاء ان يقحموا فيها لفظ الجلالة ، والتى تحمل مضامين ملحدة مستوحاة على الاغلب من نظم

هدامة ، ولست اعيب الملحد فهذا شأنه وحده ولكني اعيب الملحد إذا تشاعر فتعرض عامداً لهذا الذي اشرت اليه ، وارسله لا في لباقة وستر ، ولكن في مكابرة وجهر .

وبعد :

فلقد أهبت بكم منذ سنوات . ان نتكاتف جميعاً وان نتآزر لنحمي لغة الشاعر ، وندفع الى الامام بلغة الشاعر ، كما أهبت بكم أن ندفع هذه الغواشي المستحدثة التى تنصب على لغة الشاعر ، وها انذا أهيب بكم مرة أخرى ، وليس أحد أقدر على حمل هذه الامانة واداء هذه الرسالة ، منكم ، أيها الخالدون .

٢ — النهضة العلمية والأدبية في ليبيا

للأستاذ علي الفقيه حسن
عضو مجمع اللغة العربية

منذ أقدم العصور الاسلامية تأسست في القطر الليبي مدارس كثيرة لبث العلوم الدينية واللغوية والأدبية في ذلك البلد العربي الصميم ، ولقد قام بإنشاء تلك المدارس رجال من حكامها الأسبقين ومن لفيف من أعيانها وسراتها ، ولا زالت تلك المدارس قائمة إلى الآن في تلك الربوع ، وكل من يتصفح مراجع التاريخ الليبي يجد فيها تراجم أعلام من العلماء، من الذين كرسوا حياتهم لنشر العلم وبث الثقافة الإسلامية في تلك المعاهد ، وهذه لمحة تاريخية تتعلق بذكر ما تركه رجال النهضة العلمية والأدبية من تراث علمي وأدبي ولغوي في ليبيا ، وذلك من أواسط القرون الإسلامية إلى اليوم ، ولا يخفى على حضرات العلماء أمثالكم ، أن ليبيا انتابتها كوارث ومحن وحروب طاحنة ذهبت بالطارف والتالد مما خطه علماؤها من مؤلفات في شتى العلوم ، وما نظمه شعراؤها من شعر رائق يمتزج بالنفوس رقة ، ولكن الحمد لله الذي أزال ذلك الكابوس الاستعماري عن ليبيا وأصبحت قائمة على قدميها تجاري الأمم الراقية ، وتبحث عما تركه أسلافنا من تراث علمي ، إن النهضة العلمية اليوم في ليبيا أصبحت في تقدم مستمر ، فقد أنشئت فيها كثير من المدارس الابتدائية والثانوية في جميع أنحاء المملكة ، كما أنشئت فيها جامعة تحتوي على كليات الحقوق والآداب والهندسة والعلوم والتجارة ، وإن عدد الطلاب في تلك المدارس والجامعة نحو مئة الف طالب وطالبة وهذه النهضة قامت بعد استقلال ليبيا أى منذ أربعة عشر عاماً فقط ، وفضلا عن ذلك فإن البعثات الجامعية ترسل كل عام الى الجامعات في القاهرة وبيروت ولندن وباريس وبروكسل وأنقرة وغيرها ، وبذلك أصبح الوعي العلمي منتشراً بين طبقات

الشعب الليبي ، الذي كان محروماً من جميع وسائل العلم والتعليم إبان الحكم الإيطالي الغاشم وآثار العلماء والأدباء والشعراء الليبيين كانت مغمورة في زوايا الاهمال بسبب الكبت الفاشستي ، ومن قبله أيام حكم الأتراك الذي كان لا يقيم وزناً لعلماء العرب وآثارهم ، كل هذه الأسباب كادت أن تقضي على تراثنا الذي خلفه أسلافنا رحمهم الله وفي هذه اللمحة أقدم عرضاً موجزاً عن رجال العلم والأدب والتاريخ في ليبيا من المتقدمين والمتأخرين أيضاً وعلى سبيل الانموذج أذكر لفيفاً منهم :

علماء اللغة :

من علماء اللغة أبو إسحق إبراهيم بن الاجدابي من أعلام القرن السادس ، اشتهر بعلم اللغة وله كتاب قيم أسماه كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ، وهو مطبوع في بيروت منذ ثمانين سنة ، وقد مدح هذا الكتاب بعض الأدباء المتأخرين بهذين البيتين :

من كان يطلب في الغريب وسيلة ... من شاعر أو كاتب متلفظ
أو كان يبغي في الكلام بلاغة ... فليحفظن كفاية المتحفظ

ومن مؤلفاته أيضاً كتاب « الأزمنة والأنواء » وهو مفيد جداً في فنه ،وقد طبع حديثاً في دمشق .

ومن كبار علماء اللغة الذين أحرزوا قصبات السبق في هذا الميدان ، العلامة جمال الدين محمد بن منظور صاحب لسان العرب أحد أعلام القرن الثامن ، وهو أشهر من أن يعرف حيث إن تأليفه المذكور جمع فيه ما لم يجمعه غيره من مشاهير اللغويين في معاجمهم ، وهو يحتوي على ثمانين ألف مادة من كلام العرب حسبما قرره العلماء في هذا الصدد ، وفضلا عن ذلك فهو كتاب تفسير وشرح لغريب الحديث ، وفيه بحوث مستفيضة في علوم النحو والصرف والاشتقاق واللغة ، كما أنه يشتمل على مجموعة كبيرة من أمثال العرب وغير ذلك ، من الفوائد .

و«ابن منظور» ليبي صميم حيث رفع نسبه في مادة (ج ر ب من اللسان الى الصحابي

الجليل رويفع ابن ثابت الأنصاري دفين مدينة البيضاء بليبيا ، وفضلا عن ذلك فالمؤلف نفسه تولى عمل طرابلس ولابن منظور مؤلفات أخرى منها مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ومختصر الأغاني ، ونثار الأزهار في الليل والنهار ، وهو صغير ومطبوع قديماً في مطبعة الجوائب باسطنبول .

العلماء والفقهاء :

من علماء الشريعة العلامة أبو الحسن المنمر من رجال القرن الخامس صاحب التأليف المسمى بالكافي في الفرائض ، وقد أثنى عليه ابن خلدون فى المقدمة ثناء عطراً .

ومن الفقهاء الكبار أيضا عمر بن عبدالعزيز الطرابلسي ، من رجال القرن السادس . ذكره ياقوت في معجم البلدان ، وهو القائل في كتب الغزالي :

هذّب المذهب حبر أحسن الله خلاصه
ببسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

ومن الفقهاء المتضلعين فى المذهب المالكي أبو عبدالله محمد الحطاب من أعلام القرن العاشر صاحب مواهب الجليل لشرح مختصر أبي الضياء خليل ، وهو شرح مستوفى في ستة مجلدات ضخمة طبع على نفقة سلطان المغرب الأسبق المرحوم عبدالحفيظ .

ومنهم العلامة أحمد زروق صاحب المؤلفات العديدة ومن ضمنها شروحه على حكم ابن عطاء الله التي بلغت سبعة وعشرين شرحا حسبما ذكر في نيل الابتهاج بتطريز الديباج .

ومن كبار علماء الشريعة على مذهب أبي حنيفة النعمان العلامة محمد كامل بن مصطفى مفتي طرابلس الأسبق ، ومن مؤلفاته الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية ، وهي مطبوعة ومتداولة بين العلماء ، وله حاشية على تفسير البيضاوي لا تزال مخطوطة في مكتبة الأوقاف بطرابلس .

ومن علماء الشريعة أيضاً العلامة عبدالرحمن البوصيري قاضي طربلس الأسبق ، وله عدة مؤلفات منها المحاكمة بين ابن حجر والعيني وحاشية على الجوهر المكنون .

المؤرخون :

من المؤرخين القدماء أبو الحسن علي بن مخلوف الطرابلسي ، كان له اهتمام بالتواريخ ، وصنف تاريخاً لطرابلس ، وكان فاضلا في متون شتى ، أخذ عنه السلفي وهو من أعلام القرن السادس ، ذكره ياقوت في معجم البلدان عند ما تكلم على « طرابلس ».

ومنهم «ابن غلبون» المؤرخ وهو صاحب التاريخ المسمى «بالتذكار فى من ملك طرابلس ومن كان بها من الأخيار » ، والمؤلف من علماء القرن الثاني عشر . ومنهم أحمد بك النائب الأنصاري صاحب التاريخ المسمى بالمنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب في جزأين ، وهو مطبوع ومتداول بين طلاب التاريخ والأدب في ليبيا .

ومن المعاصرين الذين ألفو في التاريخ الليبي محمد بن مسعود خريج دار العلوم بالقاهرة ألف تاريخ ليبيا العام في جزأين ، وله غير ذلك في التاريخ والجغرافيا والاجتماع .

ومنهم أيضاً مصطفى بعيو خريج كلية الآداب بالقاهرة ، فانه ألف المجمل في تاريخ ليبيا .

ومن الليبيين الذين تخرجوا من الأزهر وألفوا في التاريخ الليبي طاهر الزاوى فانه ألف : أبطال الجهاد وأعلام ليبيا وليبيا بعد الفتح العربي .

الصحافة الليبية :

إن أول صحيفة صدرت في طرابلس كانت بتاريخ سنة ١٨٦٦ ، وكان اسمها « طرابلس الغرب » ، وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية ، وهي الجريدة الوحيدة فى ذلك الوقت، ولقد استمرت على الصدور أسبوعياً إلى أن احتلت إيطاليا البلاد الليبية في سنة ١٩١١ ، وهي نظيرة أمثالها من الجرائد الرسمية التي كانت تصدر حينئذ في بلاد الامبراطورية العثمانية وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين صدرت صحف متعددة في طرابلس قام بإصدارها صفوة من رجال العلم والأدب والسياسة نذكر منها : مجلة الفنون وهي نصف شهرية ، جريده الترقي ، العصر الجديد ، الكشاف ، «تعميم حريت» «وهي جريدة أسبوعية

كان يصدرها المحامي محمد قدرى باللغة التركية » ثم المرصاد ، اللواء الطرابلسي ، وهي لسان حال حزب الاصلاح الوطني ، الرقيب ، الوطن ، البلاغ ، بريد طرابلس ، الوقت ، الذكرى ، الإصلاح ، العدل ، بريد برقة ، ليبيا المصورة وهي مجلة شهرية . ثم في عهـــد الاستقلال صدرت عدة جرائد ومجلات ، منها طرابلس الغرب وهي يومية وبرقة الجديدة ، والرائد يومية أيضاً ، والطليعة والحرية والميدان ، هذا ولا يخفى على المطلع ما تنشره تلك الصحف الليبية في العهود السالفة ، وفي عصر الاستقلال أيضاً ، إن أكثرهـــا يتمشى وسياسة الحكومة شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، وإن القليل منها جداً يقوم بنشر مقالات وطنية تهدف لخدمة الوطن والصالح العام ، وينتقد في دائرة ضيقة إجراءات الحكومة التعسفية ، ولقد أصدرت الكتلة الوطنية بطرابلس زمن الإدارة البريطانيـــة جريدة باسم « صوت الأحرار » ، ولكن تلك الإدارة ومن جرى على غرارها قضى عليها في مهدها بدون مبرر قانوني . والخلاصة أن حرية الرأي العام مفقود بتاتاً في ليبيا في كل الفترات التي تولت فيها حكومات صورية وطنية ، فإلى الله أشكو عجرى وبجرى من تعسف السلطات في الديار الليبية والتي لا تقيم وزناً لما ينص عليه الدستور فيها ، فقد منعت أي نشاط سياسي أو قيام أى حزب يمثل الشعب ويدافع عن حقوقه في اجتماعاته ونشراته وبياناته .

الشعراء في ليبيا :

في هذا البلد العربي الصميم كثير من الشعراء الذين نبغوا في القرن العشرين ، وأكثر هؤلاء الشعراء ترسموا خطى المولدين من الشعراء كأبي الطيب المتنبي والبحتري وأبي تمام وأضرابهم من فحول الشعر والأدب ، والقليل من شـــعراء ليبيا من يسير على غرار الشعر العصري الذي لا يتقيد بأوزان الخليل والقافية . وهؤلاء الشبان الذين ينادون بتحرير الشعر من الأوزان والقوافي هم قلة لا يؤبه لهم ، وكل من له أدنى ذوق أدبي عند ما يقرأ ماينشره هؤلاء الذين يدعون تجديد الشعر من قيود العروض والقوافى ، يتبين له بوضوح تام أن شعرهم ليس بعربي ، ولا يمت للشعر العربي بصلة ما ، وقائل هذا الشعر المختل الأوزان

والقوافي والمعاني أيضاً ، هو رابع الشعراء الذي قيل فيه « وشاعر من حقه أن تصفعه » إن بث هذه السخافات الشعرية بين الناشئة وطلاب الأدب العربي مما يفسد ملكات الناشئين الذين يتتبعون ما ينشر على المجلات والصحف اليومية في الشرق العربي كله ، وأرجو أن يقوم أنصار الأدب وحماة لغة العرب ، بحملة أدبية تردع أولئك الشبان عن غيهم فيما ينشرونه الفينة بعد الفينة ، من الشعر المسمى عندهم بالشعر الجديد وبذلك تتقوم ملكات رواد الأدب ، وتنشو الناشئة العربية على أسس قويمة من اللغة وأساليب فصحاء العرب ، والشعراء الليبيون أكثرهم يترسم خطى شعراء الصدر الأول في الإسلام ، ومن هؤلاء أحمد الشارف وأحمد رفيق المهدوي رحمهما الله وأحمد الفقيه حسن أطال الله في عمره ، وديوانا أحمد الشارف واحمد رفيق المهدوي مطبوعان ومتداولان بين طلاب العلم والأدب في الديار الليبية أما ديوان أحمد الفقيه حسن فلا يزال مخطوطاً وهو مهيأ للطبع ، وهؤلاء الثلاثة هم البارزون من شعراء ليبيا ، واليكم مقتطفات من شعر المرحوم أحمد الشارف الذي كان رئيساً لمحكمة الاستئناف الشرعية بطرابلس،وهذه إحدى قصائده قالها في حرب الكماليين مع اليونان بعنوان :

حياة على الضيم بئس الحياة

لقد آن للعزم أن يصدقا	وحملته اليوم لن تكذبا
وأسيافنا أخذت موثقا	بأن يبلغ السيل منها الزبى
رعى الله جيشاً غداً قائما	بدق الطبول وخفق البنود
تجرد من عزمه صارما	ليعرف مركزه في الوجود
سيبقى الزمان له خادما	كما كان يخدم تلك الجدود
قد اخترقت خيله مأزقاً	حذاراً على المجد أن يذهبا
وحتم على السيف أن يسبقا	إذا لم يجد في العلا مطلبا

* * *

ولا يعجب القوم من عنصر غدت منه نار الوغى تستعر
كذا المجد يقضي على معشر حيـاتهم آذنت بالخطـر
جزاء لما كان في « سيفر » ومـا جاء في ذلك المؤتمر
بحيث اليراع غـدا مطلقـا فيكتب ما شاء أن يـكتبا
ولسنا على الضيم نرضى البقا ولا ننصر الدين والمذهبا

* * *

ولما تعذر فصـل القضا وزاد اللجاج وطال الخصام
أتى السيف بالرغم لا بالرضا لحسم القضيـة بين الأنـام
فان الحسام إذا ما قضى ينزه عن شبهة الاتهام
فلا غرو أن جد يوم اللقـا وسالت نفوس بحد الظبـا
فما الشـرق أوجب أن تهرقا ولـكنما الغرب قد أوجبـا

* * *

حياة على الضيم بئس الحياة ونعـم الممات إذا لم نفـز
لقد قام فينا « كمال » الصفات بأوفر حظ وأكمل عـز
فتى أدرك الأمر قبل الفوات ومهما بدت فرصـة ينتهـز
حريص على الشرف المنتقى بإدراك ما كان مستصعبا
وقد أوشك الضيم أن يحدقا ولـكن أباه بـكل الابا

* * *

وهذه القصيدة طويلة اخترنا منها هذه الأبيات كأنموذج لشعره في الحماس والوطنيات ، وقد طرق الشارف أبواب الشعر ، فنظم في الفخر والمديح والرثاء والغزل وفي غير ذلك . فمن قصائده في الرثاء هذه القصيدة التي رثى بها ملك العراق الأسبق المرحوم فيصل بن الحسين وهي :

سهاد على أجفاننـا قـد تحكما | وحزن بأعمـاق القلوب تجسما
وأعظم خطب في الورى فقد سيد | أقام له الشعب العراقى مأتما
يشق على سمعى مقالة نعيـه | وأكره أن القى بهـا متكاماً
فلو مدت الاقدار من نحوه يداً | على أمة الاسلام كان المقدما
ولم تبك أقطار العروبة وحدها | عليه ولـكن كل من كان مسلما
إمام ســرى أريحي سميذع | بصير اذا ما دبر الأمر أحكما
ولا عجب أن قام بالأمر وحده | على جـده جبريل صلى وسلما
مكارم في دار السلام تأيمت | ومجـد لابنـاء الرسول تيتما
وموت سراة القوم أعظم حادثاً | ولـكنه في فيصل كان أعظما
هو الدهر لا تغررك منه ابتسامة | اذا غضب الضرغام يوماً تبسما

* * *

ومن الشعراء المجيدين في ليبيا أحمد رفيق المهدوي أحـد هؤلاء الشعراء الثلاثة المذكورين آنفاً ، وهو شاعر مطبوع يجيد في كل باب من ابواب الشعر ، فمن قصائده في رثاء ماركوني هذه القصيدة ، وهي بعنوان :

نظيرك نادر في الكائنات

نظيرك نادر في الـكائنات | « لحق أنت احدى المعجزات »
رسول الفن انت ظهرت تهدى | بآي الـكهرباء البينات
فقلت الصوت فهو بغير سلك | يحلق في قوى متموجات
وارسلت الصدى في البرق يسري | أمينـا حافظاً للمرســلات
طوى الآفاق بين فم واذن | فزال بذاك تحريك الرواة
واصبحت الاذاعة من مكان | تعم بســرعة كل الجهات
فاغنت في الدعاية عن كثير | من الصحف المديدة والدعاة

وتلك يـد لنشر العلم جاءت بمعجزة تفوق المعجزات

* * *

أمركوني رثيتك لاحترامي وحبي للعباقرة الدهاة
وأنت أجلهم عنـدي لأني رأيتك فوق هاتيك الصفات
نفعت الناس أجمع باختراع خلا من كل أنواع الاذاة
فكم لك من يد كانت شفاء لآلام البرية في الحياة
وكم اشفت على عطب سفين دعتك فكنت أسباب النجاة
ولم تك مثل من يسعى ليأتي بما يقضي على باقي الحياة
يفكر في اختراع الموت قتلا بغاز خانق ومفرقعات
ولكن كنت تسعى لاكتشاف يخفف شر تلك المهلكات
فليتك طال عمرك كي ترينا غرائب ما يزال مكتمات

* * *

علوم العصر ان بـقت وأنت فانت لهـا بمنزلة النواة
كشفت بفضل نور العلم سراً سيكفل حل عقم المشكلات
فهذي رؤية الصور استطعنا على بعـد نراها واضحات
رأينا من تكلم من بعيد كما يبدو على سطح المراة
وسوف نرى بفضلك عن قريب طريقاً لاكتشاف النيرات
مسائل لا يزال العلم يسعى ليجعلها لرأيك طائعات
وكان يعـد رأيك مستحيلا فاصبح فى عـداد الممكنات
وصار الفخر في كل اختراع يعود اليك في ماض وآت
فما لسوى علاك يقال حقاً « علو في الحياة وفي الممات »

ونكتفي بهذه القصيدة للدلالة على مكانة الشاعر الذي أجاد في رثائه للماركيز «ماركوني»

العالم الايطالي الشهير الذي يعد بحق استاذاً للمخترعين المعاصرين ، ونختم هـذه اللمحة التاريخية ببعض ما جادت به قريحة السيد أحمد الفقيه حسن رئيس مجلس الأوقاف بطرابلس ، وهو من الشعراء الذين فازوا بقصبات السبق في مضمار الشعر والشعراء ، وديوانه ضخم لا يزال مخطوطاً ، وهذه إحدى قصائده وهى بعنوان :

ليبيا المنقذ

عزم أهاب بليبيا متقـدما ... ودعا الى استقلالها وتكلما

وطن يؤيـد حقه أبناؤه ... وطن الى صبابة العرب انتمى

ضحى بابطال وبرهن أنهم ... كانوا له يوماً حماة للحمى

فالفخر ما ضحى به أبناؤه ... والمجد ما كتبت صحيفته الدما

هبوا الى استقلاله بين الورى ... ولنيله طرقوا السبيل الاقوما

عقدوا الخناصر للجهاد وقد رأوا ... ان يستقل وان يصان ويكرما

قوم أبت أخلاقهم أن يخضعوا ... للغاصب العاتي وان يتحكما

طبعوا على كرم فكان جهادهم ... للنصر والمجـد المؤثل سلّما

وطن يقدسـه بنوه وما رأوا ... من صالح يوماً بأن يتقسما

جمعت طرابلساً وبرقة وحـدة ... تبقى على طول المدى لن تفصما

هذي لتلك يد وتلك لهـذه ... سند اذا ما الخطب اصبح مضرما

هى وحدة الوطن الذى أضحى بها ... عما يحاول في الحياة مترجما

نادى بها أبناؤه فتوحـدت ... كل الجهود لكي يعيش مكرما

فاليوم تظفر ليبيا اذ ابرمت ... للمقصد الأسمى اتحاداً محكما

رفعت عقيرتها لنيل حقوقها ... بين الشعوب وقد أبت أن تهضما

فالشرق أجمع لا يزال مؤيداً ... لرجالها ولسـعيهم مترسما

لا غرو ان نجحت قضية ليبيا ... فالشرق فاه بحقها مترنما

والحق ما استندت دعائمه على حجج مؤيدة فكان مدعما

* * *

هذه احدى قصائد أحمد الفقيه حسن في الميدان السياسي ، وقد طرق موضوعات كثيرة في شعره ، ولولا خوف الاطالة لذكرت من قصائده ومن قصائد الشاعرين أحمد الشارف وأحمد رفيق ، ما يبرهن على أن هؤلاء الثلاثة هم في طليعة شعراء العرب في العصر الحاضر وما ذكرته من شعرهم يؤيد ما قلته فيهم ، والخلاصة أن النهضة العلمية والأدبية سائرة قدماً الى الامام في ليبيا ، وذلك بسبب الموارد الطبيعية في البلاد ورغبة الشعب في طلب العلم في جميع مراحله ، ولو تولت زمام الامور أيد وطنية نزيهة لتضاعف التقدم العلمي في جميع نواحيه ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، والى الله عاقبة الامور .

التعقيبات

الدكتور ابراهيم مدكور : تعرض البحث لشئون محليـة تتصل بشئون ليبيا السياسية والمجمع ليس من دأبه ولا مما يسوغ له أن يتعرض لهذه الشؤون . وكان على الأستاذ الباحث أن ينحى عن بحثه كل ما لا يتصل بالعلم واللغة .

الاستاذ الشيخ محمد علي النجار : لي كلمة أريد أن أذكرها تعليقاً على هـــذه المحاضرة القيمة التي جلت لنا أحوال ليبية العلمية والأدبية . فقد ورد في كلام الأستاذ الجليل أن ابن منظور من طرابلس ودليله أن في طرابلس قبر رويفع بن ثابت الأنصارى الذي يرجع اليه ابن منظور في نسبه ، وأنه ولى عملا في طرابلس ، وأنه من جربة . والمعروف أن ابن منظور نشأ في مصر وكان صاحب ديوان الإنشاء فيها ، وكونه ولى بعض الأعمال فى طرابلس لا ينفى ذلك ، وجربة التي يذكر ابن منظور أن أجداده كانوا فيها من تونس ، ولذلك يقال له ابن منظور الافريقي وافريقية ـ فيما أعلم ـ هي تونس .

هذا ولست أريد أن أدفع فخراً لطرابلس بهذا القوى الضليع فالبلاد العربية واحدة وإذا نبغ عالم عربي فهو فخر لها جميعاً . وإنما أردت أن أبين الحقيقة في نظري .

الاستاذ علي الفقيه حسن : ذكرت في بحثي ترجمة موجزة للعلامة جمــال الدين ابن منظور . . صاحب لسان العرب ونسبته للبلاد الليبية استناداً على ما ذكره كثير من المؤرخين مثل ابن حجر في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنـــة والسيوطي في بغية الوعاة وابن غلبون في التذكار والنائب في المنهل العذب فى تاريخ طرابلس المغرب ، فكل هؤلاء المؤرخين يذكرون أنه افريقي غـير انه تولى رئاسة ديوان الإنشاء بمصر ، كما أنه تولى عمـل طرابلس بلده ، ولم يذكر اولئك المؤرخون مكان وفاته ، غير ان المتتبع لترجمته فى مظانها يرى ان

ابن منظور نفسه سرد نسبه في مادة ج ر ب ورفعه الى رويفع بن ثابت الانصاري حاكم ليبيا في زمن معاوية بن أبي سفيان ودفين مدينة البيضاء بليبيا ، وابن منظور يلقب أيضاً بابن المكرم ، ولا تزال سلالات في بلدة تاجوراء من طرابلس الغرب تحمل هذا اللقب وهي بلا شك من أعقاب ذلك الجهبذ الكبير ، فهذه الادلة الثلاثة تدل على أن صاحب اللسان ليبي المولد والمنشأ ، وان كان تولى ديوان الانشاء بمصر ، فهذا لا يدل على أنه مصري مثل العلامة عبدالرحمن ابن خلدون فانه تولى منصب قاضي قضاة مصر ثلاث مرات وتوفى بمصر وهو تونسي صميم .

ولقد عقب على كلمتي الشيخ محمد علي النجار بكلمة موجزة يقول فيها :

ان ابن منظور مصري وتولى رئاسة ديوان الانشاء وأنه ولد بجزيرة جربة التابعة الآن للجمهورية التونسية ، وقد نفى أن ابن منظور طرابلسي صميم . هذا ما علق به فضيلة الشيخ محمد علي النجار ، وهو تعليق يفتقر الى دليل تاريخي ، وكل ما قاله رأي خاص له غير مدعم بمستندات تاريخية تثبت ما قاله في هذا الصدد ، والحقيقة التي لا مراء فيها ما ذكرته في بحثي انه ليبي صميم استناد على ما ذكره اولئك المؤرخون ، وفضلا عن ذلك فان العلامة أحمد فارس الشدياق في الديباجة التي كتبها على لسان العرب يقول : جمال الدين محمد بن منظور الافريقي ثم المصري (وذلك بسبب اقامته في مصر لا غير) وعلى كل حال من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وتبياناً للحقيقة ووضعاً للامور في نصابها رأيت أن الاحظ على كلمة الاستاذ المعقب بهذه السطور ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا والله يعلم وانتم لا تعلمون .

الجلسة السابعة

(خاصة)

صباح الخميس غرة شعبان سنة ١٣٨٥ هـ .

٢٥ من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٥ م .

١ — ترجمة الواعظ البغدادي صاحب الوتريات — للأستاذ عبد الله كنون عضو مجمع اللغة العربية

٢ — ميزان البذر — للدكتور جميل الملائكة — عضو المجمع العلمي العراقي

٣ — الوضع — تحديده ، تقسيماته ، مصادر العلم به — الأستاذ محمد تقي الحكيم عضو المجمع العلمي العراقي

٤ — انتحال الألفاظ المولدة و إقرار الصالح منها — للأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

١ — ترجمة الواعظ البغدادي صاحب الوتريات

للأستاذ : عبد الله كنون

عضو مجمع اللغة العربية

تحية لبغداد ومجمعها الموقر :

كانت الدعوة إلى عقد المؤتمر الثاني والثلاثين لمجمع اللغة العربية في عاصمة الرشيد ، مناسبة حملتني على الاهتمام ببعض الموضوعات التي كنت أفكر فيها من حين لآخر ، وأرجىء الاشتغال بها إلى أن أجد فراغا من الوقت أصرفه اليها . منها إعادة النظر في تحقيق الاربعين الطبية وشرحها لعبد اللطيف البغدادى الذي كنت نشرته من غير تحقيق منذ سنوات خلت . ومنها كتابة ترجمة للواعظ البغدادي صاحب الوتريات ، بصفته أحد المغتربين الذين فارقوا ديارهم وأوطانهم حباً في جوب البلاد وطلباً للمعرفة ، فتقطعت بهم الأسباب في ديار الغربة ، وغابت أخبارهم ومصايرهم عن أبناء وطنهم ومؤرخي جيلهم كما غابت أوليتهم ونشأتهم عن أهل البلد الذي استقروا فيه فضاعت بسبب ذلك معالم حياتهم وجهلت ترجمتهم بالمرة أو كادت .

وقد كان من هؤلاء المغتربين من حررت ترجمته في نطاق التراجم المغربية التي يتضمنها كتاب «شخصيات مغربية» أو كتاب «ذكريات مشاهير رجال المغرب »، ومنهم من لم يكن مغربياً فأثبت ترجمته في إحدى هذه المجموعات الأدبية العامة التى أنشرها باسماء متنوعة كمجموعتى « التعاشيب » و« خل بقل » .

وهكذا كانت هذه المناسبة الطيبة حافزاً لي الى المبادرة بانجاز هذين العملين المهمين وتقديمها باسم مجمع اللغة العربية تحية لبغداد العظيمة وللمجمع العلمي العراقى صاحب الدعوة الكريمة راجياً أن يحظى اسهامي في دورة مجمعنا الاستثنائية بقبول حسن والله ولي التوفيق .

الاسم الكامل للمترجم :

هو أبو عبد محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي الشافعي الواعظ .شهر بالوتري ويلقب بجمال الدين ومجد الدين .

أما شهرته بالوتري فتدل عليها تحليته في معجم المطبوعات التى جاء فيها بعد الأوصاف المذكورة قبلها : « المشهور بالوتري » ، ونظن أنها مأخوذة من قصيدته الوترية ، وأن شهرته بها اقترنت بشهرة قصيدته ولم نر من ذكرها من مترجميه وإن كنا لا نشك أن صاحب معجم المطبوعات نقلها من مصدر موثوق به .

وأما لقب جمال الدين فهو وارد في كتاب « الذيل والتكملة »لابن عبد الملك المراكشي ، حسبما نقله عنه المؤرخ«ابن إبراهيم »في كتابه «الأعلام » بمن حل « مراكش وأغمات من الأعلام ». كما أن لقب مجد الدين وارد في كتاب كشف الظنون «لحاجي خليفة» . وعلى تعدد هذه الأوصاف والنسب ، فانها لا تفيدنا نسبه الحقيقي إذا أردنا أن نعرفه على طريقة العرب بذكر نجاره أو قبيله الذى انحدر منه . فالنسبة إلى بغداد يشترك معه فيها كل من سكن هذه العاصمة التاريخية الكبرى وهو عدد لا يحصى كثرة والغالب على الظن أنه إنما نسب اليها بعد مغادرته لها وتجوله في البلاد على المعهود في مثله . وكذلك النسبة إلى الشافعي إنما هى تحديد للمذهب الفقهي الذي كان ينتحله ، ولئن خصصته من عموم الانتماءات في هذا الصدد ، فانها لن تكسبه تعريفاً شخصياً يكون ألصق به من المذهب الذي هو عرضة للتغير . والواعظ ليس إلا وصفاً للمهنة التى كان يتعاطاها ، كما أن الوتري على ما رأينا إنما هو لقب أدبي أطلق عليه بعد نظمه لقصيدته الوترية .

و«جمال الدين» و«مجد الدين» كلاهما لقب تشريف لا تعريف فيهما خصوصاً بعد أن شاعت هذه الألقاب واشتركت بين العدد من الناس فلم يتعرف بها إلا القليل منهم على شرط أن

يضاف اليها وصف آخر يحصل به تمـــام التعريف ومع ذلك فانها لا دلالة لها على نسب الشخص إطلاقاً .

أصل المغربي :

ومما يزيد أمر أصله ونسبه غموضاً قول «ابن عبد الملك» في «الذيل والتكملة» «ويذكر أن أصله من «قصر كتامة» فهو إذن مغربي الأصل ، ومن هذه المدينة المغربية المعروفة «بالقصر الكبير» في شمال المغرب ، فانها هي التى كان يقال لها «قصر كتامة» فرقاً بينها وبين «قصر مصمودة» المعروف الآن «بالقصر الصغير» ، ويقع في الشمال أيضاً على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ولكن كيف ذلك ؟ وهل هذا الأصل بعيد أو قريب ؟ ومن الذي انتقل من سلفه الى بغداد ؟ وما سبب انتقاله ؟ وبماذا كان يعرف في المغرب ؟ وإلى أي عنصر من عناصر سكانه ينتمي ؟ أسئلة لا نستطيع أن نجيب عنها بشيء ، وربما هو نفسه لم يكن باستطاعته أن يجيب عنها كما تعطيه تلك العبارة الغامضة : « ويذكر أن أصله من « قصر كتامة»

إنما الذى لا شك فيه أن أصله هذا كان له تأثير كبير في نفسه وفي تفكيره وتصوره لهذا المغرب الذي جاء ســلفه منه وما زال به ذلك حتى جعله يشد الرحلة اليه ويقيم فيه زماناً يتقلب بين مدنه وأقاليمه ، ورقعة المغرب إذ ذاك واسعة كبيرة تنتظم جميع ما نسميه اليوم بالمغرب العربي أي هذه الأقطار الأربعة كلها «ليبيا وتونس والجزائر والمغرب» ، بل وتزيد فتضم اليها القطر الأندلسي ، ذلك الفردوس المفقود الذي كان يخضع حينئذ لدولة المغرب ، ويكون إحدى ولايات الخلافة الموحدية الكبيرة ، فقد زاره صاحبنا وجاء في أخباره أنه دخل غرناطة ، وإن لم تجد له ذكراً عند «ابن الخطيب» في كتابه «الإحاطة» ، ومن المؤكد أنه زار مدينته الأصليه «قصر كتامة» أو «القصر الكبير» ، ومكث فيها مدة ينتقل بين أحيائها ويتعهد معالمها استيناساً بديار سلفه وتذكراً لعهودهم فيها ، ونعتقد انه لما رأى ما عليه المغرب من ازدهار حضاري وتقدم في حلبات العلوم والآداب قرر الاستيطان به

نهائياً والرجوع الى أصله ، ولذلك بعد أن عاد فشرق لأداء فريضة الحج انكفأ راجعاً الى المغرب فادركته المنية وهو بـ« تونس » كما يجيء بعد .

مؤهلاته ومواهبه :

قال ابن عبد الملك : روى ببغداد عن أبي اسحق ابراهيم بن سعيد الانصاري أحد أصحاب «ابن الجوزي» ، وبدمشق عن ابي عبدالله بن عبدالوهاب الواعظ ، وبالأندلس عن أبي يحي عبد الرحمن بن عبد المنعم بن الفرس » ثم ذكر أسماء بعض الذين رووا عنه بمراكش ومصر . وهذا الكلام لا يفيد شيئاً في التعرف الى أوليته ونشأته ومكان أسرته من مجتمع بغداد الذي وجد فيه وتاريخ ولادته وطريقة طلبه للعلم وما الى ذلك ، وهو تغاض ألفناه كثيراً من مؤرخينا وكتاب التراجم عندنا ، فلنضرب صفحاً عن هذه الفترة من حياة المترجم ولنصحبه وهو كبير قد اكتمل تكوينه بحيث صار يروي الأحاديث عن الأكابر ويروي الناس عنه، فان عبارة «روى ببغداد ودمشق والأندلس وروى عنه بمراكش ومصر » لا تدل إلا على ذلك ، لأنهم يتوخون ذكر أضخم الأسماء وأعظم الشخصيات التى أخذ عنها الرجل ولا يكون ذلك الا في حال تمكنه وتمام أهليته . ولذلك فهو يؤخذ عنه في الوقت الذي لا يستنكف ان يأخذ عمن كان من تلك الطبقة اذا لقيه في هذا البلد أو ذاك . وهذا هو السر في أن« ابن عبد الملك» لم يذكر أخذه عن أحد بمراكش ولا بمصر في حين نصه على أسماء من روى عنهم بالأندلس ودمشق وبغداد ، وهي بقية من الشيوخ في مرتبة أساتذة الرجل ، تكون هنا وهناك ، فهو اذا لقيها يغنم الأخذ عنها ، وقد لا يكون ثم من هو في هذه المرتبة فيؤخذ عنه ولا يأخذ هو عن أحد وهذا هو ما حصل له في مصر ومراكش .

و«ابن عبد الملك »أحد الذين رووا عنه بـ «مراكش» لما قدمها صدر سنة خمس وخمسين وستمائة كما ذكر في ترجمته . وقد صحبه ولازمه وحظى بقبوله وذاكره كثيراً وحدثنا عن موهبته في الوعظ والخطابة والكتابة والشعر وطريقته في ذلك حديث المشاهد الخبير مما

قل أن نظفر بمثله في تراجم العلماء والأدباء ، وناهيك بابن عبدالملك المؤرخ النقاد والاديب الذواق فانه قد امتاز في هذا الفن فنّ التراجم بالاجادة والاتقان والنظر والتحقيق واعطاء رأيه وحكمه على الأشياء ، ولا سيما اذا تعلق الأمر بالأدب والرواية ومسائل العلم والتاريخ وهذا ما يقوله عن صاحبنا في الموضوع .

« وسمعت منه كثيراً وجالسته طويلا وحاضرته وذاكرته ورزقت منه قبولا كثيراً ، ولزمت شهود مجالس وعظه ، وكانت القلوب تنفعل كثيراً لكلامه ، وترق لموعظته وتتأثر لتذكيره . وكان أغزر الناس دمعاً ، اذا رقي لمنبر وعظه لا يتمالك أن يرسل دموعه فيؤثر عند الحاضرين من الخشوع والخشية وسكب الدموع ما لا مزيد عليه . وكان يتولى انشاء خطبه التي يفتتح بها مجالس وعظه وقصائده المطولة التي يختتمها بها وكان سريع الانشاء لذلك كله » .

في هذه الفذلكة من كلام «ابن عبدالملك» دلالات شتى على جوانب من شخصية المترجم وما كان يتوفر عليه من مؤهلات ومواهب هي التي أكسبته ما حظي به من شهرة وحميد ذكر لدى كل الأوساط في المغرب فمن رجال الدولة نرى السيد ابامحمد عبد الواحد ابن أبي زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن الموحدي يبادر بالأخذ عنه ويمدحه بقصيدة طنانة سنروى منها بعض المقطعات فيما يأتي :

ومن رجال العلم يكفي « ابن عبد الملك » وأخذه عنه وتنويهه به فضلا عن غيره من العلماء والقضاة والأدباء الذين مدحوه وأشادوا بفضائله ومن الشعب لا نشك أن مواعظه وامداحه للنبي (ص) كانت تختلب عقول مستمعيه وتؤثر في نفوسهم وقلوبهم فينفعلون لذلك وتستبق عبراتهم كما اخبر بذلك «ابن عبد الملك» وهو شاهد عيان ، ولا يزال ذلك مشهوداً الى الآن في هذا الاهتبال من المنشدين بأمداحه والتنغم بها في حفلات المولد النبوي الكريم وحلقات الذكر عند الصوفية ، مما حمل المطبعة الفاسية على اخراج مجموعة الوتريات في طبعة جميلة مشكولة غير ما مرة سدّاً للحاجة وكفاية للطلب في هذا الباب .

والوعظ عند صاحبنا فن كما يشهد له وصف ابن عبدالملك وقوله فيه: « وكان يتولى انشاء

خطبه التي يفتتح بها مجالس وعظه وقصائده المطولة التي يختتمها بها .

« فلنتصور هذا المجلس الوعظي الذي يحتفل له المترجم كل هذا الاحتفال ، وقد احتشدت له طبقات الناس على اختلافها ، حتى إذا انتظم عقدهم وأخذ هو مكانه في صدر المجلس ، بدأ ينثر درر خطبة الافتتاح على مسامعهم ، وهي لا شك تشتمل على حمد الله عز وجل والثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والصلاة والسلام على نبيه الأكرم ورسوله الأعظم ، ثم يتخلص بعد ذلك للعظة المقصودة فيبدىء فيها ويعيد ، ويتأثر ويلين وكلامه حين تغلبه الدموع ، فيسري التأثير منه الى مستمعيه ويتكهرب الجو فلا يبقى في المجلس من لا يستولي عليه الانفعال ويأخذه البكاء تجاوبا مع الشيخ الذي يختم المجلس بقصيدة شعرية من نظمه يرقق فيها الطباع ما شاء ويستميل القلوب حتى لا ينفض المجلس الا والقوم على أصفى الحالات توبة وندما وأزكاها تحليا وطهراً .

ولا يغيب عنا أن نرجع بهذا الفن الى قواعده التي كانت قد توطدت في بلاد المشرق وأصبحت لها مدرسة مشهورة كثر المتخرجون منها حتى صار الوعظ مهنة مرموقة لا يتعاطاها الا من ظهرت كفاءته وتمرس بأساليبه . ونحن نجد مترجمنا متين الصلة بهذه المدرسة اذ هو كما سبق القول قد أخذ ببغداد عن أبي اسحق الانصاري أحد اصحاب « ابن الجوزي » الذي كان يعد شيخ الوعاظ في وقته بل هو من أكبر وعاظ الاسلام . كما أخذ عن واعظ الشام « أبي عبدالله بن عبد الوداب » ، فالرجل بتعبيرنا الحديث كان من المختصين في هذه المهنة وممن درس قواعد هذا الفن على أعلامه المشهورين .

ومكانته في العلم مثل مكانته في الوعظ رسوخاً وثباتاً : يقول ابن عبد الملك : « وكان شافعي المذهب ، نظاراً فيه ، حسن المأخذ في الاحتجاج له ، متوقد الخاطر ، ذكياً يقظاً محباً في العلم منصفاً في المناظرة والمباحثة ، لا يكاد يخلي محاضرة من مفاوضة علمية ومذاكرة وبحث ومسألة ، على ذلك عرفناه ، وكثيراً ما كان يتعرض له في مجالس وعظه بالرقاع متضمنة أسئلة عويصة ، فيصدر عنه من سرعة الجواب عنها وحسنه ، وايضاح خفيها وحل مشكلها

ما يقضى منه العجب . شاهدت منه في ذلك كثيراً وقصدت الاغماض غير مرة أنا وجماعة من اصحابنا فى كثير من الاسئلة التى نودعها الرقاع المرفوعة اليه فيأتي (في الجواب عنها بما هو أعجب العجب) للحاضرين سرعة بديهة وحسن ترتيب وحشد (أقوال ثم) يخلص الى ما كان فيه من وعظه » .

وهذه غاية لا تدرك في التحصيل واستحضار المسائل واستجماع الذهن وقوة الملكة ، خاصة وأن مراكش فى ذلك الوقت كانت تعج بأهل العلم ورجال الفقه ، فلا يواجه مثل هذه المواقف فيها الا من كان من فحولة العلماء وجهابذة الفقهاء .

الوتريات :

لا نعرف للمترجم أثراً باقياً في الوعظ ولا في العلم ، والأثر الوحيد الذي بين أيدينا له هو هذه القصيدة الطويلة المعروفة بالوترية فى مدح خير البرية أو الوتريات في مدح خير البريات على اعتبار أنها عدة قصائد ، وهي كذلك . ويذكر في سبب تسميتها بهذا الاسم أنه لما رأى المادحين قد أكثروا من مدحه (ص) بقصائد على حروف المعجم وجعلوها معشرات وعشرينيات ولم يتعرضوا للوتر ، مع أن الله تعالى وتر يحب الوتر ، عمل هو قصائده هذه على أحد وعشرين بيتا في كل حرف قصيدة وزاد قصيدة على حرف لام الألف ليكون عدد القصائد نفسها وتراً على ما نظن فهي تسع وعشرون قصيدة وان شئت فقل أنشودة ، لأنها ما زالت تنشد كما قلنا في المناسبات الدينية بالأنغام المطربة من فرق المادحين ثم أنه التزم افتتاح أبياتها كلها بحروف رويها فقصيدة حرف الألف اوائل أبياتها وأواخرها كلها الفة وقصيدة حرف الباء كذلك وعلى هذا المنوال ، الى النهاية ، ولا يختلف الحرفان الا في الشكل فانه لم يلتزم فى الحرف الأول حركة حرف الروى .

هذا في الشكل ، وأما في المضمون فانها تدور على محور المدح للنبى (ص) والتنويه برسالته العظمى وأخلاقه الكريمة ومعجزاته الباهرة ولاسيما المعراج الشريف فانه أكثر من ذكره ، قال : « لما فيه من العجائب الا اني لم أذكر حديث جبريل عليه‌السلام ووقوفه

في الموضع المعلوم وقوله لرسول الله(ص)«ها أنت وربك»وزجه في النور زجة ، ففكرت في نظم ذلك المعنى فيسره الله علي في أربعة أبيات وأدخلتها في حرف الميم » ، فقصيدة هذا الحرف تزيد عنده على غيرها من القصائد أربعة أبيات ، ولكنها لم تخرج عن حد الوتر ، وهكذا مزج بين المدح والسيرة وعبر عن حبه الشديد للرسول (ص) تعبيراً بليغاً وردد ذلك في صور شعرية جميلة وعرض متنوع أخاذ ، وزاده حسنا وقبولا كونه صادراً عن نية صادقة وايمان قوي ، وانه تنكب الإغراب والتفصح واصطناع الأساليب البيانية التي تعلو على افهام العموم فجاء كلامه واضحاً نافذاً الى القلوب مهيجاً لبلابل الشوق والحنين الى جناب الممدوح ومقامه الرفيع ومثيراً للذكريات الحبيبة الى قلب كل مسلم ، ذكريات عهد النبوة ، وتنزل الوحي واتصال الأرض بالسماء . فالحقيقة اذا نظرنا الى محتوى هذه القصائد نجده متشابهاً ، لايعدو ما ذكرناه من المدح والتنويه بالمعجزات الخارقة للعادة من غير تبسط في ذلك ولا تتبع لأحداث السيرة النبوية كما فعل «البوصيري» مثلاً في قصيدته «البردة» و«الهمزية» ، ولكن الذي يلفت النظر في هذه القصائد هو التفنن في التعبير عن ذلك المحتوى وإعادة عرضه بصورة غير الصورة المتقدمة مع مزج ذلك بالإعراب عن شدة المحبة والشوق والتعلق بالجناب المحمدي وإظهار عظيم قدره عند الله عز وجل وحث المؤمنين على التمسك بهديه وأداء حقوقه مما يحرك الوجدان الكامن في الصدور ويترك أبلغ الأثر في النفوس . فطريقة صاحبنا في هذه القصائد خطابية شعرية لها تأثير مزدوج ، تأثير الخطابة التي هي صناعته الأولى وتأثير الشعر الذي رأينا أنه لم يحل به عن سذاجته ومذهبه القديم . وقد نجح بذلك في اداء غرضه نجاحاً كبيراً ونجح أدبياً أيضاً لأننا نرى أنه من حيث الصناعة الشعرية لم يكن بالضعيف إلا عند الذين تستهويهم وجوه التحسين وتلهيهم فنون البديع عن الإبداع الفني المطلوب ، وهو لم يكن يجيد ذلك .

و«ابن عبدالملك المراكشي» ممن يشتم من كلامه ورأيه في أدب المترجم رائحة الغض منه واستضعافاً له إذ يقول : « وكلامه نظماً ونثراً مؤثر في نفوس سامعيه على ما فيه من لين ،

وسمعته يقول غير ما مرة أن ذوقه لا يساعده على النظم فى وزن عروض من أعاريض الشعر ما خلا الطويل . هذا على اتساع حفظ وحضور ذكر لفنون الشعر على اختلاف أوزانه .

ونحن يكفينا هذا الوصف الذي وصف به كلامه من كونه مؤثراً في النفوس . أنه لا يكون كذلك إلا إذا كان ذا قيمة أدبية ممتازة ، والأدب الذي لا يؤثر في نفوس سامعيه إنما هو أدب فج وصنعة كلامية لا روح فيها ، فبمقدار تأثير الكلام يعلو قدره ويثقل وزنه وتتبين أصالة صاحبه . والواقع أن آثاراً أدبية كثيرة تخف في ميزان النقد البلاغي الصناعي ولكنها في ميزان التأثير والبلوغ الى الغرض المقصود تعلو قيمتها ويثقل وزنها وما ذلك إلا لأن الاعتبار بالروح لا بالمادة وبالجوهر لا بالعرض .

وها هنا نكتة فنية لا ينبغي تجاوزها وهي قول المترجم فيما حكاه عنه ابن عبد الملك وان ذوقه لم يساعده على النظم في أعاريض الشعر ما عدا الطويل ، فهذا القول يدل على أن الرجل كان فناناً مطبوعاً وأنه كان يقوم على مهمته خير قيام ، فيتخير من أعاريض الشعر ما يستوفى أغراضه ويطاوعه على استنفاد رغباته وهو عروض الطويل وبذلك يكون المعنى عنده متحكماً في اللفظ والصورة مفرغة على القالب الذي يناسبها فلا تشتكي من تشويه ولا إجهاض .

نماذج :

ولا أدل على ذلك وعلى ما قلناه في وصف شعره جملة ، من إيراد نماذج من الوتريات ونتخيرها مما يكثر دورانه على السنة المادحين لأنهم ما اختاروا منها إلا العيون ، فنتعرف منها على عبقرية الشاعر وعلى سلامة ذوق المنشدين فى آن واحد .

يقول صاحبنا فى وترية الألف :

أصلي صلاة تملأ الأرض والسما ... على من له أعلى العلا متبوأ
أقيم مقاماً لم يقم فيه مرسل ... وأمست له حجب الجلالة توطأ
الى العرش والكرسي أحمد قد دنا ... ونورها من نوره يتلألأ

أراه من الآيات أكبر آيـة — وما زاغ حاشـا أن يزيغ المبرأ
أتاه الندا يا سيد الرسل لا تخف — أنا الله مني بالتحيــة تبدأ
أردناك أحببنـاك هذا عطاؤنا — بغير حساب ، أنت للحب منشأ
أنلناك في الدنيا على الرسل رفعة — وكم لك من جاه الى الحشر يخبأ
أعد لك الحوض الذي من يؤمه — ويشرب منه شربة ليس يظمـأ
أخلاي من يحصى مـديح محمد — وفى مدحه كتب من الله تقرأ
ألا فادعونّ على الله يجمعنا به — فلولا الدعا ما كان بالخلق يعبـأ

في هذه القطعة من الوترية الأولى مثال لشاعرية المترجم وأسلوبه في النظم ، فهو لا يتكلف ولا يتعثر ولا يدخل في كلامه شيئاً من هذه الصناعات البديعية التي أغرم بها أهل عصره وانما يرسل نفسه على سجيتها فتارة فصلاً وتارة وصلاً ، وهو يقحم شعوره ويعبر عن عاطفته فيما بين الخبر والوصف ، يحاول بذلك التأثير في مستمعه مثل شأنه في الوعظ ، وهو لا يحاول ذلك وإنما هي روحه الفياضة بالمحبــة والشوق تطغى على كلامه فيحصل التأثير بالطبع ، وعلى كل حال فهو لا ينسى مهنته الوعظية حتى في الشعر فيطرز نظمه بالآيات القرآنية الكريمة كما يفعل الواعظ ، وذلك مثل قوله « وما زاغ حاشا أن يزيغ المبرأ » فانه كما لا يخفى اقتباس من قوله تعالى في سورة النجم « وما زاغ البصر وما طغى » وقوله « فلولا الدعا ما كان بالخلق يعبأ » فانه كذلك اقتباس من قوله عز وجل في سورة الفرقان « قل ما يعبأ بكم ربي لو لا دعاؤكم » ولا يفوتنا أن ننبه على أن قوله في الشطر السابق « حاشا أن يزيغ المبرأ » هو من التذييل البليغ الذي يدل على قوة عارضته ، فانه كمل به البيت وأحكم به القافية وبين به فحوى الآية وأرسله مثلاً ، وذلك من بلاغة الطبع التي لا تدرك بصنعة ولا بتكلف . ثم ان التزام افتتاح الأبيات بحرف الروى وهو الصنعة الوحيدة الملتزمة في كل القصيدة ، يكاد لا يدركه من لم ينبه اليه ، وذلك لعدم التكلف فيه فهو منسجم تمام الانسجام مع معاني الأبيات والألفاظ المتخيرة ، ذلك لأنه في أصله التزام خفيف الحمل يسير المؤونة

ثم ان الناظم لسعة ذرعه وغزارة مادته لم يلجأ الى تلمس اللفظ النابي والبحث عن الكلمة النافرة قصد تحقيق هذا الالتزام فلذلك جاء طبيعياً لاشائبة كلفة فيه .

وقد يلاحظ ما في كلامه من المبالغة ، وهو تابع في ذلك لما يرويه غير واحد من العلماء ولا سيما المتأخرون من أخبار ضعيفة السند في السيرة والمعجزات على أن المبالغة في المدح سنة الشعراء من قديم ، ومن كان يقبل ما قاله النابغة في النعمان وأبو نواس في الرشيد مثلاً لايستنكر هذا الذي يقوله صاحبنا في الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه .

وهذه أبيات ومقطعات من حروف شتى :

بأحمد كل الأرض نارت وأشرقت ففي نوره كل يجيء ويذهب
براه جلال الحق للخلق رحمة فكل الورى فى برّه متقلب
بدا مجده من قبل نشأة آدم وأسماؤه من قبل في العرش تكتب

* * *

جزى الله عنا أحمدا خير ما جزى فمذ جاءنا بالحق والحق أبلج
جلا بالهدى عند الضلالة مذ أتى فلولاه كنا فى الضلالة نعرج
جناب عظيم الجاه مرتفع العلا له الحلم شأن والسماحة منهج
جواد إذا أعطاك أغناك جوده بحار الندى في كفه تتموج
جدير بنا نسعى وندلج نحوه فذاك الذي يسعى اليه ويدلج
جعلنا اليه في الحياة احتياجنا ونحن اليه في القيامة أحوج
جميع الورى والرسل تحت لوائه ومن ذا له عن جاه أحمد مخرج
جهرت بمدحي فيه لا متلجلجاً ومن مدح المحبوب لا يتلجلج

* * *

دوائي إذا ما الداء حل بمهجتي مديح رسول بالشفاعة يفرد
دهشنا به حباً فما ولد النسا كأحمد مولوداً ولا هو يولد

دري القلب من يهوى فطاب له الهوى ... ومن كان يهوى سيد الرسل يسعد
دماء مزجنـاها بحب محمد ... وأكبادنا من شوقه تتوقـد

* * *

لمن بالعلا فوق السماء حلول ... يناجي بليل والأنام غفـول
لسيد سادات النبيين أحمد ... له كان من نور الحجاب نزول
لتوراة موسى فاسألوا عن محمد ... تقـل لـكم ما للحبيب عديل
لـكل رسول منزل ومكانة ... ولـكن ما مثل الحبيب رسول
لحضرة قدس الله أحمد قد دنا ... وناداه فيها بالهنـاء جليـل
لمسراه أبواب السماوات فتحت ... ومولى تجلى والحديث يطول

* * *

مجيد الى عرش المجيد قد ارتقى ... وقيـل رءاه إنـه لعظيم
محمد للكرسي أسرى بجسمه ... وفي الحجب أمست للرسول رسوم
فسايره جبريل حتى إذا انتهى ... الى بحر نور ليس فيه يعـوم
ملا قلبـه رعباً ونادى محمداً ... تقدم ودعني قـد دعاك كريم
مقامي معـلوم وها أنت أحمـد ... وربك تبدو من لدنـه علوم
مشى وحده والحجب ترفع دونه ... وأملاكها تسعى له وتقـوم
ممشى على الأفلاك يسعى لحضرة ... بها الله ساق والشراب قـديم

* * *

قفوا واسمعوا نطقي بمـدح محمد ... رسول صدوق عن هوى ليس ينطق
قـديماً بـدا بين النبيين فضله ... فان قدموا بعثاً ففي الفضل يسبق
قضى الله أن لا يلحق الرسل لاحق ... ولا أحـد منهم بأحمـد يلحق

قرأنا أحاديثـا صحـــاحا بأنـه — عليه لواء الحمد في الحشر يخفق

* * *

لآدم تاج من بنوة أحمد — يباهى بي الأملاك في الملأ الأعلى

لانجيل عيسى في ثناه تتابـع — وكان بما يثنى عليـه به أهـلا

لآياته من قبـــل نشأة خلقه — وجود وبرهـان وأخباره تتلى

لأصحابه فضل علينـــا لأنهم — رأوا وجهه ما بين أظهرهم يجلى

لاكرامه دنّاه للعـــرش ربه — ونادى به أهلاً بمحبوبنا أهلا

* * *

ان هذه المنتخبات لا تختلف في شيء عن القطعة التي انتخبناها من الوترية الأولى، وما قلناه في تلك هو ما يقال في هذه. المحتوى هو الفضائل والمعجزات التي اختص بها الرسول الكريم تردد وتعاد في كل مرة بصورة أو بعبارة غير ما سبق. وطريقـة الأداء طبيعية ساذجة تعتمد الوضوح والنفوذ الى القلوب قصد التأثير اكثر مما تعتمد الى تعمـــد او ارتكاب أسلوب من أساليب البلغاء المتصنعين. وتناول المعاني لا يلتزم فيه ترتيب ولا تناسب وانما هو كيفما تأتي وعلى حسب ما تسمح به الطاقة الحائرة أمام مظاهر الكمال التي لا تعد ولا تحصى، ولذلك فان الشعور الذاتي بالتقديس والحب والتعلق بهـــذا النموذج الانساني الأعلى هو مما يمتزج بطريقة الأداء هذه، ويضفي عليها حلة من الروعة والجمال، ولا سيما عند المتقدمين المؤمنين.

وقد كان لهذه الميزات أثرها في تقويم الوتريات وما تحظى به من استحسان وقبول لا في أوساط المادحين والمتصوفة فحسب بل في أوساط الأدباء أيضاً يدل على ذلك ما تنوولت به من معارضات وتخميسات وشروح.

فمن عارضها الأديب المغربي محمد الفاطمي الصقلي المتوفي سنة ١٣١١ هـ وان كان في خطبة معارضة تبرأ من أن يكون هذا هو قصده، ولذلك حين يقول: « ولا أزعم أني

معارض وانما جئت مثله مستمطراً من سماء الرسول أغزر عارض ، والا فمن أين يدرك شأن الضليع ضالع ، ولو بلغ الغاية في تحسين المطالع وتزيين المخالص والمقاطع والحقيقة أن معارضته هذه بلغت من الجودة وحسن الصناعة ما تعبر عنه كلماته هذه .

وممن خمسها ضياء الدين الأذرعي المتـــوفى سنة ٧٣١ ومحمد بن الوراق قال في كشف الظنون وكان شروعه فيه أولا باشارة منه يعني من صاحب «الوتريات» . وخمسها أيضاً محمد الفاطمي الصقلي المذكور أنفا ومحمد النظيفي. وكلا تخميسيها مطبوع .

وممن شرحها الشيخ عبدالغني بن عبدالجليل الحنفي من أهـــل القرن التاسع ومحمد النظيفي وشرحه مطبوع مع تخميسه .

أما هي فقد طبعت مراراً بـ «فاس» كما المعنا الى ذلك من قبل وطبعت بالمشرق أيضا .

بقية أخبار المترجم :

يشير ابن عبدالملك في «الذيل والتكملة» الى ورود الخبر بكائنة التتر واكتساحهم لبغداد سنة ٦٥٦ هـ وأثر ذلك في نفس صاحبنا وحزنه الشديد لما خصه هو وعمه وغيره من تلك الكارثة حتى أنه كان يذكرها في مجلس وعظه ويظهر تفجعه لمصابه بها ولا يجد صبرا على ذلك.

ثم أنه يقول بعد : « وأقام بمراكش مدة ثم رحـــل الى الأندلس ودخـل غرناطـة وغيرها من بلاد الأندلس ووعظ بها ثم كر راجعـــاً الى مراكش فبقى فيها مدة ثم فصل عنها مشرقا لحج حجة الفريضة وقفل الى المغرب مؤملا الوفادة على مراكش فتوفى بتونس عقب صلاة الجمعة لليلة بقيت من محرم ثلاث وستين وستمائة .

وهـذا الكلام يفيد أنه قضى في زيارة المغرب نحو ثمان سنوات ، اذ تقـدم لنا عن ابن عبدالملك ان قدومه لمراكش كان صدر سنة خمس وخمسين . وكونه شد الرحـــلة الى المغرب قبل أن يحج يعطى أنه جاء مسوقاً بالحنين الى موطن أجداده ثم طاب له المقام فقرر الاستقرار نهائياً بالمغرب . ولـكنـه لما كان دائم اللهج بالديار المقدسة والتشوق الى زيارة

قبر الرسول (ص) توجه الى أداء هذا الواجب الديني ، فلما قضاه أدركته الوفاة بتونس وهو وهو في طريقه الى مراكش التي أعجبته وكان يؤمل أن يقضي بقية حياته فيها .

ثم ان تاريخ وفاته عند «ابن عبدالملك» يخالف تاريخها عند حاجي خليفة ، فانه جعلها سنة ٦٦٢ . ولكن بما ان «ابن عبدالملك» معاصر ومخالط للمترجم وتاريخه هذا مضبوط باليوم والشهر بل والساعة وفيه مع ذلك تعيين مكان الوفاة فانا نميل الى ترجيحه ونختاره على ما في كشف الظنون .

ما قيل في مدحه :

أشرنا فيما سبق الى ما لقيه المترجم في المغرب من حفاوة واكرام نتيجة اعجاب القوم به حتى أنه مدح شعراً من غير واحد من الأدباء وفي طليعتهم أحد أمراء الموحدين وهو السيد ابو محمد عبدالواحد بن أبي زيد بن أبي حفص بن عبدالمومن فقد قال فيه قصيدة طويلة نقتطف منها هذه الأبيات في صفة وعظه :

بحر ولكنه عذب جواهره	أصدافها شققتها منه أذهان
يبدى الجلى من المخفىّ منطقه	كأن ألفاظه للسحر خزان
معنى رقيق ولفظ زانه زجل	جزل يسدده للعقل برهان
تجمعت فيه أشياء محاسنها	تفوق عداً اذا ما عد ديوان
اذا بدا صاعدا أدراج منبره	غارت عليه من الأبصار آذان
وان تكلم غار الطرف من حسد	فاعجب فبينهما فى ذاك شنآن
طوراً يعلمنا طوراً يخوفنا	طوراً يرجى فهذا الوعظ ألوان
يا واعظاً بهرت حسناً مواعظه	عليك لا زال للرحمان احسان
كم من شرود اخى غىّ الى رشد	قلدته يا ابن رشيد منك أرسان

وممن مدحه الأديب الكاتب البارع ابو موسى هارون بن عبدالله السهاتي الاشبيلي

نزيل مراكش فقال في قصيدة طويلة أيضاً :

أواعظنا جلت لدنيا بك النعمى — فنلنا الذي كنا نهيم به قدما
واهدت لنا بغداد منك غريبة — فللّه ما أبهى سناها وما أسمى
حديقة فضل أينعت زهراتها — فقد حسنت مرأى وفاحت لنا شما
فلا انتقلت عنا ظلال نعيمها — ففي كل حين تثمر العلم والفهما

ميزان البند

للدكتور جميل الملائـكة
عضو المجمع العلمي العراقي

لمحة تاريخية :

البند ضرب من الـكلام المنظوم نشأ في العراق الأسفل[١] في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ثم شاع قرضه في العراق ومنطقة الخليـج العربي طيلة ثلاثة قرون ينظمه الشعراء ويتناقله الادباء والمتأدبون فـكان له دور مهم في الاوساط الادبية حتى لا يكاد المرء يقرأ لبضعة شعراء من تلك الفترة حتى يجد بينهم من كان ينظم البنود[٢] ، وكثيراً ما قالوها في تمجيد الله تعالى وآياته ومدح النبي محمد(ص) وآل بيته الطيبين . وأقدم المعروف من هذه البنود يروى لشهاب الدين بن معتوق الموسوي[٣] المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ . ولقد ورد في بعض المخطوطـات قطعة من كلام منظوم يشبه البند مع زحافات كثيرة ويعزى على سند ضعيف الى ابن دريد الأزدي البصري[٤] المتوفى سنة ٣٢١ هـ . ولو صح هذا السند لـكان

(١) راجع(البند) لمحمد الهاشمي « مجلة اليقين » البغدادية ، ج ١ (١٨ ــ ٢٢) ١٣ نيسان ١٩٢٢. و « البند في الأدب العربي — تاريخه ونصوصه » لعبد الـكريم الدجيلي ، الصفحة ض . و « تاريخ الأدب العربي في العراق » لعباس العزاوي ، ج ٢ (١٨١ — ١٨٩) و (٢٥٣ — ٢٥٤) . و (البند في الادب العراقي) لعبدالرزاق الهلالي « مجلة الاقلام» ج ٣ (٧٣ — ٨٠) تشرين الثاني ١٩٦٤

(٢) راجع « شعراء الحلة » ج ١ — ٥ و « شعراء الغري » ج ١ — ١٢ و « شعراء بغداد » ج ١ — ٢ امين الخاقاني . وراجع « البند في الادب العربي » لعبدالـكريم الدجيلي

(٣) عبدالـكريم الدجيلي ، ص ٣ ، وراجع« شعراء الغري » ١١ : ٢٢٧ ، ولابن معتوق الموسوي (١٠٢٥ — ١٠٨٧ هـ) ديوان مطبوع عدة طبعات .

(٤) محمد الهاشمي « مجلة اليقين » ج١ (١٨ — ٢٢) ١٣ نيسان ١٩٢٢ . وسنأتي على ذكر هذه القطعة .

نشوء البند في العراق منذ أكثر من ألف سنة ، بيد ان خلو النصوص الأدبية لهذه الحقبة الطويلة من هذا الاون من الأدب وضعف سبك القطعة المنسوبة الى ابن دريد المعروف بفضله في الأدب يكادان يعطيان الدليل القاطع على خطأ هذه الرواية . ولقد أخذ الاهتمام بالبند يتضاءل شيئاً فشيئاً منذ أوائل القرن الرابع عشر (الحالي) الهجري حتى انقرض تقريباً بعد زوال حكم الأتراك منذ حوالي نصف قرن. وانه لما يؤسف له أن لم يتصد لابراز البنود الى الأوساط الأدبية إلا نفر قليل من الأدباء لايتجاوزون عدة الأصابع [1] ، فبقي البند مجهولاً لدى الكثيرين من خاصة أهل الأدب في البلاد العربية بله عامتهم ؛ ولو أنه نال من الاهتمام والعناية ما يستحق لكان محتملاً أن يزدهر وينتشر كفن أدبي أصيل . أما معياره العروضي فلم يتناوله الأدباء إلا لماماً [2] فما كان ان أوفي حقه ولاظهر للأدباء والمتأدبين سهل المعالم واضح الميزان . وفي هذا البحث عرض مختصر للبند ونشأته ومكانته وناظميه ونماذج منه وبعض أقوال الأدباء فيه ودراسة مبسطة وافية لمقياسه العروضي وما يحسن ويجوز ويقبح ويمتنع في سياقه .

تعريف مختصر :

« البند[3] كلام منظوم زنته م فاعي لن [4] مكررة تباعاً حتى آخره وكفها [5] حسن ؛

(١) محمد الهاشمي .علي الخاقاني. عبدالكريم الدجيلي . ويشير عباس العزاوي في كتابه « تاريخ الادب العربي في العراق » ج ٢ ص ٢١٦ الى كتاب له غير مطبوع دعاه (البنود في الادب العراقي) .

(٢) نازك الملائكة في كتابها « قضايا الشعر المعاصر » ١٩٦٢ (٥٩ و ١٦٧ — ١٧٩) .وراجع « علم القافية » للدكتور صفاء خلوصي ١٩٦٣ (١١٣ — ١٢٤) . و (البند والشعر الحر) لمصطفى جمال الدين « مجلة الاقلام » شباط ١٩٦٥ ، ج ٦ (١٢٠ — ١٣٠)

(٣) البند (بفتح فسكون) لفة العلم الكبير ، والفقرة من الكتاب ، والحيلة ، والقيد ، والماء ، وهو فارسي معرب وجمعه بنود « القاموس المحيط واساس البلاغة والصحاح » .

(٤) أي حرف متحرك تليه ثلاثة أسباب خفيفة (السبب الخفيف متحرك فساكن) . ويلاحظ انها غير مفاعيلن المكونة من وتد مجموع (اي متحركين فساكن) وسببين خفيفين ، وسيأتي شرح ذلك.

(٥) الكف هنا ـ ذهاب نون مفاعيلن فتصبح مفاعيل .

وقوافيه وضروبها متغيرة اختياراً دون تأثير على سياق وزنه ؛ وأبياته متغيرة عدد الأجزاء كذلك ، وكل منها شطر واحد عروضه ضربه ؛ ويجوز في أوله الخرم والخزم ؛ ويغلب في آخر جزء فيه الحذف » .

نموذج منه :

قال محمد بن الخلفة [1] المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ ، في بند يمدح به الامامين الجوادين :

« أيها [2] اللائم في الحبّ / دع اللوم عن الصبّ / فلو كنت ترى الحواجب [3] الزّج /

= والقافية — من آخر حرف ساكن في البيت الى الساكن الذي يليه من قبله والمتحرك الذي قبله .
واجزاء البيت — تفاعيله .
والضرب — آخر جزء في البيت سالما او مغيراً .
والعروض — آخر جزء في الشطر الاول من البيت .
والخرم هنا — ذهاب ميم مفاعيلن أو مفاعيل فتصبحان فاعيلن وفاعيل (مفعولن ومفعول) في صدر البيت .
والخزم — زيادة حرف متحرك او سبب خفيف او سبب خفيف يليه متحرك او سببين خفيفين ،
(والخرم والخزم كلاهما من العلل الجارية مجرى الزحاف في عدم اللزوم) .
والحذف — سقوط (لن) من مفاعيلن فتصبح مفاعي (فعولن) ، « العقد الفريد لابن عبد ربه ؛ والاقناع في العروض للصاحب بن عباد ، ومتن الكافي للقنائي » .

(١) محمد بن اسماعيل الملقب بابن الخلفة كان أديباً وشاعراً مطبوعا رغم كونه اميا يعرب الكلام على السليقة . هاجر طفلا مع ابيه من بغداد الى الحلة فاستوطناها وقلد اباه في حرفة البناء . كان له ديوان شعر مطبوع نادر . وكان هذا البند الى عهد قريب معروفا في العراق يحفظه العامة والخاصة على ما فيه من الضرورة واللحن ولا ريب ان العامة هم الذين أفسدوه بتغييره وتحريفه « راجع عبدالكريم الدجيلي ، ص ٦٧ ، ومحمد الهاشمي في مجلة اليقين ج ٢ ، ٢٨ نيسان ١٩٢٢ ، ص ٤٨ ، وشعراء الحلة ، ج ٥ ، ص ١٦٩ وما بعدها » .

(٢) اوردها الخاقاني « الا يا أيها » .

(٣) هكذا سمعته من بعض شيوخنا عندما كنت صبيا . وفي المراجع المطبوعة « الحاجبي الزج » وفي كلا اللفظين خطأ لغوي واضح ولعل العامة اجرت التحريف تحامياً من الزحاف النابي على السمع رغم ان ابن الخلفة أورد مثله في مواضع أخرى كما سيأتي ذكره .

فويق الأعين الدعج / أو الخد الشقيقيّ /أو الريق الرحيقيّ / أو القدّ الرشيقي الذي قد شابه الغصن انعطافاً واعتدالاً فغدا يورق في [١] آس عذار أخضر / دبّ عليه عقرب الصدغ / وثغر أشنب قد نظمت فيه لآلٍ لثناياهن في سلك دمقس أحمر / جلّ عن الصبغ / وعرنين حكى عقد جمان يقق قدره القادر حقاً ببنان الخَود / ما زاد على [٢] العقد / وجيد فضح الجوذر مذ روّعه القانص فانصاع دوين الورد / يزجي حذر السهم طلاً عن متنه في غاية البعد / ولو تلمس من شوقك ذاك العضُد المبرم / والساعد والمعصم / والكف الذي قد شاكلت أنمله [٣] اقلام ياقوت / فكم أصبح ذو الاب من الحب بها حيران مبهوت (كذا) / ولو شاهدت في لبته ياسعد مرآة الأعاجيب / عليها راكباً حقان من عاج هما قد حشيا [٤] من رائق الطيب / أو الكشح [٥] الذي اصبح مهضوماً نحيلاً مذ غدا يحمل رضوى كفل [٦] بات من الرصّ / كموّار من الدعص / ومرتج بردفين / هما قد ركبا من ناصع البلور ساقين [٧] / وكعبين أديم (كذا) فيهما صيغ [٨] من الفضة أقدام / لما لمت محباً في ربى البيد بها هام / أهل تعلم أم لا ان للحب لذاذات / وقد يعذر لايعذل من فيه غراماً وجوىّ مات / فذا مذهب أرباب الكمالات / فدع عنك من اللوم زخاريف المقالات / فكم

---

(١) في بعض المراجع المطبوعة « اعتدالا وانعطافا » و « يورق لي » .

(٢) أوردها الهاشمي « عن » .

(٣) هـ : « انمله قد شاكات » . وياقوت هو ياقوت المستعصمي الكاتب والخطاط العباسي المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٤) هـ : « ركبا حقان عاج حشيا » والاصح النص المثبت .

(٥) : « وللكشح » .

(٦) خ : « كفلا » .

(٧) هـ : « بها قد قدر اللطف من البلور ساقين » و خ : « عليها ركبا من ناصع البلور ساقين » وفي كل منهما غلطتان لغويتان والنص المثبت يتفق مع سياق الصياغة في « هما قد حشيا .. الخ » .

(٨) خ : « أديمين صيغ فيهن من الفضة اقدام » وفيه خروج عن الوزن وغلطتان لغويتان . وفي هـ : « اديمين لقد صيغ فيهن من الفضة أقدام » وهو مثل سابقه . وقد اثبتنا الذي حفظناه .

قد هذّب الحب بليدا / فغـدا في مسلك الآداب والفضل رشيدا / صـه فما بالك أصبحت غليظ الطبع لا تعرف شوقا / لا ولا تظهر توقا / لا ولا شمت بلحظيك سنا البرق اللموعي الذي أومض من جانب أطلال خليط عنك قد بان / وقـد عرّس في سفح ربى البـان / ولا استنشقت من صوب حماه نسمة الريح / ولا هاجك [1] يوماً للقاه من جوىً وجدٌ وتبريح / لك العذر على انك لم تظفر من الخل بشم وعناق / وبضم والتصاق / وغرام واشتياق / أو تكن [2] مثلي قَضّيت ليالي (كذا) سمح الدهر بها إذ بات سكري قرقف الريق / بتحقيق / فما قهوة ابريق / ومشمومي ورد لاح / في حمرة خد فاح / لي عرف شـذاه / وإذا ما جنّ ليل الشَّعْر [3] في طرته / أوضح من غرته / صبح سناه / لو ترانا كلنا [4] يبــدي الى صاحبه العتب / ويخفي فرط وجد كامن أضرمه القلب [5] / سحيراً والتُّقَى قمّصنا ثوب عفاف قطّ ما دنّس بالإثم / سوى اللثم / لأصبحت من الغَيرة / في الحَيرة / حتى جئتني من خجل تبدي اعتــذارا / ولأعلنت بحب [6] الشادن الأهيف سراً وجهاراً / مثل إعلاني بمدحي للإمامين الهمامين التقيين النقيين الوفيين الصفيين ... الخ » .. [7]

دائرة البند :

تأمل في هـذا النظم الموسيقي المرقص ، ألا ترى اننا نظلمه إذا وصفناه بأنه نوع من السجع ، أو أنه شــعر منثور ، أو انه شعر حر ، أو دونه ، أو حتى أنه حلقة بين النظم والنثر [8] ؟ انه في الحق كلام منظوم على مقياس عروضي ثابت نلحظه في التزام تـكرار جزء

---

(١) خ : « اجتاحك » .

(٢) هـ : « لو تـكن » وخ « لم تـكن » . والظاهر انها محرفة .

(٣) هـ : « واذا أسفر من طرته » .

(٤) هـ و خ : « كل من » وهو تحريف .

(٥) خ : « ويبدي فرط وجد مؤلم اضمره » .

(٦) خ : « بذكر » .

(٧) يلاحظ الاسترسال طويلا في الغزل قبل التخلص الى المديح ، نهجاً على الطريقة القديمة المعروفة ، والبند طويل وهذا جزء منه .

(٨) يرى مصطفى صادق الرافعي في « تاريخ آداب العرب » البند « نوعا من السجع الذي بنيت جمله على التوقيع وقسمت الى اجزاء قصيرة (كذا) من العروض تنتظم اوزاناً مختلفة فتلبسها شبها من=

عروضي لايتغير من أول البنـــد إلى آخره . وهذا الجزء مؤلف من توالي حرف متحرك وثلاثة أسباب خفيفة تجمعها (م فاعي لن) وكفه حسن فيصبح (م فاعي لُ)[1] مؤلفاً من توالي متحرك فسببين فمتحرك كما مرّ ذكره . وعلى هذا نجد بالإمكان وزن أي مقطع من بنـــد ابن الخلفة ـ إذا أعربت أواخر كلماته جميعاً ـ بميزان مفاعيلن مكررة سالمة أو مكفوفة (مفاعيل) كالآتي :

ومشموم	ي ورد لا	ح في حمر	ة خدّها	ح لي عرف	شذاه و
مفاعيلُ	مفاعيلن	مفاعيلُ	مفاعيلن	مفاعيلُ	مفاعيلُ
اذا ما جذ	ن ليل الشع	ر في طرّ	ته أوض	ح من غرّ	ته صبح
مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلُ	مفاعيلُ	مفاعيلُ	مفاعيلُ

الشعر وهي ليست منه » . ومحمد الهاشمي « مجلة اليقين ، ١٩٢٢ ، ج ١ ، ص ١٨ » يعرفه بانه « ضرب من الكلام المسجع الموزون اشبه بما نسميه في هذه الايام — اي عام ١٩٢٢ — بالشعر النثري وبعض اساجيعه آتية على بحر الهزج» . وعباس العزاوي « تاريخ الادب العربي في العراق ، ج ٢ ص ١٩٢ » يقول ان البنود « وان كانت اشبه بالنظم الا انها اقرب الى النثر ، او هي حلقة وسطى بينهما ... وربما صح ان نقول انها شعر حر كما يسمى في هذه الايام » ثم يعود ص٢٥٣ في الترجمة لشهاب الدين الموسوي — واسمه كثير الالتباس مع ابنه معتوق — فيقول « كما ابدى مهارة في بنوده فنظم المنثور وصار شعراً بين النظم والنثر » . وترى نازك الملائكة « قضايا الشعر المعاصر ، ص ١٧٣ » ان البند « شعر حر تتنوع اطوال اشطره ويرتكز الى دائرة المجتلب مستعملا منها الرمل والهزج وتقول ، ص ٥٩ « وبسبب كون البند ذا وزنين اثنين ، لا وزن واحد ، خلافاً للاساليب الثلاثة الاخرى — وتقصد اسلوب البيت ذي الشطرين ، واسلوب الشطر الواحد ، واسلوب الشعر الحر — فانه من المباح فيه ان يكون له اكثر من ضرب واحد ، وذلك ما لا يباح في الشعر الحر مثلا . » . ويرى عبدالكريم الدجيلي « البند في الادب العربي ، الصفحة ف » ان التعبير القويم عن البند ان يقال بانه « اشبه بما نسميه اليوم بالشعر المنثور » . ولقد وجدت اصدق تعريف للبند ما ذكره الشيخ محمد رضا الشبيبي في مقاله عن أصول اللهجة العراقية « مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٤٢٠ » من ان هذه الكلمة اطلقت على « نوع من الزجل ، او الشعر ، له عروض خاص ، عرف عند المتأخرين من المتأدبين».

(١) وجدنا بالحساب ان بند ابن الخلفة جاء بمعدل ثلاثة اجزاء مكفوفة مقابل كل جزئين سالمين . (الجزء السالم هو الذي سلم من الزحاف).

سناه لو   ترانا كا   لمنا يبدي   لدى صاحـ   به العتب   ويخفي فر

مفاعيلن   مفاعيلن   مفاعيلن   مفاعيلُ   مفاعيلُ   مفاعيلن

ط وجد كا   من أضر   مه القلب   سحيراً والتـ   تقى قمـّ   صنا ثوب

مفـاعيلن   مفاعيل   مفـاعيل   مفـاعيلن   مفاعيل   مفاعيـل

عفاف قط   ط ما دنّـ   س بالاثم   سوى الاثم   لأصبحت   من الغير

مفاعيلن   مفاعيل   مفاعيل   مفاعيل   مفاعيل   مفـاعيل

ة في الحير   ة حتى جئـ   تني من خـ   جل تبدي اء   تذارا و   لأعـلنت

مفاعيل   مفاعيلن   مفاعيل   مفاعيلن   مفاعيل   مفاعيـل

بحبّ الشا   دن الأهيـ   ف سراً و   جهاراً ... الخ .

مفاعيلن   مفاعيل   مفاعيل   مفاعي .

وهكذا ترى انك لو أعربت أواخر كلمات البند الجيد لأصبح بامكانك وزنه من أوله حتى آخره بتكرار مفاعيلن سالمة أو مكفوفة ؛ ويستثنى من ذلك أحوال الوقفات الواجبة الشاذة وعلل الزيادة أو النقص التي قد تقع على أول جزء وآخر جزء فيه وأي زحافات قبيحة أو علل غير مأنوسة قد تدخل عليه مما سيأتي ذكره .

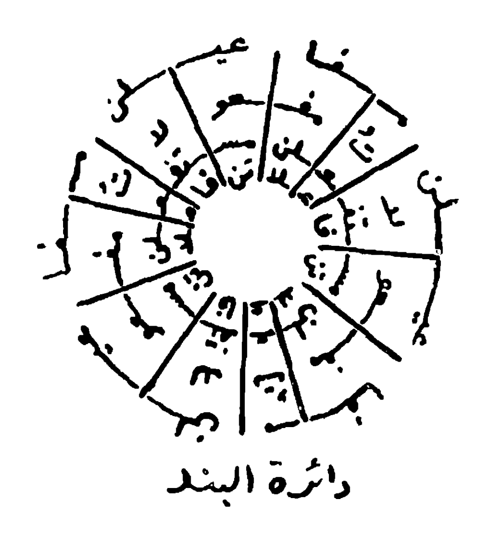
غير انه بسبب تـكرار مفاعيلن على هذا النسق المنتظم يمكن أيضاً وزن البند بتـكرار أي من الأجزاء الأخرى الداخلة في دائرة مفاعي‌لن العروضية وهي مفعولاتُ ومستفعلن وفاعلاتن وكل منها ينفك من أول كل سبب من أسـباب مفاعي‌لن الثلاثة لأن مفعولاتُ تـكافيء (فاعيلن مَ) ، ومستفعلن هي بمثابة (عيلن مفا) ، وفاعلاتن مثل (لن مفاعي) .

ولقد عملنا الرسم التالي لبيان دائرة البند [1] وتوضيـح طريقة انفـكاك أربعـة أشطر من دائرة مفاعى‌لن ؛ ومنه يتضح ان دائرة البند تضم أشـــطر مفاعيلن ومفعولاتُ

---

(١) هي دائرة المجتلب زيدت عليها مفعولاتلان دائرة المجتلب تنفك من شطر (مفاعي‌لن) المـكونة من وتد مجموع وسببين خفيفين . اما دائرة البند فتنفك من شطر (م فاعي لن) المـكونة من حرف متحرك وثلاثة اسباب خفيفة لاسباب تتعلق بالقوافي سنأتي على ذكرها .

ومستفعلن وفاعلاتن .



دائرة البند

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	مـفاعيـلن مـفاعيـلن مـفاعيـلن											
٢	تُ	مفـ	ـعو	لا	تُ	مفـ	ـعو	لا	تُ	مفـ	ـعو	لا
٣	ـعـ	لن	مسـ	ـتفـ	ـعـ	لن	مسـ	ـتفـ	ـعـ	لن	مسـ	ـتفـ
٤	عـ	لا	تن	فا	عـ	لا	تن	فا	عـ	لا	تن	فا

شطر (م فاعي لن) وما ينفك منه

أما الجزء المكفوف (مفاعيلُ) فلتكوّنه من حرف متحرك فسببين خفيفين فحرف متحرك فيمكن أن ينفك من شطره بالطريقة ذاتها اشطر مفعولتُ (وتنقل الى مستفعلُ) ، ومستعلن (مفتعلن) ، وفعلاتن . وعلى هـــذا تكون مزاحفة مفعولاتُ ومستفعلن وفاعلاتن الى مفعولتُ [1] ومستعلن وفعلاتن مقبولة وحسنة .

ولكل هذا يمكنك ايضاً ان تزن المقطع ذاته ، أو أي مقطع من أي بند ، بميزان مفعولاتُ كالآتي :

و مشمومي ورد لاح في وجنة خدٍّ فاح لي عرف شـ ـذاه وإ

تُ مفعولتُ مفعولاتُ مفعولت مفعولات مفعولت مفعولت

(١) هذا الزحاف لا يوجد في عروض الشعر ويقتضيه ميزان البند كما سيأتي الكلام عليه .

ذا ماجن ليل الشعر في طرّتـ ـه أوضح من غرّته صبح سـ
مفعولات مفعولات مفعولت مفعولت مفعولت مفعولت
ـناه لوتر رانا كلّـ ـنا يبدي ... الخ
مفعولات مفعولات مفعولا
او بميزان مستفعلن كالآتي :
ومشـ موميَ ور د لاح في وجنة خد دٍ فاح لي عرف شذا
علـ ن مستعلن مستفعلن مستعلن مستفعلن مستعلن
هُ واذا ماجن ليـ ل الشَّـعر في طرته أوضح من
مستعلن مستفعلن مستفعلن مستعلن مستعلن
غرته صبح سنا هُ لو ترا نا كلنا يبدي ...الخ
مستعلن مستعلن مستفعلن مستفعلن مستفـ
او بميزان فاعلاتن كالآتي :
ومشمو مي ورد لاح في وجـ نة خدٍّ فاح لي عر ف شذاه
علاتن فعلاتن فاعلاتن فعلاتن فاعلاتن فعلاتن
واذا ما جن ليل الشـ شعر في طرْ رته أو ضح من غرْ
فعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فعلاتن فعلاتن
رته صبـ ح سناه لو ترانا كلّنا يبـ ـدي .... الخ
فعلاتن فعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فا

ومن الواضح ان بالامكان الانتقال من أي ميزان من الموازين الاربعة المبينة في الرسم الى سواه بوضع سطره بعده . فللانتقال مثلا من ميزان مستفعلن الى ميزان مفعولات فما عليك الا وضع السطر ٢ بعد السطر ٣ على النحو الآتي :

(علن مستفعلن مستفعلن مستفـ .... تُ مفعولاتُ مفعولاتُ مفعولا)

وبنقل (مستفت) الى مفعولُ يكون سياق الميزان :

(... مستفعلن مستفعلن مفعولُ مفعولاتُ مفعولاتُ ... الخ)

اي انك انتقلت من شطر مستفعلن الى شطر مفعولاتُ بادخال (مفعولُ) بينهما دون اخلال بميزان البند . وعلى هذا النحو تنتقل من شطر مفاعيلن الى شطر فاعلاتن بادخال علاتن (فعولن) بينهما كالآتي :

(مفاعيلن مفاعيلن فعولن فاعلاتن فاعلاتن ... الخ)

وهكذا يمكن الانتقال من اي من الاشطر الاربعة الى سواه بوضع الوُصلة اللازمة . فأنت تجد مثلا ان القوافي والسجعات في مقطع بند ابن الخلفة الآنف الذكر توافق أضربا مختلفة تنتقل من مفعولات في «ورد لاح» و « خدّ فاح » الى فعلاتن في « عر / ف شذاه» ثم الى مفتعلن (مستعلن) في « طرته » و« غرته » ، ثم تعود الى فعلاتن في « صبـ/ ح سناه» لتوافق « شــذاه » ثم تنتقل الى مفاعيل في « العتب » و « القلب » وفي « الأثم » و « اللثم » ، وهكذا الى مستفعلُ (مفعولتُ) في « الغيرة » و « الحيرة » ، ثم الى فاعلاتن وفعلاتن في « اعتذارا » و « جهارا » على النحو التالي :

ومشمومي ورد لاح / في حمرة خد فاح / لى عرف شذاه / واذا ما

مفاعيل ع مفعولات مفعولت مفعولات فعْلن فعلاتن فعلاتن

جن ليل الشعر في طرته / اوضح من غرته / صبح سناه / لو ترانا

فاعلاتن فاعلن مفتعلن مفتعلن مفتعلن فل فعلاتن فاعلاتن

كانا يبدي الى صاحبه العتب / ويخفي فرط وجد كامن اضرمه القلب /

فاعلاتن فاعلاتن ع مفاعيل مفاعيلن مفاعيلن مفاعيل مفاعيل

سحيرا والتقى قمصنا ثوب عفاف قط ما دنس بالاثم / سوى اللثم /

مفاعيلن مفاعيل مفاعيل مفاعيلن مفاعيل مفاعيل مفاعيل

لأصبحت من الغيرة / في الحيرة / حتى جئتني من خجل تبدى اعتذارا !

مفاعيل ع مفعولت مفعولت مفعولات مفعولت فعْلن فاعلاتن

ولأعلنت بحب الشادن الاهيف سراً وجهاراً / ... الخ

فعلاتن فعلاتن فاعلاتن فعلاتن فعلاتن .

والواقع انك بهذا تغير الميزان لفظاً فحسب ولكنه لا يتغير حقيقة لانه باق في جميع الاحوال موافقاً لشطر مفاعيلن ، وكذلك لأي من الشطور المنفكة منه . من كل هذا يتضح انه من الخطأ القول بان للبند بحراً معيناً بل هو احرى بان يعرف بدائرته التي اشطرها (م فاعي لن) وما ينفك منها على نحو ما بيّنا . وعلى هذا فلا يقال بحر البند لان ابياته ليست ثابتة الاجزاء والاطوال وانما الصحيح ان يقال دائرته . ونحن انما عمدنا الى عرض هذه الموازين لتغير ضروب اشطر البند واحتمال موافقتها لأي من اجزاء دائرته صحيحاً او معتلاً كما في المثال المبين آنفاً وعلى نحو ما سيأتي الكلام عليه في باب قافية البند . وفيما عدا ذلك لا تستدعي حاجة الوزن استعمال اكثر من ميزان واحد . ولقد اخترنا معيار مفاعيلن مكررة لموافقة هذا الجزء لأكثر اضرب ابيات البند ولكونه المعيار الاشيع لدى الجمهور [١] .

انشاد البند [٢] :

درج العراقيون على انشاد البنود على احدى طريقتين . فاما انهم يقرأونها معربين أواخر كلماتها ـ ويغلب هذا في احوال التلاوة السريعة ـ وعندئذ يتفق البند الجيد تماماً مع ميزان دائرته على نحو ما بينّا ، وإما انهم يقفون اختياراً في مواضع القوافي حيثما يمكن الوقف ، فيُكسبون البند ظرفاً ورشاقة وموسيقى قد لا تجدها في سواه من المنظوم الخارج على عمود الشعر من الموشح وما يجري مجراه ، وهذه هي الطريقة الشائعة في الانشاد .

---

(١) اجمع اكثر الادباء المعنيين بهذا الموضوع على ان البنود جارية على بحر الهزج (كذا) .
(٢) انشد الشعر قرأه رافعاً به صوته .

وعلى هذا يغلب ويحسن في الانشاد تسكين اخري كلمتي « الحبّ » و « الصبّ » في أول بند ابن الخلفة (وضربها مفاعيل) لتصبحا قافيتين ظريفتين ، اذ بدونه لا تؤلفان قافيتين الا باشباع حركتي رويهما ، وهو اندر في انشاد البند وأقل قبولا . اما اذا أعربت الكلمتين ولم تشبع حركتي رويهما فانهما لا تكونان قافيتين وانما تؤلفان سجعتين لان القافية لا تنتهي الا بساكن[1] . ويفضل ايضاً الوقف على كلمتي « الزجّ » و « الدعج » اذ بدونه لا تصبحان قافيتين على اية حال لاختلاف حركتي رويهما ؛ وهكذا في أضرب مختلفة من أول البند حتى آخره كما سيأتي الكلام عليه . ومن الواضح ان مثل هذا الوقف يسبب عللا في القوافي تختلف بحسب ضروبها . بيد انه ليس على الناظم ان يهتم لذلك طالما ان البند الجيد يتفق معرباً مع ميزان دائرته على نحو ما بينّا .

قافية البند :

لا يكون ضرب البند الا أحد أجزاء دائرته ، وهو اما صحيح واما معتل نتيجة للوقف الذي مر الكلام عليه . وعلة الوقف هذه جارية مجرى الزحاف في عدم الوجوب ، وعند وقوعها يخرج البند عن ميزانه ولكنها مقبولة كما أسلفنا .

وعدد اضرب البند المسموعة سبعة لاغير ؛ ثلاثة منها صحيحة هي مفاعيلن ، ومستفعلن (وتساوي في المقياس المختار عيلن مفا) ، وفاعلاتن (لن مفاعي) ؛ واربعة معتلة بالوقف وهي مفاعيلْ ، ومفعولاتْ (فاعيلن مْ) ، ومفعولن (فاعيلُ مْ) ، وفاعلاتْ (لن مفاعْ) والأخير نادر . (ومن هنا يتضح سبب ايرادنا مفعولاتُ في أشطر دائرة البند زيادة على أشطر دائرة المجتلب[2] العروضية لأن منشدي البنود يقفون عليها لتكون ضربا وقافية مثل بقية قوافي البند) . وفيما يلي مثال على كل من هذه الأضرب :

---

(١) هو الحرف الناشيء عن وصل حركة الروى ، او اى حرف ساكن في آخر البيت .

(٢) تضم دائرة المجتلب اشطر مفاعيلن ومستفعلن وفاعلاتن ، أي اشطر ابحر الهزج والرجز والرمل .

١ ـ مفاعيلن : « ... فدعني ايها اللاحي / فما قلبيَ بالصاحي [١] / ... » .

٢ ـ مفاعيلْ : « ... أهل تعلم ام لا ان للحب لذا ذاتْ / وقـــد يعذر لا يعذل من فيه غراماً وجوى ًماتْ / فذا مذهب ارباب الـكمالاتْ / فدع عنك من اللوم زخاريف المقالاتْ ... » من بند ابن الخلفة المار ذكره .

٣ ـ مفعولاتْ (فاعيلن مْ) : ... وكأن الورد تمثيلا ذوو التيجانْ / والجوريَّ كسرى شرّف الايوانْ / والـكلّ قيام لامتثال الأمر ما بين يديه وعليه التاج والاكاليل معقودانْ [٢] / ... » .

٤ ـ مفعولن (فاعيلُ مْ) : « ... جنى النصرَ له الازرقُ والأسمرْ / في سفكهما الأحمرْ / والشكرُ له نوّرْ / إذ عارضهُ أمطرْ / بالأبيض والأصفرْ [٣] / ... » من بند لابن معتوق الموسوي .

٥ ـ مستفعلن (عيلن مفا) او مفتعلن (عيلُ مفا) : « لست أرضى لا ومن خطّ القضا / أني ارى نعش الرضا [٤] / ... » .

(١) من بند لمحمد صادق اورده محمد الهاشمي في « مجلة اليقين ، ج٣ ، ١٢ مايس ١٩٢٢ : ص٧٤» ولم يذكر ترجمة الناظم . ومثله كثير .

(٢) من بند لعلي بايل الحسيني من شعراء القرن الثاني عشر الهجري (راجع عبدالـكريم الدجيلي ، ص ٢٢) وقد نظم علي هذا عدداً من البنود وضع كلا منها على اربعين كلمة وكتب انه بندها على بحر الرمل ، واورد في آخر بند منها « ... وزينت بها في كل بند فاعلاتن ست مرات ... الخ » والواقع ان هذه البنود لا تختلف عن سواها لانها في دائرة البند وليست في بحر معين وكل ما فيها من شبه بالرمل انها تبدأ بفاعلاتن وتنتهي بفاعلاتن وفيما عدا ذلك فان اكثر قوافيها ـــ عدا الاخيرة من كل بند ـــ جاء في ضرب مفاعيلن ، ومنها ماجاء في مفعولات كالمثال الذي ذكرنا وأمثلة سواه ، او في مفعولن كما في « وتجلى شنب الصبح عن الطره / من تحت ذكا الغره / ... الخ » (ص ٢٥) .

(٣) عبدالـكريم الدجيلي (ص ٩) . والنصل الازرق الشديد الصفاء ، والاسمر هو الرمح ، والعارض السحاب ، والابيضان الخبز والماء ، والاصفران الزعفران والذهب .

(٤) لحسن قفطان (١١٩٩ ـــ ١٢٧٩ هـ) وهو الشيخ حسن بن الشيخ علي الرباحي الشهير بقفطان من النجف . وهذا البند في رثاء رضا بحر العلوم (راجع عبد الـكريم الدجيلي ، ص ٩٠) .

٦ ـ فاعلاتن (لن مفاعي) او فعلاتن (لُ مفاعي) : « ... حتى جئتني من خجل تبدي اعتذارا / ولاعلنت بحبّ الشادن الأهيف سراً وجهارا / ... » من بند ابن الخلفة .

٧ ـ فاعلاتُ (لن مفاعْ) أو فعلاتْ (لُ مفاعْ) : « ... طالما صلّى وصامْ /و بجنح الليل قامْ / وتأسى بأبيه المجتبى خير الأنامْ [1] / ... » وهذا الضرب نادر .

فأما مفعولاتُ ومستفعلُ (مفعولتُ) ان لم تسكنا ، ومفاعيلُ ان لم تسكن ولم تشبع ، فلا يمكن ان تكون قوافي لأنها غير منتهية بحرف ساكن وانما يجوز ان ترد سجعات كما مر بيانه [2] .

ولقد مر ايرادنا بند ابن الخلفة مثلا على تغير أضرب اشطر البند وتنقلها بين اجزاء دائرته . واليك مثالا طريفاً آخر على مقطع قصير جمع ناظمه في أضرب قوافيه فعلاتن ومفاعيلْ ومفعولات وفاعلاتن ومستفعلن وختمه بفاعلاتن منفردة . قال باقر بن ابراهيم الحسيني [3] المتوفى سنة ١٢١٨ هـ :

« ... ميامين هداة / وغطاريف سراة / ومغاوير كماة / بهمو قـد بأهل المختار طه آل نجرانْ / وآتاهم الـه العرش قـدرا لم ينله قبلهم انس ولا جانْ / كرام الخلق / اهل الصدق / سبل الحق / أمن الخائف الجاني / غياث الواله العاني / مصابيح الدجى / سفن النجا / اهل الحجى / ارعى الورعى جاراً اذا ما الدهر جارا ... » .

وهاك مثالا آخر من هذا القبيل وفيه تتنقل القوافي بين أضرب مستفعلن ومفاعيلن

---

(١) الشيخ حسين بن علي العشاري (١١٥٠ ـــ ١٢٠٠ هـ) له ديوان شعر مخطوط . والمثال من بند اورده عبدالكريم الدجيلي (ص ٣٢) . ومثله قول محمد بن احمد الزيني البغدادي (١١٤٨ ـ ١٢١٦هـ) « ... الذي جاء بما ليس له قط نفاد / مخجل صوب العهاد / ... » (راجع الخاقاني في « شعراء الغري » ج١٠ ، ص ٢٤٤ . وكذلك عبدالكريم الدجيلي ص ٢٧) .

(٢) ويعد من السجع ايضاً ما جاء مثل قول مسلم الجساني « سيدي الزاكي النجار الماجد الحاوي الفخار السند الحامي الذمار » لان حركتي « النجار » و « الفخار » ليستا مشبعتين بل كل منهما متصل بأداة التعريف التي تليه ، ومثله كثير .

(٣) عبدالكريم الدجيلي (ص ٤٠)

وفاعلاتن . قال حسن الجساني [1] المتوفى سنة ١٣١٣ هـ من بند كتبه الى العلامة ابي الثناء الآلوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ :

« ... بدر الهدى / قطر الندى / بل الصدى / غوث الورى / عون الضعيف الكاشف البلوى / اخو النفس التي تقوى / على التقوى / فتى الفتوى الذي ادرك غايات العلى والفخر حتى لم تدع مرقى ولا شأوا لمن رام علوا وسباقا / بل تناءوا وتقاصوا قصرا عنه وحطوا دونه لم يبلغوا منه لحاقا ... » .

ومثل هذا كثير .

وبما ان القافية ـ وهى من آخر ساكن الى الساكن الذي يليه والمتحرك الذي قبله ـ جزء من الضرب وليس كله فقد يضع ناظم البند القوافي المتشابه في ضروب مختلفة كما في قول عبد الرؤوف الجد حفصي [2] المتوفى سنة ١١١٣ هـ :

(الا يا ايها الحادي / ترفق بفؤادي / واحبس الركبْ / ولو حلّ عقال فكليم الشوق قد آنس برق القربْ / من نحو حمى الحبْ / فظن النور في الطور بجنح الليل نارا / ...»

فان « حادي » و « آدي » قافيتان متوافقتان غير أن اولاها واقعة في ضرب مفاعيلن وثانيتها فيفعلاتن . ومثل هذا يقال في « ركبْ » و « قربْ و « حبْ » فهي في مفاعيلْ ومفعولاتْ ومفاعيلْ على التوالى . ومثله قول ابن الخلفة :

« ... وعرنين حكى عقد جمان يقق قدره القادر حقاً ببنان الخودْ / ما زاد على العقدْ / وجيد فضح الجؤذر مذ روّعه القانص فانصاع دوين الوردْ / يزجي حذر السهم طلاً عن متنه فى غاية البعد / ... » .

(١) من بند بديع طويل اورده محمد الهاشمي « مجلة اليقين ، ج٨ ، ٩ آب ١٩٢٢ ، ص ٢٤٥ » لحسن الجساني العقيلي كتبه الى شهاب الدين ابى الثناء بن محمود الآلوسي (١٢١٧ — ١٢٧٠ هـ) (وراجع عبدالكريم الدجيلي ص ١٠٤)

(٢) عبدالرؤوف بن الحسين الحسيني الجد حفصي البحراني (١٠٦٦ — ١١١٣ هـ) شاعر خطيب عروضي نحوي (عبدالكريم الدجيلي ص ١٠)

فان « الخودْ » و « العقدْ » و « الوردْ » و « البعدْ » جاءت في ضروب مفاعيل ثم مفعولات ثم مفاعيل ثم مفعولات رغم كون القوافي متشابهة .

ويلاحظ ان قوافى البند قد ترد مزدوجة [1] كما هى الحال فى « شذاه » و « سناه » من مقطع بند ابن الخلفة المار تقطيعه ، أو يلتزم بها اكثر من ذلك كما فى « عناق » و « التصاق » و « اشتياق » من البند ذاته . وقد يلتزم بقافية متشابهة من أول البند حتى آخره كما في بعض بنود عبد الرؤوف الجد حفصي ، ومنها البند التالي في مدح النبي محمد (ص) :

« يا رسول الله يا أشرف راق فلك الفخر / ويا من بجاه نحتمي من نوب الدهر / ونستعدي بجدواه على حادثة الفقر / فأدنى سحّ يمناه على السائل كالنهر / ولا نهر / وعن نائله الغمر / روى القطر عن البحر [2] ... الخ » .

فهو يلتزم بهذه القافية حتى آخر البند حيث يختمه بقافية مخالفة لموافقة ختام بنوده الأخرى كما كانت العادة المتبعة فى أول عهد البنود [3] .

وقد يعمل الناظم بنوداً قصيرة متعددة فما يلتزم في بعضها بأية قواف عدا قافية الختام المتشابهة في مجموعة بنوده ـ وهذا نادر ـ ومثاله البند التالي لعلي باليل :

« قد أنارت كلماتي فيه كالشهب وزيّنت بها في كل بند فاعلاتن ست مرات فما فوق حوالٍ برزت عن حجل الفكر تجلّى كشموس بزغت في رمل الأبحر من نظم ابن باليل عليٍّ فاخطب الأفكار إن كنت لها كفءاً وأهد السمع مهراً [4] » .

الخرم والخزم في أول البند والحذف في آخره :

لما كان بالامكان وزن البند بأي من أجزاء دائرته مكرراً فيسوغ لناظمه بدؤه بأي

(١) كما هي الحال في الرجز المزدوج الذى يكثر في نظم الحكايات والعلوم مثل الفية ابن مالك .

(٢) عبدالكريم الدجيلي ، ص ١٤ .

(٣) خاتمة هذا البند « فكم جرد في نصرك يا خير النبيين حساما » ، وقوافي الختام في بقية بنود الجد حفصي هي « مراما » ، « لزاما » ، « ترامى » ، « الخزامى » ، « ضراما » .

(٤) عبدالكريم الدجيلي ، ص ٢٦ .

منها كذلك ، أي أن يبدأ بمفاعيلن أو مفعولات أو مستفعلن أو فاعلاتن (وكون مفاعيلن وفاعلاتن هما الأشيع في الاستهلال هو من باب التقليد والجري على العادة لا غير) . ومن حيث اننا اخترنا على سبيل التبسيط والتيسير ميزاناً واحداً فقط للبند هو ميزان مفاعيلن (أو مفاعيل) مكررة فيمكن وصف البند الذي أوله فاعلاتن (التي تكافيء لن مفاعي) بانه موافق للميزان المختــار مع زيادة سبب خفيف في أوله ، وقس على ذلك ما يتعلق بالاجزاء الأخرى المذكورة . وعلى هذا يجوز أن يرد أول جزء على أي من الأحوال التالية :

١ — صحيحاً دون علة زيادة أو نقص ، وهو مفاعيلن ، ومثاله بند الجد حفصي : ألا يا أيها الحادي ترفق بفؤادي ... الخ ..

أو مفاعيل ، ومثاله بند ظريف وطويل جداً لابن الخلفة يدعى بالرحلة أوله :

« أيا مرتقياً سرج جواد من جياد الخيل جمّاح [1] رباعياً من الضمّر في غرته الفجر إذا لاح ... الخ » .

٢ ـ اخزم ، ويكون بزيادة حرف متحرك ، لُ مفاعيلن ، (أي يكون أوله فعلاتن) ، ومثاله بند ابن باليل :

« وكأن الورد تمثيلاً ذوو التيجان ... الخ » .

أو بزيادة سبب خفيف ، لن مفاعيلن (فاعلاتن) ، ومثاله بند الجد حفصي :

« يارسول الله يا أشرف راق فلك الفخر ... الخ » .

أو بزيادة سبب خفيف لحرف متحرك ، عيلُ مفاعيلن (مفتعلن) ، أوسببين خفيفين ، عيلن مفاعيلن (مستفعلن) ، ولم أجد لهما تمثيلاً في البنود التي بين يدي .

٣ ـ أخرم ، ويكون بنقص حرف واحد ، فاعيلن أوفاعيلُ (مفعولاتُ أومفعولتْ) ، ومثاله بند لعثمان بن عمر البكتاشي [1] أوله :

(١) اورده عبدالكريم الدجيلي ، ص٧١ : « مرتقبا » و « طاح » وما اوردناه نقلا عن « مجلة اليقين ج ٥ ، ٥ تموز ١٩٢٢ ، ص ١٨٢ » هو الاصح .

(٢) من شعراء الموصل في القرن الثاني عشر الهجرى وله ديوان مخطوط . (عبدالكريم الدجيلي ==

« شنّف بالثنا الرائق سمع الفطن الفائق واتبع أثر السابق ... الخ » .

أما آخر البند فيغلب فيه الحذف وهو سقوط آخر سبب في مفاعيلن في الميزان المختار فتصبح مفاعي (أي يكون آخر جزء فاعلاتن في ميزانها) . والأمثلة على ذلك كثيرة منها ختام ابن معتوق الموسوي بنده الأول كالآتي :

« ... فهو الأول والآخر والباطن والظاهر والقابض والباسط والباعث والوارث والعادل والظالم في خائنة الأعين سراً وجهاراً » .

وهو يختم بقية بنوده بأضرب وقواف مشابهة كالآتي :

« ... مساءاً ونهارا » و « ... بهاراً ونضارا » و « عذارا » و « ... مزارا » ، ومثل هذا كثير . وقد يأتي آخر جزء في البند صحيحاً (مفاعيلن) كما في قول الشيخ عبد الحسين صادق [1] المتوفى سنة ١٣٦١ هـ في ختام بند له :

« ... وقد أهديتها الساريَ مشكاة من العلم ونبراس الذّكا السافر بالنثر وبالنظم ومن قد حاز في العلياء بدء الفخر والختم » ، ومثله كثير أيضاً .

الزحافات القبيحة والعلل غير المألوفة والتسكينات الواجبة الشاذة :

أ — الزحاف :

قلنا ان كف مفاعيلن لتصبح مفاعيلُ في حشو البند حسن . وثمة على النقيض من

= ص ٤٩) . ومثله أول بند للشيخ محمد حسين ابن الشيخ حمد الحلي (١٢٩٢ — ١٣٥١ هـ) اذ يقول « ما الاغيد ذو طرف كحيل ناعم الخد ، حكت ريقة فيه لذة الخمرة والشهد .. الخ » (ص١٢٣) . ومثله أيضا قول الشيخ محمد بن يونس الحميدي النجفي من شعراء القرن الثاني عشر « ممن يدعي الود ، حايف الهم والوجد ، الى من أكرم الوفد » راجع « شعراء الغرى ، ج١٠ ، ٢٦٤ » ، وقد اورده الدجيلي خطأً هكذا « الى من يدعي الود » (ص ٦٦) .

(١) أبو الحسن الشيخ عبدالحسين صادق (١٢٨٣ — ١٣٦١ هـ) من شعراء النجف الافاضل (عبدالكريم الدجيلي ص ١١٩) ومثله ختام الشيخ محمد حسين الحلي (١٢٩٢ — ١٣٥١ هـ) أحد بنوده بقوله « فاني اسأل الله ولي اللطف والجود / يريني الطلعة الغرا بيوم هو للاسلام طرا خير ما سمي بالعيد » .

ذلك زحاف قبيح قد يقع على حشو أبيات البند وهو قبض [1] مفاعيلن فتصبح مقاعلن (وهو قبيح في هزج الشعر كذلك) . ولقد استبعد الأدباء من البند القطعة التالية التي نسبها بعضهم على سند ضعيف الى ابن دريد الأزدي البصري [2] لكثرة ما ورد فيها من هذا النوع من الزحاف لا غير وهي :

« ربّ / أخ كنت به [مغتبطاً أشد] كفي بعرى [صحبته تمسّكاً] مني بالود ولا [احسبه يغيّر] العهد ولا [يحول عنه] أبداً ما حلّ روحي [جسدي فعدت] (كذا) أن أصلح ما أفسد فاستصعب أن يأتيَ طوعاً فتأنيّت أرجيّه فلما لجّ في الغيّ اباءاً ومضى [منهمكاً غسلت] إذ ذاك يدي منه [3] ... الخ » .

فان تكرار هذا الزحاف جعل القطعة ركيكة مفككة لا تكاد تمت بصلة الى البند . بيد أنه حتى ابن الخلفة ــ وموازين بنوده أقوم كثيراً من سواها ــ لم يسلم من هذا الزحاف المستهجن فهو يقول في بند الرحلة المار الذكر :

« ... وعج [للبلد الأمين] مأمون الخطى من كل محذور ... » .

ويقول فيه أيضاً :

« ... هما باسميهما قد [لين الحديد] داوود ... » .

ولقد مرّ كلامنا على وقوعه فى هذا الزحاف في أول بنده « أيها اللائم في الحبّ دع اللوم عن الصبّ فلو كنت [ترى الحواجب] الزج ... الخ » ، على ان الروايـــة الأشيع « ... فلو كنت ترى الحاجبي الزج (كذا) » تنزهه من هذا الخطأ وتدخله في خطأين

(١) القبض اسقاط خامس الجزء « العقد الفريد لابن عبد ربه » .

(٢) مر الكلام عليه .

(٣) بعضهم يعد هذا الكلام من الرجز المرسل ، كالآتي :

« رب اخ كنت به مغتبطاً   اشد كفي بعرى صحبته
تمسكا مني بالود ولا   احسبه يغير العهد ولا »...الخ

والمعروف ان الرجز يجوز فيه مستفعلن ومفاعلن ومفتعلن وفعلتن .

لغويين . وسواء أكان الخطأ اللغوي من تحريف العامة أم من عند الناظم فالظاهر أنه وقع لتحامي الزحاف النابي على السمع . وقد ورد هذا الزحاف بكثرة عند الذين لم يحسنوا هذه الصناعة رغم ابداع بعضهم في صناعة الشعر [1] ، كما ترد زحافات اخرى تعد خروجاً على الميزان ولا يعتد بها .

ب — العلل غير المألوفة والنابية :

كل العلل عدا علل الوقف وعلل أول البند وآخره لا تعد مقبولة ولا مأنوسة وورودها في البند دليل على قصر باع ناظمه فيه ، فمن خصائص البند الجيد أن لا يخالف ميزانه في حال قراءته معرباً كما مرّ آنفاً . ولقد نشأ البند في فترة خمود في الأدب فلم يتيسر له من يعنى بدراسة معياره وتحديد قواعده ومن هذا جاء الكثير منه مزاحفاً معتلاً على غير نظام ولا هدى ولم يسلم من ذلك حتى الذين أوتوا الموهبة والحسّ المرهف من أمثال محمد ابن الخلفة والحسين الفتوني العاملي وعبد الغفار الأخرس [2] وحسن الجساني وباقر القزويني [3] . على ان تحريف الرواة والنساخ قد يكون له أثر كبير أيضاً في ورود بعض البنود مثقلاً بالأغلاط اللغوية والأخطاء العروضية والزحافات والعلل غير المأنوسة أو النابية للاسباب ذاتها .

وأشهر العلل التي ترد في البند ـ عدا علل الوقف وعلل أول اجزاء البند وآخرها ـ علتان كلاهما من علل النقص في أوائل الأبيات وهما :

١ ـ ذهاب ميم مفاعيلن أو مفاعيل بأول البيت فتصبحان فاعيلن أو فاعيلُ أي أن يكون البيت أخرم ، ومثاله قول ابن معتوق الموسوي :

(١) انظر مثلا نموذج بند الشيخ حسن العذاري المتوفى سنة ١٣٣١ هـ في شعراء الحلة لعلي الخاقاني ، ج ٢ ، ص ٥٤ » وسترى فيه زحافات كثيرة من هذا النوع وسواه ، ثم قابله بنماذج من شعره وهو جيد محبوك . ومن هذا القبيل قول الشيخ محمد بن يونس النجفي (عبدالكريم الدجيلي ص ٦٦) « ... الى من أكرم الوفد | ونال غاية | القصد .. » .

(٢) عبدالغفار الاخرس بن عبدالواحد ولد في الموصل وتوفي في البصرة (١٢٢٠ ـ ١٢٩٠ هـ) (عبدالكريم الدجيلي ص ٩٤) .

(٣) باقر بن هادي القزويني (١٣٠٤ ـ ١٣٣٣هـ) من شعراء الحلة (عبدالكريم الدجيلي ص١٢٢)

« ... وأجرى لجج الليل بثوب السُبَجِ الأسحم كالسيل / فاسودّ وأبدى

مفاعيل فاعيل

زبد الأنجم من خالص بلور[1] ... » .

٢ ـ سقوط (فا) من فاعلاتن بأول البيت فتصبح علاتن ـ أي سقوط (لن) من أول البيت في الميزان المختار فيصبح أوله مفاعيلن بعد مفاعي في البيت الذي يسبقه ـ وهذه العلة أكثر حدوثاً من سابقتها ومثالها قول الشيخ حسين العشاري :

« ... فهو من آل نزار درة العقد المحلّى وهو من أنف منافٍ وله القدح المعلّى / لقد نطق الظبي[2] ... » .

فاعلاتن علاتن .

مفاعي مفاعيل .

فلو زاد (و) أو (إذ) قبل (له) لاستقام الوزن ولكان البند اكثر تدفقاً في إنشاده .

اما ما عدا هاتين العلتين فيعدّ خطأً في الميزان ولا يعتد به . فمن ذلك الخزم في أوائل الابيات ـ عدا اول البند ـ ومثاله قول ابن الخلفة في بند الرحلة :

« ... وقف وقفة مبهوت على دجلة وانظر قبة خضراء قد حل بها النعمان ذو القدر/ فتحاماها (كذا) وسلّم[3] ... » فالفاء في (فتحاماها) زيادة على الوزن واكبر الظن ان تحريف المقطع من رواة والنساخ لانه مختلّ وزناً ولغةً ومعنى ؛ ومثله كثير .

ج — الوقف الواجب الشاذ :

الوقف الذي مر الكلام عليه اختياري يقع على أضرب البند بعد موافقتها معربةً

(١) عبدالكريم الدجيلي ، ص ٤ . ومثله قول الشيخ حسن قفطان (ص ٨٨) « جف القطر بان النهي والامر / مال الركن زال الامن واليمن عن الخلق » .

(٢) عبدالكريم الدجيلي (ص ٣١) . ومثله قول عبدالغفار الاخرس (ص ٩٥) « وصفت حتى حكت ودى لسلمان صفاءا / كريم الاب والجد » .

(٣) عبدالكريم الدجيلي (ص ٧٧) . ومثله قول حسن قفطان (ص ٨٨) « امام فرق الله به الحق عن الباطل حتى يتولاه / اكمل الله لنا الدين ... »

لميزانه ، وهو وقف مقبول رغم ايقاعه علة نقص في الاضرب . بيد ان بعض الناظمين قد يورد وقفاً شاذاً واجباً لا يستقيم الوزن بدونه وهذا لا يوافق طبيعة البند لأن اظهر ما في البند الجيد تدفق ابياته وترابط اجزائه في حال قراءته سريعاً دون ادنى تحديد على اعرابه . وعلى هذا يحسن تجنب هذا النوع من الوقف ، سواء أكان في القافية ام في الحشو . ومثاله في القافية قول الشيخ حسين العشاري :

ثوى في خدّه العندمْ / عليه نزل الأرقمْ / وفيه تشعل النار على وجنته تضرمْ /[1] ... »

ومثاله في الحشو قول عثمان بن عمر البكتاشي :

« ... وشامات بنفسجْ حكت النار بأطراف كباريت / وساقات زبرجدْ جليت في ورق الورد يواقيت /[2] ... » .

نموذج آخر من البند :

هذا البند لباقر بن ابراهيم الحسني الحسيني المتوفى سنة ١٢١٨ هـ[3] نظمه جواباً عن بند بعث به اليه احد وجهاء بغداد :

« ما لبيلات وصال من بديعات جمال أو نسيمات شمال حملت نشر اريج من مليح ذي دلال اهيف القدّ كحيل الطرف زاهي روضة الخد مرير الهجر والصدّ يشوب الهزل بالجد ويزري بشذا الندّ ولا يُلفى له في الحسن من ندّ اذا ما اختال ما بين محبيه غروراً من تجنيه أرانا الغصُنَ المياس لينا واعتدالا ؛ لا ولا رشف كؤوس من يدي ابهى شموس قد تجلت للبرايا فبدا من جانب الكأس سناها وبهاها يهتدي من ظل يجلوها الى نهج رشاد

(١) عبدالكريم الدجيلي (ص ٣٠) . ومثله قول حسن قفطان (ص ٨٩) « قطب العلم تاج الحلم والعز المشيد / فرقد في الشرف السامي محمد » .

(٢) عبدالكريم الدجيلي (ص ٥٠) . ومثله قول ابن الخلفة (ص ٨٠) « ما جرير والفرزدق في البيان ما ابن عباد وان جاد » ولعل (والفرزدق) من اضافة الرواة لان بند الرحلة طويل ولم ترد فيه مثل هذه الضرورة .

(٣) عبدالكريم الدجيلي (ص ٤٠) .

واضح السبل ، بأبهى من سلام رائق الوصف رقيق اللطف مشفوع بأسنى تحف تحملها أيدي الندامى من محب مستهام حلف شجو وغرام الف وجد وهيام مدنف القلب ودود لم يذق طعم هجود لا ولا صفو ورود سلب الوجـــد كراه هدم الشوق قواه أحرق التوق حشاه وعراه ما عراه ودهاه ما دهاه وهو لا يغفل عن ذكر الاحباء وعن ود الاوداء وعن عهد الأخلاء ولو جرّع كاسات النوى والهجر والبعد مرارا ، لجناب الماجـــد المولى الحسيب الطيّب الأصل ، النجيب الكامل العقل ، الأديب البارع الحبر ، الأريب الثاقب الرأي الالبيب الطاهر الاخلاق والأعراق مصباح هدى الأمة كشاف دجى الغمة بالايضاح والحجة ، مولى طاول الخلق بما حاز من الصدق وحسن الخلق والخلق وبالســيرة والعدل وبالفتك وبالبذل وبالقول وبالفعل فأمسى حلية الفضل عديم الند والمثل بعلياه وحسناه وتقواه وجدواه فلا قسّ يباريه ولا معنى يجاريه سعيد الحظ والجدّ زكي الاب والجدّ ومن حاز العلى والمجد بالجدّ ومن جلّت مزاياه عن الحدّ ولا تحصى عطاياه لدى العدّ فان جاد فكالغيث وان جال فكالليث سريّ ما له في الفخر ثاني ولعلياه مداني قد شأى المخلوق من انس ومن جان [1] وسما الاقران من قاص ومن دان يده في البأس طولى ولدى الجود اذا ما قستها غيثاً هطولا (كذا) حارت الافهام بل قصرت الاوهام عن وصف همام لوذعي وحسام مشرفيّ وكريم اريحي وأديب ألمعيّ جل من طهر زكيّ طاهر الذات نقيّ صادق الوعد وفيّ ثاقب العزم ابيّ وافر الجود سخيّ فاز بالقدح المعلى واقتنى مجداً وفضلا وزكا فرعا واصلا وارتقى اوج العلا طفلاً وكهلا بعلاء وجلال وذكاء وكمال وبهاء وجمال وسخاء ونوال فلعمري كم له في الفضل آيات وفي الفعل كرامات وفي القول اشارات وكم باتت له بين البرايا معجزات كيف لا وهو سميّ المصطفى الهادي الذي قد نطقت في فضله الشامخ آيات وجاءت سور في مدحه الباذخ غر محكمات ، جدّه (كذا) المبعوث للخلق بشيراً ونذيرا ،

(١) الواو في « وسمـا » زيادة على الوزن والبيت اخزم ، ومثله البيت الذي يليـه « يده في البأس طولى ... الخ » .

دام للناس على مرّ الجديدين بقاه وعلاه ووقاه الله من كيد عداه وكفاه شر من يخشى أذاه وحباه ما تمناه بدنياه وأخراه ولا زال حماه للذي حج الى بيت نداه مستجارا ... » .

أدباء وشعراء نظموا البنود :

أورد عبد الكريم الدجيلي في كتابه « البند في الأدب العربي ـ تأريخه ونصوصه » المطبوع في بغداد سنة ١٩٥٩ بنوداً لكل من الأدباء والشعراء التالية اسماؤهم :

أ ـ القرن الحادي عشر الهجري :

ـ معتوق بن شهاب الموسوي (١٠٢٥ ـ ١٠٨٧) [١] .

ـ عبد الرؤوف بن الحسين الحسيني الجد حفصي (١٠٦٦ ـ ١١١٣) .

ب ـ القرن الثاني عشر :

ـ علي باليل الحسيني (ـ)

ـ محمد بن احمد الزيني البغدادي (١١٤٨ ـ ١٢١٦)

ـ الشيخ حسين بن ملا علي الشافعي العشاري (١١٥٠ ـ ١٢٠٠)

ـ ابو الفتح عز الدين نصر الله بن الحسين الحائري (ـ ١١٥٦)

ـ محمد بن حيدر (ـ)

ـ باقر بن ابراهيم الحسني الحسيني (١١١٧ ـ ١٢١٨)

ـ عثمان بن عمر البكتاشي (ـ)

ـ الشيخ مسلم بن الشيخ عقيل الجساني [٢] (ـ ١٢٣٥)

الشيخ حميد بن نصار الشيباني اللمومي النجفي (ـ ١٢٢٥)

الشيخ محمد بن يونس الجليحي [٣] الحسكي النجفي (ـ)

ـ محمد بن اسماعيل الملقب بابن الخلفة (ـ ١٢٤٧)

(١) الصحيح شهاب الدين ابن معتوق الموسوى .

(٢) اورده علي الخاقاني : الجصانى .

(٣) اورده علي الخاقاني : الحميدى « شعراء الغرى ، ج ١٠ » .

ـ الشيخ صالح بن درويش التميمي (١١٩٠ ـ ١٢٦١)

ـ الشيخ ابراهيم ابن الشيخ حسن قفطان (١١٩٩ ـ ١٢٧٩)

ج ـ القرن الثالث عشر :

ـ عبد الغفار الاخرس بن عبد الواحد (١٢٢٠ ـ ١٢٩٠)

ـ الحسين بن علي الفتوني الهمداني العاملي (ـ ١٢٧٨)

ـ الشيخ طه السنوي بن الشيخ احمد (ـ ١٣٠٠)

ـ الشيخ علي بن الشيخ عبد الله المظفر (ـ ١٣١١)

ـ حسن الجساني العقيلي (ـ ١٣١٣)

ـ محمد بن مهدي القزويني الحسيني (١٢٦٢ ـ ١٣٢٥)

ـ الشيخ احمد بن درويش علي البغدادي الحائري (١٢٦٢ ـ ١٣٢٩)

ـ الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد علي الجواهري (١٢٨١ ـ ١٣٣٥)

ـ ابو الحسن الشيخ عبد الحسين صادق (١٢٨٣ ـ ١٣٦١)

ـ الشيخ قاسم بن الشيخ محمد المعروف بالملا (١٢٩٠ ـ ١٣٧٤)

ـ الشيخ محمد حسين بن الشيخ حمد الحلي (١٢٩٢ ـ ١٣٥١)

ـ الشيخ حسن بن الشيخ اسماعيل الخضري (١٢٩٢ ـ ١٣٤٤)

ـ خليل ابن عنوان الجد حفصي البحراني (ـ ١٣١٠)

د ـ القرن الرابع عشر :

ـ الشيخ محمد رضا ابن الشيخ محمد علي الخالصي المعروف بالشالجي موسى (١٣٠٢ـ١٣٧٠)

ـ باقر بن هادي القزويني (١٣٠٤ ـ ١٣٣٣)

ـ مير علي بن راضي الموسوي الملقب بابي طبيخ (١٣٠٨ ـ ١٣٦١)

ـ ابراهيم بن مصطفى الواعظ (١٣١٠ ـ ١٣٧٧)

ـ الشيخ قاسم بن الشيخ حسن محيي الدين (١٣١٦ ـ ١٣٧٦)

ومن بين البنود التي أوردها محمد الهاشمي في « مجلة اليقين » في اعدادها (١ ـ ٨) بند لم يترجم لصاحبه المدعو محمد صادق [١] وقد اغفل ذكره عبد الكريم الدجيلي .

وقد ترجم علي الخاقاني في كتبه عن « شعراء الحلة » ج ١ـ٥ ، و « شعراء الغري » ج ١ـ١٢ ، و « شعراء بغداد » ج ١ـ٢ ، لعدد كبير من ناظمي البنود واورد نماذج من بنودهم . وقد ذكر عبد الكريم الدجيلي اكثر هؤلاء غير انه اغفل ذكر الاسماء التالية :

الشيخ ابو القاسم محمد بن علي الجزائري [٢] (١٢٦٠ ـ ١٣٠٣)

ـ الشيخ حسن بن الشيخ عباس العذارى [٣] (١٢٦٦ ـ ١٣٣١)

ـ ابو صالح مهدي بن محمد البغدادي المشهور بابي الطابو [٤] (١٢٧٧ ـ ١٣٢٩)

خاتمة :

كان ظهور البند في العراق من مظاهر ثورة تجديدية عارمة في الأدب العربي . بيد انه ولد في حقبة كانت الامة فيها ترزح تحت نير العبودية ، وكان الركود والتقليد قد خيّما على الجو الأدبي والصناعة اللفظية زادته عتمة على عتمة ، فلم يتسنّ لهذا الوليد ان يترعرع ويقف على قدميه . ولو أتيحت للبند ظروف غير تلك التي نشأ فيها ، وتعهدته قرائح حاذقة وألسنة بليغة وأيد صُنُع ، ولو تناولته موازين التمحيص والنقد بما يفضح غثّه ويبرز اجوده ، لكتب له البقاء والازدهار والانتشار ، ولاصبح من الفنون الأدبية الخالدة . واليوم ـ ونحن في ابان نهضة فكرية من أنصع وجوهها هذه العناية الكبيرة باحياء تراثنا ـ ما احرانا بالتعريف بهذا الفن العراقي العربي الاصيل وابراز معالمه الى الاوساط الادبية والجمهور .

(١) محمد الهاشمي : البند « مجلة اليقين ، ج ٣ ، ص ٧٤ ، ١٢ مايس ١٩٢٢ » .

(٢) « شعراء الغرى ، ج ١٠ » .

(٣) « شعراء الحلة ، ج٢ » .

(٤) شعراء الغرى ، ج ١٢ » .

لقد لاحظت عن كثب كما واكب غيري تلكم الموجة الجارفة التي أثارها بعض شعراء الجيل من النزوع إلى التحرر من عمود الشعر العربي فيما اصطلح عليه اليوم بالشعر الحر. ولتشابه الدوافع الى كلتا النزعتين لم يكن بدٌّ لدى بعض الكتاب [1] من التطرق إلى ميزان البند في معرض المقابلة بين الشعر الحرّ وبينه بقصد تأكيد علاقة او تفنيد رأي. غير أن مثل هذه الطريقة العرضية والاسلوب العابر لم يكن ليقدر له تهيئة أي دراسة تتسم بالجدّ والموضوعية والوفاء وخصوصاً في موضوع دقيق شائك كالعروض. وفيما عدا ذلك لم يقم أحد ـ على معرفتنا ـ بدراسة جادة وافية لعروض البند يقدمها الى الادباء والمتأدبين.

كان كل هذا مما دعاني ـ وانا معوق ببعد العهد ومسلّم بقصر الباع ـ الى التوفر على البحث عن المعايير العروضية لهذا الفن من الكلام المنظوم وابراز ما يمتاز به من قواعد وأصول ثابتة تعين على استذاقته وتمييز جيده من رديئه. ولا جدال في القول بان القواعد المرسومة لصناعة أي كلام منظوم انما تستنبط مما درج عليه الصفوة الخيرة من ناظميه وما تمليه طبيعة وزنه ويوحيه جرس موسيقاه. وكل ما أرجوه هو أن اكون قد وفقت فيما أقدمت عليه والحمد لله اولا وآخرا.

(١) راجع « قضايا الشعر المعاصر » لنازك الملائكة ١٩٥٩ (ص ٥٩ وص ١٦٧ ـ ١٧٩) ؛ و « فن التقطيع الشعري والقافية ، ج ٢ ، علم القافية » للدكتور صفاء خلوصي ١٩٦٣ (ص ١١٣ ـ ١٢٤) ؛ والبند والشعر الحر لمصطفى جمال الدين « مجلة الاقلام » ج٦ ، شباط ١٩٦٥ .

التعقيبات

الدكتور سليم النعيمي : اشكر الدكتور جميل الملائكة على بحثه في ميزان البند ، فهو حقيقة تعرض لأسلوب من الشعر نشأ في العراق ، ولم يكتب له أن يعرف في البلاد العربية الأخرى ، والبند في الحق هو محاولة للتجديد ، ولكن الشعراء كانوا يلتزمون في الهزج عدداً من التفاعيل ، وأنا اختلف مع الدكتور جميل في السبب الذي منع من بقاء هذا الاسلوب وازدهاره ، وفي رأيي أنه لم يكتب له البقاء لأن هذا النوع من الشعر تخرج موسيقاه عن الموسيقى التي ألفتها الاذن العربية ، والشعر في الأصل موسيقى وما دامت الموسيقى التي تلتزم لا تألفها الاذن ولا الذوق فلن يبقى الشعر ، وأضرب مثلاً لذلك الشعر الحر الآن وبعض الباحثين يربط بينه وبين البند ، ويقولون ان البند هو مقدمة لظهور الشعر الحر ، والحقيقة ان الشعر الحر لن يكتب له البقاء لأنه لايلتزم بالموسيقى التي ألفتها الأذن العربية وسوف نؤرخ له غداً كما نؤرخ اليوم للبند .

الدكتور إبراهيم أنيس : خطر لي منذ عشرين عاماً أن اكتب كتاب « موسيقى الشعر » ، لأني اعتقدت وربما بحق ان العروض ليس إلا دراسة صوتية ، وأنا معنى بصوتيات اللغة ، ولذلك ألفت هذا الكتاب ، ولكن مع الأسف شغلت عن بحث مايتصل بعلم العروض ، ويبدو لي أن الكتاب لم يعرف كثيراً في البلاد العربية ، أو ربما لم يعرف مطلقاً ، وان كان قد أشير اليه في كتاب للسيدة الشاعرة « نازك الملائكة » واعترف باني لأول مرة أسمع عن البند في هذا الكتاب الذي وقفت عليه في العام الماضي فقط .

والعراق كان دائماً مهداً لكل جديد في الميزان الشعري وكل الذي قرأنا عنه في الميزان الشعري من المحاولات للتجديد في الميزان الشعري تم في العراق فيما عدا الموشحات لأنها

كانت في الأندلس ، ولو أن هناك رأياً يقول أنها بدأت في العراق على يد ابن المعتز فالقوما والمواليا ، والكان كان وغيرها ومحاولات كثيرة كما قال الدكتور النعيمي لم يتح لها البقاء أو اندثرت والبند كما يبدو لي نشأ في العراق ويبدو لي أن السيد المحاضر صغير السن لم يسمعه من أفواه الذين نظموه لأنه يقول ان البند انقرض من العراق منذ نصف قرن أو يزيد .

الدكتور جميل الملائكة : ذكرت انه انقرض وتوقف الشعراء عن نظمه ولكن الناس بقوا مدة طويلة يتناقلونه .

الدكتور سليم النعيمي : ما زال الناس ينظمونه للتفكه احياناً .

الدكتور إبراهيم إنيس : كنت أتمنى لو أن تسجيلات صوتية على أشرطة أو نحو ذلك كانت لدينا الآن عن هؤلاء الشعراء الذين نظموا في البند .

كل ما ألاحظه على المقال الجيد الموفق والبحث العلمي الذي قام به الدكتور هو أنه صب فكرته في القالب العروضي المألوف ، أي جاء بمحاولة جديدة في الميزان الشعري وصبها على الطريقة العروضية ودوائر الخليل من مفاعيل أو مفعولات .

كنت أتمنى أن يقوم الدارسون للعروض وأن يعنوا بدراسة العروض لا بالطريقة التقليدية ولكن بطريقة جديدة . ولقد حاولت شيئاً من هذا في كتابي ولكن شغلتني مسائل أخرى . وحاولت أن أختصر التفاعيل الثماني إلى ثلاث وسميت هذا المولد شعراً جديداً . ولكن لا أعرف أحداً بعدي أكمل هذا أوعنى به . والذي أتمناه وأنا أعرف أن آذان العراقيين موسيقية لأن كل جديد في الميزان الشعري سمعنا عنه في العراق وأتمنى لو درس الميزان الشعري بطريقة جديدة أي على حسب ما يتم في الدراسات الصوتية عن طريق فكرة المقطع والايقاع لأن كثيراً من الدارسين للشعر العربي يعتقدون أن الشعر العربي شعر كمي وأنا لا أوافق على هذا ، فلا بد وأنه كان مع الكم ما نسميه بالإيقاع وكان له نظام لم ندرسه ولا نعرف عنه شيئاً . أقول ان هذا الايقاع ، ونحن لنا في مصر ايقاع ورثناه عن أساتذتنا حافظ إبراهيم ، والجارم ، وأنتم أيضاً في العراق لكم ايقاع ورثتموه

عن الرصافي والزهاوي نريد أن ندرسه دراسة حديثة حتى نستكمل كل شيء عن الشعر وموازينه أي حتى نعرفه بميزان الشعر وموسيقى الشعر .

إن الكلام المنثور في العربية فيه موسيقى أيضاً وأن هناك روحاً عامة في المنثور والمنظوم غير أن نسبة هذه الروح في المنظوم أكثر . ولقد جئت في الكتاب بحديث شريف طويل وقطعته بالطريقة التقليدية وقلت هنا موسيقى موجودة وهي تتلخص في أن الأذن العربية تأبى توالي المقاطع المفتوحة القصيرة . البيت من الشعر والشطر من الشعر لا تستطيع أن تحمل أكثر من مقطعين متتاليين تَ . تَ ، تُ . تُ من المقاطع المفتوحة القصيرة أما النثر فيحتمل ثلاثة وربما أكثر ، هذا هو الروح العام .

لا ترفض الأذن العربية المقطع المغلق تون ، تون . الأذن تعودت هذا وفي اللغات الأخرى تعودت النوع المفتوح كما في اللغة اليابانية وبعض اللغات الافريقية تقبل هذا وتستسيغه . والروح العام هو الذى نريد أن نكشف عنه في الموسيقى أو موسيقى شعرنا وندرسها دراسة حديثة .

وعلى كل حال أشكر السيد المحاضر وأعترف أنكم الرواد فى ميزان الشعر المجددون للبحور فى ميزان الشعر وكما قال الفرزدق :

« عليكم أن تقولوا وعلينا أن نتأول وندرس » .



٣ — الوضع

تحديده ، تقسيماته ، مصادر العلم به

للاستاذ محمد تقي الحكيم
عضو المجمع العلمي العراقي

تمهيد

اللغة وعلم الاصول ، البحوث اللغوية ليست من علم الاصول ، طبيعة هذه البحوث : بحوث المدخل ، بحوث الباب الاول ، بحوث الباب الثاني ، منهج المحاضرة ، الحاجة الى المدخل .

الوضع

تحديد الوضع ، الوضع والترابط الذاتي ، الوضع ودعوى المناسبة ، الوضع ودعاوى التوقيف والاصطلاح ، نشأة اللغات ، تقسيمات الوضع :

تقسيمه بلحاظ اساليب الوضع : الوضع التعييني ، الوضع التعيني ، الوضع بالاستعمال ، تقسيمه بلحاظ المعنى : الوضع العام والموضوع له العام ، الوضع العام والموضوع له الخاص ، الوضع الخاص والموضوع له الخاص ، الوضع الخاص والموضوع له العام ، تقسيمه بلحاظ اللفظ : الوضع الشخصي ، الوضع النوعي : تقسيم الوضع النوعي إلى وضع المواد والهيئات ، تقسيم وضع الهيئات إلى المفرد والهيئات التركيبية ، الوضع وعلقة المجاز ، مصادر العلم بالوضع : تنصيص الواضع ، التبادر ، صحة الحمل وعدم صحة السلب ، الاطراد .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

اللغة وعلم الاصول :

من اهم ما يعنى به علم الاصول دراسة المصادر التي تصلح للكشف عن واقع التشريع الاسلامي حكما ، او وظيفة ، والتماس ادلة اعتبارها من شارع او عقل .

واستقراء هذه المصادر على اختلافها في هذا العلم يكشف عن مدى تنوعها في وسائل التعبير عن ذلك الواقع .

فبعضها يعتمد الكلمة المعبرة كالكتاب العزيز ، والسنة الكريمة ، وبعضها يعتمد الطرق العقلية كالادلة المشخصة للوظائف التي يعينها العقل عند انعدام الدليل الكاشف ، وثالث يعتمد سيرة المتشرعة ، او بناء العقلاء ، او العرف وهكذا .

وبحكم هذا الاختلاف في وسائل الكشف والاداء اختلفت الركائز التي يجب اعتمادها لدى محاولة استكشاف ذلك الواقع من هذه الاصول .

وكان ذلك من اهم البواعث على توفر الاصوليين على اعداد دراسات لمواضيع تمس او تلابس تلكم الوسائل على اختلافها لتعين على تأدية وظائفها كاملة في مجالات الكشف .

ومن هنا نشأ الارتباط بين علم الاصول ، وجملة من العلوم اسموها بالمبادىء كالنحو ، والصرف ، واللغة ، وعلوم البلاغة ، والمنطق ، والفلسفة ، وغيرها .

وبما ان هذه المبادىء مختلفة لاختلاف المدى الذي توفر لها من عناية العلماء المختصين بدراستها فقد انصب اهتمام علماء الاصول على دراسة ما لم يحظ منها بالعناية الكافية في مجالاتها الخاصة ، واحالوا الحديث على تلكم المجالات ، وما الف فيها من كتب في المواضيع التي رأوا انها قد استوفى فيها الحديث.

وكان أهم ما بحثوه منها ـ لقلة اضوائه في الكتب المعنية ببحثه ـ ما يخص الجانب اللغوي منها لارتباطه باهم المصادر التشريعية ، وهو الكتاب ، والسنة .

وكانت لهم في هذا المجال تجارب ذات اصالة وعمق .

وهذه التجارب ولدت ـ كاي مولود سوي ـ صغيرة على ايدي القدامى من الاصوليين ثم نمت ، وتطورت بنمو هذا العلم ، وتطوره حتى كادت تكتمل على أيدي المحدثين من الاعلام في مدرسة النجف الحديثة في علم الاصول .

البحوث اللغوية ليست من علم الاصول :

ونظراً لتوسع هذه البحوث على ايديهم وتأكيدهم على ثمراتها في مجالات الاستنباط فقد ظنها غير واحد من الباحثين انها اصول قائمة بذاتها في مقابل بقية الاصول مما اضطرهم الى التوسع في تعريف علمها الى ما يتسع لتجاربها جميعاً ، ووقعوا لذلك في مفارقات عدم الاطراد والانعكاس [1] بالاضافة الى نسيانهم لدورها في التمهيد للاستفادة من الكتاب والسنة ، لا انها في مقابلها .

طبيعة هذه البحوث :

وطبيعة هذه البحوث متشعبة بتشعب حاجتهم اليها ، ويمكن توزيعها من وجهة منهجية إلى ثلاثة ابواب ، او قل إلى مدخل وبابين تبعاً لمواقع الالتقاء بينها .

بحوث المدخل :

اما المدخل فالذي ينتظم فيه منها جملة بحوث اهمها :

١ — تحديد الوضع :

٢ — الوضع والترابط الذاتي .

٣ — تشخيص الواضع وما ينشأ عنه من دعاوى التوقيف والاصطلاح .

٤ — نشأة اللغات .

٥ — اساليب الوضع .

(١) تراجع نماذج من تعاريفهم ومناقشتها في كتاب فوائدالاصول للكاظمي ج ١ ص ٣ والاصول العامة للفقه المقارن للكاتب ص ٤٢ .

٦ — تقسيمه بلحاظ المعنى الموضوع له .

٧ — تقسيمه بلحاظ اللفظ الموضوع .

٨ — الوضع وعلقة التجوز .

٩ — مصادر العلم بالوضع .

وعلى ضوء ما ينتهون اليه ـ من هذه الابحاث التي تتصل بالدراسات اللغوية اتصالا مباشراً ، أو غير مباشر ـ يسهل الدخول في :

بحوث الباب الاول :

الذي يتوفر على تحديد بعض المواد اللغوية والهيئات واهم ما ينتظم في هذا الباب من بحوثها .

١ — تحقيق المعنى الحرفي .

٢ — تحقيق الدلالة للجمل الخبرية والانشائية .

٣ — معنى المشتق .

٤ — مادة الامر وهيئاتها .

٥ — مادة النهي وهيئاتها .

٦ — المفاهيم .

٧ — الفاظ العموم والخصوص وهيئاتهما .

وفي هذا الباب بحوث ـ قل ما نجد فيما قرأناه من بحوث لغوية على ايدي غير الاصوليين ـ ما يرتفع الى مستواها من حيث الشمول ، والدقة ، وعمق الآراء .

واذا قدر للباحث ان لا يجد في بحوث هـذا الباب ، وغيره ما يشخص له مرادات المتكلمين لجأ إلى :

بحوث الباب الثاني :

وهو الذي يعني باعداد الضوابط العامة لتشخيص المراد عند التردد في تحديده ، واصوله

كثيرة ، واهمها :

١ — اصالة الحقيقة .

٢ — اصالة عدم التقدير .

٣ — اصالة عدم النقل .

٤ — اصالة عدم الاشتراك .

٥ — اصالة عدم التخصيص .

٦ — اصالة الاطلاق .

٧ — اصالة عدم النسخ .

وربما جمعت هذه الاصول ، وغيرها ما اسموها باصالة الظهور .

منهج المحاضرة :

وبما ان امد المحاضرة لا يتسع للحديث في جميع هذه المواضيع فان الذي ارجو أن اوفق اليه هو التعريف باهم التجارب التي وردت في المدخل فقط ، والتعقيب ما قد نختلف فيه مع بعض اعلامها منها متوخين ـ جهد ما نستطيع ـ الايجاز والوضوح ، تاركين بقية الاحاديث في البابين إلى فرصة اخرى نرجو أن نوفق اليها .

وللسادة العلماء من اعضاء المجمعين الموقرين ان يتفضلوا ـ مشكورين ـ بتصحيح ما قد نقع فيه من اخطاء ، والله ولي العصمة ، ومنه التوفيق .

الحاجة الى المدخل :

والحاجة ـ فيما يبدو ـ إلى وضعهم لبحوث هذا المدخل كانت مختلفة باختلاف منابعها فبعضها كان وليد شعورهم بضرورة وضع مصطلحات جديدة لقسم من المفاهيم التي جدت في بحوثهم الاصولية ، ولم يجدوا ما يقابلها في معاجم اللغة ، وهذا ما ولد لديهم التساؤل عن مدى حقهم في مثل هذا الوضع ، وطبيعة الاجابة على هذا التساؤل تستدعي الاجابة عن اسئلة تتعلق بحقيقة الوضع وتشخيص الواضع ، وتوقيفية اللغة وعدمها ، ثم عن كيفية

الوضع واقسامه إلى غير ذلك مما يلقي كثيراً من الاضواء في طريق سدهم لهذه الحاجة .

وكان البعض الآخر نابعاً عن ادراكهم لضرورة التعرف على الوسائل التي تمكنهم من التعرف على واقع قسم كبير من المداليل اللغوية ليروا موقف الشارع المقدس منها ، وهذا ما بعثهم على اثارة تساؤلات تتعلق بالوسائل المؤدية إلى تحديد المفاهيم اللغوية ، وعما اذا كان للشارع مفاهيم تختلف عن استعمالاته الخاصة ؟ وكيف تم هذا الاستعمال ؟ وهل ان الارادة دخيلة في المعاني الموضوعة ؟ إلى اشباهها من المواضيع التي وجدوا في بحثها الاجابة على امثال تلكم التساؤلات التي يتوقف على اعطاء الرأي القاطع فيها كثير من النتائج الهامة واول ما تساءلوا عنه حقيقة الوضع .

تحديد الوضع :

وقـــد اختلفت في الاجابة عليه تحديداتهم له [1] ، وكان اشملها لمختلف مواقع النظر ما ورد في الكفاية من ان الوضع « نحو اختصاص للفظ بالمعنى وارتباط خاص بينهما [2] ».

وفي كلمة الاختصاص ـ وهي من مقولة الانفعال ـ ما يشمل الترابط الذاتي بين الالفاظ والمعاني احد مواضع الخلاف، وان كان في لفظة الوضع ـ وهي من مقولة الفعل ـ ما يأبى ذلك .

اما منشأ هذا الاختصاص فقد اختلفت كلماتهم فيه فقيل إنه الجعل والاعتبار من قبل معتبر معين ، وقيل إن الترابط الذاتي هو المنشأ فيه .

الوضع والترابط الذاتي :

وينسب هذا القول ـ اعني الترابط الذاتي ـ إلى عباد بن سليمان الصيمري من اعلام المعتزلة ـ على شك في حدود ما يذهب اليه ـ .

يقول السيوطي : « نقل اهل اصول الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة انه ذهب الى ان بين اللفظ ، ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة الواضع على ان يضع [3] » .

---

(١) تراجع هذه التحديدات في رسالة الاشتراك والترادف للكاتب ص ٢٠ مطبعة المجمع العلمي العراقي.

(٢) الكفاية للخراساني صفحة ٥٠ .

(٣) المزهر ١ ص ٤٧ .

وفي رأيه ـ فيما ينسب اليه ـ انها ذاتية موجبة [1] .

وقد استدل له بانها لو لم تكن كذلك « لكان تخصيص الاسم بالمعنى المعين ترجيحاً من غير مرجح [2] » .

ومن طريف ما يروى عن بعض من كان يرى رأيه انه كان يقول : « انه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فسئل ما مسمى (إذغاغ) وهو بالفارسية الحجر فقال أجد فيه يبساً شديداً واراه الحجر » [3] .

والمفارقة التي سجلها الجمهور على هذا الرأي هي قولهم : « لو ثبت ما قاله لاهتدى كل انسان الى كل لغة ، ولما صح وضع اللفظ للضدين كالقرء للحيض والطهر ، والجون للابيض والاسود » [4] .

ثم « أجابوا عن دليله بأن التخصيص بارادة الواضع المختار خصوصاً اذا قلنا الواضع هو الله فان ذلك كتخصيص وجود العالم بوقت [5] » .

وإيضاح ما أرادوه في الجواب ان مبدأ الترجيح بلا مرجح ـ وان استحال من وجهة عقلية لاستلزامه وجود جهة راجحة ملحوظة للمرجح كما توحي به كلمة الترجيح وهو ينافي دعوى انعدامها لفرض التساوي بينهما ـ إلا أن الوضع ليس من هذا القبيل .

وإنما هو من قبيل اختيار أحد المتساويين وطبيعة الاختيار في المختار لا تتقيد بوجود جهة راجحة ، والا لاستحال عليه الاختيار في المتساويين من جميع الجهات ، وهذا ما لايمكن أن يلتزم به عاقل ما .

والذي يبدو لي انهذا العالم الجليل لايريد ـ من دعوى المناسبة ـ المناسبة الذاتية الموجبة كما نسب له لوضوح ان مثل هذه المناسبة ـ لو وجدت ـ فهي مما لايحتاج معها إلى وضع .

(١) المزهر ج ص ٤٧ .
(٢) المزهر ج ١ ص ٤٧ .
(٣) المزهر ج ١ ص ٤٧ .
(٤) المزهر ج ١ ص ٤٧ .
(٥) المزهر ج ١ ص ٤٧ .

إذ الوضع لايتجاوز الجعل ، وهو من الأمور الاعتبارية ، ومثلها لايتناول الواقع في رفع أو وضع ، ولو أمكن فرض تناولها له لكان من قبيل تحصيل الحاصل ، وأي معنى لجعل الاختصاص بين اللفظ والمعنى مع فرض قيامه واقعاً به ؟ ولغوية جعل الدخان علامة على النار ـ وهي نظير ادعائه ـ من أوضح الأمور وكلامه السابق صريح باحتياج المناسبة إلى الوضع لقوله ـ في التعقيب على وجود المناسبة : « حاملة للواضع على أن يضع » هذا بالاضافة إلى أن المفارقة التي سجلها الجمهور على كلامه من البداهة بمكان ، وأى انسان يجهل أن من لوازم المناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنى هو لزوم معرفة كل إنسان بكل اللغات ؟! فكيف أمكن افتراض خفائها عليه ؟!

والظاهر ان الرجل لايريد أكثر مما أراده « أهل اللغة ، والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني » [1] .

ودليله — وهو لزوم الترجيح بلا مرجح — لايدعو إلى أكثر من هذا المقدار وربما أراد أن يشير إلى أن نشأة اللغات كانت تعتمد محاكاة الأصوات ، وهي لا تختلف ، وان اختلفت اللغات بعد ذلك بفعل عوامل التطور .

الوضع ودعوى المناسبة :

أما دعوى أهل اللغة من ضرورة وجود المناسبة الطبيعية وان لم تكن موجبة فهي كسابقتها لا تدعو اليها أية ضرورة عقلية أو تاريخية .

ودعوى لزوم الترجيح بلا مرجح لاتبتني على أساس كما سبق ايضاحه على ان المناسبة لو قلنا بضرورتها فليس هناك أية ضرورة للقول بأنها يجب أن تكون قائمة بين طبيعي اللفظ ، والمعنى ، بل يكفي فيها أن توجد ، وإن كان مصدرها بعيداً عنهما كما هو الشأن في تسمية كثير من الأعلام الشخصية أو الأماكن بأسماء تربط الواضعين بها علقة حب ، أو

---

(١) المزهر ص ٤٧ ج ١

اكبار ، وفي العهود الثورية تكثر التسميات بأسماء قادة الثورات وهي أجنبية عن طبيعي اللفظ ، والمعنى .

ولهذا لا نجد أية ضرورة لالتماس التمحلات في ايجاد المناسبة كما حاول ذلك أمثال ابن جني من أعلام اللغويين[1].

وخلاصة الأقوال في مسألة الوضع ان الوضع لابد منه قلنا بالمناسبة الذاتية ، أو لم نقل ، وهو موضع اتفاق العلماء وبخاصة إذا تم ماوجهنا به كلام ابن عباد السابق ، وحسبنا التزامه بضرورة الوضع ، وإن لم يتم ذلك التوجيه .

واتفاق العلماء على الوضع لم يمنعهم من الاختلاف في تعيين الواضع وما يترتب عليه من دعاوى التوقيف والاصطلاح :

فالذي عليه الأشعري ، وأهل الظاهر من الأصوليين ان الواضع هو الله عز وجل (وان وضعه متلقى لنا من جهة التوقيف الالهي اما بالوحي — أو بأن يخلق الله الأصوات ، والحروف ويسمعها الواحد ، أو جماعة ، ويخلق له ، أو لهم العلم الضروري انها قصدت للدلالة على المعاني [2] » .

والذي حكاه ابن جني عن أكثر أهل النظر « ان أصل اللغة ، انما هو تواضع واصطلاح لا وحي ولا توقيف [3] » .

واختار الشيخ النائيني أن الواضع هو الله « ولكن ليس وضعه تعالى للالفاظ كوضعه للأحكام على متعلقاتها وضعاً تشريعياً ، ولا كوضعه الكائنات وضعاً تكوينياً » .

« إذ ذاك أيضاً مما يقطع بخلافه ، بل المراد كونه تعالى هو الواضع ان حكمته البالغة لما اقتضت تكلم البشر بابراز مقاصدهم بالألفاظ فلا بد من انتهاء كشف الالفاظ لمعانيها اليه تعالى شأنه بوجه :

(١) راجع كمثال على ذلك كتاب الخصائص لابن جني في الباب الذي عقده لمناسبة الالفاظ للمعاني .

(٢) الاحكام في أصول الاحكام للآمدي ج ١ ص ٣٨ .

(٣) المزهر ج ١ ص ١٠ .

اما بوحي منه الى نبي من انبيائه ، أو بالهام منه إلى البشر ، أو بايداع ذلك في طباعهم بحيث صاروا يتكلمون ويبرزون المقاصد بألفاظ بحسب فطرتهم حسبما أودعه الله في طباعهم » [1] .

وهذا القول لايأبى — فيما اعتقد — أن تكون اللغة ، أو بعضها اصطلاحية لامكان صدورها عن المصطلحين بتوسط فطرتهم ، وربما نزلت بعض أدلة القائلين بالتوقيف على هذا المعنى يقول ابن جني : « ان أبا علي (ر ه) ، قال لي يوماً هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » ثم قال : « وهذا لايتناول موضع الخلاف ، وذلك انه قد يجوز أن يكون تأويله ، أقدر آدم على أن واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لامحالة فاذا كان ذلك محتملاً غير مستنكر سقط الاستدلال به » [2] » .

والواقع ان نوع الأدلة التي ساقها القائلون بالتوقيف ليست مسوقة لبيان هذه الجهة ، فلا تصلح للاستدلال ومن شرائط ما يصلح للاستدلال من الأدلة أن يكون في صدد بيان ما سيق له والآيات ليست في صدد التعرض لنشأة اللغات وتوقيفيتها فاقحامها في مجالات الاستدلال اقحام في غير موضعه .

والواقع العلمي المبني على الاستقراء لاينهض بغير دعاوى الاصطلاح وليس لدينا من الأدلة التي عرضوها ما يوقف الأخذ بها على الاطلاق .

نشأة اللغات :

يقول استاذنا الشيخ حسين الحلي — فيما حكيناه عنه — « كان الانسان في طوره الأول كالأخرس أو الطفل يفزع بدافع ذاتي إلى التفاهم مع الآخرين من طريق اختراعه لأصوات يعتقد كفايتها في تمثيل المعنى واحضاره » [3] .

---

(١) فوائد الأصول ج ١ ص ١٠ .

(٢) المزهر ص ٨٣ ج ١ .

(٣) انطباعاتي من محاضرات العلامة الحلي في الأصول ص ٤ .

ومن الطريف أن نجد جذور هذه النظرية الحديثة فى نشأة اللغات قائمة لدى بعض القدامى من علماء الأصول يقول السيوطي : « وذهب بعضهم إلى ان اصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد » [1] . ثم عقب على هذا الرأى بقوله : « وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب متقبل » [2] .

وحتى اعتبارها ظاهرة من الظواهر التي اقتضتها طبيعة الاجتماع مما نص عليه بعض علماء الأصول قديماً ، وحديثاً ، وان لم يطلقوا عليها نفس هذه التسمية .

« قال الكيا الهراسي فى تعليقه في أصول الفقه : وذلك ان الانسان لما لم يكن مكتفياً بنفسه في معايشه ، ومقيمات معاشه لم يكن له بد من أن يسترفد المعاونة من غيره ، ولهذا اتخذ الناس المدن ليجتمعوا ويتعاونوا وقيل ان الانسان هو المتمدن بالطبع ، والتوحش دأب السباع ، ولهذا توزعت الصنائع ، وانقسمت الحرف على الخلق فكل واحد قصر وقته على حرفة يشتغل بها لأن كل واحد من الخلق لا يمكنه أن يقوم بجملة مقاصده ؛ فحينئذ لا يخلو من أن يكون محل حاجته حاضرة عنده أو غائبة بعيدة عنه فان كانت حاضرة بين يديه أمكنه الاشارة اليها ، وان كانت غائبة فلا بد له من أن يدل على موضع حاجته ، وعلى مقصوده ، وغرضه فوضعوا الكلام دلاله [3] » .

« وقال الامام فخر الدين واتباعه : السبب في وضع الألفاظ ان الانسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته بل لابد من التعاون ولا تعاون إلا بالتعارف ، ولا تعارف إلا بأسباب كحركات ، أو إشارات ، أو نقوش ، أو الفاظ توضع بازاء المقاصد ، وأيسرها ،

(١) المزهر ج ١ ص ١٤ .

(٢) المزهر ج ١ ص ١٥ .

(٣) المزهر ج ١ ص ٣٦ .

وأفيدها ، واعمها ، الألفاظ »[1] .

وقال استاذنا الخوئي : بعد أن ناقش مبدأ التوقيفية في اللغات ، ودعوى أن الواضع هو الله عز وجل « ثم ان الوضع وليد الحاجة بين طبقات البشر لغرض التفاهم وسير حركة الحياة ، وهو يختلف باختلاف الأمم والأزمان ومقدار الحاجة اليه »[2] .

ومن رأي استاذنا الحلي ان الوضع لدى البدائيين يختلف عنه لدى الأمم المتحضرة من حيث توفر عنصر الارادة فيه ، وعدمه فهو « لدى البشر في بدأ تكونهم لم يكن سوى تعبير لا شعوري عن حاجة من الحاجات يصدر عنه كما يصدر أي صوت من أي حيوان ، وكما يصدر البكاء منه عند ما يحس بما يدعوه الى الألم والبكاء ، فالبكاء في حقيقته تعبير عن الألم كما ان الألفاظ تعابير عن معانيها ، ومثل هذا التعبير لايسبق بتصور »[3] ثم يقول : « أما بعد تبلور اللغة وتطورها فهذا الكلام ربما يتأتى فيه لأن الواضعين سواء في الاعلام الشخصية أم غيرها يسبقون الاستعمال باختيار اللفظة ، وتصورها بعد تصور المعنى الموضوع »[4] .

ومن هنا يرى ان تقسيمات الوضع القادمة لا تتأتى من البدائيين ، وان صح ورودها بعد مرور البشر بمراحل حضارية .

تقسيمات الوضع :

وقد ذكرت للوضع عدة تقسيمات على ألسنة الأصوليين تختلف باختلاف الحيثيات الطارئة عليه فمن حيث اسلوب الوضع قسموه إلى قسمين :

الوضع التعييني والوضع التعيني :

وارادوا بالوضع التعييني الوضع الذي يقوم به شخص معين ، أوجهة كذلك ، ويؤديه

---

(١) المزهر ج ١ ص ٣٨

(٢) مصابيح الأصول ج ١ ص ٢٧

(٣) انطباعاتي عن محاضرات العلامة الحلي ص ٥ (مخطوط) للكاتب

(٤) انطباعاتي عن محاضرات العلامة الحلي ص ٥ (مخطوط) للكاتب

بالتنصيص على الوضع كما لو قال الواضع وضعت اللفظة المعنية للمعنى المعين .

أما الوضع التعيني فأرادوا به الاختصاص الذي ينشأ بين طبيعي اللفظ والمعنى نتيجة لكثرة الاستعمال فيه ، ويقع غالباً في الالفاظ المنقولة التي تتحول بعد هجران معانيها الاول الى حقائق في المعاني التي نقلت اليها .

ومثل هذا النقل عادة لايقع عن تنصيص من قبل الناقلين ، وانما تولده كثرة الاستعمال ، وبخاصة في الاعراف العامة .

الوضع والاستعمال :

وتبنى الشيخ أغا ضياء العراقي أحد أعلام المدرسة الحديثة في النجف اسلوباً ثالثاً فى التعبير عن الوضع غير النص وكثرة الاستعمال ، وهو الوضع من قبل واضع معين من طريق استعماله اللفظ فى المعنى ، ويجعل في استعماله هذا ايجاداً للوضع يقول بعض محرري بحثه : « ثم ان الوضع وهو الربط المجعول بين طبيعي اللفظ والمعنى قد يحصل بانشائه ابتداء ، وقد يتحقق باستعمال اللفظ المقصود وضعه في المعنى كما لو قال بهذا النحو جئني بالماء مشيراً إلى المائع المعروف فبهذا الاستعمال مع القرينة يحصل الربط بين اللفظ والمعنى ، ويفهم المعنى الذي استعمل فيه اللفظ » [1] .

وقد أورد على هذا الاسلوب بعدة ايرادات أهمها لزوم اجتماع اللحاظين الآلي والاستقلالي على ملحوظ واحد ، وقد قرب هو هذا الاشكال ، ودفعه بقوله : « وقد يشكل تحقق الوضع بهذا النحو » بـ « ان الوضع بهذا النحو يستلزم اجتماع اللحاظ الالي والاستقلالي في موضوع واحد ، وهو غير معقول » .

« بيان الملازمة هو ان استعمال اللفظ فى المعنى في مقام التفاهم به يستلزم لحاظ اللفظ آلياً ، وتوجه النفس اليه في مقام وضعه يستلزم ، لحاظه استقلالياً » .

« والجواب ان الملحوظ باللحاظ الاستقلالي في مقام الوضع هو طبيعي اللفظ كما هو

---

(١) بدايع الأفكار للاملي ص ٣٣ ج ١ .

واضح ، وأشرنا اليه والملحوظ باللحاظ الآلي في مقـام الاستعمال هو شخص المستعمل ، وعليه لايلزم في الوضع بالنحو المزبور اجتماع اللحاظين المتنافيين في موضوع واحد » [1].

والواقع ان هذا الاشكال لايندفع إلا على مبنى من يقول ان الوضع من نوع التعهـد والالتزام ، والاستعمال ، والتنصيص من مبرزاته [2] لأن استعماله للفظ يـكون إذ ذاك متأخراً رتبة عن أصل الوضع ، وتعدد اللحاظ مع اختلاف الرتبة لامحذور فيه .

وهذا خلاف ما أختاره في تحـديد الوضع حيث اعتبر استعمال اللفظ في المعنى مع القرينة من محققاته [3] لامن مبرزاته .

ومن البديهي — على هذا المبنى ـ ان اللفظ الذي استعمله هو نفسه الذي تولد وضعه بالاستعمال لاغيره ليصح تعدد اللحاظ بتعدده .

تقسيم الوضع بلحاظ المعنى :

وما دمنا قد انتهينا الى أن الواضع لابد له من تصور المعنى الموضوع له ، واللفظ الموضوع ، فان علينا أن نذكر ما انصبت عليه من تقسيمات بلحاظ كل منهما ، فمن تصوره للمعنى قسموا الوضع إلى اربعة أقسام :

١ — الوضع العام ، والموضوع له العام .

٢ — الوضع العام والموضوع له الخاص .

٣ — الوضع الخاص والموضوع له الخاص .

٤ — الوضع الخاص والموضوع له العام .

وقد عدها في الـكفاية ثلاثة لايمانه بامتناع القسم الرابع منها [*].

وتفصيل الحديث في هذه الاقسـام ان الوضع ، وهو ايجاد العلقة بين اللفظ والمعنى

---

(١) بدايع الافـكار للآملي ص ٣٤

(٢) يراجع المبنى المذكور في هامش أجود التقريرات لاستاذنا الخوئي ج ١ ص ١٢

(٣) بدايع الافـكار ج ١ ص ٣٣

(*) الـكفاية للخراساني ص ٥

يستدعي ان يلحظ الواضع ما يريد أن يضع له لامتناع الوضع للمجهول .

ولحاظه له تارة ينصب على نفس المعنى ، واخرى على وجه من وجوهه المعرفة له ، ولو على نحو الاجمال .

والمعنى الملحوظ بنفسه قد يكون عاماً ، وقد يكون خاصاً .

فاذا لاحظ المعنى العام ، ووضع له كان من النوع الاول اعني الوضع العام والموضوع له العام وامثلته اسماء الاجناس .

فالواضع عند ما لاحظ مدلول كلمة الانسان مثلاً لاحظه بما له من شمول ثم وضع لفظ الانسان بازائه .

وان كان ما لاحظه خاصا ، ثم وضع له اللفظ بما له من خصوصيات كان من النوع الثالث ـ اعني الوضع الخاص والموضوع له الخاص ـ .

اما اذا كان المتصور عاما واريد الوضع للجزئيات التي يصلح ان يكون ذلك العام عنوانا لها فهو من القسم الثاني ـ اعني الوضع العام والموضوع له الخاص ـ ومثلوا له بالحروف ، وما يشبهها من الأسماء كالضمائر ، واسماء الموصول ، والاشارة ،

وبالطبع ان معاني الحروف لا يمكن ان تتصور في قدر جامع لها ليوضع اللفظ بازائه لبداهة عدم امكان وجوده في الذهن مع محافظته على جانب ما له من دلالة حرفية .

لان الحروف لا توجد حتى في مجالات التصور الا بغيرها ـ على ما هو الصحيح في تعريفها [١] ـ ، ومع وجودها بالغير فهي جزئية متشخصة لا تصلح ان تكون قدرا جامعا لاستدعائه التجرد عن جميع المشخصات .

نعم ربما يستدل عليها بالمعاني الاسمية المشيرة لها ، والتي تصلح ان تكون من عناوينها ككلي النسبة في باب النسب ، وكلي الاشارة في باب الاشارة بأن يجعل وجها من وجوه تصورها يصحح وضع اللفظ على اساسه لجزئيات ذلك المعنى ـ اذا صح تسميتها بجزئياته ـ وتكون نسبة ذلك المعنى اليها نسبة العنوان الى معنونه لا نسبة الكلي الى مصاديقه .

(١) سيأتي في الباب الاول استعراض الاقوال في هذه المسألة ومناقشتها .

ومن البديهي ان العنوان من وجـوه المعنون فيكن تصوره اعنى المعنون بتصور العنوان ، وسيأتي في تحقيق معنى الحروف فى الباب الاول ما يستوعب الحديث فى هذا المجال .

وبهذا ندرك نوع التسامح الذي ورد في تعبير بعض الاعـلام عن المتصور في باب الوضع في الحروف بالقدر المشترك بدلا من التعبير عنه بالعنوان يقول « الامام عضدالدين الايجي في رسالة له في الوضع : « اللفظ قد يوضع لشخص بعينه وقد يوضع له باعتبار امر عام وذلك بان يعقل امر مشترك بين مشخصات ثم يقال هذا اللفظ موضوع لـكل واحد من هذه المشخصات بخصوصه دون القدر المشترك ، فتعقل ذلك المشترك الة للوضع لا انه الموضوع له فالوضع كلي ، والموضوع له مشخص وذلك مثل اسم الاشـارة ، فان هذا مثلا موضوعه ، ومسماه المشار اليه المشخص بحيث لا يقبل الشركة [1] » .

اما القسم الرابع ، او الذي عده بعضهم رابعا بدعوى دخوله في مجـالات التصور العقلية ، فالذي اقصاه عن مجال الحديث عدم وقوعه لو قلنا بامكان تصوره .

وتوهم الامكان نشأ من دعوى امكان ان يكون الخاص من وجوه العام فيمكن تصور العام تبعاً لتصوره باعتبار ان الخاص منطو على العام أو حصة منه فالانسان موجود في محمد مثلا مع زيادة التشخص فيه فأي مانع من جعله وجها من وجوهه أذن ؟

ولـكن هذه الدعوى لاتنطوي على اساس سليم لان تصور الخاص لايصلح ان يكون وجهاً لتصور العام .

والسر في ذلك ان تصور الخاص ان وقع على كل ماله من خصوصيات فقد تصور العام الموجود في ضمنه تفصيلا ويكون الوضع فيه اذ ذاك من النوع الاول اعني الوضع العام والموضوع له العام .

وان لم يتصوره بكل ما له من الخصوصيـات ، ولم يتعرف على العـام الذي في ضمنه

---

(١) المزهر ج ١ ص ٤٦ .

فكيف يمكن ان يضع له ، والوضع نوع من الحكم ، والحكم على المجهول لا معنى له اصلا فالقول بعدم امكانه اقرب ، وان بدا ممكن التصور في البداية .

تقسيم بلحاظ اللفظ :

وحساب اللفظ الذي يراد وضعه حساب المعنى من حيث لزوم تصوره قبل الوضع .

وتصوره ربما يكون بنفسه اي بمادته وهيأته ، وربما يكون باحدها المادة ، او الهيأة فقط .

والاول منهما يسمى بالوضع الشخصي ، والثاني بالوضع النوعي ، ولكل منهما حديث.

الوضع الشخصي :

فالوضع الشخصي كما ورد في تحديده على ألسنة بعض الاصوليين هو « وضع اللفظ بهيأته ومادته لمعنى »[1] .

ومثلوا له بالاسماء الجامدة اعلاماً كانت ام اسماء اجناس ؟ فالوضع في كلمة انسان مثلا ينطوي على تصور مادة الكلمة ، وهي (ا ، ن ، س ، ا ، ن) وهيأتها وهي الهيكل الذي تشكلت به هذه المادة من تقديم الالف على النون على السين . الخ ـ بما لها من حركات معينة .

وقد وضع نفس ما تصوره لكلي الحيوان الناطق .

الوضع النوعي :

اما الوضع النوعي فقد ورد في تحديده انه « وضع احد جزئي اللفظ ، وهما الهيأة ، أو المادة لمعنى »[2] .

ومن هذا التعريف ندرك ان الوضع النوعي على قسمين :

١ ـ وضع المواد

٢ ـ وضع الهيئات

(١) بدايع الافكار ص ٢٤ .

(٢) بدايع الافكار ص ٣٤ .

وتقريب النوعية في القسم الاول منها - اعني وضع المواد - ان المادة لما كان تصورها مجردة عن هيئاتها غير ممكن ، فلا بد من تصورها في هيأة ما ثم يجعل هذا التصور طريقاً الى وضعها لمعناها في أية هيأة وجدت فواضع كلمة مادة الضرب لابد ان يكون قد تصورها ضمن احد مشتقاتها كالمصدر مثلا ، ثم يجعل ذلك وسيلة الى وضعها لمعناها على مختلف ما تتخذ من هيئات كالضارب ، والمضروب ، وهكذا .

ولكن بعض المحققين اعتبر الوضع في هذا القسم من الوضع الشخصي « وتوضيح ما افاده (قدس سره) ان المادة المتألفة من الحروف المتقاطعة يمكن تصورها استقلالا بلا عروض هيأة عليها فتوضع في ذلك الحال لمعنى خاص ، وتكون من قبيل الوضع الخاص والموضوع له الخاص في جانب الموضوع له ، وان كانت قابلة بعد ذلك للتلبس بعدة هيئات »[1] .

وهذا المبنى متين جداً لو أمكن تصور المادة مجردة عن احدى الهيئات ، وفي حدود ادراكي لم استطع تصورها الا ضمن هيأة معينة لانك متى ما جمعت هذه الحروف الى بعضها في مجالات التصور كونت هيأة خاصة .

اما تصوير النوعية في وضع الهيئات فأمره اوضح لان الهيأة غير قابلة للتصور بنفسها « بل انما يصح تصورها في مادة من مواد اللفظ كهيأة كلمة ضرب مثلا وهي هيأة الفعل الماضي فان تصورها لابد ان يكون في ضمن الضاد ، والراء ، والباء ، او في ضمن الفاء ، والعين ، واللام في فعل » .

« ولما كانت المواد غير محصورة ، ولا يمكن تصور جميعها فلا بد من الاشارة الى افرادها بعنوان عام فيضع كل هيأة تكون على زنة فعل مثلا او زنة فاعل ، او غيرها ، ويتوصل الى تصور ذلك العام بوجود الهيأة في احدى المود كمادة فعل التي جرت الاصطلاحات عليها عند اهل العربية »[2] .

---

(١) مصابيح الاصول ص ٣٨ ج ١ .
(٢) اصول الفقه المظفر ج ١ ص ٢٢ .

ويكون هـذا النوع من الوضع كالوضع العام والموضوع له الخاص بالنسبة للمعنى الموضوع له .

تقسيم الوضع النوعي :

وقد قسموا الوضع النوعي فى الهيئات الى قسمين :

١ ـ وضع الهيئات في المفرد .

٢ ـ وضع الهيئات التركيبية .

ومثلوا للاول منها بوضع الهيئات في المشتقات ، وللثاني بوضع الهيـأة التركيبية بين المبتدأ والخبر لحمل شيء على شيء ووضع تقديم ما حقه التأخير في افادة الاختصاص ، وهكـذا.

وقد تساءلوا بعد ذلك عن وجود وضع آخر اسموه بوضع المركبات ، او الجمل وراء وضع الهيئات ، وقد نفاه كل من الرازي ، وابن الحاجب [1] « قالوا ليس المركب بموضوع والا لتوقف استعمال الجمل على النقل عن العرب كالمفردات » [2] .

« ورجح القرافي والتاج السبكي وغيرهما من أهل الاصول انه موضوع لان العرب حجرت في التراكيب كما حجرت في المفردات » [3] .

والذي عليه جل من نعرف من الاصوليين المحدثين انكار مثل هـذا الوضع لايمانهم بعدم الحاجة الى الالتزام بوضع زائد على ما تنطوي عليه الجملة من مواد وهيئات استوفاها الوضعان الشخصي والنوعي .

فالقول بان الجملة موضوعة بوضع جديد وراء اوضاع مفرداتها ، وهيئاتها لا يعرف له وجه .

ودعوى ان العرب حجرت في التراكيب كما حجرت في المفردات صحيحة جداً ولـكنها لا تفيد اكثر من حضرها استحداث هيئات تركيبية جديدة .

وهذا اجنبي عن المدعى ، وهو وجود وضع للجمل زائداً على وضع المفردات ، والهيئات.

(١) المزهر ج ١ ص ٤٠ .

(٢) المزهر ج ١ ص ٤٠

(٣٤) المزهر ج ١ ص ٤٠ .

وقد حول العلامة المظفر النزاع بين الاعلام الى نزاع لفظي بعد ان وجه كلام كل منهما بما لا يتنافى مع الاخر « يقول : ولعل من ذهب الى وضعها ـ يعنى الجمل ـ اراد به وضع الهيئات التركيبية لا الجملة باسرها بموادها ، وهيئاتها زيادة على وضع اجزائها فيعود النزاع لفظياً » [1] .

وهذا التوجيه لا يبعد ان يكون مراداً للقائلين بالتركيب ، وليس في كلامهم ما يأباه وان لم يدل عليه بظاهره .

الوضع وعلقة المجاز :

ومما فرع على الوضع النوعي رأى الجمهور في « ان المجـاز موضوع بالوضع التأويلي النوعي ، وان صحته متوقفة على نقل النوع من دون حاجة الى نقل الاحاد » [2] .

وذلك بان « تنص العرب نصاً كلياً على جواز اطلاق الاسم الحقيقي على كل ما كان بينه وبينه علاقة ، منصوص عليها من قبلهم » [3]

والعلاقة التي ادعي انها منصوصة بلغ بها القدامى الى خمس وعشرين علاقة ، وبلغ بها السيد الى احدى وثلاثين [4] .

وقد استعرض منها الرشتي ما ذكره القدامى ، ومثل له نذكرها بشيء من التصرف .

١ ـ تسمية الشيء باسم سببه نحو رعينا الغيث .

٢ ـ تسمية الشيء باسم مسببه نحو امطرت السماء نباتاً .

٣ ـ تسمية الكل باسم جزئه كتسمية الربيئة بالعين .

٤ ـ تسمية الجزء باسم كله كتسمية الانامل في الاية باسم الاصابع .

٥ ـ تسمية الشيء باسم ما كان عليه كتسمية البالغين باسم اليتامى في القرآن الكريم .

---

(١) اصول الفقه ج ١ ص ٢٣ .

(١) شرح الكفاية للرشتي ص ١٤ ج ١

(٣) احكام الاحكام للامدي ج ١ ص ٢٧ .

(٤) شرح الكفاية للرشتي ص ١٥.

٦ـ تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه كاطلاق الخمر على العنب في قوله تعالى اني اراني اعصر خمراً .

٧ ـ تسمية الشيء باسم محله كقوله تعالى فليدع ناديه .

٨ ـ تسمية المحل باسم الحال فيه كاطلاق رحمة الله على الجنة في القرآن الكريم .

٩ ـ تسمية الشيء باسم آلته كاطلاق اللسان على الذكر الحسن .

١٠ ـ تسمية الشيء باسم المشبه به كاطلاق الاسد على الرجل الشجاع .

١١ ـ تسمية المقيد باسم المطلق كاطلاق كلمة اليوم على يوم القيمة .

١٢ ـ تسمية المطلق باسم المقيد كاطلاق العلم على القدر الجامع بين اليقين ، والاعتقاد الراجح .

١٣ ـ اطلاق اسم الملزوم على اللازم كاطلاق كثير الرماد على الجواد .

١٤ ـ اطلاق اسم اللازم على الملزوم كاطلاق شد الازار على اعتزال النساء .

١٥ ـ استعمال الخاص في العام كاطلاق النحويين مثلا وارادة مطلق العلماء .

١٦ ـ استعمال العام ، وارادة الخاص كاطلاق العلماء وارادة خصوص النحويين منهم .

١٧ ـ حذف المضاف تجوزاً كسؤال القرية ، وارادة اهلها ،

١٨ ـ حذف المضاف اليه كقوله :انا ابن جلا أي ابن رجل متصف بكونه جلا .

١٩ ـ اطلاق الشيء وارادة مجاوره كما في نحو جرى الميزاب .

٢٠ ـ ذكر المبدل ، وارادة البدل نحو فلان اكل الدم أي الدية التي تعطى بدله .

٢١ ـ استعمال النكرة المثبتة في العموم نحو قوله تعالى علمت نفس ما احضرت .

٢٢ ـ استعمال المعرف باللام في المفرد نحو ادخلوا الباب .

٢٣ ـ الحذف في غير ما ذكر نحو قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا أي لئلا تضلوا .

٢٤ ـ الزيادة نحو قوله تعالى ليس كمثله شيء .

٢٥ ـ استعمال الضد في الضد نحو فبشرهم بعذاب اليم أي فانذرهم .

والذي يبدو من استعراض هذه الاقسام انهم ارادوا بالمجاز هنا المجاز بمفهومه العام الذي يتسع للمجاز في المفرد ، والنسبة ، والكناية واوقفوا صحة الاستعمال في الجميع على النقل ، والزموا بالتقيد في مجالات الاستعمال بها أو بما يصح نقله من غيرها ، ولم يرخصوا باستحداث علائق جديدة .

ولكن بعض محققي الاصوليين [1] انكروا أن يكون المصحح للاستعمال هو النقل ، واعتبروا للطبع دوره في احداث هذه العلائق واستحداث نظائرها حتى بالنسبة إلى الذين استعملوها من العرب ، أو غيرهم .

ومن هنا اختلفت العلائق باختلاف طباع الناس ، واذواقهم لان الذوق يتأطر غالباً بالاطر الزمانيةوالمكانية ، ويتأثر بها ، وما اكثر ما يستمد واقعه من محتوياتها الحضارية.

ولهذا رأينا ان كثيراً من الاستعارات التي كانت تستاغ في يوم ما ويتذوقها الرأي العام لم تعد لها اليوم مكانتها السابقة ، وربما هجرت نهائياً في السنة البلغاء اليوم وما نستسيغه اليوم منها قد لا يستسيغه ابناؤنا غداً ، وهكذا .

فلو كان المنشأ في تحديد العلائق هو الوضع لما كان لنا التصرف بها سائغاً بحال ولاعتبرت الاستعمالات الخارجة عن اطارها غلطا لا يمكن الركون اليه ، وهذا ما يأبى الايمان به ما حفل به تاريخ النقدالأدبي من تسجيل التطورات البلاغية عبر العصور ، وعدم التقيد بما وجدوه من علائق مأثورة .

فالتقيد بعدد العلائق ، وبنوعية خاصة منها لا يستند على اساس علمي .

مصادر العلم بالوضع :

وهذا البحث من اهم ما حفلت به بحوث المدخل من اصالة وعمق ، وعلى الاخص ما ورد منه على السنة المتأخرين من اعلام الاصوليين ، وثمراته في المجالات اللغوية من اوسع الثمرات .

(١) راجع الكفاية للخراساني وغيره من المتأخرين .

وحسبه ان يوفر الركائز الاساسية للتعرف على المداليل اللغوية، وتمييز ما وضع منها، او استعمل مجازاً، ويضعها امام الباحثين من ارباب المعاجم اللغوية وغيرهم.

وخلاصة ما ذكروه ان مصادر العلم بالوضع اربعة:

١ — تنصيص الواضع.

٢ — التبادر.

٣ — صحة الحمل وعدم صحة السلب.

٤ — الاطراد.

تنصيص الواضع:

ويراد به تصريح الواضع «بان اللفظ الفلاني موضوع للمعنى الفلاني [١]».

وربما استفيد التنصيص من الجمع بين نصين له بحكم العقل كما اذا قال الواضع «إن الجمع المعرف يدخله الاستثناء، وقال إن الاستثناء اخراج ما يتناوله اللفظ، «فحينئذ يستدل بهذين النقلين على ان صيغ الجمع للعموم [٢]».

والنص من قبل الواضع قد يسمع مشافهة كما هو الشأن في كثير من الاوضاع التي تنهض بها المجامع اللغوية اليوم.

وقد يستدل عليه باحدى وسائل التأدية الموجبه للعلم، او للوثوق، والاطمئنان كما هو الشأن في النقل المتواتر، ونقل الثقات من الاحاد.

وحجية النقل المتواتر اوضح من ان يتحدث عنها لانتهائها إلى العلم بالوضع والعلم من الحجج الذاتية التي لا تقبل التشريع في رفعها بحال.

اما الاحاد فقد اعتبروا في حجيتها شروطاً اختلفوا في عددها قلة وكثرة حتى وصل بها الزركشي إلى خمسة [٣].

(١) القوانين المحكمة ص ١٣ ج/١.

(٢) المزهر ص ٥٧ ج ١ نقلا عن المحصول.

(٣) المزهر ص ٥٨ ج ١ نقلا عن البحر المحيط.

والضابط الذي اعطاه ابن الانباري للصحيح من اللغة كما يؤخذ من كلامه هو : « ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه على حد الصحيح من الحديث [1] ».

والمقياس الذي انتهينا اليه في الحجية هو : وثاقة الناقل وخبرته ، وهما كافيان في تحصيل الاطمئنان بسلامة ما يؤديه من نقل ، وهو اساس الحجية في مثلها .

اما العدالة التي اعتبرها ابن الانباري فليس لدينا ما يلزم بها من الادلة .

ولنا في كتاب (الاصول العامة للفقه المقارن) حديث حول اعتبار هذا الشرط وعدمه [2] يمكن الرجوع اليه لتبين وجه المسألة فيه .

التبادر :

اما التبادر ـ وهو المصدر الثاني للعلم بالوضع ـ فقد جاء في تحديده كما في حقائق الاصول انه ، « عبارة عن انسباق المعنى من اللفظ بحيث يكون سماع اللفظ موجباً لحضور المعنى في الذهن [3] » .

والغرض ـ فيما يبدو ـ من ذكر هذا القيد (بحيث يكون) اخراج ما إذا كان الانسباق وليد قرينة خاصة تتصل باللفظ لا من اللفظ نفسه .

والسر في دلالته على العلم بالوضع اذ هذا الانسباق لا بد له من سبب ، والاسباب المتصورة لا تخرج في واقعها عن اربعة :

١ ــ الترابط الذاتي بين اللفظ والمعنى .

٢ ــ الوضع واقعاً .

٣ ــ القرينة .

٤ ــ العلم بالوضع .

(١) المزهر ج ١ ص ٥٨ .

(٢) الاصول العامة للفقه المقارن ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٣) حقائق الاصول ج ١ ص ٤٢ .

فاذا فرض ان الترابط الذاتي لا اساس له كما سبق شرحه ، والوضع بوجوده الواقعي لا يسبب الانسباق إلى المعنى الموضوع له ، وإلا لكان مجرد وجوده في الواقع كافياً للعلم به لدى كل احد وهو ضروري البطلان ، والقرينة مفروض عدمها .

فاذا امتنعت هذه الاسباب الثلاثة لاحداث الانسباق تعين السبب الرابع ، وهو العلم بالوضع .

والظاهر ان جل الرادة الاوائل من علماء اللغة كان يعتمدون هذا المصدر من اهم مصادرهم لتشخيص المعاني الحقيقية للالفاظ ، وعلى الاخص هؤلاء الذين كانوا يجوبون البوادي في سبيل التماس الالفاظ اللغوية ، وتشخيص مداليلها الحقيقية إذ لا وسيلة لهم في الغالب إلا هذا النوع من الانسباق .

والا فمن البعيد جداً ان يسألوا الاعرابي مثلا عن معنى الراوية وهم يرون استعمالها لديه في معناها مجردة عن القرينة وتبادر معنى الجمل منها لدى سامعيها .

بل لا طريق للاعرابي إلى العلم بالوضع ـ لو قدر له ان يسأل ـ إلا هذا النوع من التبادر الناشيء عن اخذه اللغة من ابويه تلقيناً ، ومحاكاة غير واعية توجب له مثل هذا الانسباق.

وبهذا ندرك أن التبادر الذي يفيد العلم بالوضع على نوعين :

أولهما : التبادر الذي يحصل لأهل اللغة أنفسهم ويشهده المستعلم فيحكم على أساس تبادرهم بالوضع بعد إحرازه ان التبادر كان من اللفظ لامن قرينة ويحصل ذلك بتكرر الاستعمال في حالات مختلفة ومشاهدته له .

ثانيهما : التبادر الذي يحصل للانسان نفسه شريطة أن يكون من أهل اللغة أو ممن مارسها ممارسة طويلة .

وقد أورد على النوع الثاني من التبادر بلزوم الدور ، وقربه في الكفاية ثم دفعه بقوله « لايقال كيف يكون علامة مع توقفه على العلم بأنه موضوع له ـ كما هو واضح ـ فلو كان

(١) الكفاية ج ١ للخراساني ٩ .

العلم به موقوفاً عليه لدار فانه يقال الموقوف عليه غير الموقوف عليه فان العلم التفصيلي بكونه موضوعاً له موقوف على التبادر وهو موقوف على العلم الاجمالي الارتكازي به لا التفصيلي فلا دور » .

وكأنه يريد من العلم الاجمالي الارتكازي ذلك الترابط بين اللفظ والمعنى الذي يقوم في أعماق الانسان نتيجة لتكرر سماعه لهذا النوع من الاستعمال كما هو الشأن في الاطفال الذين يحدث هذا النوع من الترابط بين الألفاظ ، والمعاني في نفوسهم دون أن يدركوا السر فيه .

فالترابط الارتكازي في الحقيقة هو السر في أحداث التبادر ، والانسياق ، وما يحدثه التبادر هو العلم التفصيلي بالوضع ، وبهذا يتضح اندفاع الدور لأن ما توقف عليه التبادر هو الترابط الارتكازي لا العلم بالوضع ، وان اسمي بالعلم بالوضع تسامحاً ، والذي توقف على التبادر هو العلم التفصيلي بالوضع فأحدهما غير الآخر بداهة ، ومع اختلافهما حقيقة يرتفع الدور .

ومن الجدير بالذكر أن ننبه على ان تبادرنا نحن لايكشف عن وضع الكلمة فيأصل اللغة للمعنى المتبادر ، وغاية ما يكشف عنه ان اللفظ مستعمل في المعنى الحقيقي في عرفنا اليوم ، ولذلك احتاجوا إلى ضميمة اصالة عدم النقل لتصحيح نسبة معنى الكلمة المتبادرة إلى العرب السابقين .

كما ان هذا الأصل يحتاج اليه حتى أمثال الأصمعي من الرادة الأوائل لاثبات ان الكلمة المتبادرة لديه لا تحمل معنى حادثاً وضعه الأعراب المحدثون الذين أخذ عنهم مدلول هذه الكلمة من طريق التبادر .

صحة الحمل وعدم صحة السلب

ويراد بصحة الحمل : أن يوضع المعنى الذي يراد استكشاف وضع كلمة ما له موضوعاً

ثم تحمل عليه الكلمة بما لها من معنى مرتكز ، أو تسلب عنه فاذا صح الحمل ، ولم يصح السلب كشف ذلك عن وضع الكلمة له .

فاذا شككنا مثلاً في وضع كلمة انسان لمدلول كلمة بشر نأتي بكلمة بشــر فنجعلها موضوعاً ونحمل عليها كلمة انسان ، أو نسلبها عنها فنقول البشر انسان ، أو ليس بانسان فاذا صح الحمل ولم يصح السلب حكمنا بالوضع وإلا فلا .

وهذه الدعوى سليمة جداً ، ولكن على سبيل الموجبة الجزئية وتفصيل الحديث فيها ان العلماء قسموا الحمل إلى قسمين :

١ — الحمل الأولي الذاتي :

وأرادوا به : حمل شيء على شيء متحد معه مفهوماً ، ويسمى بحمل (هو هو) لأن أحدها عين الآخر من جميع الجهات إلا من ناحية الغموض والخفاء المصححة للحمل ، ويقع غالباً في الحدود التامة ، وفي حمل أحد المترادفين على الآخر .

٢ — الحمل الشايع الصناعي:

ويراد به : حمل شيء على شيء آخر متحد معه وجوداً كحمل الكليات على أفرادها ، وسمي بالحمل الشايع الصناعي لشيوعه في أكثر أقيسة الصناعات ، وبراهينها .

وصحة الحمل الكاشفة عن الوضع انما هي في خصوص القسم الأول أعني الحمل الأولي الذاتي .

اما الحمل الشايع الصناعي فلا يكشف عن أكثر من صدق المحمول على موضوعه حقيقة وهذا مايقتضيه الاتحاد الخارجي بينهما لا الوضع لأن ملاكه الاتحاد المفهومي وهو غير متوفر في الحمل الشايع كما هو واضح .

نعم ربما « يستعلم منه تعيين حال الموضوع له مثلما إذا كان الشك في وضعه لمعنى عام أو خاص كلفظ (الصعيد) المردد بين أن يكون موضوعاً لمطلق وجه الأرض ، أو لخصوص التراب الخالص فاذا وجدنا صحة الحمل ، وعدم صحة السلب بالقياس إلى غير التراب الخالص

من مصاديق الأرض يعلم بالقهر تعيين وضعه لعموم الأرض »[1] .

بقي شيء أورد به على هذا المصدر للعلم بالوضع هو لزوم الدور بنحو ما أورد على المصدر السابق والجواب عليه هو نفس ذلك الجواب فلا نطيل بعرضه اشكالاً ومناقشة .

الاطراد :

والمراد به أن يتعدد استعمال اللفظ في المعنى المشكوك وضعه له مجرداً عن جميع الخصوصيات التي يحتمل دخلها في صحة الاستعمال .

فاذا اطرد كشف عن وضعه لذلك المعنى بنحو ما يكشف عنه التبادر وصحة الحمل ولعل الكثير من اكتشافات اللغويين انما تستند إلى هذا المصدر بالذات .

وقد ذكروا بعض الإيرادات على مصدرية الإطراد لا نراها واردة على ما اخترناه من التعريف فلا حاجة إلى إيرادها ومناقشتها .

أما بعد فهذه أهم البحوث التي عرضوها فيما يصلح أن يكون مدخلاً لعلم اللغة ، وهناك بعض البحوث التي تتصل بهذا المدخل من جهة ، وبالباب الأول من جهة أخرى آثرنا ارجاءها إلى الباب الأول والسلام عليكم ورحمة الله .

النجف الأشرف / ٢٥ رجب / ١٣٨٥ هـ .

(١) اصول الفقه للمظفر ص ٢٧ ج ١ .

مصادر البحث

الاحكام في أصول الاحكام للامدي

أجود التقريرات للسيد أبي القاسم الخوئي

الأصول العامة للفقه المقارن للمؤلف

أصول الفقه للخضري

أصول الفقه للشيخ محمد رضا المظفر

إنطباعاتي من محاضرات الأستاذ الحلي (مخطوط) للمؤلف

بدايع الافكار للاملي

الترادف والاشتراك للمؤلف

حقائق الأصول للسيد محسن الحكيم

الخصائص لابن جني

شرح الكفاية للشيخ عبد الحسين الرشتي

فوائد الأصول للشيخ محمد علي الكاظمي

القوانين المحكمة للمحقق القمي

الكفاية للشيخ محمد كاظم الخراساني

المزهر للسيوطي

التعقيبات

الأستاذ الشيخ محمد علي النجار : أشكر الأستاذ الجليل على بحثه الجليل البالغ الغاية في الدقة وأود أن ألاحظ ما يأتي :

١ — يذكر الأستاذ أن الوضع اختصاص اللفظ بالمعنى أو نحو ذلك ، وعلى ذلك فالوضع من مقولة الانفعال في نظره . والمعروف أن الوضع اللفظي هو تعيين اللفظ بإزاء المعنى . فأنا إذا وضعت لفظ علي لابني فقد جعلت هذا اللفظ موازياً لذات ابني ومساوقاً لها . وينشأ عن ذلك الاختصاص بين اللفظ والمعنى والترابط بينهما . فالاختصاص نتيجة الوضع وليس إياه . وعلى ذلك فالوضع — كما يشعر به لفظه — من مقولة الفعل .

٢ — ويذكر الأستاذ في كلامه على نشأة اللغات أن الانسان الأول كان كالأخرس وأخذ يتعلم اللغة بمحاكاة أصوات الحيوانات وغيرها ، أو نحو ذلك .

والانسان الأول هو آدم أبو البشر فهل كان أخرس .. وكيف هذا وقد علمه الله الأسماء ثم عرضها على الملائكة كما تدل عليه الآية الكريمة .

الحق أن هذه الفكرة — في نظري — بعيدة عن الأفكار الدينية .

٣ — وبعد فلي كلمة أقولها في جهد الأستاذ في أقسام الوضع ودقائقه وذكره لها على أنها من مقدمات الأصول اللازمة للفقيه في استنباط الأحكام ، وهي فلسفة نظرية أتتنا من قبل الأعاجم الذين دققوا في هذه الأمور ، وقد كان قبل نظرهم في هذه الأمور فقهاء فحول وأئمة طاع لهم أمرهم من غير نظر في هذه المعلومات وقد أصبحنا نتخفف منها في دراستنا .

وأخيراً أشكر الاستاذ الجليل وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى الصواب .

الأستاذ محمد تقي الحكيم : يسرني أن أشكر الأخ على ملاحظاته التي تفضل بها ويبدو

لي أن قسماً قد أجيب عليه في نفس المحاضرة لحين عرفت الوضع بالاختصاص قلت ان هذ التعريف جمع كل وجهات نظر المعرفين للوضع على اختلاف مدارسهم جمع بين رأي عباد بن سليمان في الترابط الذاتي ورأي من ذهب إلى القول بالوضع التعيني وهو نوع من الاختصاص وليس نوعاً من التخصيص والمسألة مسـألة اصطلاح وتحديد هذا المصطلح لا يلتئم إلا مع معنى الوضع الذي هو من مقولة الانفعال ، أما من ناحية نشأة اللغة فقد أجبت عليها في المحاضرة حيث قلت : ان الآية لو كان قصدها نشأة اللغة لاستمسك بها ولـكنها لم ترد لهذه الناحية ولـكن لإعطاء معجزه لآدم أمام الملائـكة في انبائهم بأسمائهم ، والحديث عن أبناء آدم وفي عصورهم البدائية .

وفي الحقيقة لا نستطيع أن تقول ان هذه الآية واردة في نشأة اللغات ولا يجوز أن نتمسك بها لغير ما سيقت له على أن التفسير الذي ورد عن أبي علي لها في أن الله أقدر آدم على أن يواضع تـكفي لصرفها عن ظاهرها .

أما هذه التقسيمات التي نسبها إلى الأعاجم فالذي أظنه ان قائلها ليس من الأعاجم وقد ذكرنا مصدرها من قدامى الأصوليين ومتأخريهم مع ان العلم لا يعرف جنسية معينة ولا يعرف أعاجم أو أعراباً فنحن نأخذ الشيء الصحيح من قائله عربياً كان أو فارسياً بل ومن الانجليز او الأمريكان او الروس ونترك غير الصحيح وان كان قائله عربياً .

والشيء الذي نقوله لفضيلة الشيـخ هب أنك أنت الواضع فماذا تصنع إذا أردت أن تضع فهل تتصور ما وضعتـه أو لا تتصوره فان لم تتصوره فـكيف تحـكم على المجهول والحـكم على المجهول مستحيل . وإذا تصورته فهل تتصور معنى عاماً أو خاصا فان تصورت المعنى العام ووضعت له كان من القسم الأول وهـكذا فاذن أنت لابد أن تسير فى واقعك ضمن هذه الأقسام وهذه حقيقة يصدر عنها الواضعون حتما ، اما دخل هذه التقسيمات في مجالات الاستنباط فأنا لم أقل أنها دخيلة ولذلك اعتبرتها من بحوث المدخل وشرحت وجه الحاجة اليها ، وأرجو أن أوفق الى وضعها بين أيديكم قريبا .

وشكراً للأستاذ المناقش على ما تفضل به من مناقشة جميلة .

انتحال الالفاظ المولدة وإقرار الصالح منها

للأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

عند ما نراجع المعجمات العربية قديمة كانت أو حديثة نجد أن قسما من الفاظها قد اشير اليه بكلمة مولد ، أو بأنه ليس من كلام العرب ، أو بأنه من كلام المولدين . فمن هم العرب ومن هم المولدون الذين يشار اليهم بهذه الكلمات واشباهها ؟

من المعروف أو من المتواضع عليه ان فصحاء العرب الذين يوثق بعربيتهم ويقبل كلامهم الموضوع ويستشهد به هم عرب الجاهلية وصدر الاسلام إلى أواخر القرن الثاني الهجري في الامصار ، وإلى أواسط القرن الرابع في الجزيرة العربية . فمن عاشوا بعد هذه التواريخ وتعلموا العربية بالصناعة يسمون « المولدين » ، فلا يستشهد بكلامهم في لغة ولا نحو ، ويستشهد به في البلاغة ، لأن البلاغة ترجع إلى الذوق العام أو الخاص ، وهو متكامل عند بلغاء كل زمان على ما قاله الشيخ احمد الاسكندري رحمه الله (١) .

وفي لسان العرب يسمى الكلام مولداً إذا كان مستحدثاً ولم يكن من كلامهم فيما مضى . والمولد انواع : منها ما اشتقه المولدون على اساليب القياس العربي كاشتقاقنا مثلا من الاعيان افعال « كهرب » من الكهربا ، « ونشّى » من النشا ، و« بلر » او « بلور » من «البلور» .. الخ وكالاشتقاق ايضاً من اسماء المعاني ومنها المصادر ، فهذه المشتقات في القديم كثيرة وقد اشتققنا في زمننا هذا فقلنا مثلا « المستشفى » من الاستشفاء ، « والمتحف » من الاتحاف و« الجامعة » من الجمع ، « والمبذر » من البذر ومثل ذلك كثير .

ومن انواع المولد الفاظ نقلت من معناها الاصلي إلى معنى علمي ، وهي كثيرة رجعوا

(١) انظر بحثاً للشيخ أحمد الاسكندري في الجزء الاول من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، كتبه احتجاجاً لقرارات أصدرها المجمع ومنها قرار في المولد من الكلام (ص ٢٠٢ — ٢٠٤) .

فيها إلى المجاز وضمنوها معاني علمية جديدة فاغتنت العربية بها . وكلنا عرف في ايامنا هذه بعض الفاظ مجازية ضمنت جديداً من المعاني كالقطار والسيارة والمدرعة والغواصة والمطبعة الخ .

ومن انواع المولد أيضاً معربات كثيرة نقلت إلى لساننا بعد صدر الاسلام ، وهي مئات بل الوف من الألفاظ مبثوثة في الكتب العلمية القديمة والحديثة . ونحن اليوم نستعمل عدداً كبيراً من المعربات المولدة التي خلت منها المعجمات العربية القديمة .

وأخيراً من انواع المولد الفاظ ارتجلها المولدون ولا أصل لها في اللغة . والفاظ حرفت من اللغة الصحيحة ولا يمكن تخريجها على احد اصول اللغة . وكلا القسمين يسمى العامي أو الدارج .

فمثال القسم الاول في الشام «القنعرة» أي التعاظم و«الكرفتة» أي الاسقاط . ومثال القسم الثاني قول العامة «قمز»، والصحيح «قفز»، وقولهم «كبتل الشيء»، والصحيح «كتله» الخ .

ومن الواضح ان هذا النوع الاخير من المولد لا يمكن عده صحيحاً . اما الانواع الاخرى المقيسة على القواعد العربية فيمكن النظر في عد الكثير منها الفاظاً صحيحة يجب ان ندخلها في معجماتنا الحديثة .

وعلى هذا كان مجمع اللغة العربية اصدر في اول اجتماع له سنة ١٩٣٤ القرار الآتي :

المولد : هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب وهو قسمان :

١ — قسم جروا فيه على اقيسه كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك . وحكمه انه عربي سائغ .

٢ — وقسم خرجوا فيه عن اقيسة كلام العرب اما باستعمال لفظ اعجمي لم تعرّبه العرب وقد اصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره . واما بوضع اللفظ ارتجالا . والمجمع لا يجيز النوعين الاخيرين في فصيح الكلام . وقرار التعريب الملمع اليه في قرار المولد هو :

« يجيز المجمع ان يستعمل بعض الألفاظ الاعجمية - عند الضرورة - على طريقة العرب في تعريبهم » .

وواضح ان المجمع قد أجاز التعريب أي أجاز هذا النوع من التوليد . ولكنه حصره بالضرورة أي إذا لم يكن من المستطاع العثور على ألفاظ عربية أو اشتقاق الفاظ عربية بطريق الحقيقة أو بطريق المجاز . وكلتا (عند الضرورة) فيها مجال للأخذ والرد ، فما يراه زيد ضرورة لا يراه عمرو كذلك . وقلت - في كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية -: « اعتقد ان المجمع الموقر قصر الضرورة على بعض المصطلحات العلمية التي لا مندوحة لنا عن تعريبها كأسماء نباتات منسوبة إلى اعلام أو اسماء عناصر ومركبات كيماوية مثلا ، وعلى بعض مصطلحات الحضارة مثل «السينما» و«الترام» و«الفلم» واشباهها من الكلمات الخفيفة على السمع التي جرت على الالسنة وأمسى من الصعب على الجمهور ان يهضم كلمات عربية مشتقة تقوم مقامها .

والخلاصة ان المولد من حيث اما كنه اقسام : قسم ورد ذكره في المعجمات العربية القديمة ، وأشير اليه بأنه مولد ، وقسم ثان لم يرد ذكره في المعجمات القديمة ولكنه ذكر في كتب قديمة مختلفة ، وقسم ثالث وضع حديثاً وما يزال يوضع في ايامنا هذه .

والكتاب فرقاء : فريق متشدد أي محافظ يتورع عن استعمال كلمات مولدة قديمة لم ترد في المعجمات على حين أنها قد تكون من النوع الصالح للاستعمال ، وفريق متساهل يستعمل الكلمات الصالحة المذكورة ، وفريق ثالث لا يميز الكلمات الصالحة من غير الصالحة فيستعملها على السواء ، أو يؤثر السلامة من النقد فيكف عن استعمالها جميعاً .

وكثيراً ما بحث الادباء والعلماء في الكلمات المولدة التي لم ترد في معجماتنا القديمة ، وفي ضرورة انتخالها وإقرار الصالح منها وادخاله في المعجمات العربية الحديثة .

ومن البحوث القديمة فيها بحث كان المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي نشره في المجلد الثامن (سنة ١٩٢٨ ص ٢٩) من مجلة المجمع العلمي العربي بعنوان : « الكلمات غير

القاموسية » أي الـكلمات التي لم ترد في معجماتنا العربية ، فصنفها سبعة اصناف ، وسأل اعضاء المجمع عما يجب استعماله أو يجب اهماله من كلمات كل صنف . وقـد لخص الاسئلة والاجوبة في المجلد الثاني عشر من المجلة (سنة ١٩٣٢ ص ٥٢١ و ٥٧٢) وهذه الاصناف في نظره هي :

الصنف الاول ـ كلمات عربية قحة لم تذكرها المعاجم ، لـكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يحتج بأقوالهم ، مثل كلمة «تبدّى» بمعنى ظهر ، وقد وردت في بيت من الشعر لعمرو بن معدى كرب في ديوان الحماسة . والبيت هو :

وبـــدت لميس كأنها ... بدر السماء إذا تبدّى

الصنف الثاني ـ كلمات عربية وردت فى كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتج باقوالهم كفعل « اقص الخبر » بمعنى« قصه» الوارد فى قول المؤرخ (الطبري) ومثل كلمتي (نخيم) و (صدفة) فى قول العلامتين (اليازجي) و (محمد عبده) .

الصنف الثالث ـ كلمات عربية اصطلاحية ولدها رجال العلوم والفنون والصناعات لايعرفها اهل اللسان كقولهم« ميزانية » و « كيفية » و « كمية » و « هيأة المحكمة» و « انعقدت الجلسة » و « تعريفة الرسوم » .

الصنف الرابع ـ كلمات عربية المادة ولدها العرب الاسلاميون من مادة عربية الاصل مثل « خابره » من الخبر و « تفرج » من الفرج ، و « احتار »من الحيرة « وتنزه » من التنزه الخ .

الصنف الخامس ـ المعرب أو الـكلمات المولدة بالتعريب ... ومنه الخفيف على اللسان نحو كلمة « فلم» وهو شريط السينما ، ومنه الثقيل نحو كلمة « أتوموبيل »و« برصوناليته »

الصنف السادس ـ أساليب أو تراكيب ذات معان اعجمية الاصل ، وقد تسربت إلى لغتنا العربية مترجمة عن اللغات الاجنبية ، ولا عهد للعرب الاقدمين بها ، وهذا كقولهم : « ذر الرماد فى العيون » و « عاش ستةعشر ربيعاً » و « وضع المسألة على بساط البحث » و « ساد الامن فى البلاد » ونظير ذلك .

الصنف السابع ـ العامي : وهو الكلمات التي تدور على افواه العـامة ولا يستعملها الفصحاء بل يتحاشون النطق بها، مثل «بدّي اذهب» ، « جيب الكتاب » ، « تعربش على الشجرة » ، « تحركش بفلان » .

هذه هي اصناف المولد السبعة التي كان الاستاذ المغربي اقترح على اعضاء المجمع العاملين والمراسلين الاجابة عنها . وقد اجاب بعضهم ونشرت اجوبتهم في المجلة وهم : معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي ، والشيخ احمد الاسكندري ، والاب انستاس ماري الكرملي ، واسعاف النشاشيبي ، واحمد امين ، والشيخ مصطفى الغلاييني ، والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ كامل الغزي ، ونقولا فياض ، والشيخ احمد رضا ، ورشيد بقدونس ، وقسطاكي الحمصي ، والشيخ سليمان ظاهر ، والشيخ عبدالحميد الجابري ، وادوار مرقص رحمهم الله جميعاً ، وعارف النكدي اطال الله بقاءه .

وخلاصة ما استخلصه المرحوم المغربي من الاجوبة : « ان العامي لا يجوز استعماله في اللغة التي يتخاطب بها الخواص ، ولا تدوينه باعتبار انه لفـظ عربي . اما سائر الاصناف فتقبل وتستعمل وتدون بشيء من التحفظ والاحتياط في الصنف الثالث ـ وهو الكلمات الاصطلاحية ـ والصنف الرابع ـ وهو الكلمات المولدة ـ والصنف الخامس ـ وهو الكلمات المعربة ـ ، فيحسن في هذه الاصناف الثلاثة استعمال ما يقوم مقامها من اللغة الفصحى ان امكن ، والا استعملت من دون تكثير » .

ولم ادل بدلوى في الدلاء في ذلك الزمن . وكذلك فعل قسم من اعضاء مجمعنا بدمشق فقد كنت ارى انه لا يستطاع اتخاذ قواعد عامة ، أي لا يستطيع احد ان يقر او ينكر اجمالا استعمال المعربات ، او المصطلحات العلمية ، او كلام فصحاء الجاهلية وصدر الاسلام ، أو كلام فصحاء العصور الاسلامية ، او التراكيب المترجمة عن لغة اجنبية (وهي في الحقيقة خارجة عن موضوع المولد) ، كما كنت ارى ان الكلام العامي المرتجـل او المحرف عن الصحيح لا يقول احد باستعماله في كلام الفصحاء او كتاباتهم .

ومعنى ذلك اننا اذا استثنينا الكلام العامي لا يمكن القول بأن جملة كلمات هذا الصنف او ذاك يجوز اولا يجوز استعمالها ، بل يجب تناول كل كلمة من المولد عامة بالبحث الدقيق ، وبيان الرأى باثباتها في المعجم العربي واستعمالها ، او بيان الرأى بعكس ذلك . وهذا عمل يحتاج في نظري الى جهد كبير تتحمله جماعة من العلماء وتنقطع له بضع سنوات .

فالكلمات المولدة التي اشير اليها في المعجمات العربية القديمة ، والكلمات المولدة التي لم يرد ذكرها في تلك المعجمات آلاف مؤلفة من الكلم. وقد جمع العلامة «دوزى» عدداً كبيراً منها في معجمه المشهور .

ولكنه فاته منها عدد كبير ايضا . فقد راجعت فيه اسماء مولدة لنباتات معروفة في الشام فلم اجدها كأسماء الاشجار الآتية مثلا وهي مشهورة في احراج لبنان وسورية :

الملول	Quercus Iunitanica	من انواع البلوط
العزر اللك	« Cerris	« « «
الدفران	Juniperus drupacea	من انواع العرعر
الانزاب	« excelra	« « «
النغث ، المغث	Alnus orientalis	من شجر الحراج الأليف الماء .

ومثل ذلك كثير . ثم ان « دوزي » يعزو كثيراً من الكلمات المولدة الى مؤلفين محدثين عربا كانوا او غير عرب ، من دون التفتيش عنها في الكتب القديمة . فكلمة « حاكورة » مثلا تطلق في سورية ولبنان على ارضين معتنى بها تكثر خاصة على مقربة من بيوت القرية وتزرع زروعا شتى . فالعالم «دوزي» ذكر « الحاكورة » وعرفها بقوله «حدائق آس في غوطة دمشق . ونقل ذلك عن مؤلف الماني حديث، على حين ان كلمة «الحاكورة» ذكرت في مستدرك التاج وقال فيها الزبيدي : « والحاكورة قطعة ارض تحكر لزرع الاشجار قريبة من الدور والمنازل شامية » «ويعزو الى «همبرت» Humbert والى «بقطر» في معجميهما اضافة الباقة الى الزهر ، على حين اني وجدت «باقة الزهر » مرة في الاغاني[1] ووجدتها مرات في نهاية الأرب .

(١) طبعة دار الكتب المصرية ج ١٠ ص ١١٥ .

وكذلك يعزو كلمة « شوح » الى صاحب معجم صغير افرنسي عربي ، وعربي افرنسي ويطلقها على «الصنوبر »و«التنوب» ، على حين انها تطلق في الشام على تنوب «قيليقية» فحسب Abies Cilicica منذ زمن السلطان صلاح الدين الايوبي الى اليوم[1] ونسب الى المستشرق «دوساسي» De Sacy القول بورود فعل «جدول» بمعنى «حفر جدولا». فهذا الفعل الذي لم يرد في المعجمات بهذا المعنى رأيته في كتاب ملوك حمير واقيال اليمن ، فقد جاء فيه :

من خطبة لقس بن ساعدة الإيادى ... وبنوا المصانع والآبار ، وجـــدولوا الانهار ، وغرسوا الاشجار ... »

هذه امثلة قليلة ، ولها اشباه كثيرة . فتحرى المولدات في المعجمات العربية الاصلية وفي تراثنا العـلمي والادبي القديم ، وفي المعجمات الاعجمية العربية الحديثة التي يمكن الوثوق بها عمل شاق قات : انه يحتاج الى جماعة من العلماء واللغويين تنقطع له وتـكشف عن رأيها فيما يجوز او لايجوز اثباته في المعجم العربي الحديث من الـكلمات المولدة . ويجب في نظري ان ينتهي عمل هذه الجماعة الى مجلس مجمع اللغة العربية فالى مؤتمره لاقرار ذلك العمل . ومن المعلوم ان العمل المذكور لا يتعارض هو واعمال لجان المصطلحات العلمية في المجمع المشار اليه .

وعلى هذا اقترح تأليف لجنـة في مجمع اللغـة العربية تسمى « لجنة الـكلمات المولدة » مهمتها تحري تلك الـكلمات وجمعها وانتخالها وبيان القسم الذي ترى ادخاله في المعجم العربي كالمعجم الوسيط بعد ان يوافق مجلس المجمع على ذلك القسم ويقره مؤتمر المجمع .

(١) يراجع الاسم العلمي في معجم الالفاظ الزراعية حيث الدليل على ذلك .

الجلسة الثامنة

(خاصة)

صباح الأحد ٤ من شعبان سنة ١٣٨٥ هـ

٢٨ من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٥

١ — توحيد المصطلحات القانونية في البلاد العربية للأستاذ محمد شفيق العاني عضو المجمع العلمي العراقي .

٢ — الطرماح بن حكيم للدكتور سليم النعيمي ـ نائب رئيس المجمع العلمي العراقي .

٣ — آلات الجراحة عند العرب للدكتور عبد اللطيف البدري ـ عضو المجمع العلمي العراقي .

٤ — اللغة القرآنية ودلالتها على ما كان عليه العرب قبل الاسلام من رقي عقلي وثقافي للأستاذ محمد عزة دروزة ـ عضو مجمع اللغة العربية المراسل .

١ – توحيد المصطلحات القانونية في البلاد العربية

للأستاذ محمد شفيق العاني

عضو المجمع العلمي العراقي

سيدي الرئيس : سادتي الاعضاء المحترمين

وجدت ان مما يجدر اثارته ومناقشته امام هذه الصفوة المختارة من علماء العربية وأعلامها ، بحث توحيد مصطلحاتنا القانونية التي اعتبرها من مشاكل الساعة فقد ترد الينا بين الحين والآخر من أقطار عربية مختلفة مجلات وقوانين تضم بحوثاً فقهية وأحكاماً قضائية يتعسر علينا فهم الكثير مما تضمه بين ثناياها من جمل وعبارات ومرد ذلك على ما يظهر للمعني بالبحث وجود مصطلحات قانونية مستحدثة نجهل معانيها ولا عهد لنا بها . ولا شك ان اختيار تلك المصطلحات وتبنيها بشكلها الذي وضعت به يحدث خرقاً في وحدة اللغة وبلبلة للناطقين بها والعاملين على رعايتها وصيانتها . وما نهدف اليه هو تظافر الجهود لتوحيد المصطلح العربي فيما يختص بالقانون بالشكل الذي يستقر عليه اجماع أهل الرأي والعلم فى هذه المجالات .

وبعد فهذه دراسة اجمالية لمصطلحاتنا الفقهية وتطورها التاريخي وما وصلت اليه وما يجب ان ننتهجه في التوحيد .

درج المجتمع العربي قبل مجيء الاسلام في حل مشاكله وتثبيت ما لأفراده من حقوق وما عليهم من واجبات على قواعد اقامتها اعراف وعادات وسوابق من الأحكام أقرها خبراء محكمون حتى إذا جاء الاسلام أتى على كثير مما تعارفوه من القواعد. وأعلن في رسالته السماوية المتمثلة في كتاب الله الشريعة الاسلامية. وقد انتظمت تلك الشريعة المبادئ الاساسية للاحكام العملية موضحة علاقة البشر بالله سبحانه وعلاقات الأفراد بعضهم ببعض وتلك المبادئ هي ما يطلق عليها فقه القرآن أو آيات الاحكام في كتاب الله. « لقد جاء جديداً على العرب ذلك الكتاب بما ضم بين دفتيه كما كانت جديدة عليهم تلك الشريعة التي أتت بأحكام مختلفة تتعلق بالعبادات وتكوين الأسرة وحقوقها وبالمعاملات والأمور المالية والادارية والسياسية وبما يهم الناس في أمور دينهم ودنياهم وكانت تلك الاحكام مصوغة بلغة موضوعية استعملت فيها تعابير خاصة خرجت بمفهومها عن معاني تلك الألفاظ العربية الوضعية وكانت تلك التعابير مصطلحات خاصة يصح أن نسميها المصطلحات الفقهية في القرآن الكريم. وقد ضمت تلك المصطلحات آيات الأحكام التي عدها بعض المفسرين خمسمائة آية ونقصها البعض الآخر إلى أقل من ذلك والمصطلحات الفقهية الجديدة المنتظمة في آيات الأحكام يصح أن نقول انها احتفظت بمعناها العربي الوضعي ووسعت معاني شرعية جديدة أضيفت اليها وربما شاع المعنى المصطلح عليه الذي جاء جديداً وكثر استعماله إلى درجة أضعف بجانبه المعنى اللغوي. ويرى وضوح ذلك في كثير من آيات الأحكام.

ونحن ذاكرون طائفة منها لنرى الفرق البين بين المعنى اللغوي الوضعي وبين المعنى الاصطلاحي الجديد. وها هي ذي:

(١) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.

(٢) ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم.

(٣) لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم.

(٤) وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار

والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك .

(٥) لاجناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين .

(٦) وأحل الله البيع وحرم الربا .

(٧) وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة .

(٨) ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل

(٩) ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل.

(١٠) يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة .

وقد أشار إلى هذا المعنى «ابن فارس» في فقه اللغة حيث قال : « فكان مما جاء في الاسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق وان العرب انما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها نسمي المؤمن بالاطلاق مؤمناً . وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفت منه اسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر فأما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا غير ما أظهروه وكان الأصل من نافقاء اليربوع . ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بأن الفسق الافحاش في الخروج عن طاعة الله ومما جاء في الشرع الصلاة واصله في لغتهم الدعاء . وقد كانوا يعرفون الركوع والسجود وان لم يكن على هذه الهيأة . قال « أبو عمرو » أسجد الرجل طأطأ رأسه وانحنى وأنشد : « فقلن له أسجد لليلى فأسجدا » يعني البعير إذا طأطأ رأسه لتركبه « وكذلك الصيام أصله عندهم الامساك ثم زادت الشريعة النية وحظرت الأكل والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم ، وكذلك « الحج » لم يكن فيه عندهم غير القصد ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره وكذلك « الزكاة » لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء وزاد الشرع

فيها ما زاد وعلى هذا سائر أبواب الفقه » .

وعلى هذا نستطيع أن نؤكد أن أول كتاب وضعت فيه المصطلحات الفقهية الاسلامية بلغة عربية (هو القرآن العظيم) ولا نعلم كتاباً عربياً قبل الاسلام دوّن فيه مصطلح للقوم وانتظم أحكام شريعة العرب إنما كانت شريعتهم غيرمكتوبة يرثها الأبناء عن الآباء وتتناقلها الأجيال كابراً عن كابر .

ولا شك أن تعريف القرآن بتلك المصطلحات الفقهية أو بالأحكام ذاتها إنما هو كلي وما كان كذلك فهو محتاج إلى البيان وقد أوكل إلى صاحب الرسالة ذلك فكان يقوم بتفصيل مجمله وإيضاح مشكله وجلاء ما فيه من غموض وإبهام « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما أنزل اليهم » والرسول ذاته كان يشرع في التفريعات والجزئيات تشريعات مبتدأة وهو بما أوتي من جوامع الكلم كان ينطق بالقاعدة الفقهية ذات الحكم الشرعي إثر حادثة يسأل عنها أو نازلة يستفتى فيها . وقد تتضمن فتواه مصطلحاً فقهياً لم تعهد العرب استعماله قبل الاسلام .

من ذلك قوله « (١) إنما الأعمال بالنيات » (٢) الخراج بالضمان . (٣) لاضرر ولا ضرار . (٤) إذا تقاضى اليك رجلان فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر فسوف تدري كيف تقضي . « (٥) انكم تختصمون إلي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قطعت له من أخيه شيئاً فانما أقطع له من قطعة من نار » وهكذا نجد في المجموعات الكثيرة من أحاديث الرسول التشريعية مصطلحات فقهية مبتدأة واحكاماً كانت المعين الفياض في الاستنباط وفي المناط . وقد كان أصحاب محمد المحيطون به قد ثقفوا الشريعة وفهموا مقاصدها لذلك اهتدوا بهديه في استنباط الأحكام من الآيات ومما سمعوا من الرسول من الأحاديث وهم ممن حذق لسان العرب لذلك كانوا أئمة في أحكامهم وأقضيتهم وقد نجد مصطلحات فقهية وأحكاماً شرعية في كتبهم ورسائلهم التي كانوا يبعثون بها إلى ولاتهم وقضاتهم ، ولقد كانت توجيهاتهم من الدعائم التي أقيم عليها نظام الحكم وأصول القضاء في الاسلام ومن تلك الرسائل كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري

قاضي الـكوفة وهو غني بما تضمنه من مصطلحات فقهية وأحكام ، واليك هو :

أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فأفهم إذا أدلى اليك فانه لا ينفع تـكلم بحق لا نفاذ له . آس بين الناس في مجلسك . وفي وجهك وقضائك حتى لايطمع شريف في حيفــك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على المدعي واليمين على من أنـكر . الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي اليه فأن بينه أعطيته بحقه وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فان ذلك هو أبلغ للعذر وأجلى للعمى ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق فان الحق قديم لايبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجرباً عليه شهادة زور أو مجلوداً في حد أو ظنيناً في ولاء أو قرابة فان الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان . ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن وســـنة . ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس أو التنكر عند الخصومة فان القضـاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله فان الله تعالى لايقبل من العباد إلا ما كان خالصاً فمـا ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليـكم ورحمة الله . ومما جاء في كتاب علي بن أبي طالب في خلافتـه إلى الأشتر النخعي واليه على مصر يوصيه فيه بعد أمره بتقوى الله (أن يشعر قلبه الرحمة للرعية والمحبــة لهم كما أوصاه بالمشورة واختيار المشير وبين له سياسة الدولة ثم قال له بخصوص القضاء ثم تخير للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفســـك ممن لا تضيق به الأمور وأجرأهم على تـكشف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحـكم ممن لايزدهيه اطراء ولا يستميله إغراء ثم اكثر تعهد قضائك وأفسح لهم في البذل ما يزيل علته وتقل حاجته إلى الناس وأعد له من المنزلة لديك ما لايطمع فيه غيره) هذه الـكتب والرسائل ونظائرها من كتب الخلفاء وفتاوى الصحابة وعلى القمة

منها كتاب الله وسنة رسوله كل هذه المصادر كانت ينابيع لدراسة الفقه الإسلامي ووضع مؤلفاته وتثبيت مصطلحاته وقد اهتدى بذلك كله التابعون ومن تبعهم حتى كان عصر التدوين وظهور المذاهب الفقهية وكان ذلك في المائة الثانية للهجرة حينما تنادى بعض العلماء والأمراء لتدوين الحديث وتأليفه مخافة دروس العلم وذهاب حفظته فكتبت مسانيد الحديث ثم كان من نتيجة الدراسات والحلقات العلمية التي كان يتعهدها كبار الفقهاء أن ظهر الاختلاف العلمي في كيفية استنباط الأحكام وتفريعاتها مما دعا إلى وضع أصول الفقه الذي رسمت بحوثه طرائق الاستنباط للمجتهدين وكان من أوائل من كتبوا في ذلك العلم أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني ولم يصل الينا ما كتباه . أما الذي وصل الينا ويعتبر أساساً صحيحاً لهذا العلم وثروة كبرى للباحثين فيه . فهو ما أملاه محمد بن إدريس الشافعي في الرسالة وفي هذا العلم الذي دوّن وبحث فيه ظهرت مصطلحات فقهيه جديدة فيما يتعلق بمصادر الاحكام من كتاب وسنة واجماع وقياس ومصادر أخرى أضافها فقهاء آخرون وظهرت المصطلحات الفقهية الأخرى من بطلان وفساد وحرمة وكراهة وحل وإباحة إلى غير ذلك من ألفاظ وكلمات لها معانيها الخاصة وقد علق ابن خلدون على ذلك في مقدمته حيث قال :

واعلم ان هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة ، وكان السلف في غنية عنه لان استفادة المعاني من الالفاظ لا يحتاج فيها إلى ازيد مما عندهم من الملكة اللسانية واما القوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصاً فنهم أخذ معظمها واما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون إلى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم فلما انقرض السلف وذهب الصدر الاول وانقلبت العلوم كلها صناعة احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الاحكام من الادلة فكتبوها فناً قائماً برأسه سموه اصول الفقه .

ومما يلحظ ان مختاري المصطلحات الفقهية وواضعيها من المجتهدين الذين برعوا في الفقه واصوله كانوا أئمة في اللغة والبيان عالمين بخصائص الالفاظ واساليب العرب في تراكيب

الكلام نثره ونظمه ولا أدل على ذلك من اشتراط توافر المعرفة الواسعة باللغة وبحوثها لمن أراد الاجتهاد وتوفره فيمن كتب له ان يكون من المجتهدين . فهذا الشافعي الذي يعتبر من أوائل المجتهدين يرى ادباء العلماء ان كتبه في احكام الشريعة كتب أدب ولغة اضافة إلى كونها كتب فقه واصول . وهو الذي يقول عنه الاصمعي صححت اشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن ادريس الشافعي وعنه يقول الجاحظ نظرت في كتب هؤلاء النبغة في العلم فلم أر أحسن تأليفاً من المطلبي كأن لسانه ينظم الدر .

وكثير غيره من المجتهدين في درجته ومستواه وكان تضلع المجتهدين في اللغة العربية وفقه اساليبها خير معين لهم في اختيار المصطلحات وتقبل علماء اللغة لما يختارونه القبول الحسن ومن ثم شيوعها المستفيض على ألسنة الفقهاء والمؤلفين ورؤساء الحلقات الدراسية . لقد وحدت تلك المصطلحات لغة الكتب الفقهية والاحكام القضائية وبحوث أهل العلم وذوي الافتاء والتدريس لدى المسلمين وباشر الانتاج الفقهي يسلك طريقه القويم في شتى الاقطار الاسلامية العربية منها وغير العربية وقد استمر على هذا النهج اجيالا عديدة وقروناً طويلة فكنت ترى الكتب الفقهية المطولة لعلماء المشرق لا تفترق لغتها عن الموسوعات الفقهية لعلماء المغرب وقد ابقى لنا الزمن موضوعات كبيرة من تلك الكتب لفقهاء كثيرين ولمجتهدين متعددين على اختلاف في الآراء والمذاهب . فها هي كتب الفقه لمؤلفي الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والامامية والزيدية والظاهرية لا تختلف لغتها ولا يعسر فهمها على فقيه ومعها كتب اصولها . ومرد ذلك على ما يظهر وحدة مصطلحاتها التي لم يختلف على انتقائها مختاروها فجاءت كتب الاوائل منهم صافية المبنى واضحة المعنى فهمها الناس واحتضنها المؤلفون وبنوا على اسسها بحوثهم وبلغتها اخرجت كتبهم وكذلك لغة القضاء حينذاك كانت موحدة المصطلحات متماثلة المبنى والسبك في احكام القضاة وما حصل من اختلاف بين الاحكام القضائية إنما كان مختصاً في الموضوعات ونوازل الحادثات الذي جاء نتيجة اختلاف المجتهدين في أحكام الحادثات خاصة إذا علمنا ان القضاء

لم يكن ليسند طيلة الاربعة القرون الاولى من ظهور الاسلام إلا لمن تقدمت به الخُطا إلى الاجتهاد على ان أبا جعفر المنصور قد بذل جهداً كبيراً في حمل المسلمين على الرجوع والاعتماد على كتاب واحد جامع يرجع اليه القضاة والمسلمون في فتاواهم واقضيتهم وكان يريده ان يكون موطأ مالك فنهاه الامام مالك عن ذلك بكلمته المشهورة « قد يكون عند غيرنا من صحابة رسول الله ممن تفرقوا في البلاد الاسلامية ومن التابعين ما ليس عندنا وقد كان ابن المقفع قد كتب إلى الخليفة أبي جعفر المنصور يدعوه إلى التخير من آراء الأئمة والفقهاء ما يلزم به الناس في جميع الامصار غير أن أبا جعفر تعذر عليه تنفيذ الفكرة بعد أن سمع رأي الامام مالك .

إلا أن أبا يوسف عند تعيينه قاضياً للقضاة ببغداد زمن الرشيد عمل بصورة غير مباشرة على توحيد أحكام القضاة وذلك بتعيين القضاة ممن ثقفوا فقه أبي حنيفة وأصول فقهه إلا أن ذلك لم يدم طويلا إذ أن القضاة كانوا يحكمون وفق الفقه الذي ثقفوه . وقد يعين في المدينة الواحدة قضاة متعددون لمذاهب مختلفة كما كان يجري في مصر زمن العباسيين . والقضاء الاسلامي الذي استمر طيلة هذه العصور كانت لغة الحكم فيه والفقه ومدوناته واحدة في الاقطار العربية كلها واستمر كذلك حتى تأسيس الخلافة العثمانية التي حكمت بالفقه الاسلامي وكانت تحت ادارتها الاقطار العربية ثم اتخذت الفقه الحنفي مرجع قضاءها وفتاواها ولم يكن جرى تقنينه إنما مرجع الحكم كتب الاحناف المعتبرة في المذهب واستمر وضعها كذلك حتى بدا للعاملين في الخلافة تقنين مجلة الاحكام العدلية المشتملة على المعاملات المدنية واصول القضاء وجرى العمل بها في جميع المحاكم النظامية ثم ادخلت بعض القوانين الغربية كقانون التجارة والاراضي والجزاء وشرع قانون العائلة الذي مصدره الفقه الاسلامي فيما يختص بالاحوال الشخصية للمسلمين وشريعة أهل الكتاب فيما يخص الكتابيين وما يهمنا في هذا العهد هو ان مصطلحات القوانين ولغة المحاكم والفقه ومؤلفاته كانت واحدة في البلاد العربية ممن كانوا في دائرة الخلافة العثمانية حتى تاريخ انحلالها حيث

اقتسمت البلاد العربية دول مختلفة وقد تأثرت تلك الاقطار المغلوبة بثقافات الامم الغالبة واصبح كل قطر يعمل وهو بمعزل عن القطر الآخر وتقطعت بين تلك الاقطار وبين بلدان الاقاليم العربية الاسباب والسبل حتى إذا استعادت تلك الاقطار وضعها وجلا عنها غاصبوها وجد كل قطر نفسه مستقلا بتشريعه وبتقنينه واستمر كل يعمل في انعزال لاستكمال ما يحتاجه من تشريعات وكان من نتيجة ذلك أن صدرت في البلاد العربية دساتير وقوانين وانظمة متعددة ورغم صدور تلك القوانين بلغة عربية واحدة إلا أننا نجد تبايناً بين مصطلحاتها القانونية ولغتها الفقهية واختلفت بسبب ذلك لغة الاحكام القضائية وتعابير الكتب الفقهية والشروح القانونية وكان عسيراً علينا ان يفهم بعضنا لغة قانون البعض الآخر ولقد يطول بنا البحث وتتشعب جنباته إذا اردنا ان نذكر بأستقصاء مختلف المصطلحات القانونية ومؤتلفها في قوانين البلاد العربية وسأذكر جزءاً من المختلف فيها .

ففي تشكيلات المحاكم نجد هذه المصطلحات المختلفة لمفهوم واحد هي :

المحكمة العليا	محكمة النقض	محكمة التميز	محكمة التعقيب
ليبيا	العربية المتحدة	العراق وشرقي الاردن وسوريا	تونس

وفي المحاكم الجزائية : محكمة الجزاء . المحكمة الزجرية . محكمة الجنح والمخالفات . المجالس الافاقية . ثم محكمة الجنايات . المحكمة الكبرى . محكمة الاستئناف الجناحية . ثم المدعي العام . النائب العام . وكيل الدولة العام . ثم المخالفة . القباحة وكذا الغرامة والخطية

كما نجد اختلافا فى تسمية القوانين الجزائية ...

وهي المسطرة الجنائية . أو أصول المحاكمات الجزائية . أو قانون المرافعات الجنائية .

ثم في قسم الحقوق : نجد هذه المصطلحات القانونية المختلفة تعبيراً والمتحدة معنى .

عضو محكمة . مستشار ، قاضي ، حاكم .

قانون الموجبات والعقود ويقابلها الالتزامات والعقود . مرجع النظر الترابي .

الصلاحية المكانية . الاختصاص المكاني أو النوعي .

ثم العقل التحفظي . يقابلها الحجز الاحتياطي .

التعديل بين المحاكم يقابله تعيين المرجع .

الشكوى على الحكام يقابلها مؤاخذة الحكام . في التداخل يقابله اعتراض الغير .

في اختبار الكتائب يقابله انكار المستندات . معطلات النوازل يقابله استئخار الدعوى .

التجريح في الحكام أو رد الحكام . المؤجرون والمستأجرون أو المسوغون والمتسوغون

هذه مصطلحات ذكرتها على سبيل المثال وهي قل من كثر . والمصطلحات القانونية التي يستعملها القضاة في احكامهم والفقهاء في تآليفهم والناقدون في تعليقاتهم والمحامون في لوائحهم هي مفاتيح فهم التعابير فاذا جهلت مفاهيمها والتوت معانيها تعذر فهم الكتاب الفقهي والحكم القضائي والتعليق الناقد لذلك لا سعة لمن يعنى بشؤون اللغة العربية عن بذل الجهد لتوحيد امثال هذه المصطلحات المتباينة ولا اقدر على القيام بمهمة كهذه من مؤتمر اللغة العربية الذي نرجو له مخلصين ان يتسع مجاله لجعله مؤتمراً عاماً تشترك فيه الدول العربية وتشعره بمسؤولياتها عنه ويكون لمثل هذا المشروع لجنة قوامها فقهاء وقانونيون وعلماء في اللغة العربية على ان يجعل الفقه الاسلامي مصدراً اساسياً لوضع المصطلحات القانونية ولنا في هذا التراث الضخم وكتبه الاصيلة ما يمكن علماء اللغة والبيان ان يركنوا اليه عند النظر فيما يختص بمصطلحات القوانين على اختلافها ، فيختاروا ما يتفق عليه الرأي . وما لم يتفق عليه فلهم ان يضعوا ما يرون وضعه بالطرائق التي انتهجها اسلافهم من قبل وبما يجعل هـــذه الامة غير متخلفة في لغتها عن ركب الامم في موكب العلم والمعرفة .

التعقيبات

الدكتور ابراهيم مدكور : اشكر الزميل الكريم على هذا العرض التاريخي للمصطلح القانوني في الإسلام . وهو لاشك يجد السير في هذا الموضوع ، واؤيده تمام التأييد في دعوته إلى توحيد المصطلحات القانونية بوجه عام .

وإن كان لي ما أضيفه ، فهو انه بالرغم من وجود اختلاف في مصطلحات العلوم ، فإن الناحية القانونية من أكثر نواحي المصطلح العلمي اتفاقاً بيننا ، وسبب ذلك فيما يبدو ـ لتقديري ـ ان القانون المدني يكاد يكون راجعاً إلى مصدر واحد في كل البلاد العربية .

وإن كان هناك خلاف فما أحوجنا أن نقضي عليه ، وأن يقوم المصطلحون ويلتقوا عند كلمة واحدة ورأى متفق عليه .

الاستاذ الشيخ محمد على النجار : أشكر الأستاذ المحاضر على هذا البحث القيم وعلى غيرته المحمودة على اللغة العربية وعلى الفقه الإسلامي ، ولكني أحب أن أذكر أن هناك فرقاً بين المصطلح والحكم . مثل قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ... الآية » فنفى المؤاخذة في هذه الآية إنما هو حكم ، وليس اصطلاحا ، وكل ما فيها كلمات لغوية جرت على المعاني المعروفة عند العرب . وكذلك قوله تعالى في الآية الكريمة : « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » .. هذا حكم وليس اصطلاحا فيما أظن .

هذه الآيات ـ وهي خمس مئة آية أو أكثر ـ تضمنت أحكاماً ، وقد يكون في الحكم اصطلاح ، ولكن لا تعد هذه الآيات مصطلحات ، لأن المصطلح يلاحظ فيه تغير معناه من الأصلي إلى معنى جديد يتفق عليه بين الهيآت المتخصصة ، هذا هو المصطلح.

ومن الكلمات التي تغيرت دلالتها إلى مفهوم اصطلاحي كلمة الصلاة ، فهي في اللغة

معناها الدعاء ، وأصبحت فى القرآن وفي الشرع لها معان أخرى غير الدعاء ، فهي عند الفقهاء : أفعال وأقوال ... الخ ..

كذلك الزكاة التي كانت تدل لغة على النمو ، فاصبحت في اصطلاح الفقهاء : حصة من المال ونحوه يوجب الشرع إخراجها للفقراء ونحوهم بشروط خاصة ..

وكذلك الربا والبيع ونحو هذه الكلمات التي كانت معروفة في اللغة بدلالة معينة ، فأصبحت في عرف الشرع ذات دلالة اصطلاحية غيرتها بعض الشيء عن المعنى العـــام المعروف لها في اللغة فأصبح هناك بيع منهي عنه وبيع باطل ، وبيع فاسد ..

وكان المفروض أن يختص الأستاذ المحاضر محاضراته بهذه الألفاظ . وهذا باب في أصول الفقه . باب المصطلحات الإسلامية .. فمثلا « الصلاة » هل وضعها الشرع وضعا جديداً أو ان المعنى الأصلي وهو الدعاء قد اكتسب دلالة جديدة ، أو انهم أضافوا إليه شيئا .. ؟

الأصوليون يختلفون في هذا كثيراً .

كذلك ما ذكره السيد المحاضر من كتـــاب عمر إلى أبي موسى الأشعري ليس فيه مصطلحات ولكنه تضمن أحكاما وآدابا يأخذ القاضي بها نفسه أو لا يأخذ .. هذا ما بدا لي الآن ، وأكرر الشكر للأستاذ المحاضر .

الدكتور محمد مهدي علام : أنا اشارك الأستاذ النجار في شكره للأستاذ المحـاضر . وأخالف الأستاذ النجار فيما أبداه من ملاحظات على بعض الآيات التي ذكرهــا الاستاذ المحاضر على أساس انها أحكام وليست مصطلحات .

الأحكام لا تقوم إلا على تحديد مصطلحات ، وفي الآيتين اللتين ذكرها الأستاذ النجار مستشهداً بهما على انهما من الأحكام لا من المصطلحات نجد انهما يتضمنان مصطلحات ، فالآية الكريمة : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » مع اشتمالها على حكم فإن هذا الحكم يقوم على تحديد معنى الرضاعة وتحديد معنى الحول . واذا لم يحدد الشرع الرضاعة ولا الحول كما هو في كتب الفقهاء فإن الحكم لا يكون واضحاً

كذلك الآية الكريمة : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان » ... فمعنى اللفظ اللغوي « للغو » أوسع مما يقصده المشرع من معنى اللفظ الذي ينبني عليه هذا الحكم .. وشكراً .

اللواء الركن محمود شيت خطاب : أشكر السيد المحاضر الأستاذ الجليل محمد شفيق العاني على محاضرته، والحقيقة ان المحاكم ورجال القانون في البلاد العربية يستعملون مصطلحات قانونية مختلفة مع انهم جميعاً عرب .

وتوحيد المصطلحات القانونية مصدره الفقه الإسلامي العظيم ، وسيؤدي البحث في بطون المجلدات الضخمة للفقه الإسلامي إلى اكتشاف روائعه المدهشة .

إن كثيراً من الآراء القانونية التى نعتبرها تقدمية ؛ لأننا اقتبسناها مبهورين معجبين من القانون الفرنسي أو القانون السويسري ، سنجد أمثالها أو أروع منها فى الفقــه الإسلامي ، تلك القوانين المستوردة التى جعلت من الفجور قانوناً ومن الفحشاء نظاماً في في بلاد عربية إسلامية ، هــذه القوانين التي لاتعاقب ـ مثلا ـ على الزنا للبالغين بدون إكراه ، لحق علينا أن نسمى ذلك : فجور القانون .

إن الفقه الإسلامي العظيم هو مادة وروح ، والقانون الوضعي ـ غربياً كان أم شرقياً ـ هو مادة فقط لا روح فيه ، فلمصلحة من نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ولمصلحة من نشيع الفحشاء في بلادنا باسم القانون التقدمي ؟

وهل يكون في قولنا : « قال أبو حنيفة والشافعي ومالك رضى الله عنهم ، رجعية ، وفي قولنا قال كارو ، وكارسون ، تقدمية ؟ يالسخرية الأقدار ! !

إن توحيد المصطلحات القانونية سيؤدي بنا إلى اكتشاف كنوزنا الفقهية المستمدة من رسالات السماء ، وإننى أبارك هذه الخطوة وأدعو الله العليّ القدير لها بالتوفيق والسداد .

الأستاذ أمين الخولي : بعد مشاركة الإخوان في الشكر على هذا البحث المستفيض ، أحب أن أشير إلى ما ذكره الأستاذ المحاضر عن خطر اختلاف المصطلحات ، وما ثنى به من

وحدة المصطلحات الفقهية فإن هذا غير معروف في الفقه ، والحنفية والشافعية يختلفون في الاصطلاح على الواجب والفرض .

والأقدمون جزى الله ذمتهم خيراً تأثروا بهـذا وقالوا لا يجوز لفقيه مذهب أن ينقل من كتب مذهب آخر ، فلعله لا يعرف مصطلح هذا المذهب ، هذا ما أردت أن أبينه من ان اختلاف في المصطلحات طبيعي بل إن غير قليل منه قد وقع فعلا ، وشكراً .

الدكتور عبد العزيز الدوري : لقد أعجبت بالأسلوب التاريخي الذي اتبعـه الأستاذ المحاضر ، وهذا يدعوني الى الاستفسار عن الطريقة التى يقترحها لوضع المصطلح القانوني الجديد ؟ ومتى يسمى المصطلح مصطلحاً ؟ وهل وردت مصطلحات في القرآن ؟ وإذا كانت؟ فكيف استعملت ؟ وهل نكتفي بالرجوع إلى الاستعمالات التى وردت لهذه المصطلحات في العصور التاليـة ، أم نبدأ بجمع الاستعمالات للمصطلحات التى في القرآن بصورة خاصة مثل تعبير المؤمن والمسلم .. وغيرها .

والملاحظة الثانية ـ وهى في المجال التاريخي للمصطلح أيضا ـ عندما نتكلم عن المذاهب الفقهية في القرن الثاني للهجرة فهناك دراسات وجهـود مشتركة يمكن أن نسميها مدارس فقهية ـ إن جاز التعبير ـ فهي تمثل جهوداً مشتركة واسعة ظهرت بعدها جهود شخصية حاولت أن توضح ، فتتلمذ فيها جماعات فتكونت مذاهب الفقيه .. على نحو ما هو معروف في تاريخ التشريع .. كيف نتصرف في هذه الحالة ؟

إنني أؤيد ما قاله الأستاذ أمين الخولي في وجـود شيء كبير من الحرية والسعة في استعمال المصطلحات وأسأل : كيف نتصرف في هذه الحالة هل نلجأ إلى الأسلوب التاريخي في جمع هذه الأصول والاستعمالات في مختلف الفترات التى كان فيها بناء الفقه فعلا ، ثم تجيء فترات لاحقة استمر فيها الاستعمال .. كيف نتصرف ؟

إنني أؤيد الزميل في النتيجة التى وصل إليها من ضرورة السعي إلى توحيد المصطلحات

ولكنني أشك في إمكان الوصول إلى توحيـد كل المصطلحات وإكسابها معنى موحداً وشكراً .

الأستاذ محمد شفيق العاني : أشكر الأساتذة الأفاضل على ملاحظاتهم وتعقيباتهم التى أرشدتني إلى أراء سوف أستنير بها في اتباع الطريقة المثلى لبلوغ الهدف .

وأود أن أشير الى ان الالفاظ العربية والمصطلحات الفقهية على ما يعلمه المشتغلون بأصول الفقه قد جرى بحثها ، هل يكتفي علماء الأصول بمفهوم الشيء فيبقى كما هو أو ينتقل إلى معان وضعية جديدة . في ذلك آراء مختلفة ، ولكن الرأى الذي يقبله العقل هو انه يجب أن يكون للفظ علاقة بالمعنى الوضعى الابتدائي ولا يضير أن يتسع لمعان جديدة أخرى.

وإني أشارك الدكتور مهدي علام فيما اتجه إليه من أن المصطلح قد يحيط بحكم وبمعنى خاص .

مادة « لغى » و « اللغو » نجد ان الفقهاء حددوا معانيها تحديداً واضحاً ، ماذا يقصد بيمين اللغو ؟

هذا التحديد نحن نعتبره مصطلحا ، أي إذا سمع هذا التعبير الفقيه يفهم منه غير مايفهمه الأديب والشاعر واللغوي . والآية الكريمة التى تقول « وإذا مروا باللغو مروا كراما » فمفهوم اللغو فى هذه الآية غير مفهومه في يمين اللغو ، الذي له معنى خاص عند الفقهاء .

إننا نشعر ان كثيراً من الالفاظ نقل من المعنى اللغوي الى استعمال فقهى اصطلاحي ، وإن كان قد بقي له شيء من معناه اللغوي الذي راعاه الواضع . وهذا يجعلنا نقول ـ عند قراءة كتاب ما ـ هذا اسلوب أدبي ، أو هذه مصطلحات قضاء أو فقه أو غير ذلك .

وإذا قرأنا كتاب الخليفة الثاني عمر إلى أبي موسى ولو انه لم يتضمن مصطلحات بالمعنى المحدث المفهوم لنا اليوم ، فإنه يحتوي على أحكام وعلى مصطلحات فقهيه تصلح لأن تكون من متون الفقه والقضاء ، وفيه طائفة من المبادىء التى اصطلح عليها بعد ذلك .

مثلا : القياس له مفهوم خاص عند الفقهاء ، فقد استعملت الفظ كمصطلح خاص معناه غير المعنى اللغوي .

واصطلاح « البينة على من ادعى ... » هذه أيضا لها مفهوم شرعي قانوني خاص غير المفهوم اللغوي الذي يعتبر مفهوما عاما لهذه اللفظة .

أما الملاحظة التى تفضل بها الأستاذ الكبير أمين الخولي فهي في الحقيقة شيء جرى بحثه في أصول الفقه ، والحنفية والشافعية نجد بينهما خلافا في بعض المسائل كالفساد والبطلان ، والكراهية .. كما اختلفوا في الواجب فالشافعية يرونه شاملا للفرض والحنفية يرونه وسطا بين الفرض والسنة . هذه المصطلحات جرى بحثها ويفهمها القارىء والفقيه والمؤلف الشافعي والحنفي . وشكراً .

الدكتور ابراهيم مدكور : أشكر السيد المحاضر على بحثه القيم والرد الذي تفضل به على السادة المعقبين .

٢ — الطرماح بن حكيم

للدكتور سليم النعيمي ـ نائب رئيس المجمع العلمي العراقي

لا نريد أن نترجم للشاعر ، ولا أن ندرس شعره ، وإنما نقصر هذا البحث على أمر واحد نحاول جلاءه ، وهو : هل كان الطرماح بن حكيم خارجياً ؟

فهذا الشاعر يختلف أمره عمن نعرف من شعراء الخوارج فأنت لا تكاد تمضي في قراءة ما يحدثك عنه الرواة ، وما ينقله المؤلفون من بعدهم . بل لا تكاد تمضي في قراءة شعره ، حتى يأخذك العجب من هذا التناقض الغريب بين الحياة التي كان يحياها الشاعر و بين الحياة التي تتطلبها العقيدة الدينية ، التي يقرر اكثر الرواة انه كان يعتنقها . كما تعجب من هذا التنافر بين أساليب الشعر الذي ينسب اليه ، ويجمعه ديوان عني بنشره المستشرق كرنكو أو سالم الكرنكوي كما يحب أن يسمى نفسه .

فنتساءل في دهش : أكان الطرماح بن حكيم خارجياً حقاً ؟ وهل ان هذا الشعر الذي يجمعه ديوانه ، وتضطرب أساليبه واتجاهاته لشاعر واحد ؟ وان هذا الشاعر هو الطرماح ابن حكيم الطائي ؟

فالرواة يجمعون على ان الطرماح كان خارجياً ، وان اختلفوا بعد ذلك في مذهبه الخارجي .

فصاحب الأغاني[1] يقول عنه : « الطرماح منشؤه بالشام وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك ، مع من وردها من جيوش أهل الشام ، واعتقد مذهب الشراة الأزارقة » .

ويفسر لنا اعتناقه مذهب الأزارقة فينقل لنا رواية عن المدائني عن أبي بكر الهذلي

(١) الأغاني ج ١٠ ص ١٤٨

تقول [1] : « قدم الطرماح بن حكيم الكوفة فنزل في تيم الله بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخ من الشراة له سمت وهيأة ، وكان الطرماح يجالسه ، ويسمع منه ، فرسخ كلامه في قلبه . ودعاه الشيخ إلى مذهبه ، فقبله ، واعتقده أشد اعتقاد وأصحه ، حتى مات عليه » .

وينقل لنا في موضع آخر [2] عن خلف الأحمر انه قال : كان الطرماح يرى رأي الشراة ثم أنشد له :

لله در الشـراة انهـم	إذا الكرى مال بالطلا أرقوا
يرجعون الحنين آونة	وان علا ساعة بهم شهقوا
خوفاً تبيت القلوب واجفة	تـكاد عنها الصدور تنفلق
كيف أرجي الحياة بعدهم	وقد مضى مؤنسي فانطلقوا
قوم شحاح على اعتقـادهم	بالفوز مما يخاف قد وثقوا

ولكنه حين يتحدث عن صداقته مع الكميت بن زيد الشاعر الشيعي يذكر لنا ان الطرماح كان صفرياً ، إذ يقول « والطرماح خارجي صفري [3] » .

وكذلك ينقل لنا الجاحظ في كتابه البيان والتبيين [4] : انه كان خارجياً من الصفرية .

ويتفق ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء [5] مع الجاحظ فيؤكد ان الطرماح بن حكيم كان خارجياً صفرياً .

ويروي ابن عساكر في تاريخ دمشق [6] انه كان خارجي المذهب . ثم ينقل رواية عن أبي عبيدة تقول : ان الطرماح كان شارياً خارجياً .

---

(١) الأغاني ج ١٠ ص ١٤٩

(٢) الأغاني ج ١٠ ص ١٤٨

(٣) الأغاني ج ١٥ ص ١٠٩

(٤) ج ٢ ص ٥٤

(٥) ص ٣٧٢

(٦) ج ٧ ص ٥٢

وهكذا نرى ان الرواة حين يتحـدثون عن الطرماح بن حكيم يؤكدون انه كان خارجياً : من الشراة في رأي قوم . ومن الشراة الأزارقة عند قوم . ومن الصفرية عنـد قوم آخرين .

وهؤلاء الرواة أنفسهم ، ينقلون لنا عنه أخباراً ، تصفـــه لنا وصفاً يناقض روح الخوارج ، ومبادئهم ، ومذهبهم فى الحياة ، مهما اختلفت بينهم المذاهب .

فالطرماح بن حكيم في رواياتهم كان شاعراً يتكسب بشعره ، فيقصد إلى الأمراء يمدحهم ويأخذ من أموالهم .

فهم يحدثوننا : أنه مدح خالداً بن عبد الله القسري ، عامل الأمويين على العراق ، مدحاً يدل على الجشع والرغبة في المال [١] . ومدح يزيد بن المهلب بن أبي صفرة [٢] . ومدح مخلد بن يزيد بن المهلب [٣] . بل يروون عنه أنه كان يقصد الخليفة في الشام وانه دخل على عبد الملك بن مروان [٤] . وان لم يرووا له مدحه لعبد الملك .

ويروون انه كان يهاجي الفرزدق ويهجو تميماً فيفحش في هجوه .

وانه كان يتعصب لليمانية تعصباً شديداً ، ويعتز بهم ، ويفخر بقومه ، ولا يرى بأساً أن يكون من مفاخر اليمن دعم سلطان الأمويين وتثبيت خلافتهم فيقول [٥] .

لو لا فوارس مذحج ابنة مدحج   والأزد زعزع واستبيح العسكر
وإستضلعت عقد الجماعة وازدرى   أمر الخليفة واسـتحل المنكر

ويقول :

فبعزنا نصـر النبي محمد   وبنا تثبت في دمشق المنبر

(١) الأغاني ج ١٠ ص ١٥٠
(٢) الديوان ص ١٣٩ ، ١٦٠ ، ١٩٣
(٣) الاغاني ج ١٠ ص ١٤٩
(٤) ابن عساكر . تاريخ دمشق ج ٧ ص ٥٢
(٥) الديوان ص ١٤٧

وانه كانت بينه وبين الكميت خلطة ، ومودة ، وصفاء ، لم يكن بين اثنين على تفاوت المذهب والعصبية والديانة . كان الكميت شيعياً ، عصبياً عدنانياً ، من شعراء مضر، متعصباً لأهل الكوفة . والطرماح خارجي ، صفري ، قحطانى ، عصبي لقحطان ، من شعراء اليمن، متعصب لأهل الشام . فقيل له (أي للكميت) فيم اتفقتما هذا الاتفاق ، مع اختلاف سائر الأهواء ، قال اتفقنا على بغض العامة [1] .

ثم يروون أنه كان إلى ذلك كله معلماً . يعلم الصبيان في مسجد الكوفة [2] كما انه كان يعلم الصبيان في الري أيضاً [3] .

فكيف نوفق بين هذا كله ، وبين مذهبه الديني الذي يصرفه عن هـذا كله . بل ينكره عليه ؟

كيف نوفق بين هذه العصبية القبلية التي تتمثل في أكثر شعر الديوان ، وبين مبادئ الخوارج التي تنكر هذه العصبية ، وتسوى بين الناس ؟

بل كيف نوفق بين زهد الخوارج في الدنيا ، وانصرافهم عن بهرج هذه الحياة وعن الطمع في الأموال ، وبين هذا الجشع والحرص على جمع المال ، الذي يصرح به الطرماح بن حكيم فى شعره ، والذي يحمله إلى أن يقصد بالمدح إلى أعداء الخوارج ، الذين حاربوهم حرباً شديدة فقضوا على ثورتهم ؟

كيف نوفق بين خارجية الطرماح بن حكيم وبين مدحه ليزيد بن المهلب بن أبي صفرة ؟ ونحن نعلم ان المهلب هو الذي استطاع أن يقضي على حركة الأزارقة ، بعد أن فشل في ذلك غيره من الذين تولوا حربهم من قبله . ونحن نعلم إلى ذلك ان يزيد بن المهلب ، قد اشترك في هذه الحروب مع أبيه ، وانه أبلى فيها بلاء حسناً . وكيف يمدح مخلداً وهذه آثار أبيه وجده في الخوارج ؟

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ص ٣٧٢ . الأغاني ج ١٥ ص ١٠٩

(٢) الأغانى ج ١٥ ص ١٠٩ . التبريزي . شرح الحماسة ج ١ ص ١٢٣

(٣) الجاحظ البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٥٢

بل كيف يمدح ولاة بني أمية ، ويفد على الخليفة في الشام والخوارج جميعاً لا يختلفون في ضلالهم ؟

وكيف نوفق بعد ذلك بين ما يرويه الرواة عن صداقته الغريبة للكميت بن زيد وبين هجائه للفرزدق وقومه ؟ ونحن نعلم ان الكميت كان يحترم الفرزدق ، ويعجب به ، حتى انه قصد اليه يعرض عليه أول شعر قاله ، ويسأله رأيه ، أيذيعه أم يستره ؟

بل كيف نوفق بين هذه الخارجية ، وبين ما يرويه الرواة معلماً للصبيان فى الكوفة وفي الري ؟ وقد كانت الكوفة في العصر الذى عاش فيه الطرماح بن حكيم مركز الشيعة ، ويغلب التشيع على أهلها . ولئن كان من الممكن أن يساكنوا خارجياً . فهل من الممكن أن نتصور أنهم كانوا يطمئنون إلى أن يعهدوا اليه بتعليم أبنائهم ؟

الحق أننا لا نستطيع أن نوفق بين هذا كله إلا إذا ارتكبنا شططاً ، وفسرنا مذهب الخوارج عامة ، ومذهب الأزارقة والصفرية منهم بخاصة تفسيراً لا ينطبق على واقع المذهب ، بل يناقض مبدأه وينفيه .

فالأزارقة يوجبون الهجرة من دار مخالفيهم ، ويقولون بالاستعراض ويوجبون الخروج على اتباعهم . والطرماح بن حكيم لم يهاجر ، ولم يخرج ، فيما يحدثنا عنه الرواة ، لكي يكون من الأزارقة . ولم يحارب في سبيل مذهبه ويشر نفسه لله في الدفاع عن عقيدته ، لكي يكون من الشراة .

ثم أنه لا يمكن أن يكون من الصفرية ، كما يقول بعض الرواة ، فالصفرية ، وإن كانوا أقل غلواً من الأزارقة وأكثر منهم اعتدالاً فلا يرون الاستعراض ، ولا يوجبون الخروج ، ويجوزون القعود ، فقد كانوا قوماً نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ، ومن هذا جاء اسمهم [1] .

ولم يذكر الرواة عن الطرماح أنه كان شديد التدين ، ميالا إلى التعبد . بل ان سلوكه وشعره ينفي ذلك ويناقضه .

---

(١) المبرد . الكامل ص ٦٠٤ . البلاذري . أنساب ص ٧٢

وسلوكه هذا لايمكن أن يبرر باصطناع التقية ، فالأزارقة لايرونها في مذهبهم . كما ان الصفرية لايبيحونها إلا حين يتعرض الإنسان إلى الهلاك فيجيزونها قولاً لا فعلاً . فمدح المخالفين والتزلف إلى الأمراء ليس من التقية التي يجوزها الصفرية للنجاة من هلاك محقق .

ونستطيع أن نرى في جواب الكميت ، لمن سأله عن صداقته مع الطرماح : فيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء ؟ فقال : اتفقنا على بغض العامة ، الذي أشرنا اليه من قبل ، ما يؤيد شكنا في نسبة الطرماح بن حكيم الى الخوارج . نعم لقد أراد أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات أن يجعل من هذا الجواب مقابلاً للمثل اللاتيني (Oia P.rofanmns Vulgus et Arces) أي ان الشعراء تجمعهم أرستقراطية الفكر .

ولكن الذي نراه أن الكميت أراد أن يسخر من السائل وينسبه إلى العامة الجاهلين الذين لايعلمون ان الطرماح بن حكيم ليس خارجياً .

ويؤكد هذا الشك ويقويه ان الجاحظ حين يعدد لنا شعراء الخوارج وخطباءهم لايذكر الطرماح بن حكيم بينهم ، ولكنه يذكره مع الخطباء غير الخوارج [١] .

* * *

إن حياة الطرماح بن حكيم لم تدرس من قبل دراسة نقد وتمحيص وتناقل المؤلفون هذه الروايات عنه باعتبارها أمراً مسلماً به .

لقد كتب المستشرق كرنكو فصلاً عنه في مقدمة الديوان الذي قام بتحقيقه وطبعه ، نقل فيه الروايات التي تروي اعتناقه مذهب الأزارقة أوالصفرية واكتفى بأن قال من المستحيل أن نعلم من أي الفريقين كان [٢] .

ودرست الأستاذة الدكتورة سهير القلماوي الطرماح بن حكيم في كتابها أدب الخوارج فلم تجد على الرغم من أن « شعره كله لم يكن يطابق المبادئ المشهورة للخوارج » . وإن « في شعر الطرماح مواضيع أخرى بعيدة عن الدين والإيمان تشغل الجزء الأكبر من

(١) الجاحظ البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨٤

(٢) ديوان الطرماح بن حكيم ص ٢٢ .

شعره » ، وعلى الرغم من أن في « خلق الطرماح ما يبعد عنا فكرة كونه رجلاً ديانا شديد الإيمان » انها لم تجد « رغم هذه الظواهر مايتعارض وكونه خارجياً ، بل على العكس من ذلك وجدنا انه يمثل فئة من الخوارج أصدق تمثيل [1] » .

والدكتورة ترجح انه كان من الصفرية [2] . وهي ترى أن حزب الخوارج « رغم ماكان يقول من تسوية المسلمين ، قد ضم منذ نشأته عنصرين هامين من العرب : عنصر القراء الخالصي العربية الذين فنوا في العقيدة فنسوا العصبية وكل شيء إلا الايمان. وعنصر الاعراب الذين قوي إيمانهم ولكنهم لم ينسوا انهم ينتمون إلى قبيلة يتعصبون لها » . وتمضي فتقول « بل ان هذا الفريق الأخير وجد في المذهب الخارجي ما لم يجده في أي مذهب آخر . وجد اشباعاً لنزعتين خطيرتين في حياته : نزعة الدين ، ونزعة التطلع إلى فرصه من سلطان » .

« أما الفريق الأول فهو مصور في شعر عمران ، وأما الفريق الثاني فيمثله الطرماح أصدق تمثيل [3] » .

ان هذا الرأي الذي يزعم ان الخوارج كانوا شديدي العصبية لأنهم من البدو ، قد رآه أستاذنا أحمد أمين [4] ، رحمه الله ورضي عنه ، وتابعته تلميذته عليه . وهو يستند في رأيه هذا إلى رواية رواها ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة ، وهي ان امرأة من الخوارج تزوجت مولى ، فقال لها أهلها فضحتنا .

ولئن كان من غير المقبول أن يستنتج من خبر واحد مثل هذا الحكم العام فان هذا الخبر قد ورد عند ابن أبي الحديد مبتوراً . وقد ساق لنا أبو الحسن الأشعري [5] هذا

---

(١) أدب الخوارج ص ٩٤ وما بين القوسين كلام الأستاذة الدكتورة

(٢) أدب الخوارج ص ٩٦

(٣) أدب الخوارج ص ١٠٠

(٤) فجر الاسلام ص ٣٠٧

(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٨٨

الخبر كاملاً . ومنه يستنتج القاريء نتيجـة تناقض رأي استاذنا . فقد كانت المرأة قد اعتنقت مذهب الخوارج ، ولم يكن أهلها من الخوارج ، فأنكروا عليها زواجها من المولى ، وفرقوا بينهما . وكانت هـذه الحادثة في رأي الأشعري من الأسباب التي حملت نافعاً بن الأزرق رئيس الخوارج الأزارقة على أن يفرض الهجرة على اتباعه من دار مخالفيهم لئلا يتعرضوا لمثل ما تعرضت اليه هذه المرأة .

وهذا النص بكامله دليل على عـدم التعصب القبلي عند الخوارج ، لا على التعصب . والأستاذة الدكتورة لم تأت ، فيما كتبته ، بما يصح أن يكون دليلا على وجود فئة من الخوارج تتعصب تعصباً قبلياً ، يمثلهـا الطرماح بن حكيم . وليس صحيحاً ما تنص عليه حين تقول « لم نسمع ان الخوارج وخاصـة في القرن الأول الهجري ، وهو الأخطر من حياتهم ، قد ولوا عليهم مولى من الموالي ، بل الاكثر من هذا ان قوادهم ، وأمراءالمؤمنين منهم أما من مضر بل من تميم غالباً . وأما من ربيعة . ولعل في هذا تفسيراً جديداً لشدة تعصب الطرماح لليمنيين [1] » .

ليس صحيحاً هذا . فقد تولى أمر الخوارج وفى هذه الفترة التى نذكرها كثير من الموالي . ويكفي أن ننظر فى كتاب السير للشماخي لنرى ان عدد هؤلاء يكاد يساوي عدد امثالهم من العرب .

كما ان أثر العصبية فى انقسام جيش علي فى صفين لا ينهض دليلا على وجودهـا بين الخوارج . إذ لم يكن للعصبية أثر فى خروج الخوارج . ولو سلمنا جدلا « بوجود عنصر الاعراب الذين قوي ايمانهم ولـكنهم لم ينسوا انهم ينتمون إلى قبيلة يتعصبون لها » . فلا يصح ان يتخذ ذلك دليلا على ان الطرماح بن حكيم كان كذلك . فليس هناك رواية تقول إنه كان من الاعراب . بل ان هذه الروايات تؤيد عكس ذلك فمنها ما يقول إنه نشأ فى الشام [2] ، ومنها ما يقول إنه نشأ في السواد [3] .

---

(١) أدب الخوارج ص ١٠١

(٢) الاغاني ج ١٠ ص ١٥٦ .

(٣) المرزباني ، الموشح ص ٢٠٨ . ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ٣٢٢ .

ولسنا ننكر وجود هذه العصبيات القبيلية التى تشير اليها والتى كانت سبب خصومات دامية ، في القرن الاول الهجري وبعده ، ولكننا نزعم أن الخوارج لم ينغمسوا فيها ، ولم يسهموا فيما كانت تثيره من احداث وفتن ، لا فى القول ولا فى العمل . وفى كتب التاريخ وكتب الأدب روايات كثيرة تؤيد كيف ان رؤساء الخوارج كانوا يرفضون الاشتراك فى فتن العصبية ، حين يتعرض لهم بعض من ينغمس فى هذه الفتن يسألهم النصرة والعون [1] .

على اننا لم نستطع أن نوفق بعد هذا كله بين قولها إن الطرماح كان من الصفرية ، وبين قولها إنه يمثل فريقاً من الخوارج غير الذي يمثله عمران وكل الروايات تؤكد ان عمران بن حطان كان رأس الصفرية وفقيهم [2] .

وقد ذهبت الدكتورة تفسر بهذه العصبية مدحه ليزيد بن المهلب وغيره وهجاءه للفرزدق وتميم . ولكن كيف نفسر هذه الاساليب المختلفة التى تتمثل فى هذه القصائد التى يجمعها الديوان والتى تنبه اليها المستشرق كرنكو من غير أن يحاول تفسيرها . إن العصبية القبيلية لا يمكن ان تفسر هذا التفاوت فى الاسلوب .

* * *

الحق ان النصوص التى بين ايدينا لا تنهض دليلا على ان الطرماح بن حكيم كان من الخوارج .

فالذين يقولون إنه كان خارجياً يستندون إلى هذه الروايات التي أشرنا اليها فى صدر هذا الفصل . وإلى ثلاث مقطوعات شعرية ، وقد ذكرنا احدى هذه المقطوعات كما رواها صاحب الاغاني عن خلف الاحمر .

اما المقطوعة الثانية فيرويها ابن قتيبة [3] وهى :

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له ان لم افز فوزة تنجي من النار

---

(١) انظر الفصل الثاني من كتابنا شعر المعارضة السياسية في العصر الاموي .

(٢) المبرد الكامل ص ٢٨٠ البغدادي . الفرق ص ٧١ .

(٣) الشعر والشعراء ص ٣٧٤ .

والنار لم ينج من روعاتها أحد ... إلا المنيب بقلب المخلص الشاري

أو الذي سبقت من قبل مولده ... له السعادة من خلاقها الباري

اما المقطوعة الثالثة فيروي بعض ابياتها صاحب الاغاني ويرويها كاملة البلاذري في كتابه انساب الاشراف [1] . وهي كما وردت فيه :

وإني لمقتاد جوادي وقاذف ... به وبنفسي العام احدى المقاذف

لاكسب مالاً أو اؤول إلى غنى ... من الله يكفيني عداة الخلائف

اذا العرش ان حانت وفاتي فلا تكن ... على شرجع يعلى بخضر المطارف

ولكن احن يومي سعيداً بعصبة ... يصابون في فج من الارض خائف

عصائب من شتى يؤلف بينهم ... هدى الله نزالون عند المواقف

اذا فارقوا دنياهم فارقوا الاذى ... وصاروا إلى موعود ما في المصاحف

فاقتل قصداً ثم يرمى باعظمى ... كضغث الخلا بين الرماح العواصف

ويصبح قبرى بطن نسر مقيله ... بجو السماء في نسور عوا كف

اما روايات الرواة عن خارجيته ، فهي وان كانت تذكر بصدد الكلام عن الطرماح ابن حكيم فهي (عدا رواية واحدة يرويها صاحب الاغاني عن المدائني عن أبي بكر الهذلي) لا تتعدى القول بان الطرماح كان خارجياً من غير أن تنص ان كان هذا الطرماح هو ابن حكيم وكذلك الأمر في هذه المقطوعات الثلاث من الشعر . بل ان هذه المقطوعات الثلاث لم تذكر في صلب الديوان الذي نشره كرنكو لشعر الطرماح بن حكيم والذي لم يذكر لنا جامعه ونحن نرجح ان مؤلف هذا الديوان هو ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ للهجرة فقد صنع ديواناً يضم شعر الاعشى والنابغتين وطفيل والطرماح [2] . أقول لم يذكر صانع الديوان هذه المقطوعات في شعر الطرماح بن حكيم . بل اضافها الناشر إلى الديوان فيما اضافه من شعر وجده مبعثراً في الكتب منسوباً إلى الطرماح من غير تعيين ان يكون

---

(١) مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ص ٥٣١ وجه .

(٢) ابن النديم فهرست ص ١٠٤ .

هذا الطرماح هو ابن حكيم .

على ان المقطوعة الثالثة التي يروى الاغاني بعضها منسوبة إلى الطرماح يرويها البلاذري في كتابه انساب الاشراف مخطوطة باريس منسوبة إلى القعقاع بن نفر الذي يلقب بالطرماح الاكبر عم الطرماح ابن حكيم (الطرماح الاصغر) ويقول بعد روايتها إن بعضهم ينسبها إلى الطرماح الاصغر وهو خطأ [1] .

لقد قادنا البحث إلى أن لفظ الطرماح (أي الطويل) هو لقب حيناً واسم حيناً يشترك فيه عدد من الشعراء غير ابن حكيم .

أولهم القعقاع بن نفر الطائي أو ابن قيس الطائي عم الشاعر في رواية وعم ابيه في رواية أخرى وكان يلقب بالطرماح الاكبر [2] ثانيهم الطرماح بن عدي الطائي وكان يلقب بالطرماح الاكبر [3] ايضاً ، ثالثهم الطرماح بن جهم الطائي ويعرف بالسنبسي وبالعقدى نسبة إلى امهم عقدة بنت معتر [4] .

وآخرهم الطرماح بن حكيم الذي لقبه البلاذري بالاصغر وهو اشهرهم شهرة [4] .

ان اشتراك لفظ الطرماح بين هؤلاء الشعراء هو الذي عمى امرهم وأمر شعرهم على الرواة فخلطوا بين اخبارهم واشعارهم . ولما كان ابن حكيم اشهرهم شهرة وأقربهم إلى عصر التدوين فقد غلب عليهم فنسب اليه الرواة كل خبر يروى عن الطرماح وكل شعر ينسب إلى الطرماح متى جاء هذا الاسم مجرداً من اسم ابيه . وقد كان هناك طرماح خارجي فظن الرواة ان هذا الطرماح هو ابن حكيم وتابعهم المؤلفون ينقلون عنه هذا الخطأ الذي أوقعهم فيه اشتراك الاسم .

---

(١) البلاذري انساب الاشراف مخطوطة باريس ص ٥٣١ وجه

(٢) الطبري تاريخ ج ١ ص ٣٣٦٢ البلاذري انساب ص ٥٣١ وجه

(٣) الطبري تاريخ ج ٢ ص٣٠٢ ، ٢٠٤ . ابن عساكر تاريخ دمشق ج ٧ ص٥٣ . لسان العرب ج ١٦ ص ٩١ .

(٤) الامدي المؤتلف ص ١٤٨ .

والحق انه كان هناك طرماح اعتنق مذهب الخوارج ولم يكن هذا ابن حكيم ونستطيع ان نقرر استناداً إلى رواية البلاذري انه القعقاع ابن نمر أو ابن قيس الذي كان يلقب بالطرماح الاكبر. فقد روى لنا البلاذري في انساب الاشراف انه (أي القعقاع) أراد مع جماعة آخرين من خوارج الكوفة ان يلتحقوا بمن خرج إلى النهروان من خوارج البصرة فرده اهله كرهاً وحبسوه حتى انتهت الواقعة ونسب البلاذري اليه الابيات التي مطلعها:

وإني لمقتاد جوادي فقاذف ... به وبنفسي العام احدى المقاذف

وخطأ من ينسبها إلى الطرماح بن حكيم.

ويؤكد الطبري رواية البلاذري هذه إذ يقول في حديثه الذي ساقه عن النهروان «وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردهم اهلوهم كرهاً. منهم القعقاع بن قيس الطائي عم الطرماح بن حكيم[1]» وإذا قارنا نسب القعقاع هذا بنسب ابن حكيم وجب ان يكون عم ابيه لا عمه.

واستناداً إلى هذه الروايات فنحن نرجح ان يكون القعقاع هذا والذي كان يلقب بالطرماح الاكبر هو الذي نشأ بالشام وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك ونزل في تيم الله بن ثعلبة، وكان فيهم شيخ من الشراة، له سمت وهيأة، وكان الطرماح يجالسه ويسمع منه، فرسخ كلامه في قلبه، ودعاه الشيخ إلى مذهبه، فقبله واعتقده اشد اعتقاد واصحه حتى مات عليه. كما يذكر المدائني[2]. واليه إذاً يجب ان ينسب هذا الشعر الذي يعبر عن رأي الخوارج والذي ينسبه الرواة عادة إلى ابن حكيم واهمين.

وان حفيد اخيه الطرماح بن حكيم (الطرماح الاصغر) هو الذي نشأ في سواد

---

(١) الطبري تاريخ ص ٣٣٦٧.

(٢) الاغاني ج ١٠ ص ١٤٩.

الكوفة كما ينقل لنا ابن قتيبة [1] والمرزباني [2] رواية عن الاصمعي وأخرى عن شعبة بن العجاج تؤكد ذلك .

بعد أن استقر اهله في الكوفة منذ هاجروا اليه في العقد الثالث من القرن الاول الهجري .

اما الطرماح بن عدي فلا يمكن ان ينسب إلى الخوارج على الرغم من ان ابن عساكر [3] ينقل لنا رواية عن الحسن بن أحمد بن يعقوب بن ذي الدمينة الذي صنفه في مفاخر اليمن يقول فيها الطرماح الاكبر هو ابن عدي بن عبد الله بن جبيري وهو خارجي ونحن نرجح ان الأمر قد اختلط على مؤلف مفاخر اليمن لاشتراك اللقب .

فان الطبري يحدثنا ان الطرماح بن عدي هذا كان قد عزم على نصرة الحسين بن علي حين قصد العراق وارسل اليه عبيد الله بن زياد جيشاً بقيادة الحر بن يزيد . ولا بأس من ان ننقل هنا حديث الطبري قال : « وكان (أي الحر بن يزيد) يسير باصحابه في ناحية وحسين من ناحية أخرى حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات فاذاهم باربعة نفر قد اقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم الطرماح ابن عدي على فرسه وهو يقول :

يا ناقتي لا تذعري من زجري ... وشمري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر ... حتى تحلى بكريم النجر
الماجد الحر الرحيب الصدر ... اتى به الله لخير أمر
ثمت ابقاه بقاء الدهر

قال فلما انتهوا إلى الحسين أنشدوه هذه الابيات فقال اما والله اني لارجو ان يكون خيراً ما أراد الله بنا قتلنا أم ظفرنا . قال واقبل اليهم الحر بن يزيد فقال إن هؤلاء النفر

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ص ٢/٣ .

(٢) المرزباني ، الموشح ص ٢٠٨

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ج ٧ ص ٥٣ .

من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك وأنا حابسهم أو رادهم فقال له الحسين لامنعنهم مما امنع منه نفسي إنما هؤلاء انصاري واعواني . وقد كنت اعطيتني ان لا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد » .

قال أبو مخنف عن الطرماح بن عدي : إنه دنا من الحسين فقال له والله إني لانظر فما أرى معك احداً ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة اليك بيوم ظهرَ الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيناي في صعيد واحد جمعاً اكثر منه فسألت عنهم فقيل اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى الحسين فانشدك الله ان قدرت على ان لا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت فان أردت ان تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما انت صانع فسر حتى انزلك مناع جبلنا الذي يدعى أجأ امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الاسود والاحمر والله ان دخل علينا ذل قط فاسير معك حتى انزلك القرية ثم نبعث إلى الرجال بأجأ وسلمى من طيء فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيىء رجالاً وركباناً ثم اقم فينا ما بدا لك فان هاجك هيج فانا زعيم لك بعشرين الف طائي يضربون بين يديك باسيافهم والله لا يوصل اليك ابداً ومنهم عين تطرف . فقال له جزاك الله وقومك خيراً ، انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندري على م تنصرف بنا وبهم الامور في عاقبة . قال فودعته وقلت له دفع الله عنك شر الجن والانس أني قد امترت لاهلي من الكوفة ميرة ومعي نفقة لهم فآتيهم فاضع ذلك فيهم ثم أقبل اليك ان شاء الله فان الحقك فوالله لاكونن من انصارك قال فان كنت فاعلاً فعجل رحمك الله قال فعلمت انه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل قال فلما بلغت اهلي وضعت عندهم ما يصلحهم واوصيت فاخذ اهلي يقولون إنك لتصنع مرتك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم ، فاخبرتهم بما أريد ، واقبلت في طريق بني ثعل حتى إذا دنوت من عذيب الهجانات استقبلني سماعة بن بدر فنعاه الي فرجعت [1] » .

(١) الطبري تاريخ ج ٢ ص ٣٠٢ ، ٣٠٤ .

وهذه الرواية تبعد عنه كل ظن بانه كان من الخوارج . على ان الحسن بن أحمد بن ذي الدمينة يقول إن الطرماح بن عدى هذا دخل على عبد الملك بن مروان وعنده الفرزدق وهو مقبل عليه فقال الطرماح : يا أمير المؤمنين من هذا الذى الهاك عني ؟ فالتفت الفرزدق مغضباً فقال :

اقول له وانكر بعض حالي ألم تعرف رقاب بني تميم

فقال الطرماح :

بلى اعرف رقاب مخيسات رقاب مذلة ورقاب لوم
اذا ماكنت متخذاً خليلا فلا تجعل خليلا من تميم
يكون صميمهم والعبد منهم فما ادنى العبيد من الصميم

قال الحسن وكان هذا الذي قاد الهجاء بينهما :

وهذه الرواية واضحة الصراحة في ان الطرماح الذي هاجى الفرزدق ليس الطرماح بن حكيم ، بل الطرماح بن عدي وهو من طيء أيضاً واذاً فان هذا الشعر الذي ينسبه الرواة في هجاء الفرزدق وتميم إلى ابن حكيم يجب أن ينسب إلى ابن عدي ونحن اميل إلى اعتماد هذه الرواية إذ لم يكن الطرماح بن حكيم في سن لتسمح له بمثل هذه الجرأة حتى لو افترضنا انه هو الذى دخل على عبد الملك .

وبعد فلا بد أن نتساءل عن الطرماح بن جهم الطائي السنبسي أو العقدي فقد ذكره الآمدي [1] وأورد أبياتاً من أرجوزة كما ذكره التبريزي في شرح الحماسة [2] وأورد له قطعة يهجو فيها نافذ بن سعد المعنى فيقول :

إنَّ بمعن ان فخرت لمفخراً وفي غيرها تبنى بيوت المكارم
متى قدت يا ابن الحنظلية عصبة من الناس تهديها فجاج المخارم
اما ما ابن جد كان ناهز طيىء فان الذرا قد صرن تحت المناسم
فقد بزمام بظرامك واحتذر باير ابيك الفسل كراث عاسم

(١) الآمدي المؤتلف ص ١٤٨ . (٢) جـ ٤ ص ٣٠

وبمقارنة اسلوب هذا الشعر باسلوب هذه المقطوعات التي تنسب إلى الطرماح من غير تعيين أيهم يكون ، والتي تعرض بالهجاء إلى قبائل مختلفة غير تميم ، هذه المقارنة تحملنا على الظن بانها ربما تكون لابن جهم هذا .

وبعد فماذا يبقى للطرماح بن حكيم من هذا الشعر الذي ينسب اليه يبقى له مقدار ضخم يتميز اسلوبه عن اسلوب شعر الهجاء هذا وهو هذا الشعر الذي يغلب عليه الغريب وتصيد الكلمات الحوشية والتعبيرات البدوية والتي تشابه في اسلوبها طريقة الكميت في الهاشميات ورؤبة بن العجاج في رجزه .

وليس هذا غريباً فقد نشأ الطرماح في السواد في عصر اهتم بجمع اللغة ومعرفة مفرداتها وغريبها وكان معلماً فحاول في شعره ان يظهر هـــذه المعرفة بتصيد هذه الكلمات الغريبة الحوشية . حتى لقد تعب اللغويون القدماء في تفسير اشعار الطرماح بن حكيم ويكفي ان نذكر أن محمد بن حبيب قال إنه سأل ابن الاعرابي عن ثمانية عشر كلمة وجـــدها في شعر الطرماح فاعترف ابن الاعرابي انه لا يعرفها [(١)] .

(١) الاغاني جـ ١٠ ص ١٥٦ .

التعقيبات

الدكتور ابراهيم مدكور : أشكر السيد المحاضر على هذا البحث الذي يقوم على فرض علمي حاول الباحث أن يقيم عليه الدليل وأن يثبت لنا قضية يراها . ولا شك أن لكل باحث أن يفرض ما شاء من الفروض ، ولكن المهم أن يجد السبيل إلى التدليل على فرضه هذا . وأظنكم تتبعتم المحاولة التي لجأ إليها السيد المحاضر . وليس هناك ما يمنع أي معارض من الرد على ذلك إذا رأى أن يرد عليه .

الاستاذ الشيخ محمد علي النجار : أشكر الأستاذ على هذا البحث القيم ولكن القضية هى أن عندنا الروايات تجمع على أنه كان من الخوارج . الرواة يروون تفاصيل عن حياته ويقولون إنه كان صديقاً للكميت وإنه كان خارجياً ... الخ . وذكروا اشتغاله بالغريب وكان رؤبة يقول : إنه كان يسألني عن الكلمة الغريبة فأجدها في شعره وهذه الرواية الإجماعية يجب أن نقف عندها حتى يوجد دليل على خلافها .

الأستاذ يقول لا يوجد في أشعاره ما يدل على أنه كان من الخوارج أو على معارضته لمذهب العامة . ربما كان ذلك لأن بعض شعره قد ضاع وربما يكون سببه أن الذين جمعوا شعره كانوا من العامة فحذفوا منه ما ينافى مذهبهم . وهذا كثير ، وحدث مثله لشعراء كثيرين .

هذه كلها احتمالات وإن كانت لها ترجيحات . ولكن يجب أن نقف عند رواية الرواة القائلين بأنه كان خارجياً حتى يوجد دليل على خلاف ذلك .

بقى لي استفسار عن ضبط (الصفرية) التي وردت في البحث .. هل هى الصفْرية (بسكون الفاء) أو الصفَّرية (بفتحها مع التشديد) ؟

الدكتور سليم النعيمي : إنني أوافق الأستاذ الجليل في أن نلتزم في الروايات ما يجب الالتزام فيه . والروايات عند ما تتعرض لقضية الخوارج تقول إن « الطرماح » كان خارجياً ، ولو كان لدينا « طرماح » واحد لالتزمنا به وفيما عدا رواية يذكرها المدائني لا تقول إن الطرماح كان خارجياً ، ومن جاء بعده أخذ هذه الرواية وذكرها حين كان يحدثنا عنه .

ثم إن هذا الشعر الذي فيه ما يدل على أن الطرماح من الخوارج نجد الذين رووه قالوا : « قال الطرماح » ولم يقولوا : « ابن حكيم » أو غيره بل وجدنا من هذا الشعر ـ في رواية يذكرها البلاذري ـ قطعة للطرماح الأكبر : « القعقاع بن قيس » وكان القعقاع خارجياً . لم يشترك في النهروان ، ونحن نعلم أن كثيراً منهم لم يشترك في النهروان ، والاشتراك وعدمه لا يعني أنه كان خارجياً . والطرماح بن حكيم يقال إنه قصد الخروج فمنعه أهله كرها ، ويقال : إنهم حبسوه ولكن القعقاع ـ الذي يلقب بالطرماح الأكبر ـ هو الخارجي ، وقد أكد لنا هذا البلاذري والطبري ولا توجد لدينا رواية تقول إنه ابن حكيم هذا .

والشيء الذي أود أن أشير إليه هو أن صداقته للكميت استغربها الناس في القرن الثالث الهجري وذكرها الجاحظ وغيره وحاولوا تفسيرها فما وجدوا تفسيراً لها إلا قول الكميت : « اتفقنا في بغداد .. » ثم وجدنا رواية تؤكد ان الطرماح الأكبر « القعقاع ابن قيس » هو عم الطرماح بن حكيم ، ثم نجد الرواية تتناقض حول الطرماح بن حكيم ، فهي في قسم تقول : إن منشأه كان في الشام ، وإنه انتقل إلى الكوفة ، وبعضها يقول إنه انتقل إلى السواد ، والطرماح بن حكيم نشأ في السواد ، لأن أهله استقروا فيه .

الأستاذ أمين الخولي : لقد هممت ـ حين سمعت صدر هذا البحث ـ أن أحل المسألة حلا قديماً ، فأقول : إن معارضة مذهب بمذهب لاتلزم شخصاً ، فسلوك الطرماح ـ وقصته مع الكميت إن صحت ـ قد يكون قابلا للتفسير على الرغم من انتمائه إلى مذهب خارجي ،

ولكنني بعد ما سمعته من هذا النقد الخارجي والداخلي ـ وأعنى بالنقد الخارجي نقد السند ، وبالنقد الداخلي النظر في النصوص ومقارنتها ـ ، وجدت أن الأمر يختلف ، وأن البحث المطروح علينا لا يأخذ بوصف الروايات وانما يتتبع الموضوع في مراجعه المختلفة ، ويناقش كلام أصحاب الروايات .

وما قاله الزميل الأستاذ النجار من ان الروايات تجمع على ان الطرماح كان خارجياً ، هذا الوصف للروايات بالاجماع فيه توسع ، لأننا سمعنا الآن روايات مختلفة ومتقابلة وان هذا المسلك من الإحاطة والتتبع ، ومن النقد بشقيه ـ الخارجي والداخلي ـ مما يستحق الإعجاب ، وأمام هذا أردت أن أسجل تقديري ورضاي عن هذا المنهج .

وأرجو ألا نأخذ هذه الظواهر هذا الأخذ وألا نكسل عن مثل هذا التتبع والنقد اللذين أخذ بهما الأستاذ الباحث ، فهذا هو المنهج الذي يطمأن اليه في البحث . وشكراً .

الدكتور جميل سعيد : أرى أن ربط شعر الطرماح بعقيدته ، وجعل هذه العقيدة جزءاً من شعره أو العكس ليس مما يستدل به ، نعم يمكن أن نعد ذلك قرينة لا تبلغ من الأهمية درجة الدليل ، فنحن نعرف أن كثيراً من الشعراء الإسلاميين ظلوا على مذهبهم الجاهلي في نظم الشعر ، وتناولوا فيه معاني الجاهلية ، فنراهم يفخرون بأمور نهى الاسلام عنها كالخمر والزنا واذكر من ذلك الفرزدق حين يمدح على طريقة الجاهليين فيقول :

وركب كأن الريح ألقت زمامها ... الخ

فهو فى هذا يمدح بالطريقة البدوية ، وربما كان الطرماح بن حكيم من هؤلاء أيضاً ، إنه يهجو بروح جاهلية ، ويحضرني منه الآن قوله في الفرزدق يهجوه :

لا عزّ نصر امرئٍ أمس له فرس	على تميم يريد النصر من أحد
إذا دعا بشعار الأزد نفّرهم	كما ينفّر صوت الليث بالنَّقَد
لو حان ورد تميم ثم قيل لها :	حوض الرسول عليه الأزدُ لم تردِ
أو نزّل الله وحياً أن يعذبها	إن لم تعد لقتال الأزدِ لم تعدِ

ومثل ذلك كثير عند الشعراء الإسلاميين الذين ظلوا على جاهليتهم فيما ينظمون من شعر ، ومن ثم فإني لا أرى أن يكون الشعر دليلا على عقيدة الناس .. وأشكركم .

الدكتور سليم النعيمي : أشعر أن الزميل الدكتور جميل سعيد يريد أن يقول : إن هذا الشاعر قد يكون خارجياً ولكنه يقول شيئاً لايعتقده .

والمعروف أن الخوارج يجعلون العمل جزءاً من العقيدة ، فلا يكون الإنسان خارجياً يؤمن بالخارجية ثم يسلك سلوكاً ينافي ذلك ، ومن ثم فإني استبعد أن يكون الطرماح قد قال ما لايعتقده ، على أنني لم أفرق بين الطرماح بن حكيم وغيره معتمداً على مذهبه وحده ، وإنما اعتمدت فيما ذهبت إليه على الاختلاف فى الأسلوب مع قرائن أخرى مستمدة من الروايات والنصوص كما ذكرت من قبل ، ونحن لانستطيع أن نوفق بين أسلوب الطرماح وبين قصيدة الغريب ولو كان معي الديوان لقرأت عليكم القصيدة ، ولرأيتم أننا نحتاج في كل بيت إلى الرجوع إلى المعجم أكثر من مرة ، كذلك فانه سلك مسلكاً ، وقال أموراً ينكرها الخوارج : المتعصبون منهم والمتساهلون ، حتى الصفرية الذين يجيزون القعود .

الدكتور عبد العزيز الدوري : أحب أن أبين ان الروايات إذا كانت من طريق واحد لايعد اتفاقها إجماعاً ، فهي مأخوذة من جهة واحدة ، والتكرار لايعطيها صفة الإجماع ، وعندنا أمثلة لذلك ، فالمؤرخون يذكرون ان الذي أرتكب المجزرة الكبرى عند قيام دولة بني العباس هو أبو العباس عبد الله بن محمد ، السفاح ، أخو أبي جعفر المنصور ، وقد أثبت التحقيق ان الذي أرتكب هذه المجزرة وأطلق عليه اسم السفاح هو عبد الله إبن عمه لا أخوه ... ومثل هذا الاضطراب يمكن أن يقع للطرماح بن حكيم ما دمنا أمام أكثر من طرماح ، والذي ينبغي أن يعول عليه في مثل هذه الحالات هوالنقد الداخلي والخارجي كما أشار من قبل الأستاذ أمين الخولي .

بقى أن أشير إلى أن استعمال كلمة (العامة) الواردة في قصة الطرماح مع الكميت لاتعني اصحاب الثقافة المحدودة ، كما يفهم وأخشى أن يكون مقصوداً بها عامة المسلمين .

الدكتور سليم النعيمي : يبدو لي ان هذه القصة من وضع الجاحظ ، فهو يحاول أن يتفكه أحياناً ، وهذا مجرد افتراض ليس لنا عليه دليل ، وعلى كل حال فالجاحظ ينكر هذا الإجماع .

الأستاذ عبدالله كنون : لي كلمة في الموضوع ، وأخرى تتعلق بضبط «الصفرية» التي استفسر الزميل الأستاذ النجار عن صواب ضبطها .. فالأولى : أن الأستاذ المحاضر يستدل بنصيحة الطرماح للحسين ، على أنه كان شيعياً ولم يكن خارجياً ، وأنا أعتقد أن الخوارج كانوا مع العلويين ، ولا يمكن أن يكون مجرد نصحه للحسين دليلا على عدم خارجيته .

أما ضبط « الصفرية » فهو بسكون الفاء ، إما لما ذكره الأستاذ المحاضر من صفرة ألوانهم من كثرة العبادة ، واما لأن الكثير من حروبهم كان مع المهلب بن أبي صفرة ، ومع بنيه أيضاً .

الدكتور سليم النعيمي : لم أقل إن الطرماح كان شيعيا ، ولكنني قلت : إن هناك رواية قد تنسب الى الطرماح بن عدي يفهم منها انه لم يكن خارجيا ، وأنا أقول إن الطرماح الأكبر « القعقاع بن قيس » هو الذي كان خارجيا والقول بأن الخوارج كانوا مع العلويين غير مقبول ، فالخوارج كانوا يكفرون علياً ، ويجمعون على ذلك ، ولم نجد ثورة قام بها علوي واشترك فيها خارجي ، ولو صح هذا لأيدنا رأي الأستاذ .

أما ضبط الصفرية فهم منسوبون إلى « الصفر » جمع أصفر ، وساغت النسبة إليه باعتبار أن هذا الجمع أصبح في حكم المفرد ، كما قالوا في النسبة إلى الانصار أنصاري .

أما أنهم سموا بذلك لحروبهم مع المهلب بن أبي صفرة وبنيه ، فغير صحيح ، لأن المهلب بن أبي صفرة حارب الأزارقة واستمر في حربهم طويلا ، ولم يحارب الصفرية مطلقاً .

وقد رجحت أن تكون نسبتهم إلى « الصفر » من صفرة الوجوه ، كما ورد في وصفهم بأنهم « .. قد اصفرت وجوههم من العبادة » .

الدكتور يوسف عز الدين : هل يمكن أن نعرف أين كانت إقامة الصفرية ؟ حتى يتبين

الأمر لنا ومن ثم نحكم للاستاذ المحاضر فلعل للمكان أثراً في اللون جاء من مرض او علة يفسرها لنا الزملاء الاعضاء من الاطباء .

الدكتور سليم النعيمي : المعروف أن الخوارج كان أول ظهورهم في البصرة ، بزعامة أبي بلال مرداس بن أدية ثم خرج من البصرة أيام عبد الله بن زياد ، ثم أصبح رئيسهم عمران بن حطان بعد أبي هلال ، وكان الأزارقة أيضاً في البصرة .

الدكتور محمود الجليلي : كنت أحب أن أعرف موطنهم ، لأنه قد يصح أن نعلل سبب صفرة وجوههم لمرضهم بالانكلستوما التي يكثر إصابة سكان بعض المناطق العراقية بها .

الدكتور إبراهيم مدكور : لم يبق إذن إلا أن نشكر الأستاذ المحاضر على هذا المنهج العلمي ، وهذا التحقيق الدقيق ، ومهما اختلفنا في بعض النقاط فهذه طبيعة البحوث الدقيقة دائماً ، وفضل العالم في هـذا المجال أن يؤيد آراءه بما يجده من الأدلة المختلفة . وأرجو أخيراً ألا تفوتنا قراءة البحث بتمامه بعد الطبـع .

٣ — الآلات الجراحية عند العرب

الدكتور عبد اللطيف البدري

عضو المجمع العلمي العراقي

لكل آلة جراحية ماض وحاضر ومستقبل ، ولكل منها قصتها ، كيف بدأت وما الحاجة التي دفعت الطبيب لاستنباطها . وكل آلة ترسم لنا فكرة صادقة عن المستوى الذي وصلت اليه الجراحة في العصر الذي صنعت فيه ، ولأدراك هذا المستوى يقتضي أن يوضح علم الجراحة ومنزلته بين علوم الطب وما يلزم للجراح أن يلم به من علوم يبنى عليها علمه وفنه .

وفي الطب قديماً وحديثاً علوم يعتبر الالمام بها أساساً لتعلم الطب وهي الوراثة والتشريح ومنافع الأعضاء والعقاقير والسموم والحيوان والطفيليات ، وهي علوم لازمة لإدراك علم الأمراض إدراكاً عميقاً في مختلف فروعه واختصاصاته .

وفي ظلال الحكم العربي واكب أزدهار الطب ازدهار العلوم الأخرى فكتب الكثير عنه سواء أكان أصيلا أو معرباً من حضارات سابقة أخرى ، ففى علم الوراثة كتب ابن القيم كتاباً [١] جاء فيه الكثير من الآراء الطبية التي عدها العلم الحديث صائبة وسديدة يسار في هديها اليوم ، كما كتب الامام زكريا محمد بن محمود القزويني [٢] في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات عن الوراثة وضمن كتابه آراءه التي لا تقل عما ذكره ابن القيم في كتابه .

وقد ازدهر علم التشريح وعلم منافع الأعضاء عند العرب بالرغم مما كان يثار من أقاويل حول تحريم الدين الاسلامي للتسليخ [٣] . ولقد قال ابن رشد الطبيب

(١) الاسلام والطب : الدكتور شوكة الشطي ج ١ ص ٩٣ .

(٢) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات : زكريا محمد بن محمود القزويني .

(٣) التسليخ Dissection .

الأندلسي [١] رداً على هـذه الأقاويل ان معرفة الأعضاء بالتسليخ تقرب من الله تعالى ، ويستشهد بالآية الكريمة (وفي أنفسكم أفلا تفكرون) [٢] : وبين أن مركز التصور يقع في مقدمة الدماغ ، ووصف بدقة فائقة الدوران الدموي الشعري في الكبد ، وطريق هضم الأكل وامتصاصه ، وأشار إلى العلاقة بين شعر اللحية والخصية ، وبين انه اذا تعطلت الخصية تعطل شعر اللحية . ويتضح من كل هذا انه مارس التسليخ . وكذلك فعل ابو القاسم الزهراوي [٣] ويستدل عليه من كتاباته . ومن وصف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى [٤] . وهو الوصف الذي خالف فيه ابن سينا وجميع أطباء عصره ، ووصفه أيضاً كيفية تغذية عضلة القلب بالعروق الاكليلية ووصفه لجرم القلب تدلنا على ممارسته التسليخ أيضاً . إذ ان مثل هذا الوصف لا يمكن فيه الاجتهاد النظري اطلاقاً .

وقد ساهم العرب مساهمة فعالة في علم العقاقير ، فلأحمد بن ابراهيم [٥] طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك ألف رسالة في النبات المستعمل في الطب ، وللجابر [٦] بن حيان كتاب في السموم الحيوانية والنباتية والحجرية ، وهي دلالة واضحة على انهم درسوا هذا العلم دراسة عميقة ساعدت على الاستفادة في وصف الأدوية للمرضى ولكل ما يتعلق بالصحة آنذاك .

أما في علم الحيوان فقد أسهم العرب مساهمة فعالة وقد يكون الجاحظ [٧] أول عربي وضع كتاباً سماه (علم الحيوان) وتبعه الدميري والقزويني [٨] في هذا الباب ومن دراسة هذا العلم وعلم الطفيليات أهتدى العرب الى الكثير من الأمراض وطرق انتقالها ، فلقد

(١) الاسلام والطب : الدكتور شوكة الشطي ج ١ ص ١٣٨

(٢) سورة والذاريات .

(٣) الطب العربي : الدكتور أمين سعيد خير الله ج ٦ ص ١٩ .

(٤) تاريخ الفكر العربي : الدكتور عمر فروخ ص : ٥٥٤ ــ ٥٥٧

(٥) الاسلام والطب : الدكتور شوكة الشطي

(٦) كتاب في السموم : أبو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الصوفي الطرسوسي .

(٧) كتاب الحيوان : لأبي عثمان بن بحر الجاحظ البصري وقد حققه الاستاذ محمد عبد السلام هارون .

(٨) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات : زكريا محمد بن محمود القزويني .

اكتشف الطبري [١] الحشرة التي تنقل داء الجرب .

وفي علم الأمراض وأنواعها : ساهم العرب مساهمة كبيرة فيما كتبوه وصفوه من وسائل التشخيص . فكتبوا عن النبض وأنواعه وصفات كل نوع وما تعني هذه الصفات بالنسبة للأمراض . وكتبوا في فحص القارورة وكيفية أستنتاج نوع المرض المسبب ، وان كان سيتماثل للشفاء أم للأنتكاس . كما انهم وصفوا كيفية فحص البصاق والدم ومدلول كل منها.

ويعتبر الأنذار [٢] جزءاً متمماً للتشخيص في الأمراض ، ودلالة واضحة على حذق الطبيب في المرض ومعالجته . وفي الأنذار يحدد الطبيب مدة ملازمة المرض وشدّته ومقدار الأمل فيه للشفاء . وقد ساهم العرب في هذا الباب أيضاً فوصفوا الأمراض السيئة العاقبة والسليمة الختام وكتبوا كثيراً عن البحران [٣] وانه الفصل الخطاب في الأمراض ، وشبهوه باليوم الحاسم بين جيش معتد وآخر مدافع وما يؤديه هذا اليوم من الأحتمالات المختلفة .

أما في الأمراض السارية فلقد عرفوا العدوى ، وذكروا الأمراض التى تنتقل من شخص لآخر وقسماً من طرق أنتقالها . وكتب العلامة الأندلسي [٤] أبو جعفر بن خاتمة عن المرض الوافد الوبائي ما جعله من طلائع واضعي هذا العلم . وفي الحديث الشريف [٥] (إذا كان الطاعون في أرض فلا تدخلوها وان كنتم فيها فلا تخرجوا منها) ، وهذا الاساس العلمي للحجر الصحي الحديث .

ومساهمة العرب في الأمراض العقلية والعصبية تتمثل فيما كتبه أبن الهيثم [٦] عن تأثير الغناء في معالجة النفس من اضطراباتها ، وفيما كتبه ابن القيم [٧] عن الميول والمحبة واللذة

---

(١) أبو الحسن بن علي بن ربن الطبري

(٢) الأنذار Prognosis . القانون لأبن سينا ج ٣ ص ٧٧ .

(٣) البحران Crisis .

(٤) تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد : أبو جعفر بن خاتمة الأندلسي .

(٥) روى عن أبي عبيدة الجراح .

(٦) أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم

(٧) روضة المحبين : لأبن القيم ص ١٧٠ ، ١٨٩ .

والألم في كتابه روضة المحبين ، وما كتبه ابن حزم الأندلسي[1] في طوق الحمامة ، من الابحاث عن خلجات النفس فتعتبر مقبولة في علم النفس في عصرنا هذا .

وفي تعليلات الأمراض النفسية ، وفي تفسير الأحلام ، جاء في الكتاب الذي ينسب للقاضي محمد أبي بكر بن سيرين[2] الكثير مما يتفق وآراء العالم النفساني أدلر في هذه التفسيرات .

ولنعد إلى الجراحة . فلقد نقل العرب عمن قبلهم معلومات أضافوا اليها اضافة علمية مما وصل الى تجربتهم وعلمهم . وقد ابتكروا الكثير في هذا الفن فاضافت تجاربهم قسطاً وافراً في الجراحة .

وكان أبو القاسم الزهراوي[3] في طليعة جراحي العرب وصاحب مدرسة في الطب تأثر بها الغربيون . فمعلوماته ووسائله وآلاته أساس الجراحة الحديثة . وهو أول من فصل الجراحة عن الطب الباطني ، وهو أول من خاط الأعضاء بخيوط مصنوعة من الأمعاء وأول من بتر بين رباطين وأول من أوصى بجعل الأطراف السفلى أعلى من الرأس عند اجراء العمليات على البطن .

وممن ساهم بتقدم الجراحة مروان بن زهر[4] ، من جراحي العرب المشهورين فهو أول من أهتم بدرس العظام والكسور ، وأول من أشار الى استعمال الحقن المغذية في أمراض المري والمعدة لتوصله لامكان امتصاص قسم من المواد الغذائية من المعي الغليظ .

كما ساهم ابن القف[5] فى هذا الفرع ، فألف كتاباً سماه (العمدة في الجراحة) . أما صالح بن نصر الله الحلبي بن سلوم[6] فقد سمى كتابه (الغاية فى الجراحة) .

---

(١) طوق الحمامة : علي بن حزم الأندلسي .
(٢) تفسير الأحلام : الأستاذ الدكتور عبدالله عبدالدايم .
(٣) موجز تاريخ الطب : الدكتور شوكة الشطي .
(٤) الأسلام والطب : » » »
(٥) العمدة في الجراحة : أمين الدولة أبي الفرج أبن موفق الدين يعقوب بن أسحق .
(٦) الغاية في الجراحة : صالح بن نصرالله بن سلوم الحلبي

وليس من شك بأن العرب أول من أشار الى تفتيت الحصاة في المثانة قبل استخراجها واستعملوا التخدير بعدة طرق ووصفوا الناعور ، وكانوا يستعملون عدداً كبيراً من الآلات الجراحية ، وخصوا كل آلة بعمل خاص بها وهو دليل واضح على تقدم في الجراحة ورقيها .

وتوضح المحاورة الذي وضعها ابن بطلان [1] ، والتي جاءت على لسان طبيب ميافارقين وآخر نازح من بغداد ، مع ما فيها من مزح يكشف عن جد في استعمال مختلف الآلات الجراحية حتى عند الطبيب الممارس ، وقد جاء في هذا الجزء من المحاررة ما يلي : (ثم قال لي أرني مباضعك فأخرجت اليه دست المباضع فتأمله وقال اين المدورات ، والشفرات ، والمروزيات ، والحربات ، وأين فأس الجبهة وصنّارة الصدغ والدواء القاطع للدم . قلت ما معي من هذا كله شيء ، قال فأرني لطف أناملك فلما أخرجت يدي قال ما هذه أنامل تصلح لجس العروق ولا هذا زند يقدح) .

ويرينا هذا الحوار ان للفصد ، وهو عمل جراحي بسيط ، مختلف الآلات الجراحية تصلح كل منها لعرق دون غيره وهي خبرة تدل على تقدم فن الجراحة .

وورد في مكان آخر ذكر عدد من الآلات الجراحية مثل كلبة الأضراس ، ومكاوي الطحال والرأس ، والنشاب ، وصنانير السَبَل [2] والظفرة [3] ، وزراقات القولنج ، وقثاطير البول [4] وملزم البواسير ومخروط المناخير ورصاص التثقيل ، ومنجل التأكيل ، ومخالب التشمير ، ومحك الجرب ، ومنشار القطع ، ومهو [5] القدح ومجرفة الاذن ومقص السلع [6] وخشية الكتف وحمال الورك ومفتاح الرحم ونوار النسا ، ومكمدة [7] الحشا ، ومقدح الشوصة ، ودرج المكاحل .

ومن الصعب أو الممل ذكر أسماء جميع الآلات الجراحية ووصفها شكلا واستعمالا في

(١) دعوة الأطباء : أبو الحسن المختار بن حسن بن بطلان : ١٨ .

(٢) السبل Pannus

(٣) الظفرة Ptyregion

(٤) قثاطير Catheter

(٥) المهو : السيف الرقيق .

(٦) الغدد اللفاوية الدرقية .

(٧) مكمدة Retractor .

مثل هذا المجال الضيق ، غير ان ذكر الآلات الشائعة حسب فروع الاختصاص يغني عن الأسهاب : ففي أمراض العيون ورد :

المقدح : آلة ذات رأس سهمي حادة الطرفين تستعمل في جراحة الساد (الماء الابيض في العين) .

المحف : آلة في نهايتها فتحة مستطيلة متوسطة السعة حادة الحوافي من داخل الفتحة تستعمل لحف الأجفان من داخلها .

ذات الشعيرة : مبضع نهايته مستدقة حادة الطرفين منحية بزاوية .

الشوكة : مثل ذات الشعيرة إلا أنها أعرض ولا تنحى نهايتها وكلاهما يستعملان لقص أجزاء صغيرة ودقيقة في العين .

مكواةموضع الشعر : آلة تنتهي بطرف أبرى مثبت بصورة قائمة على المقبض تستعمل لـكيّ أصل الشعر في السبل .

مكواة الصدغين : ومكواة اليافوخ . آلتين تشابهان مكواة موضع الشعر وهي غير مدببة ، ومتفاوتة في الحجم .

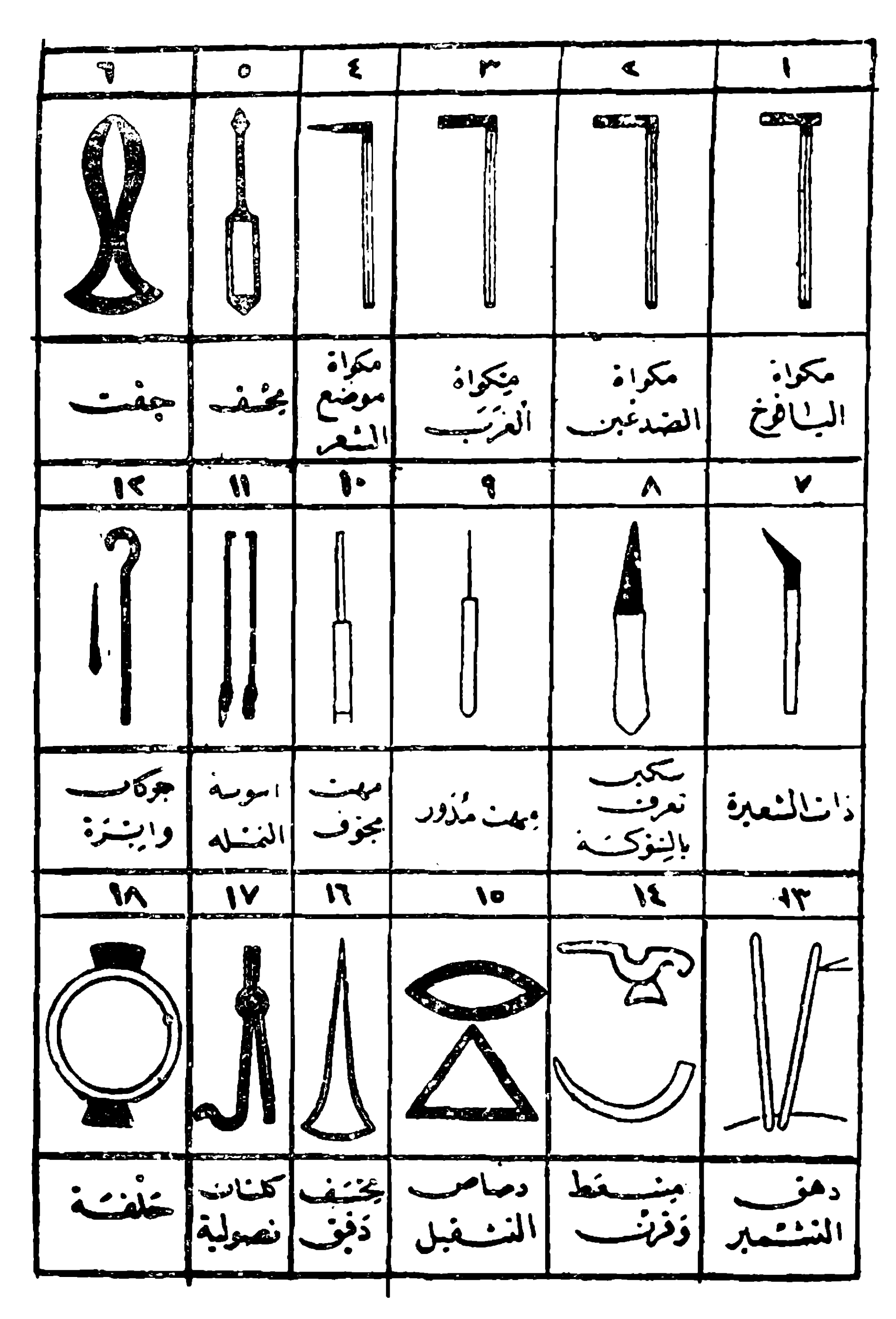
مَهْوٌ مدور : ومهو مجوف : وكلاهما لاحداث فتحة دائمة في العين بأحجام مختلفة في معالجة مرض الماء الأسود .

أنبوبة النملة : وهى أنبوبةرفيعة في كل من نهايتها أنحناء بسيط قصير تستعمل لـكف الأجزاء الحساسة في العين عند الجراحة .

جفت : لمسك الانسجة أثناء الجراحة وهو نوع من الملاقط .

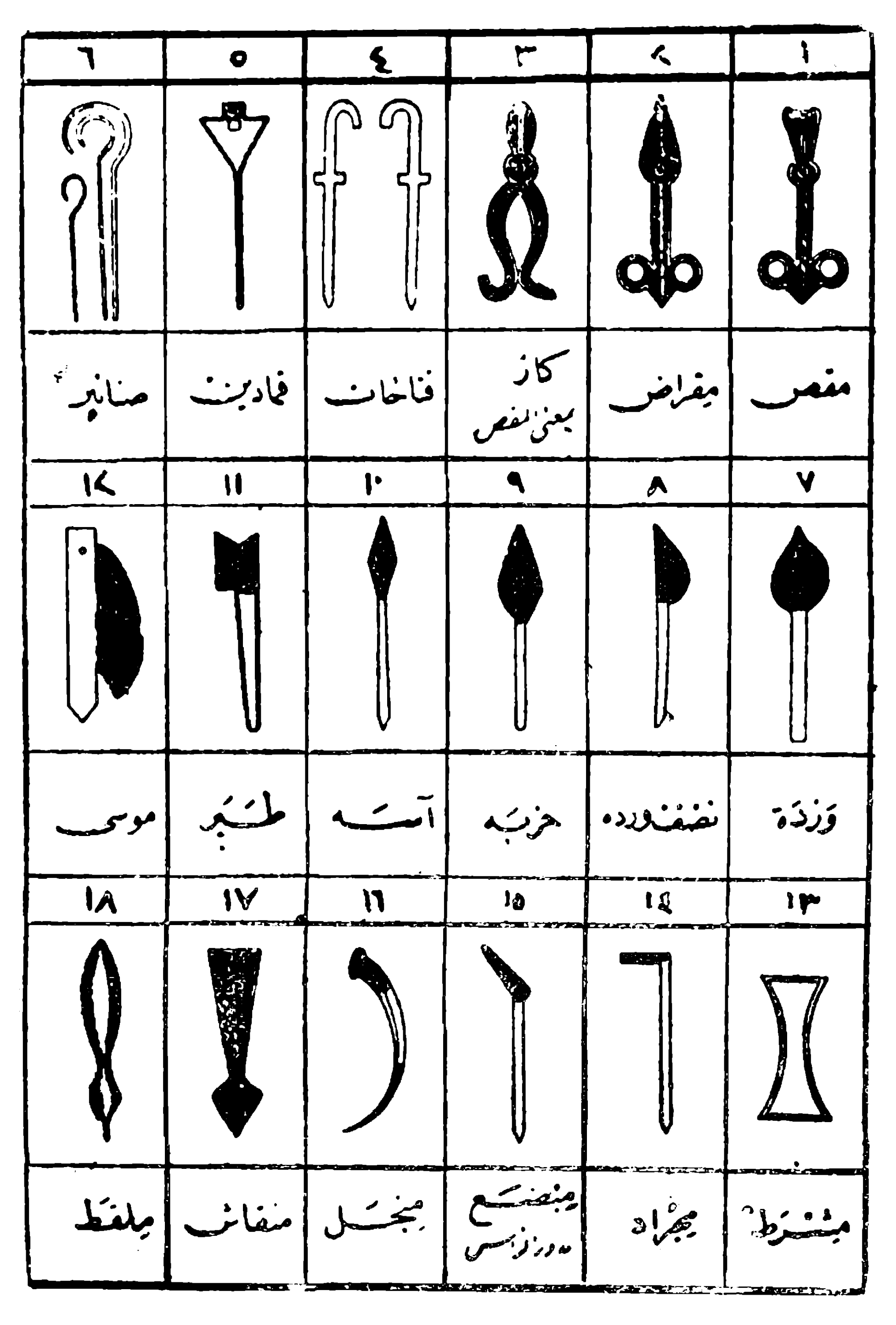
حلقة عين : لأبعاد الأجفان عن بعضها وأفساح المجال للجراح كي يعمل بتمكن ، ويدل اسمها على شكلها .

ابرة عين : وهى ابر الجراحة للخياطة ، وفي هذه الحالة تكون دقيقة الحجم لتناسب الأنسجة المستعملة فيها .



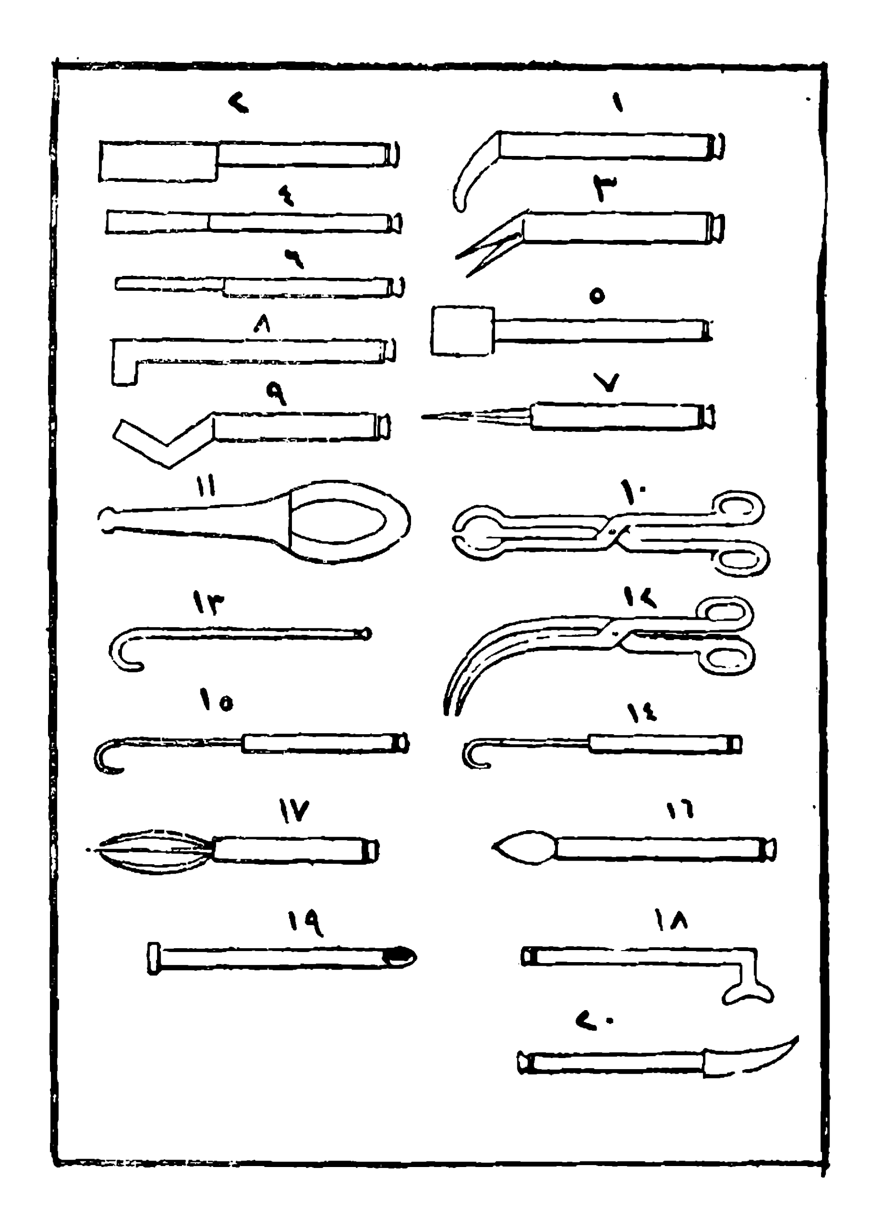
صور آلات الكحالة كما جاءت في كتاب الكافي في الكحل خليفة الحلبي

منقولة عن كتاب الاسلام والطب للدكتور شوكة الشطي .



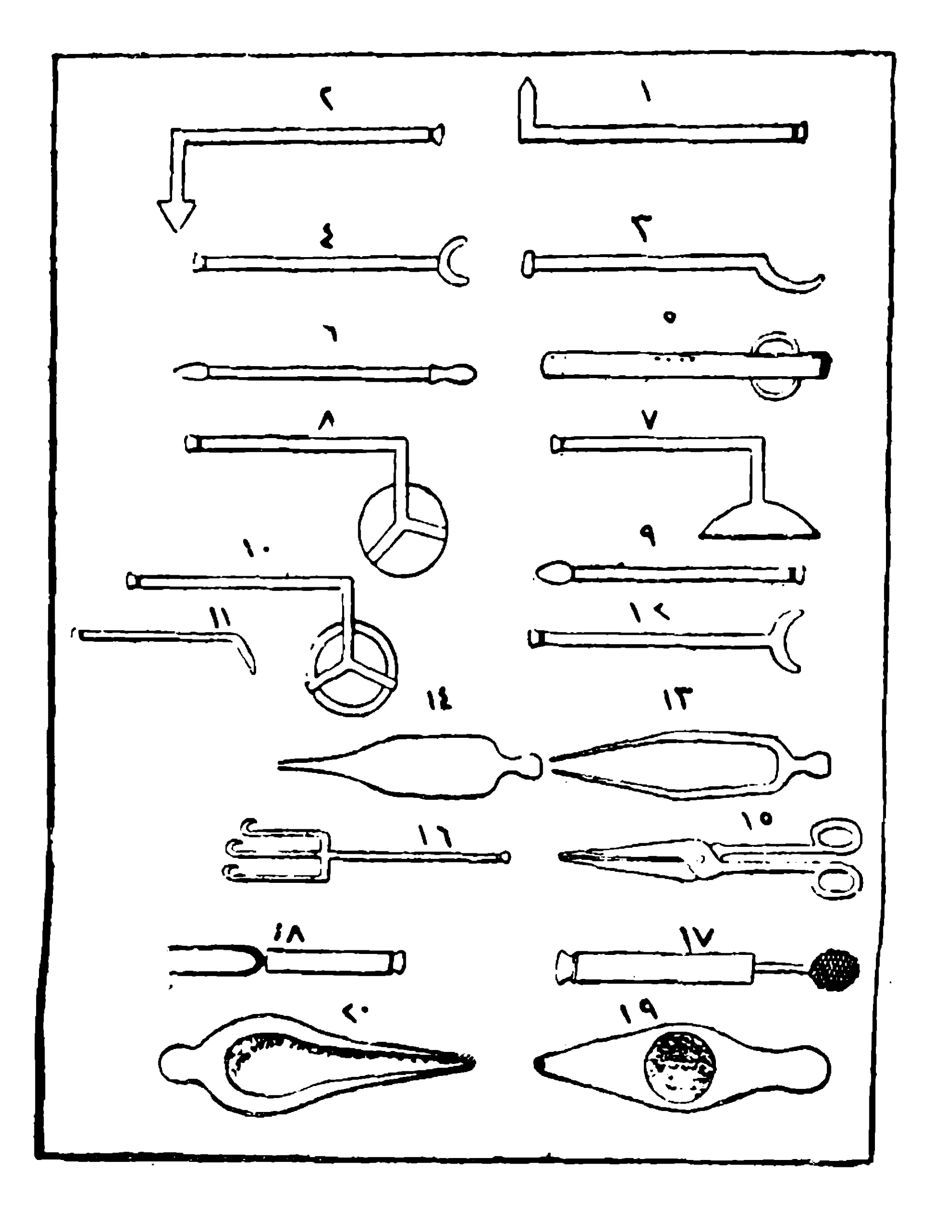
صور منقولة عن كتاب الكافي لخليفة الحلبي

منقولة عن كتاب الاسلام والطب للدكتور شوكة الشطي .



من ١ الى ٩ : انواع من المجارد والمشارط ، ١٠ منقاش اللوزة ، ١١ مكبس اللسان ، ١٢ كلاب لإخراج العلق وغيره مما ينشب في الحلق ١٣ آلة لاستخراج الشوك ومانشب في الحلق من الأجسام الغريبة وهي كالمرود اغلظ منه قليلا طرفها معقف كالصنارة يدخل في الحلق برفق ويرفع بها العظم والشوك وغيرهما من الأجسام الغريبة في الحلق ١٤ ، ١٥ صنارة ١٦ : مبضع ١٧ مجدع ، ١٨ مكواة ، ١٩ مبذل من فضة او نحاس ، ٢٠ مضع شبل

منقولة عن كتاب الاسلام والطب للدكتور شوكة الشطي .



١ مكواة نقطية ٢ مكواة مثلثة ٣ مكواة آسية ٤ مكواة هلالية ٥ مكواة البوبية ٦ مكواة البوبية ٧ ، ٨ ، ١٠ مكاوي دائرية ٩ مكواة زيتونية ١١ مسبار ١٢ مكواة ١٣ جفت لطيف لإخراج ماسقط في الأذن من الأشياء الغريبة ١٤ جفت ١٥ مقص ١٦ صنارة ذات ثلاثة شعب ١٧ خشنة الرأس : آلة لجرد العظم الفاسد تصنع من الحديد ويكون رأسها مدوراً كالزر وقد نقش على رأسها بالمبرد ١٨ صنارة ١٩ مسعط ٢٠ منقاش

منقولة عن كتاب الاسلام والطب للدكتور شوكة الشطي .

أما في أمراض الأنف والأذن والحنجرة فأهم الآلات هي :

سنارة اللوزتين : وهي آلة معقوفة بخطاف أو أكثر لسحب اللوزتين إلى الخارج عند القطع أو القلع .

منقاش اللوزة : ملقط له فتحة دائرية في نهايته تتسع لحجم اللوزة عند القطع .

مكبس اللسان : آلة مسطحة ذات نهايتين أحدهما أكبر من الأخرى تستعمل لخفض اللسان سواء في فحص البلعوم أم في العمليات الجراحية .

ملقط الحلق والبلعوم : ملقط له نهاية طويلة منحية لأحد الجوانب أنحناء شديداً تستعمل لأخراج ما ينشب في الحلق والبلعوم من شوك وعظم وعلق وأجسام غريبة .

مبضع اللوزة : آلة تنتهي بفتحة مستطيلة الشكل حافتها النهائية حادة من الداخل ، تستعمل لقص اللوزة بعد أدخالها بالفتحة ، وبالسحب إلى الخارج .

منقاش الأذن : لأستخراج ما يسقط في الأذن ، ويختلف عن أيّ منقاش آخر بدقة فكيه وطولها .

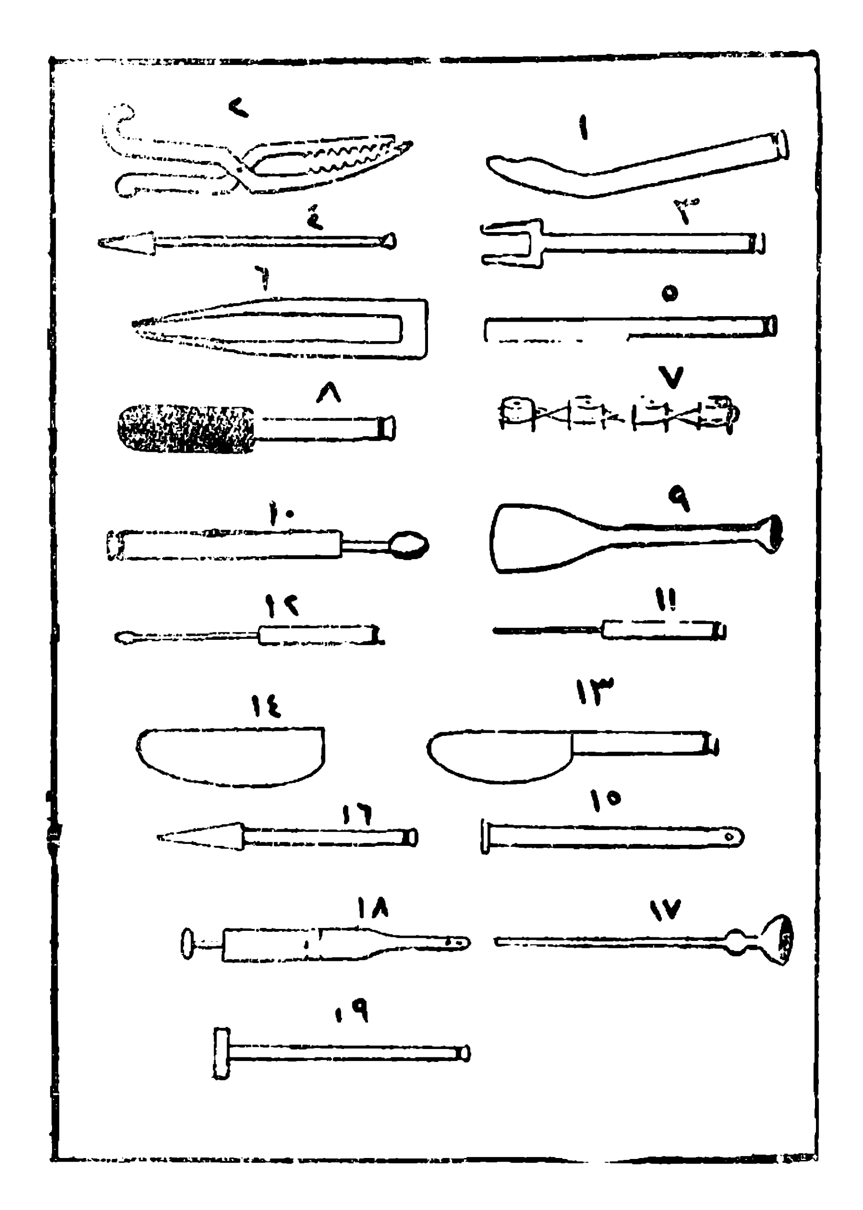
مسعط : مباضع : مكاوى لهذه الفرع من الجراحة ومما لم يرد ذكره أعلاه .

وفي طب الاسنان مارس أطباء العرب هذه الصناعة عندما كان المشعوذون والحلاقون في الغرب هم الذين يتعاطون هذه الصنعة ، ولا تتعدى وصفاتهم التمضمض بالبول ففي كتاب الزاهراوي (التصريف لمن عجز عن التأليف) ذكر مختلف أنواع آلات قلع الأسنان ، واخرى لقلع الجذور ، وآلات للتنظيف والجرد ، أو لنشر الأسنان الناتئة اولقطع اللحم الزائد في اللثة ولتسبيك الأضراس والأسنان بخيوط من الذهب أو الفضة .

أما في التجبير وجراحة العظام فقد تعددت الآلات وفيما يلي طائفة منها :

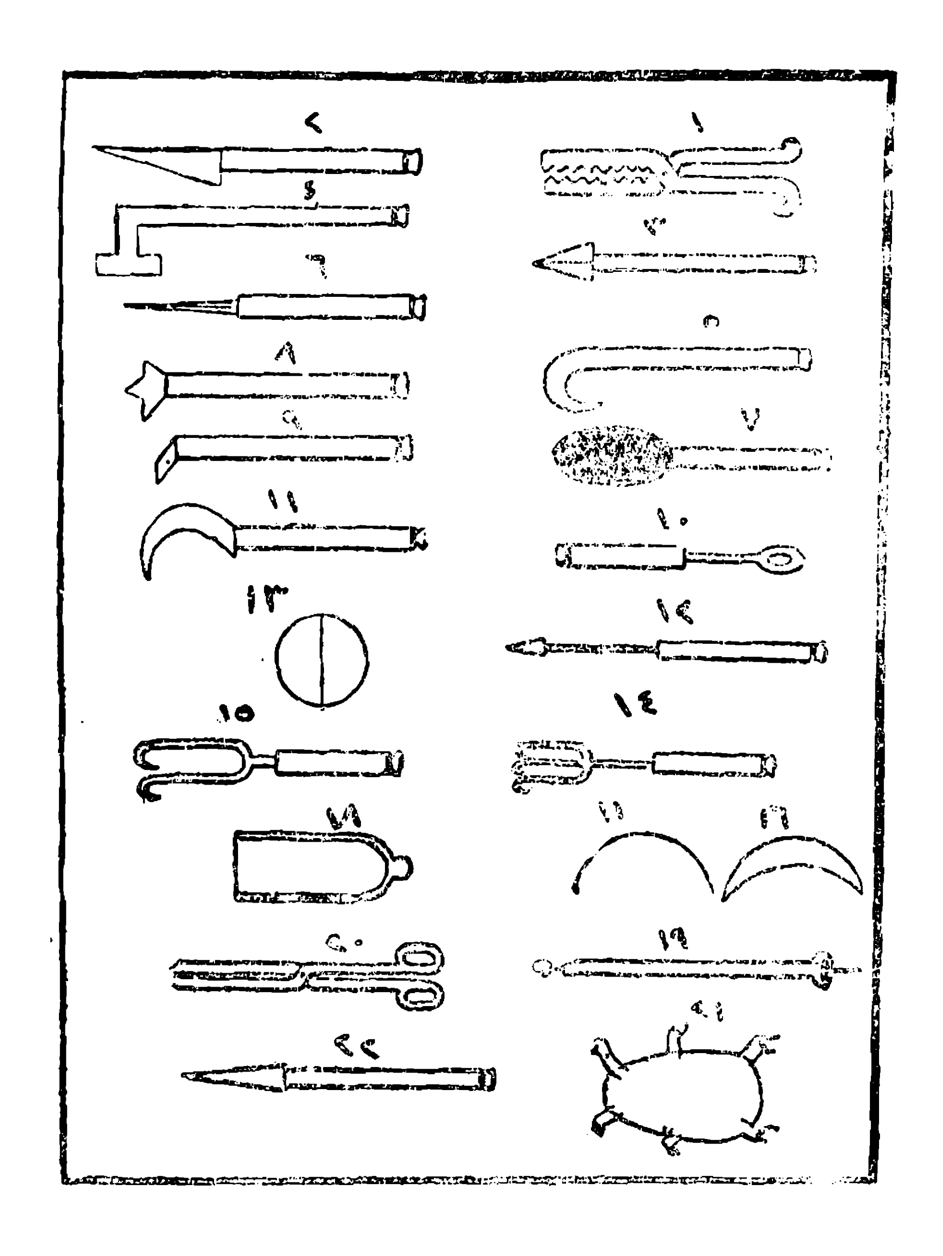
مثقبة : لثقب عظم القحف عند أجراء العمليات أو لأستخراج النزف من تحتها .

منجل : يستعمل لنفس الغاية السابقة عند لين العظم كالأطفال .



١ : عتلة ٢ : كلاب ٣ : ذات الشعبين لاستخراج بقايا السن ٤ : عتلة ٥ : منشار ٦ : جفت
ـ آلة لاستخراج العظام المكسورة من الفك او احد عظام الفم ٧ : خياطة معدنية ٨ : مبرد
٩ : رمانة ـ آلة مجوفة كالرمانة من احد طرفيها وطرفها الآخر كالانبوب من فضة او نحاس
١٠ : مكواة ١١ : بريد ـ آلة كالمسبار ١٢ : مكواة ١٣ : مشرط ١٤ : شفرة مشرط
١٥ : مسبار ١٦ : مبضع شوكي ١٧ : محقن لطيف ١٨ : مزرافة ١٩ : مكواة

منقولة عن كتاب الاسلام والطب للدكتور شوكة الشطي .



١ : كلابة ٢ : مبضع ٣ : عتلة لشقة الطرش ٤ : مكواة ٥ : صنارة كبيرة تقلع بقايا السن
٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٢١ : مكاوي ١٠ : آلة كالمرود وطرفها كالملعقة بلا دواء كاويا لوضعه على
اللهاة لكيها ١١ ، ١٧ ، ١٨ : مبضع لقطع اللوزة ١٢ : موسى ١٣ : صفحة مكواة ١٤ : صنارة
ذات ثلاث خطاطيف ١٥ : صنارة ذات خطفين ١٩ : قاثاطير ٢٠ : مقص ٢٢ : مشعب

منقولة عن كتاب الاسلام والطب للدكتور شوكة الشطي .

مشداخ : لتفتيت حافة العظم أو جزء منه .

مدفع : لدفع العظم ، أو سحبه ، بعد مسكه بالآلة بأحكام .

خشنة الرأس : قبضة معدنية تنتهي بقطعة مدورة مسطحة مبردية الوجهين ، تستعمل لصقل حافات العظم بعد الجراحة .

مناشير : بأحجام مختلفة وأشكال عديدة تناسب الغاية التي من أجلها يقتضي نشر العظم سنارات مختلفة بحجوم تلائم جراحة العظم .

آلات تجبير : لشد الأطراف المكسورة كي يتمكن الجراح من مطابقة النهايات المكسورة من العظم على بعضها .

لوح الكتف : حاملة الورك : وجبائر أخرى مختلفة كل لكسر خاص .

أما في الولادة والامراض النسائية فقد أجرى أبو القاسم الزاهراوى عملية نفتيت الرأس في الأجنة الضخمة الرؤوس والتي لا تتم ولادتها إلا بالتداخل الجراحي .

وهو الذى اخترع منظار المهبل . وفيما يلي قسم من الآلات الجراحية المستعملة في هذا الاختصاص :

ملقط الجنين : آلة ذات فكين تضغطان على رأس الجنين بمفتاح لولبي ، ثم يجذت الرأس والآلة إلى الخارج .

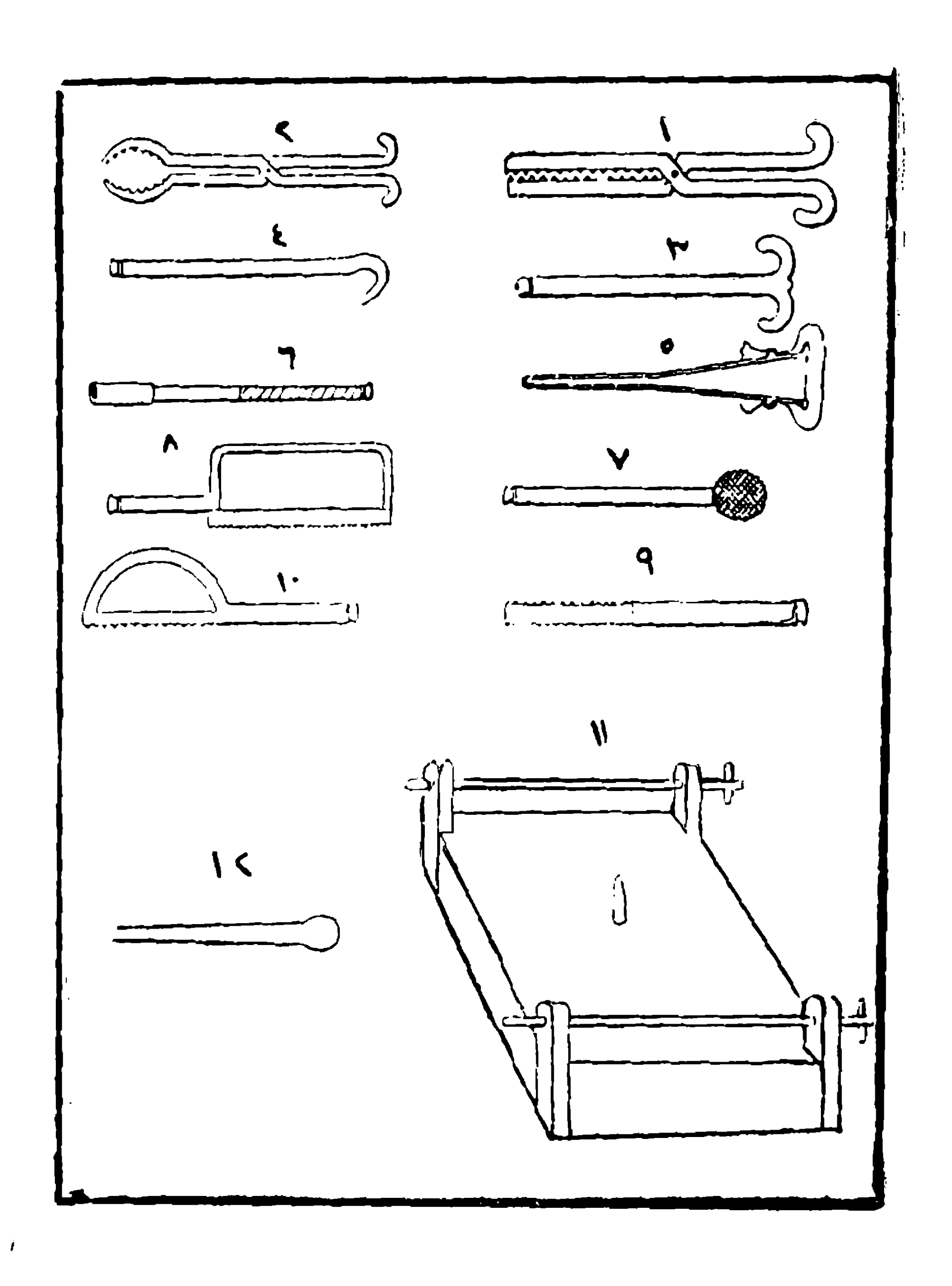
مقطع : أشبه بالمنجل بانحناء أخف ، لقطع أجزاء الجنين عند الحاجة .

منشار منجلي : ومنشار دائرى : وكلاهما لقطع أجزاء الجنين أيضاً عند موته وتعسر خروجه .

مجرد عظام : قبضه تنتهي بمثلث متوسط الحجم حاد الطرفين لفتح رأس الجنين الميت أو جرد أجزائه العظمية .

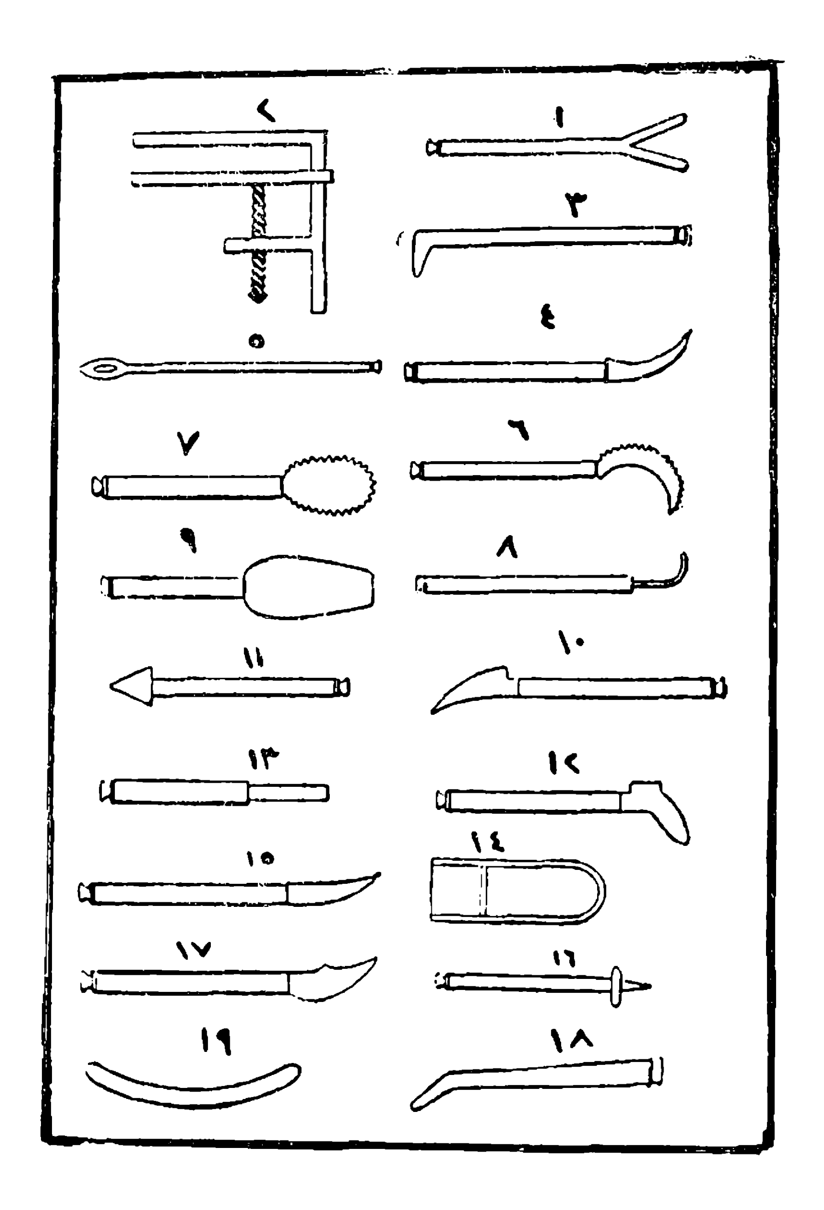
مسبار : قضيب رفيع أملس النهايات لاستكشاف الفجوات الداخلية والنواسير .

منظار المهبل : أنبوب قصير واسع الفتحة متصل بمقبض أملس الحافات والسطح



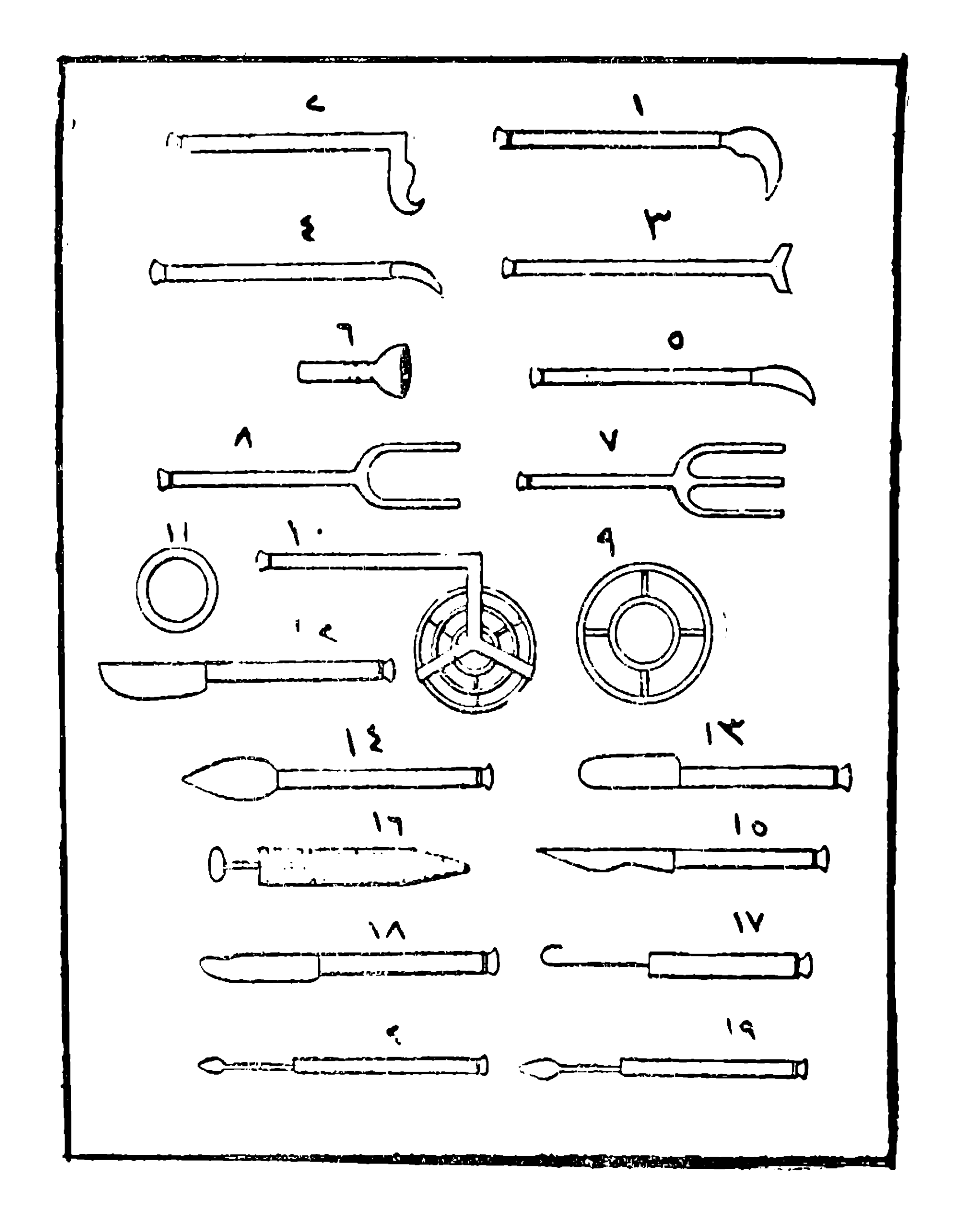
١ مشداخ ٢ مدفع ٣ صنارة ٤ صنارة ٥ محقن كبير ٦ انبوبة ٧ خشنة الرأس ٨ مجرد
منشار ١٠ منشار ١١ آلة تجبير ١٢

منقولة عن كتاب الاسلام والطب للدكتور شوكة الشطي .



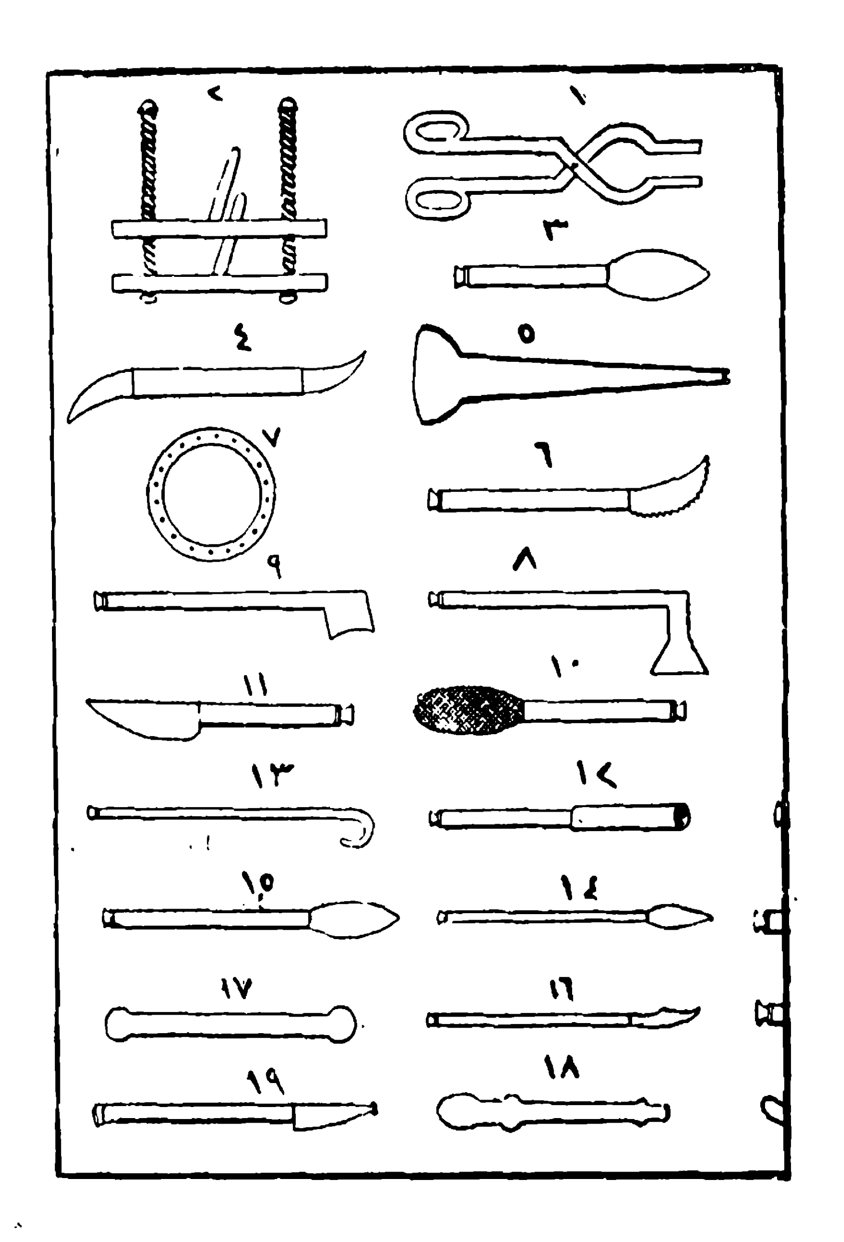
١ : ذات الشمين ٢ : صنارة بها يجذب الجنين ٣ : مدفع ٤ : مقطع ٥ : مدس ٦ : منشار
٧ : منشار ٨ : مكواة اهليلجية ٩ : مجرد ١٠ : مسل ١١ : مجرد عظام ١٢ : فاس
١٣ : مدفع مصمت الطرف ١٤ : محجة بالماء ١٥ : مبضع ١٦ : مثقب لايغوص ١٧ : مقطع
١٨ : محقنة ١٩ : مسبار

منقولة عن كتاب الاسلام والطب للدكتور شوكة الشطي .



١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، مكاوي ٣ مكواة منشارية ٥ مكواة سكينية ٦ منظار ٧ مكواة ذات ثلاثة شعب ٨ مكواة بشعبتين ١٢ مبضع ١٣ مكبن ١٤ مبضع زيتوني ، ١٥ مبضع ١٦ زرافة ١٧ صنارة ١٨ مبضع لطيف املس ١٩ مقدح ، ٢٠ مقدح

منقولة عن كتاب الاسلام والطب الدكتور شوكة الشطي .



١:لواب ٢: لواب ٣: مبضع عريض لقطع الجفنين ٤: مكواة ٥: محورة ٦: منشار ٧:مكواة ٨: مجرد معطوف الطرف ٩: مجرد، ١٠: مجرد ١١: مقطع ١٢: مدفع مجوف ١٣: صنارة ١٤: مبضع زيتوني ١٥: مبضع ١٦: مقطع ١٧: جبيرة لشد العضو المكسور وجبره ١٨: آلة لحفظ الصفاق تشبه ملعقة ليس لها تقعير ولها طرفان احدهما واسع والآخر ضيق وتوضع فوق الاغشية المراد حفظها من القطع لئلا يغور المبضع فيها ١٩: مقطع عدسي

منقولة عن كتاب الاسلام والطب للدكتور شوكة الشطي .

يستعمل للفحص الداخلي في النساء .

مزرق مهبلي : كالمزارق العادية إلا أنها أكبر حجماً ، وتنتهي بانبوب متوسط القطر وله نهاية حبيبية يستعمل للعناية الصحية الداخلية في النساء .

ان الآلات الجراحية التي كان العرب قد استنبطوها أو حسنوها ، وكانوا يستعملونها بمختلف العصور ، أكثر من أن تحصر في بحث مثل هذا وما ورد من وصف لقسم من الآلات الشائعة الأستعمال ، يعطي فكرة عن التقدم في هذا الفرع ، وان الجراح العربي الذى اكتشف الكثير وكان في طليعة من تقدموا في هذا العلم ، كان يستعمل الآلات الجراحية التى ما زال قسم منها يستعمل في عصرنا هذا وبعد مرور مئات السنين من دون تحوير ، أو بتحوير بسيط ، دليل واضح على تقدم الطب عند العرب والى براعة الجراح العربي وبرهان ساطع على نظرة العرب العلمية للطب .

٤ — اللغة القرآنية ودلالتها على ما كان عليه العرب قبل الإسلام من رقي عقلي وثقافي

للأستاذ محمد عزة دروزة
عضو مجمع اللغة العربية المراسل

حلا لغير واحد من علماء المسلمين ومفسريهم في القرون الإسلامية الاولى أن يطنبوا في وصف ماكان عليه العرب قبل الإسلام من جهل وانحطاط وقصور فهم وعماء ليظهروا قوة سناء الهدى الإسلامي وأثره في نقلهم من الظلمات إلى النور حتى كاد يصير ذلك من المسلمات ومع أن العرب قبل الإسلام كانوا منحرفين في أمور كثيرة دينية واجتماعية فإن في القرآن من الدلالات الكثيرة على ما فيه البرهان على أن في ذلك الاطناب مبالغة لامبرر لها وفيه تشويه لصور متنوعة تدل على أن العرب وبخاصة الحضريين منهم كانوا على درجة غير يسيرة من الرقي العقلي والثقافي والاجتماعى والمعاشي .

* * *

ولقد جعلنا القرآن دليلا لأن ما احتواه من الصور صادق كل الصدق في حين أن ما روي عن أهل ذلك العصر من تلك الصور من غير طريق القرآن غير مستمد من مدونات سابقة للإسلام وإنما هو روايات كانت تروى من جيل إلى جيل إلى ان بدء تدوينها من أواخر القرن الأول للهجرة بعد أن امتزجت وظلت تمتزج بكثير من المبالغات والمصنوعات المتنوعة المآرب والحوافز والمصادر بحيث تظل دائماً موضع غمز وطعن وشك . وأولى الدلالات القرآنية وأعظمها هي دلالة اللغة القرآنية . ومجال القول في هذه الدلالة واسع متشعب لا يتسع له مقال أو خطاب في موقف واحد . ولذلك سوف نقصر ذلك على

أمرين : أحدهما دلالة اللغة القرآنية على قوة العرب العقلية والذهنية ، وثانيهما على كون هذه اللغة هي التي كانت شائعة ودارجة ومفهومة إجمالا ليس فقط في بيئة النبي ﷺ بل في جميع البيئات العربية داخل الجزيرة وخارجها .

* * *

ونشرع في ذلك فنقول إنه مما لا مراء فيه أن لغة أمة ما في أحد عصورها هي عدة مقاييس قواها العقليه في ذلك العصر . لأن اللغة وسيلة للتعبير عما يكون في ذهن الإنسان من أفكار ومعانٍ وما يشعر به من حاجات مختلفة . فاذا كانت لغة أمة ما في أحد عصورها ضعيفة المادة والأداء ضيقة المجال ،كان ذلك برهاناً على ضيق أفق تلك الأمـة في ذلك العصر وضعف معارفها وتجاربها وقواها العقلية . وعلى العكس من ذلك إذا كانت غزيرة المادة دقيقة الأداء متنوعة الفنون تتسع لشتى الأفكار والمعاني . غنية في المفردات مرنة في الاشتقاق والاقتباس فإن ذلك يكون دليلا على نشاط الذهن وسعة الأفق وقوة الأفكار والتجارب والحيوية العقلية . فنحن على صواب إذا اتخذنا اللغة العربية مقياساً للقوى العقلية العربية في عصر النبي ﷺ أو مظهراً من مظاهر حياتهم العقلية ممتداً إلى أمد ما قبل ذلك العصر .

وليس في يدنا صورة للغة ذلك العصر أصدق ولا أوثق ولا أغزر مادة من لغة القرآن . فهو من جهة ،فوق كل مظنة أو شبهة في أنه وصل الينا كما بلّغه النبي ﷺ . وهو من جهة ثانية ، الكلام الوحيد الذي وصل الينا مدوناً وسليما من كل شائبة وشك، من ذلك العصر . في حين اننا لا نستطيع أن نقول هذا عن أي كلام روي ودوّن من كلام ذلك العصر كما ألمعنا إلى ذلك قبل . وكون دقة القرآن تمثل لغة عصر النبي قبل الإسلام في بيئة النبي في الدرجة الأولى وفي البيئات العربية الأخرى بصورة عامة ، يمكن أن يستدل عليه من آيات قرآنية عديدة . فهناك آيات تذكر أن القرآن نزل باسان عربي مبين ، وأن الله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم ، وأن الله يسر القرآن بلسان نبيه لعل قومـه

يتذكرون به ، وأنه جعله قرآناً عربياً وأنزله حكما عربياً لقوم يعلمون ولعلهم يعقلون .
وإذا كان يمكن أن يستدرك بأن هذه الآيات إنما تكون دلالتها بالنسبة لبيئة النبي وقومه للخصوصيين وحسب ، فهناك آيات احتوت تعبيراً « اعجمي » لغير اللسان العربي مقابل تعبير « عربي » منها آية في سورة النحل وهي « ولقد نعلم انهم إنما يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين » وآية في سورة فصلت وهي : « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ... » وهذا يعني أنه لم يكن هناك إلا لغة واحدة للعرب يطلق عليها اللسان العربي وان ما عدا ذلك هو أعجمي ولغة غير العرب . ويعني بالتالي أن اللسان الذي كان يتكلم به كل من يمكن أن يطلق عليه اسم العرب واحد غير متعدد إجمالا . وما دام ان لغة القرآن قد نعتت باللسان العربي فتكون هي لغة جميع الذين كان يطلق عليهم اسم العرب سواء أ كانوا في بيئة النبي ﷺ أم في البيئات العربية الأخرى داخل الجزيرة وخارجها أي بلاد الشام والعراق حيث كان هناك جماعات كثيرة من العرب العرباء جاؤوا وتوطنوا هذه الأنحاء قبل الإسلام . ولو كان للعرب في عصر النبي لغات عديدة فيها تغاير جوهري لما كان هذا الجزم واطلاق القرآن بين في تسمية مقابل تسمية . وما روي من أنه كان لبعض القبائل بعض التعابير والاستعمالات والمصطلحات والحروف والألهجية المغايرة بعض الشيء للغة القرآنية ليس من شأنه أن ينقض ذلك أو يقف دليلا على وجود تغاير في لغة العرب في عصر النبي يمكن أن يحتمل معنى تغاير لغوي كبير أو يحتمل تعبير لغات متباينة كما نفهم من تباين اللغتين العربية والسريانية اللتين هما شقيقتان فى الأصل أو ما يقرب من ذلك .

واننا لنستطيع أن نقرر على ضوء الآيات القرآنية أن كل كلمة جاءت فى القرآن وكل معنى ورد فيه وكل تعبير استعمل فيه حقيقي أو مجازي أو ديني أو اجتماعي أو تاريخي أو اقتصادى أو علمي أو فلكي كان العرب يفهمونه ويستعملونه قبل نزول القرآن من حيث الاجمال . وأنه لا يعقل ان تكون فيه كلمات أو تعابير لم ينطق بها العرب لو لم يستعملوها

قبل نزوله بقطع النظر عن السعة والضيق والأسلوب .

وما قاله بعضهم من أن العرب لم يعرفوا ولم يستعملوا كلمة فاسق أو كلمة نفاق أو كلمات أخرى أو أن هناك كلمات أعجمية الأصل ترد في القرآن لأول مرة ولا يمكن أن يعقل ولا يمكن بالتبعية أن يصدق . ويكفي أن نعرف مثلاً أن كلمة الفسق ومشتقاتها وردت في نحو خمس وخمسين آية مكية ومدنية وكلمة النفاق ومشتقاتها وردت في نحو ثلاثين آية لنعرف تفاهة مثل هذه الأقوال وقيمتها .

يضاف إلى هذا كله طبيعة مهمة النبي التي تقوم على مخاطبة مختلف طبقات الناس والقبائل وتلاوة القرآن عليها مما لا يمكن أن يتسق مع عقل ومنطق وحكمة أن يكون ما يتلى عليهم وهو دعامة النبوة ومعجزتها الكبرى بغير اللغة التي يفهمونها بتراكيبها ومفرداتها بل ولا في مستوى أعلى كثيراً من مستوى إفهام المتوسطين منهم . ولقد حكى القرآن أقوالاً عديدة للكفار صدرت منهم في ظروف متنوعة ككلام عادي غير منمق وهى منسجمة مع أسلوب القرآن كل الإنسجام مثل « وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين » و« قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » و« إذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو آئتنا بعذاب أليم ».

وهذا نقوله في نفس الوقت تفنيداً لما قاله بعضهم من أن لغة القرآن أعلى من مستوى الإفهام ، ولما قاله بعض المستشرقين من أن الذين آمنوا إنما آمنوا لفصاحة القرآن اللغوية وسمو لغته ، حيث كانت هذه الصفات فيه مما يبهر سامعيه .

ونقول للذين قالوا القول الأخير بخاصة : أي من المؤمنين الأولين فى مكة من قد آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم على أثر الدعوة وقبل أن تعد الآيات والسور الصغيرة النازلة على الأصابع ومن قد آمن قبل منتصف العهد المكي . وإن القرآن يذكر أن الكتابيين الذين آمنوا بالقرآن والنبى إنما آمنوا لما فيه من الحق والروحانية كما جاء في آيات الاسراء هذه « قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان

سجداً . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا » وآية المائدة هذه « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » وآية آل عمران هذه « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم » وآية النساء هذه « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك » وأية القصص هذه « الذين أتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انا كنا من قبله مسلمين » وإن أكثرية المكيين الساحقة ثم أكثرية الحجازيين الساحقة ثم اكثرية العرب الساحقة ظلت جاحدة طيلة العهد المكي واكثر العهد المدني وقد سلخ النبي ثلاثة عشر عاماً في مكة يتلو القرآن على أهلها وعلى العرب ، واسلوب القرآن المكي بخاصة شديد الروعة ليعرفوا ما في قولهم من وهن وتهافت . ولقد أثر عن أبي عمرو بن العلاء أحد علماء اللغة في القرن الثاني قوله « ما لغة حمير بلغتنا » وشك الدكتور طه حسين به حين أراد التدليل على اختلاف الشعر العربي الفصيح المنسوب إلى القحطانيين وأورد بالإضافة اليه بسبيل البرهنة على الفرق بين العربية الفصحى واللغة الحميرية نصاً حميرياً بعيداً جداً عن الفصحى . ومع أن دعوى الدكتور الأصلية بأن الشعر العربي الفصيح المنسوب إلى قحطانيين مفروض وجودهم في عهد متقدم عن البعثة بقرون عديدة وصحيحة ، فان هذا النقص وأمثاله انما يمثل طوراً من أطوار اللغة العربية قبل أن تقبل إلى طور فصاحتها القرآنية وان القول نفسه ينطبق على لغة العدنانيين أو الشماليين في مثل ذلك الظرف أيضاً وليس من شأنه أن يتضمن ما قررناه كذلك . ولا سيما أن المأثور الموثوق من الأسماء والأعلام الجنوبية في الحقبة التي سبقت البعثة إلى مئة سنة هي فى صيغة العربية الفصحى ولأن اندماج القحطانيين بالعدنانيين إبان حياة النبي بالسهولة واليسر التامين وما كان منهم من تفاهم لغوي وطيد تام هو من الحقائق التي لا تتحمل ما رآه ولا يمكن أن تحدث لو لم يكن التماثل اللغوي قوياً إن لم يكن تاماً .

ولقد كان من المتواتر الذي بلغ حد اليقين أولا — أن النبي كان يتصل بمختلف

الطبقات والشخصيات المكية . ثم بمختلف الطبقات والشخصيات والقبائل التي كانت تفد على مكة في المواسم من مختلف أنحاء الجزيرة ويتحدث اليهم ويتلو عليهم آيات القرآن ويتفاهم معهم بلغته التي هي اللغة القرآنية . ومن المتواتر أن مواسم الحج وأسواقه لم تكن قاصرة على أهل الحجاز وبخاصة قبل البعثة بل كان يفد اليها العرب من أنحاء بعيدة ومنهم نصارى العرب من تغلب واياد وغسان وكلب وغيرهم من خارج الجزيرة . وثانياً أن وفود العرب مشركين ونصارى ومجوساً كانوا يفدون على النبي في المدينة بعد الهجرة ولا سيما بعد انتصاراته وانتشار اسمه وكلمته من اليمن ونجد والاحساء والبحرين والعراق والشام وفلسطين وحضرموت فكان النبي يتلو عليهم القرآن ويتخاطب معهم هو وأصحابه الحجازيون بلغتهم التي هي لغة القرآن بصورة عادية وطبيعية . وإنه كان يرسل معهم قراء من كبار أصحابه الحجازيين ليعلموهم القرآن ويفقهوهم في الدين ويتولوا أمر القضاء بينهم وجباية الزكاة منهم ، وإنه كان يكتب لهم الرقاع والعهود والوصايا والتشريعات بنفس هذه اللغة ولم ترد رواية ما تفيد أنه كان تراجمة ووسطاء بين النبي وبينهم . وثالثاً — إنه كانت اتصالات مستمرة بين أهل الحجاز من ناحية وبين العرب في انحاء الجزيرة واطرافها بدو وحضر قبل البعثة في مواسم الحج في الحجاز وفي الرحلات التجارية وغيرها إلى اليمن والعراق والشام وانهم كانوا يتفاهمون ويتخاطبون بلغة واحدة . وما دام الحجازيون طرفاً في هذا فان لغتهم في هذه الاتصالات هى اللغة الحجازية وهي اللغة القرآنية . ورابعاً — لقد روي كثير من كلام العرب قبل الإسلام ومساجلاتهم وخطبهم وشعرهم وأمثالهم ومنه ما هو منسوب إلى جماعات من الحجاز ونجد في المدن والبوادي ومنه ما هو منسوب الى جماعات كانت تعيش في اليمن والشام والعراق فى عهد دول الحميريين واللخميين والغسانيين وفي حياة النبي قبل بعثته كما رويت أسماء أعلام واشخاص كثيرة جداً كان أصحابها يعيش في جميع هذه الانحاء ، وكلها جاءت بلغة فصحى مماثلة للغة القرآنية فى مفرداتها وصرفها ونحوها وسبكها ونطقها ومجازها وبديعها وبيانها والأسماء مماثلة للأسماء التي كان يتسمى

بها أهل العهد الاسلامي الأول . ومهما كان من ذلك منحول ومصنوع فان فيه على كل حال وباعتراف أشد المترمتين في ذلك شيئاً غير قليل صحيحا وبخاصة ما صدر من رجال عاشوا في حقبة المئة عام التي سبقت البعثة .

* * *

وواضح ان ما نقوله ليس فيه ما يقلل من سمو طبقة لغة القرآن وفصاحته وبلاغته الرائعة النافذة كما أنه لا يمنع أن يكون في القرآن مفردات غير عربية أو غير قرشية اللهجة بل نحن نعتقد بوجود ذلك . غير أن مما لا يمكن أن نشك في كونه الحق هو ان الكلمات المعربة قد عربت وأصبحت جزءا من اللغة العربية قبل الإسلام وأن الكلمات أو اللهجات غير القرشية قد دخلت في اللغة القرشية التي أصبحت لغة القرآن قبل الإسلام أيضاً . وانه ليس من شأن هذا وذاك أن يمتنع معها على السامعين من غير قريش تذوق وفهم المفردات التى من هذا القبيل او مدلولا إجمالا أو تفصيلا . وهذا كذلك مع التسليم باحتمال وجود طبقات من العرب في كل بيئة في عصر النبي حتى من القرشيين أنفسهم لم تكن مداركها تقبل وفي فهم كل معـــاني القرآن أو لم تكن تستعمل أو لم تكن تسمع بجميع ألفاظ القرآن وتعابيره وتراكيبه . ومع التسليم أيضاً باحتمال وجود من كان يتكلم بلهجات غير لهجة القرآن من قبائل العرب بل وحضرهم من سكان المناطق البعيدة عن مكة أو كان يستعمل تعابير وألفاظاً وحروفا ومصطلحات ليست من تعابير وألفاظ وحروف ومصطلحات اللغة القرآنية مما هو طبيعي متسق مع بدائه الأمور وليس مما يتناقض مع مدى وجوهر ماتقرره أيضاً . وهذا أمر ليس خاصاً بالعرب في عصر النبي بل هو عام في كل ظرف ومكان . ففي كل بيئة حتى في أرقاها التى يكون التعليم فيها قد يسرت وسائله تيسيراً واسعاً لابد من أن يوجد تفاوت بين أفرادها في قوة الفهم والتعبير باللغة وحسن الأداء والتلقي ودقة الاستعمال وعمق النفوذ وحسن السبك والأسلوب وغزارة المادة وإن هذا التفاوت هو مظهر من مظاهر التفاوت الطبيعي في قوة العقل وحدة الذكاء وسعة الاطلاع والتجارب وغزارة العلم والمعرفة .

ونعتقد أن فيما تقدم إثباتا لا يتحمل مراء بان لغة عصر النبي صلى الله عليه وسلم كانت في الإجمال هي نفس اللغة القرآنية .

ولقد كتب العلماء والفضلاء والأدباء واللغويون قديماً وحديثاً عن الطبقة السامية التي عليها لغة القرآن من قوة العبارة وروعة الأسلوب وبلاغة التعبير ونفوذ المعنى ودقة الأداء وفصاحة الحجة وسعة المتناول وغزارة المادة وفنونها ما لا يزيد عليه إلا أن نقول إن كل ذلك يصح أن يعتبر مصوراً لناحية من النواحي العقلية العربية في عصر النبي ومظهراً من مظاهر حياة العرب العقلية . فعصر تصل مادة التعبير عما في أذهان أهله من معان وحاجات وما يدور في رأسهم من أفكار بهذه اللغة القوية في بيانها ، الرائعة في أسلوبها ، البليغة في تعبيرها ، النافذة في معانيها ، الدقيقة في أدائها ، الناصعة في حجتها ، الواسعة في متناولها ، المرنة في اشتقاقها واقتباسها ، الغزيرة في مادتها وفنونها ؛ لا يمكن أن يكونوا من حيث الإجمال على حظ غير يسير من رقي العقل وحدة الذكاء واضطرام الذهن ونشاطه واتساع الأفق والتجربة والمعرفة .

* * *

ونختتم كلامنا بإشارات خاطفة إلى أمور أخرى هامة تتصل بالموضوع الذي أدرنا عليه الكلام ولا يتسع المقام لعرضها متصلة . من ذلك ما يمكن أن يتمثل في اللغة القرآنية من قواعد وضوابط صرفية ونحوية وبلاغية وفنون متنوعة أخرى من اشتقاق وتعريب وحوار وجدل وقصص وأمثال وحكم . وننبه في هذه المناسبة على خطأ وقع فيه علماء اللغة وما يزال قائما وهو تلمس هذه القواعد والفنون من الأدب الجاهلي شعراً أو نثراً الذي ليس هناك ما يمكن أن يبرهن على صحته بصورة قطعية وقياس اللغة القرآنية عليها في حين أن المعقول هو تلمس هذه القواعد من القرآن لأنه الكلام العربي الوحيد الذي وصل مدونا سليما من كل شائبة من عصر النبي والذي هو الوحيد الذي يمثل لغة هذا العصر تمثيلا صادقاً لا ريب فيه .

ومن ذلك الآيات الكثيرة التي تلهم أنه كان عند العرب قبل الإسلام ما يصح أن

يسمى معارف فلكية ورياضية وزراعية وملاحية وجغرافية وتاريخية ونفسية وإن الكتابة والقراءة ووسائلها كانت غير ضيقة النطاق .

ومن ذلك الآيات الكثيرة التى تلهم أنهم كانوا على اتصال غير ضيق النطاق بالأقطار المجاورة للجزيرة العربية والتى كانت سابقة عليهم فى المجال الحضاري على اختلاف صوره وإن هذا الاتصال أتاح لهم معرفة كثير مما في هذه الأقطار من وسائل وأساليب ومعارف وأفكار وأديان ومنازعات وانقسامات الخ واقتباس كثير من الوسائل والأساليب الحضارية والمعاشية المتنوعـــة ومن ذلك الآيات الكثيرة التى تمثل مواقف مشاقتهم ومعارضتهم للدعوة الإسلامية وصاحبها والمشاقة والمعارضة في كل زمن وهدف ومهما كان أمرهـــا تنطوي على شيء من الحيوية والقوة العقلية التى تدفع أصحابها إلى الوقوف من معارضيهم وخصومهم تلك المواقف ، سواء أكان ذلك بدافع العقيدة والإيمان أم بدافع الأنانيـــة والمطامع والطموح أم بدافع الاستكبار والحسد والعناد واللجاج فإن كل ذلك لا يمكن أن يبدو من أناس أغبياء غافلين وضعفاء خاملين . وبقدر ما يكون عليه موضوع المعارضة والمشاقة من خطورة ما يكون الطرفان عليه من قوة مادية أو عقلية أو نفسية تهوى النتائج والمظاهر بطبيعة الحال والذي يتمعن في الآيات القرآنيـــة يجد فيها صوراً كثيرة لتلك المواقف حيث يجد صوراً للجدل العنيف والخصومة العنيدة . وصوراً للحجاج واللجاج والمكابرة . وصوراً للمكر والدس والتحدى والإحراج في المسائل والمطالب والمشاكل . وصوراً للانانية والاستكبار والسخرية والإغواء . وفي طيات هـذه الصور تلمع عقليـة قوية وشعور شديد بالذاتية والكيان . ونفسية طاحة طاعة . ودفاع عن تقاليد ومصالح تراءى لأصحابها أنها مهددة وعناد ناشيء عن استكبار وذاتية وعقـــل وليس عناد الغبي الغافل والضعيف الخامل والأحمق الجاهل ومئات الأسماء التى لمعت عبقرياتها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته في مجالات القيادة والحكم والسياسة والتى كان كثير من أصحابها من رجال ذلك العصر بل والتى كان بعض أصحابها من قواد وزعماء تلك المعارضة والمشاقة شاهدة على ذلك .

الجلسة التاسعة

(عامة)

مساء الأحد : ٤ من شعبان سنة ١٣٨٥ هـ .

٢٨ من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٥ م

١ — العربية لغة عالمية للدكتور مراد كامل — عضو مجمع اللغة العربية .

٢ — صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية والبحث العلمي للدكتور فاضل الطائي — عضو المجمع العلمي العراقي .

٣ — أثر الفكر في الأدب الحديث للدكتور يوسف عز الدين الأمين العام للمجمع العلمي العراقي .

٤ — كتاب التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس للأستاذ كوركيس عواد — عضو المجمع العلمي العراقي .

١ — العربية لغة عالمية

للدكتور مراد كامل

عضو مجمع اللغة العربية

عاشت اللغة العربية كما تعيش اللغات الراقية في حياتها المديدة تتفاعل وتمتص وهى في صراع دائم نحو تطــورها ، وكان لها من ذلك كله قوة ، وخرجت من كل جولة بدماء جديدة ، أمدتها بالغذاء النافع ، وسرت في عروقها فزادتها نماء وسعة أفق ، وشــحذتها للنهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الإنسانية .

كان لظهور الكيان العربي المتحد ، والسيادة العربية المنتصرة في الفترة الأخيرة ، أثره الظاهر في تحديد المعالم بين العامية والفصحى . خاضت الفصحى معركة ، امتد بها الزمن في حرب خفية شنتها عليها فئة من أبناء اللغة أنفسهم . وكان هدفها تفتيت وحدة اللغة العربية وبلبلتها وهلهلتها وتمزيق أوصالها وتوزيع كتلتها إلى لهجات محلية غير متفاهمة ، وبذلك تدفع بتراثها الذي كسبته عبر الأجيال إلى زوايا النسيان .

انتهت اليوم المعركة بين لغة الحديث التي تركت وتطورها الطبيعي ، تأخذ فى كل بلد طابعها ، وهى تحاول أن تشق طريقها بالتقرب والتلاقي ، وبين اللغة الفصحى لغة الأجيال الماضية والاجيال الراهنة والأجيال الطالعة . وعرفوا في اللغة بأنها كانت ولا تزال نقطة التجمع ، والظهر الذي شد أزر العرب في كفاحهم عبر المعارك التي خاضوها أو صمدوا لها ، وأنها كانت نقطة الالتقاء بين أبناء الشعوب العربية قديماً ، وهى التي فتحت ظلالها كتب الخلود للرازي والبخاري والجاحظ وابن سينا والفارابي وغيرهم .

وأخذت الجهود تتوحد لانضاج اللغة الفصحى حتى تجعلها أســرع تطوراً وأكثر استعداداً لاستيعاب الحضارات الجديدة وانبثاقاتها المادية والروحية . وأخذ أبناء اللغة في

البلاد العربية المختلفة يمدونها بعناصر الحياة والبقاء والنماء حتى تساير ركب الحضارة ، وأعطوها من ذوات أنفسهم وجهودهم الكثير .

واللغة الفصحى هي اللغة المشتركة بين الشعوب العربية ، وهي اللغة التي تستلزم الضرورة الاجتماعية المحافظة على وحدتها . وقد واجهت الشعوب العربية ما اضطرها إلى التفكك ، وأدى ذلك الى تفتت اللغة تفتتاً أزداد مع الظروف التي مرت بها ، وجعلت الشعب العربي في البلاد المختلفة يترك اللغة وشأنها دون أن يتصل فيما بينه اتصالاً وثيقاً . غير أن هذا التفريق ما لبث أن وجد سبباً حيوياً أوقفه في الطريق ، ونشط التعاون والاتصال من جديد بين الشعب العربي، فشعر بقدر اللغة وسيلة للتفاهم ، وانتهت الفرقة ، فاتجه الناس الى المحافظة على وحدة اللغة المشتركة . ولو لا مقاومة المجتمع العربي الواعي للتفكك اللغوي لأصبح العالم العربي أمام حشد من صور التكلم التي لا تزيدها الأيام الا تفرقاً .

واللغة المشتركة مدينة فى بقائها لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية فالمدنية وحدها هى التي تستطيع أن تنشر اللغة بين مجموعات كبيرة من الناس ، وهذا ما حدث للغة العربية منذ ظهور الإسلام .

واللغة المشتركة لاتتفكك ولا تتفتت إلا اذا تراخت العرى الاجتماعية التي تمسكها ، ووجودها شائعة بين أفراد أمة هو رمز ثابت فريد للتضامن بين الأفراد والمتكلمين بها واللغة المشتركة هى نواة مثالية لايزيدها الزمن الا بعداً عما فى صورة الحديث من اتجاهات. وهى مجهود متجدد دائم للتوفيق بين اتجاهات التطور اللغوي الطبيعي وبين هذه النواة . واللغة المشتركة ليست لغة ثابتة ، كما أنها ليست لغة تتطور تطوراً مطرداً ، بل هى لغة فيها نوع من التوازن دائم التغير بين الثبات والتطور . والمحافظة على هذا التوازن أمر عسير . فاللغة تصاب بمحن وضربات كثيرة في حياتها ، وهى تخوض معارك كثيرة ، فإذا استسلمت للضربات وتغيرت حانت نهايتها . واللغة المشتركة تقاوم التغير زمناً طويلاً قبل أن تصل الى

هذه الحال ، وتساعدها على ذلك الظروف . والكتابة هي أقوى عماد لها على المقاومة وخير حارس لها على البقاء .

وقد مرت على اللغات الفصحى المكتوبة في تاريخ الأمم الراقيـة فترة طويلة كانت محصورة في نطاق ضيق ، بين طبقة من الناس عرفت كيف تدونها بنظام من الخط يختلف تعقيداً بين هيروغليفية مصر ومسمارية العراق وصورية الصين . ثم نزلت اللغات الفصحى الى مستوى الشعب حين اخترع الفينيقيون الأبجدية ، وأمكن الإنسان أن يعبر عن كل ما يجول بخاطره بعدد قليل من العلامات .

وسعت اللغة العربية الفصحى منذ تدوينها كل شيء ، وفتحت صدرها لتراث الإنسانية لمدى يزيد على ستة عشر قرناً من الزمان ، واتسعت لمقومات أمة شرقت بالحضارة الإنسانية وغربت ، وحفظت المعارف البشرية ، فكانت أصلح بيئة طورتها وتفاعلت معها ، فمنحتها قوة الاستمرار ، والخصب والازدهار ، ووسعت رسالات ومبادئ ومثلاً سماوية لم تضق بها ولم تنكل عن احتمال أعبائها ، بل مرنت وامتصت ونمت نماءها الطبيعي التطور من داخلها ، وهضمت خلاياها القوية الناميـة كل ما قدم لها من خارج محيطها ، حتى تعملقت واتسعت آفاقها وانتشرت ظلالها ، وطوت في دورانها القوي كل ما يقف في طريق انبعاثها وتفوقها ، وكل ما يعرقل انطلاقها ويثقل أجنحتها عن التحليق .

ضمت معاجم اللغة العربية هذا التراث الضخم من المفردات وجمعت الألفاظ والمصطلحات في كل عصور تطورها ، فتعذر على العالم أن يستوعبه . ثم غلفت قوام اللغة في أغلفة صماء هي في الواقع دخيلة على لساننا المبين ، فليس من صميم لغتنا السمحة السهلة تلك العراقيل والمعوقات التي وضعت على طريقها ، فأثقلت خطاها أن تصعد مع الأجيال نحو قمم الحضارة المتطورة الدائمة التجدد .

أجل ، ليس من لغتنا هذه القواعد المتحجرة ، التي تضللنا من جوهرها وتسير بنا في دروب ملتوية . ليس منها هذه القوانين البلاغية الصارمة العتيقة التي تجنح بها الى العجمة .

وليس منها هـذه الأوزان والقوافي والقيود التي تحجرت وركدت بعـد أن كانت بسيطة بساطة الطبع العربي البـــدوي . ولـكن من سوء حظ اللغة الفصحى أن امتحنت بهذه الأغلال التي كبلتها وأوثقتها في عصور الظلام وفي غفلة من أهلها . ولقد كانت الضربات التى لاحقتها كافية لوأدها الى الأبد ، لو لا أن جرثومتها المتغلغلة فى النفس العربية كانت أمنع من الأحداث وأقوى من الظـلام . غير أن حركة البعث والاحياء ضلت طريقها ، فلم تمس جوهر اللغة وروحها ، بل ذهبت تصنع لها أغلفة صماء وأوعية جامدة من القواعد المتحجرة والموازين الجائرة .

وكان من سوء حظ اللغة مرة أخرى ، وحظ النشء معها هذه المرة ، أن تلقين اللغـة وطريقة تعليمها عمدت أول ما عمـدت الى هذه القشور ، واعتمدت على هذه الأغلفـــة والقواعد والموازين وحدها ، وقامت بذلك الصلة بين اللغة ومتعلميهـا ، فحسبوا أن هذه هى اللغة ، فنفروا وتهاربوا وتمردوا عليها ، واتسعت الشقة بينها وبينهم .

وحوت ذخائر الماضي من الألفاظ بكثرتها وتنوعها ، مما جعل المتعلم يغرق في بحر زاخر ويتوه في غابة اكتظت أشجارها حتى لم يكد يتبين معالمها ، وأصبحت هذه اللغة العربيـة التي كانت لغة عالمية في العصور الوسـطى ، وقد تركها أهلها لصعوبتها . والعربية لم تصعب ولـكن تلك الفترة التي عاشتها ، والتى لازالت تعيشها ، غريبـة على الألسن هى التى خلقت منها هذه الصعوبة وأوجدت بينها وبين النـاس تلك الجفوة . وعلاج الأمور مرهون بسبلها ، والسبيل الى علاج العربية وجعلهـا لغة عالمية هو استخدامها لغة تشيع على أقلام الـكتاب .

ولنا فيما نذهب مثـل حي قريب العهد بنا فى الإنكليزية الأساسية . فاللغة الانكليزية لاشك هى اللغة الأولى المنتشرة في العالم ، وقد قامت محاولات كثيرة لوضع لغة عالمية لتحل محل الإنكليزية ، وبلغت هذه المحاولات الى اليوم ١٣٨ محاولة ، وفيها لغة الاسبرنتو . فراجع الانكليز أنفسهم ليعيدوا النظر في لغتهم وتوصـــلوا الى تبسيطها فيما أسموه باللغة

الانكليزية الأساسية .

فإذا لاحظنـــا أنه بالرغم من ان تاريخ اللغة الانكليزية اقصر بـكثير من تاريخ اللغة العربية ، وان عدد الألفاظ في الانكليزية أقل بـكثير منه في اللغة العربية ، ونبهنا هذا الى العمل على جعل اللغة للعربية الفصحى تعود الى ما كانت عليه لتصبح من جديد لغة عالمية.

ان الـكلمة هي السبب الأساسي في أي نقد يوجه الى اللغة . وليس ثمة ما يثير الغرابـة في هذه المكانة التي تنفرد بها الـكلمة . فهي أصغر الوحدات ذات المعنى في الكلام المتصل، وهي التي تسمى بها الأشخاص والأشياء وللـكلمة كيان مستقل في الـكتابة ، وهي تتمتع بذاتية مستقـلة في المعجم ، وهي فوق ذلك كله تخضع في استعمالها لعدد لايحصى من القيود والعادات .

ولقد تعرضت الـكلمة ووظائفها في السنوات الأخيرة للبحث الدقيق من وجهات نظر ثلاث . وهذه الوجهات الثلاث تعرف « بعـلم المعنى » ، وهذه الوجهات التي يضمها اسـم واحد لا يوجد بينها من مظاهر الاتفاق والاشتراك من الخصائص إلا القليل ، كما أنها حتى الآن لاتزال بحاجة كبيرة الى نوع من التنسيق فيما بينها . وأنواع علم المعنى الثلاثة هي : علم المعنى اللغوي ، وعلم المعنى الفلسفي ، وعلم المعنى العام . ووظيفة هذه الأنواع الثلاثـة هي دراسة المعنى ومشكلاته من زوايا مختلفة .

وتفرعت من بحث المعنى دراسات مختلفة أحدثت ثورة شاملة في نظريات الجمال والنقد الأدبي وساعد تحليل المعنى على تفسير سلوك الكلمات وتفسير التغييرات التى تصيب الثروة اللفظية للغة ، منها : ابتكار كلمات جـــديدة ، وتـكييف كلمات موجودة بالفعل تـكييفاً ملائماً للحاجة ، وانقراض الـكلمات التى لاتقوى على البقاء ومواصلة الحياة .

وقد استطاع بعض العلماء فى المدة الأخيرة أن يقربوا علم المعنى العام من جمهور الناس ويشيعوه بينهم . وهو يهدف الى تخليص الفـكر الإنساني من المغالطات اللغوية .

وترتبط بهذه الحركة البحوث والدراسات التي قام بها العالم الإنـكليزي « أوجدن »

واضع الانكليزية الأساسية . وقد عمد فيها إلى الاستغناء عن بعض الأفعـــال في اللغة الإنكليزية وعن بعض الألفاظ الأخرى كالمترادفات وما شابهها ، وكان يرمى بحثه هذا إلى الاقتصاد في الثروة اللفظية ، وإلى تسهيل التفاهم بين الناس بطريقة التركيز على عدد معين من الكلمات ذات المعاني الدقيقة المحدودة ، وعنده أن عدداً محدوداً من الكلمات الواضحة المعنى خير بكثير من آلاف الكلمات ذات المدلولات الغامضة والمشكوك فيها .

ولا تمس الإنكليزية الأساسية أصوات اللغة الانكليزية ، ولا قواعد النحو والإملاء فيها ، ولا تعبيراتها الخاصة بها ، بأدنى تضيير ، ولكنها تنقص الثروة اللفظية وتنزل بها إلى ٨٥٠ كلمة ، أمكن أن تؤدى وظيفتها في التعبير عن أى موضوع من موضوعات التراث الإنكليزي واللغة الإنكليزية على ما بها من تعقيد معروف وتعبيرات اصطلاحية قد توصل أهلها إلى تبسيطها حتى تشيع أكثر بين الناس في العالم . لحري بنا أن نحاول الوصول باللغة العربية ، وهى على ما هى من سماحة وغزارة ، إلى مستوى اللغات العالميـــة فنؤدى بعض ما علينا لها من دين .

إن وضع لغة عربية بسيطة هو استغلال لكل مقومات اللغة الفصحى وتجنيد قواها لخدمة الأهداف العربية ، ولصالح أمة العرب في مختلف أوطانها وأديانهـــا وسياساتها واقتصادياتها ، وهي في النهاية أساس لفهم التراث العربي القديم والتفقه في تاريخ اللغة العربية .

فاللغة البسيطة ستمدنا بلغة عالمية تفوق حتما جميع المحاولات في ابتكار لغات عالمية ، بل ربما فاقت الأنكليزية الأساسية ـ لأن انتشار العربية وأثرها على لغات كثيرة اسيوية وافريقية ، سيمهد لها سبل الانتشار وييسر إقبال الناس على دراستها والتعامل بها ، ونقل اثارنا الأدبية إلى لغات أخرى .

إنه من المبادىء المقررة أننا نكتب ليفهمنا الناس . ومن هذه القاعدة تبدأ خطواتنا نحو لغة عربية بسيطة فصحى ، والسبيل إلى ذلك أن نعمد إلى مجموعـــة من الكتب التي

يكتبها المؤلفون للناس ، ونقوم بإحصاء الألفاظ بها حتى نصل إلى أكثر الكلمات شيوعاً وأقلها عدداً .

عنى العلماء العرب فى السنوات الأخيرة بالبحث في طرائق تدريس اللغة العربية لأبناء العربية ، والمكتبة العربية تزخر الآن بعدد وافر من الكتب الجيدة لتعليم العربيةالفصحى القديمة ، وتندر بها المؤلفات في تدريس العربية الفصحى العصرية .

أما تعليم اللغة العربية لغير أبناء العربية فهو فى حاجة إلى دراسة عميقة حتى نصل إلى منهج قويم تراعى فيه الأصول التربوية والأسس السيكولوجية . ويزداد عدد الراغبين فى دراسة العربية من غير أبنائها يوما بعد يوم . فقد اتجه العالم إلى تفهم الشعوب العربية ، وأخذ الأدبالعربيالحديث يتقدم كماً وكيفاً ، وتنوعت موضوعات المجلاتالعربية وتعددت تبعاً لدواعي الحياة العامة ، واحتاج رجال الأعمال والخبرة والمال من الأجانب إلى تعلم العربية ، وتنبه المستشرقون إلى دراسة العربية العصرية بعد أن كانوا يقصرون جهدهم على تعلم العربيه ومعرفة عالمها الثقافي .

واتجه رجال الفكر في افريقيا إلى المطالبة بوضع لغة أدبية مشتركة في افريقيا تحل محل الإنكليزية أو الفرنسية .

وسعى أهل باكستان وإندونيسيا وإيران إلى تعلم العربية العصرية ، وقد كانوا قبلا يهدفون من دراستهم للعربية إلى تفهم علوم الدين . دعا هذا بعض العلماء أن يؤلفوا في العربية العصرية ، وجاءت مؤلفاتهم معيبة بها كثير من المآخذ ، منها : المبالغة في إعطاء الصدارة للصرف والنحو وتسخير مادة الكتاب في تطبيق قواعد النحو . وكان اختيارهم للمادة اللغوية في خدمة الصرف والنحو ، لم يراعوا في ذلك المعاني أو التوجيه التربوي ، وبهذا أضحت قواعد اللغة غاية لا واسطة .

ومنها : أن بعض الكتب ألف لتعليم العربية بالطريقة المباشرة ولم تنجح هذه الطريقة لأنها استخدمت العامية في الحديث والفصحى في القراءة والكتابة .

ومنها : محاولة فاشلة لأحد العلماء في التقريب بين العامية والفصحى . وجلى من هذا كله أن الهدف لم يكن واضحاً أمام مؤلفي هذه الكتب . فقد اعتبر المؤلفون القراءة أساسا لتعليم العربية العصرية ، ولكنهم حين وضعوا المادة اللغوية لم يراعوا هذا الغرض وبذلوا عنايتهم في تمارين الكتابة ، ومنهم من اكتفى بقراءة الصحف ، ومنهم من اقتصر على القدر الذي يصل به إلى فهم الأدب الحديث .

وفي الجملة لم يقدم المؤلفون للطالب مادة اختاروها اختياراً دقيقا من مختلف أنواع الأدب حتى تصل به إلى الغرض المرسوم .

والواقع أن اختيار مجموعة الكلمات هى أدق المشكلات وأصعبها التي تواجه من يرمى إلى جعل اللغة العربية بسيطة سهلة في متناول الدارسين . واللغة العربيـــة غنية بالألفاظ والمعاني ولهذا فإن اختيار الألفاظ فيها يحتاج الى دقة وانتباه أكثر منها في اللغـــات الأخرى . وقد حاول العلماء في السنوات الأخيرة بحث كثرة تردد الكلمات في اللغة العربية الفصحى ، من ذلك معجم بيلا (Charles Pellat باريس سنة ١٩٥٢) في مجموعة الكلمات الأساسية في اللغة العربية الفصحى .

ولم يوضح « بيلا » طريقة جمعه لهذه الكلمات ، كما لم يبين كثرة تردد الكلمة في اللغة وقام فير (Hans Wehr بوضع معجم عربي ألماني (في ٠٠٠ ر ٤٥ كلمة ليبزج ١٩٤٩) معتمداً على ألفاظ اختارها من الصحف ومن تقويم مصر ودليل العراق وبعض كتب الأدب ولم يراع الأفضلية في اختيار الكلمات وكذلك لم يقم بإحصاء الألفاظ من كتب الأدب والعلوم المختلفة .

وألف بارانوف (Baranow) معجما بالعربية والروسية (في ٠٠٠ ر ٣٣ كلمة موسكو ١٩٥٧) ولم يذكر الأساس الذي اختار به عدداً معينا من الكلمات دون غيرها .

وفي سنة ١٩٤٠ نشر بريل (في القدس) قاموس الصحافة العربية اليومية ، واعتمد فى وضعه لهذا القاموس على طريقة الإحصاء الحديثة ، وهي أن يحصى عدد المرات التي تتكرر

فيها الكلمة ثم ترتب الكلمات على حسب مقدار تكرارها ، وبهذا يمكن معرفة أكثر الكلمات تردداً في المادة اللغوية التي اتخذت أساساً للإحصاء . واستمد بريل مادة الإحصاء من بعض الجرائد العربية التي تصدر في مصر وفلسطين ولبنان والعراق وذلك فيما بين سنتي ١٩٣٧، ١٩٣٩ وقد أحصى بريل ٠٠٠ ر ١٣٦ كلمة ، وأثبت أن خمس مئة كلمة ترد بنسبة ٦١ ٪ من نسبة مجموع الكلمات وأن ألف كلمة ترد بنسبة ٧٦ ٪ وأن ألفي كلمة بنسبة ٨٩ ٪ وأن ثلاثة آلاف كلمة ترد بنسبة ٩٥ ٪ .

أى أن ألف كلمة تكون ثلاثة أرباع الثروة اللفظية للكاتب الصحفي .

ومن الطريف أن نقابل بين هذا الإحصاء واحصاء الكلمات في اللغة الانكليزية وهو ٥٠٠ كلمة = ٩٠ ٪ وألفي كلمة = ٩٦ ٪ وثلاثة آلاف كلمة = ٩٨ ٪ .

استخدم بريل المنهج العلمي وتوخى الدقة في عمله ولكن عمله لا يصح أن يكون أساساً فيما نذهب اليه لأسباب منها :

أولا : أنه قصر المادة اللغوية على الصحف اليومية ولذلك لا يمكن الإفادة منها لمن يريد ان يؤلف في موضوعات شتى .

ثانياً : لم يرجع بريل إلى صحف من كل البلاد العربية حتى يستكمل المادة .

ثالثاً : كان عليه أن يأخذ فترة أطول ، لأن الصحف اليومية في فترة معينة تعنى بموضوع ما وتزول الكتابة عنه بانتهائه ، ولهذا ترى أن في قائمة بريل بعض الألفاظ التي كثر ترددها قد ضاعت في الاستعمال الآن أو كادت مثل كلمة « نازي » و « فوهرر » و « هر » و « فاشيست » وبعض كلمات قل استعمالها الآن وكانت كثيرة الورود مثل : « مسيو » و « ميجور » و « عصبة الأمم » .

رابعاً : ان عدد الكلمات التي كانت استخدمت في الإحصاء كان قليلا إذا قابلنا بما قامت عليه دراسة اللغات الاخرى ففى الانكليزية قام الاحصاء على أساس ٢٥ مليون كلمة (١)

(1) E L. Thorndike and I. Iorge, The teacher's Word book of30,000 Word N.Y. Teacher's College, Columbia University 1944.

وفي الألمانيـة على أساس أحد عشر مليون كلمة [1] وفي الفرنســية على أساس اربع مئة ألف كلمة [2] .

وفي ســنة ١٩٥٩ نشر لنداو بنيويورك كتاباً أسماه « إحصاء كلمات في النثر العربي الحديث » عمد فيه إلى بحث مجموعة من الـكلمات في اللغة العربية الفصحى العصرية مبيناً كثرة تردد الـكلمات في النثر العربي الحديث . وقد اختار ستين كتاباً من النثر العربي الحديث نشرت كلها في مصر . والـكتب في موضوعات متباينة لـكتاب مختلفين في النقد الادبي والتاريخ والسياسة والدين والاجتماع والاقتصاد وأدب الرحلات ، ولم يكن من بينها إلا القليل من كتب الأدب الرفيع والأدب القصصي وأحصى ٢٧٢ ألف كلمة .

ووصل لانداو إلى نتيجة تقرب من النتيجة التى وصل اليها بريل ، وأثبت أن الخمسمئة كلمة الأولى نسبتها ٥٩ ٪ وأن الألف كلمة الأولى نسبتها ٧١ ٪ .

ويؤخذ على لانداو أن عدد الـكلمات التى أحصاها أقل بكثير من الإحصاءات المماثلة في اللغات الأخرى . لم يوفق لانداو في اختياره للـكتب وكان عليه أن يدقق في الاختيار . ونلاحظ عليه أن تحـديده لمعنى « الـكلمة » قد أثر في الترتيب ، فنجده مثلا قد اعتبر الـكلمة وصيغ اشتقاقها وتصريفها كلمة واحدة ، ولـكنه عند جمع التكسير كلمة لذاتها ، وعد الصفة أحياناً كلمة لذاتها مثل « بيضاء وأبيض » وأحياناً كلمة واحدة مثل « أكبر وكبير » وعد كلا من الظرف واسم الفعل كلمة لذاتها . أما أسماء الفاعل والمفعول فقد عدها مع فعلها . وعد الـكلمة التى تشترك لفظاً وتختلف معنى ، على حسب معناها مثل مرشح

1) F W Kaeding; Häufigkeitswörtebuch der Deutschen Sprache, Steglitz b/ Berlin 1897 — 1898

2) V. A. C. Henmon, A French book based on the count of 400,000 runnirg Words Univ of Wisconsin, Bureau of educational research bullet in 1924

(في الانتخابات ، أو من البرد) وقص (قصة أو قص الشيء بالمقص) .

* * *

نحن نستطيع أن نعرف على وجه الدقة عدد الألفاظ التي يستخدمها الكاتب في كل ما نشره ، ولكن لا نزعم أننا بذلك نحدد مفردات الكاتب التي يعرفها . فلا ينبغي أن نخلط بين مفردات الكاتب و بين مجموعة الكلمات التي يستخدمها في مولفاته ليفهمهاالناس .

ولا يمكن لإنسان أن يعرف مقدار مفرداته ، وليست هناك طريقة ما لتقديرها ، لأن الكلمة لا توجـــد منعزلة في الذهن اطلاقاً ، بل هي جزء من مجموعة ذات امتداد ما ، تستعير منها قيمتها . والمجموعات ترجع إلى علل نحوية أو نفسية أو تاريخية أو اجتماعية . ويزدحم رأس الرجل المثقف بعدد كبير من الكلمات لا يستخدمها كلها في كتاباته وهو مع ذلك يشارك في معرفة عدد من المفردات للحاجات المشتركة بين جميع الناس . ولهذه الحاجات مفردات تكاد تتساوى في العدد في كل مكان وفى كل لغة .

والفلاح الأمي يستخدم ألفاظاً لا تزيد فى حياته على ثلاثمئة كلة ، وفيها مصطلحات قد يستخدمها المثقف ، والجندي يعرف لغة الثكنات ، وكذلك المشارك فى علم من العلوم يعرف مفرداته الفنية . ويرجع استعمال الألفاظ والصيغ فى اللغة إلى الذوق ، واختيار ما يتفق معه ، من حيث الصيغة الصرفية ، إو من حيث الأصوات ، وكذلك يستخدم أهل المدن ألفاظاً لا يحتاج اليها غيرهم . وقد يختلف ذوق أهل إقليم عن ذوق إقليم آخر فى اختيار اللفظ أو تفضيل صيغة صرفية عن غيرها .

وأسماء النبات والحيوان لا نستخدمها ـ حتى لو عرفناها ـ لأن قدرتنا ناقصة فى تخيلها ، وربما كان هذا هو سبب ضياعها عند سكان المدن ، وعند كتابنا أيضاً .

ويتبين لنا من هذا أن امكانياتنا قاصرة أن تحصر المفردات التي يعرفها الكاتب . وأن مقارنة سريعة بين مفردات كاتب وكاتب آخر ، تبين لنا أن أحدهما يستخدم كلمات أكثر من الآخر . والسبب في ذلك واضح وهو اختلاف الموضوعات التي يكتبها أحدهما

وتعددها، وليس لنا مع هذا أن نحكم بأن ثروة الأول اللغوية أقل من ثروة الآخر اللغوية .

وبالرغم من ذلك كله فإن إحصاء المفردات التي يستخدمها الكاتب ممكن ميسور ، وبالتالي فإن إحصاء المفردات التي يستخدمها عدد من الكتاب والمؤلفين فى موضوعات مختلفة يفيد فائدة كبيرة فى تحديد نسبة استعمال الألفاظ إلى كثرة ورودها أو قلته .

وإننا فى سبيل الوصول إلى لغة فصحى بسيطة علينا أن نقوم بإحصاء الألفاظ المستعملة فى الكتابة حتى يمكن اختيار أقل عدد من الألفاظ بحسب النتائج التي نصل اليها . ولا نمس قواعد اللغة أو صرفها ، وفى الإملاء نأخذ بالإملاء المبسط الذي وضعه مجمع اللغة العربية .

وعلينا أن نفيد من الجهود السابقة فنسد النقص فيها محاولين أن نقوم بدراسة أدق وبحث أعمق وتفصيل أوضح وعرض أوفى .

ويذهب أصحاب اللغة إلى أن تعليم اللغات يجب أن يسبقه إحصاء شامل للألفاظ حتى يعتمد المؤلف فى اختياره للألفاظ على كثرة ورودها فى الاستعمال عن طريق الإحصاء .

وعلينا أن نختار أكبر عدد ممكن من الكتب يراعى فيها تنوع الموضوعات وكذلك المجلات والصحف اليومية . فإذا كانت اللغة العربية تضم ثلاثة أرباع مليون وحدة لفظية فإن الإحصاء يجب أن يشمل فى رأيي ٧٥ مليون كلمة ، وذلك حتى نصل إلى نتيجة أقرب الى الواقع فى تردد الكلمة ، ثم نعمد إلى بعض اللغات الإفريقية التي بها دخيل من العربية مثل السواحلي والصومالي والهروى والهوسا والتجرينيا فنجمع الألفاظ العربية المشتركة فيها ، ثم نتجه إلى بعض لغات آسيا مثل الباكستانية والاندونيسية والفارسية لنحصي ما اشتركت فيه من الألفاظ العربية .

وسنخرج من ذلك كله بحوالي ١٥٠٠ كلمة هي قوام ما ندعو اليه من لغة عربية فصحى بسيطة .

فإذا تضافرت الجهود وصدق العزم ، قمنا ببعض ما علينا من واجب نحو اللغة العربية فتنتشر ويسهل تداولها وتصبح من جديد لغة عالمية .

٢ — صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية والبحث العلمي

للدكتور فاضل الطائي
عضو المجمع العلمي العراقي

سأقتصر في هذا البحث على صلاح اللغة العربية في دراسة العلوم الأساسية والعلوم التقنية (التكنولوجيا) وعلى البحوث التي تتعلق بهذين النوعين من العلم . وسوف لا أتطرق الى الآداب والمواضيع الإنسانية إذ يختلف الأمر في المواضيع الأخيرة عن العلميه الحديثة فالمصادر العربية في الآداب والمواضيع الإنسانية أكثر منها في العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية كما أن اهتمام العالم الحديث بالعلم بنوعيه أكثر منه في الموضوعات الإنسانية والآداب . ويتضح ذلك من المجلات العلمية الدورية التي تنشر بأعداد كبيرة جداً لكل فرع من فروع العلم إضافة إلى ما ينشر من ملخصات في مختلف اللغات ، فعدد المجلات العلمية البارزة في علم الكيمياء والتي تصدر كل شهر لا يقل عن أربع مئة مجلة ، ولا بأقل منه في علم الفيزياء وكذا العلوم الهندسية ، وربما كان عدد المجلات في الفروع العلمية الأخرى مقاربا لما هو في الكيمياء ويعزى الأمر إلى ما نال العلم من اهتمام كثير من لدن الأمم المتحضرة . ونظراً لما له من علاقة وثيقة في رفع المستوى المعاشي وزيادة الدخل القومي وتيسير سبل الحياة في العالم . بل ليس في وسع أمة أن تعيش عيشة محترمة وتضمن استقلالها وتصون كرامتها ما لم تتضلع بالعلم ، العلم بنوعيه الأساسي والتقني . وربما كان النوع الثاني من العلم وما يتصل به من الأمور الفنية في التصنيع والزراعة أجدى وأنفع من النوع الأول في النهضة المادية للأمة ورفع مستواها المعاشي سيما في الأمم المتطورة التي تشق طريقها نحو الحضارة الحديثة . ولقد فطنت اليابان إلى منافع هذا النوع من العلم وتأثيره الكبير في رفع الحياة المعاشية لسواد شعبها فأعارته اهتماما يليق

بما له من فوائد جمة ورعته رعاية يستحقها ، فأرسلت بعوثها إلى الأمم التي برزت فى العلوم التطبيقية والتقنية كالدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية آنذاك لدراسة هـذا النوع من العلم ، كما أوفدت القليل من بعوثها لدراسة العلوم الأساسية . ولما عادت بعوثها بدأت بصنع الآلات الزراعية الحديثة وبناء المعامل التى تستخدم مواردها الطبيعية ولم يكن التصنيع والبناء بجديدين بل نقلت ما هو معروفا في أوربا وأمريكا إلى بلدها وأفادت منه فائدة كبيرة في الحفاظ على دخلها القومي أولا ثم استغلال الأيدي العاملة استغلالا يضمن رفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي كما وصيرت من خاماتها الطبيعية موارد تجارية تدر عليها بالربح الكثير . وخلاصة القول بأن اليابان قد اعتمدت في إبان نهضتها على التقليد والنقل لما كان موجوداً في الأمم التى سبقتها في المضمار الحضاري المادي . وعنـد ما اطمأنت إلى مستوى شعبها المعاشي ودخلها القومي تبنت الاهتمام بالنوع الثاني من العلم فتعاون علماؤها من النوعين وانطلقت إلى العالم بنهضة قويمة وفي فترة قصيرة جداً كانت موضع دهشة الأمم الأخرى وإعجابها . كما أنها أسهمت في تطور العلوم إسهاما فعـالا فأضافت إلى العلم معرفة جديدة لا تقصر عما تضيفه الى امة متقدمة في العالم . ولعل في نهضة اليابان مثالا نقتدى به في نهضة الشعب العربي . ولا أود في هذا المجال أن أنتقص حق العلم الأساسي وبحثه ولكن فائدته في الدول المتقدمة أكثر منها في الدول المتطورة ، فالخبرة العلمية التي يضيفها العلم الأساسي قد تكون ذات فائدة عملية آنية أو أن تأتي بفائدة في المستقبل القريب أو البعيد أو قد لا تأتي بفائدة عملية على الاطلاق . أما النوع الآخر من العلم فيعني في البحث الذي تكون فائدته العملية مضمونة وأكيدة حيث يعمل على حل المشاكل التى تعترض تقدم الزراعة والصناعة ويزيد من نفعها ويتولى الموارد الطبيعية المتوافرة فى البلد ويستغلها استغلالا صحيحاً من شأنه أن يعجل في تطور الأمة ويضمن لها مستوى لائقاً ودخلا قومياً محترماً . ولعل بوادر النهضة الصناعية والزراعية قد لاحت في أفق البلاد العربية المتحررة بل وبانت ثمارها في الجمهورية العربية المتحدة نظراً لما سارت

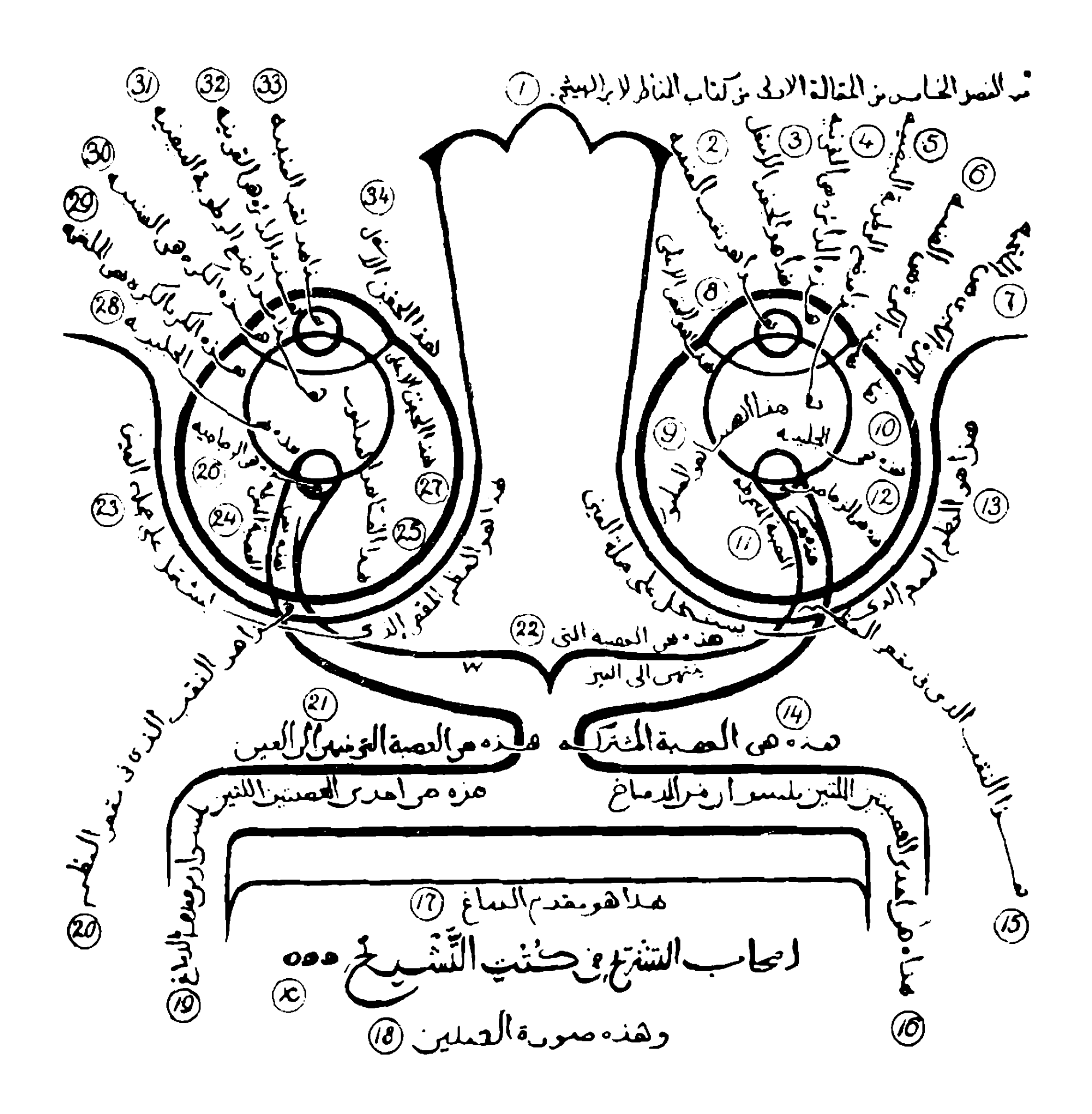
عليه من تخطيط علمي مضبوط يوازن بين نوعي العلم على ضوء المرحلة التي تمر بها الدولة . وقد بدأت هذه الدول في إضافة المعرفة العلمية الأصيلة إلى العلم وأسهمت في السير في موكبه. وهكذا يتطور العلم وينمو بتكاتف العلماء وتضافر جهودهم في مختلف شعوب العالم .

يوضح لنا التاريخ بأن العلم قد كتب بلغات عديدة على مر العصور وتوالت تلك اللغات على الصدارة وفقاً لما أسهم أهلها في التقدم العلمي والحضاري . أو على حد تعبيرنا اليوم من أن اللغات قد تعاقبت في كون الواحدة منها (لغة حية) حسب ما كان أهلها . فاللغة تحيا بأهلها وليس بتركيبها وتحضى بالصدارة عند ما يكون أهلها قد سبقوا العالم في التطور الحضاري ولعل حاضرنا يدل على وجود لغات حية هي أبعد ما تكون عن الحياة من حيث تركيبها كما وجدت في الزمان القديم أمثال لما ذكرت فتأريخ العلم قديم ، وقديم جداً . بل ويكاد تاريخ العلم أن يكون وليد ظهور الإنسان على البسيطة . وهناك أدلة مادية واضحة لا يتطرق إليها الشك على ازدهار العلوم في مصر وما بين النهرين والصين يرجع عهدها إلى نحو من أربعة آلاف عام قبل الميلاد كالأهرام والتحنيط وأدوات الخزف والزجاج والمعادن في مصر وتعدين الذهب وبناء بابل ونينوى والحضر وغيرها في العراق (بين النهرين)وآثار الخزف الملون والذهب والإتقان الهندسي في الصين . لا بد أن كتبت المعرفة العلمية بتلك اللغات القديمة كاللغه الصينية واللغة المسمارية ولا زالت الكتب العلمية الحديثة تثنى على جهود اليونان في بدء العلم الحديث والمنطق العلمي وكان لزاما على من أراد ارتشاف العلم والتحلي به أن يتعلم اللغة اليونانية بل ويجيدها . وفي منتصف القرن السابع للميلاد ـ على وجه التقريب ـ دخل العرب بلاد مصر فوجدوا كتباً عديدة في مختلف شؤون المعرفة قد كتبت باللغة اليونانية فانكبوا على ترجمتها إلى اللغة العربية ليكون العلم بمتناول من يحسن اللغة العربية دون الرجوع إلى اللغة اليونانية كما ان في عملهم هذا قد أضافوا جزءاً محترما من العلم إلى المكتبة العربية . ولم ينصرم القرن السابع للميلاد حتى ظهر العدد الكبير من الكتب المترجمة . واستمرت حركة الترجمة والنشر والتأليف وازداد نشاطهام في بغداد

طوال القرنين السابع والثامن ، فانجبت عاصمة الرشيد يومئذ عدداً كبيراً من قادة الفكر والمعرفة الذين استوعبوا بتفهم عميق ما قدمه اليونان من إضافة إلى العلم وأضافوا طرائق جديدة في المعرفة العلمية وأسلوب البحث العلمي . وبذلك قد أسهم العرب في الحفاظ على التراث اليوناني وكذلك في تطور الأساليب المتبعة للوقوف على الحقائق العلمية والتثبت منها عن طريق إجراء التجارب العلمية المضبوطة . إذ لا بد لمن يطلع على التراث اليوناني وما أسهم به فلاسفتهم العظام أمثال سقراط وأرسطو وغيرهم أن يدرك أسلوبهم في البحث والتتبع ويلمس اعتمادهم الكبير على التأمل الفكري والاستنباط المنطقي المحض فى الوصول إلى الحقائق بل ولا يفوت المطلع اهتمامهم الوافر فى الناحية الفكرية وعنايتهم الضئيلة بالتجارب العملية . فلقد أنف فلاسفة اليونان من استعمال اليد والحواس الأخرى ، وبالتالي من إجراء التجارب العملية بل وشككوا بالحواس نفسها وبكل ما يصل من المعرفة عن طريقها . وقد أجحف بحق العرب من قال إنهم نقلوا التراث اليوناني بعد الحفاظ عليه إلى أوربا لحسب ، وقد أنكر كثيراً من الحقائق من كتب بأن العرب جسر عبرت عليه المعرفة اليونانية إلي العالم واكتفى بهذا وحده . والحقيقة أن العرب قد حافظوا على التراث اليوناني من الضياع واعتمدوا عليه وأضافوا إليه الشيء الكثير من المعرفة ، بل وطوروا أسلوب البحث والوصول إلى الحقيقة . وأدرك ذلك عدد غير قليل من العلماء الأعاجم وبعض المؤرخين المنصفين أمثال سارتون وكراوس وهولميار وبرتلو وغيرهم وأوضحوا للعالم دور العرب في تسيير الركب العلمي العالمي وأبانوا النتاج العلمي الأصيل الذي أضافه العرب إلى النتاج اليوناني . فالعلم سلسلة تتألف من حلقات عديدة يرتبط بعضها بالبعض الآخر بأواصر قوية متراصة ويشد بعضها البعض ولم تكن هذه السلسلة وقفاً على أمة واحدة أو شعب واحد ، بل إن العلم أممي في طبيعته . ولكل أمة ساهمت في تطور المعرفة العلمية عدد من حلقات تلك السلسلة الطويلة . ولا تطول السلسلة إلا بازدياد حلقاتها . كذلك شأن العلم والمعرفة فلولا وجود التراث اليوناني لأبتدأ العرب بما بدأ

به اليونان ولتأخر الركب العلمي وقصرت السلسلة . ولو لا العرب في حفاظهم على التراث اليوناني وإضافتهم إلى المعرفة اليونانية وتطويرها لبدأت أوربا بما بدأ به اليونان ، وعليهم كذلك إضافة ما أضاف العرب إلى السلسلة العلمية . وقد صدق من قال لولا العرب لتأخر العلم في أوربا قروناً . إذ أن أوربا قد أفادت مما قدمه العرب من التراث اليوناني بجانب ما قدمه العرب أنفسهم من معرفة علمية أصيلة . وقد ترجم الغربيون جزءا كبيراً من الكتب العربية إلى اللغات الأوربية سيما العلمية منها . ولا أكون مبالغا إن قلت إن لجابر بن حيان ما لا يقل عن خمسين كتابا فى اللغات الأوربية الحديثة كاللغات الألمانية والانكليزية ، بل وقام بعض المستشرقين بنقل مؤلفات جابر بن حيان وغيره من أعلام العرب إلى اللغة العربية ثانية بعد أن فقدت النسخ الأصلية ولا بد لمن اطلع على كتاب المناظر لابن الهيثم او كتاب الخواص الكبيرة لجابر بن حيان أو كتاب تصعيد العطور للكندي أن يحكم بأن الأسلوب التجريبي العلمي في البحث يختلف اختلافاً بيناً عما اتبعه فلاسفة اليونان . فالتجارب العلمية العملية التي قام بها جابر بن حيان في تحضير بعض المواد - لأول مرة - والتي لا زال الكثير منها يستعمل في المختبرات الحديثة يدل دلالة واضحة على تقن عملي عال وضبط لنسب ومقادير المواد التي استخدمها في تجاربه العلمية ووصف من الصعوبة بمكان ان يصاغ بأحسن منه . ولا يقل الكندى في نهجه التجريبي عن ابن حيان في تحديد الفرق بين حمام الماء الساخن وحمام البخار وبأسلوب علمي سليم ولغة سلسة واضحة ناهيك عما أتى به من إبداع في صنعها واختيار موضع استعمالهما . ومن يقرأ رسائله في الفلسفة - وأخص بالذات - تفسيره لظاهرتي المد والجزر يدرك المرتبة العلمية التي وصل إليها الكندي . وقد برز الحسن بن الهيثم في مختلف فروع المعرفة سيما علم الضوء وبز من تقدمه وعقمت الدنيا ، بل وعجزت من أن تنجب مثله من بعده بقرون عديدة . فقد وصل ابن الهيثم الذروة في أواخر القرن العاشر للميلاد ولم يتقدم علم الفيزياء (الطبيعة) عما تم على يده إلا في إبان النهضة الأوربية الحديثة .

مخطط تشريح العين



وسأكتفي بإبراز مخطط لتشريح العين وقد وضعه ابن الهيثم قبل عشرة قرون ليقف القاريء على قطرة من بحره . وهكذا أسهم علماء العرب في سير الركب العلمي وأضافوا عدداً كبيراً من الحلقات فى سلسلة العلم وشاركوا في بناء صرح الحضارة قروناً عديدة ،

وأضحت اللغة العربية لغة العلم ورجاله ، ولعلها كانت المصدر الرئيس الذي اعتمدت عليه أوربا في نهضتها في القرن السابع عشر حيث ترجمت الكتب العربية إلى اللغات الأوربية وكان على من يستقي العلم من منبعه أن يجيد اللغة العربية وبذلك أصبحت اللغة العربية آنذاك إحدى اللغات العلمية بل وفي الطليعة وبقيت حالها كذلك مدة طويلة حتى توالت الأحداث المريرة على البلاد العربية وأفل نجم العرب العلمي فكانت فترة الظلام الحالك فترة الاستعمار وذيوله من جهل وبؤس وفقر وانشقاق . وقد حاول المستعمرون بل وأوغلوا في قطع الصلة بين حاضر الأمة العربية وماضيها ليتمكنوا من هدم ما تبقى من تراث العرب بمعول الحضارة المصطنعة التي صيغت وحيكت لنا وساعدهم في عملهم هذا بعض الشعوبيين الذين نقموا على العرب وحاولوا إرجاع التراث العربي الى أي شعب كان باستثناء الشعب العربي . وعندما أفاق العرب في مطلع القرن العشرين لم يجدوا أمامهم من تراثهم شيئاً ، بل كان على من يريد التعرف على التراث العربي أن يجيد لغة أوربية كالألمانية أو الإنكليزية أو الفرنسية وقد نقل بعض المستشرقين العلوم العربية الى لغتها ثانية ولا يزال الجزء الأكبر من التراث العربي في اللغات الأجنبية لم ينقل إلى لغته الأصلية بعد .

وليس في وسعنا ترجمة تراثنا ما لم نتقن احدى اللغات التي نقل اليها . أما من الناحية العلمية فقد وجد العرب أنفسهم متخلفين عن الركب العلمي العالمي بمراحل عديدة ، وعلينا أن نسعى سعياً حثيثاً للحاق بالركب وذلك عن طريق الدراسة في الجامعات والمعاهد التقنية (التكنولوجية) الغربية وأصبح لزاماً على من أراد العلم الأساسي أو التقني أن يجيد لغة حية على الأقل .

وهنا يقف المرء في حيرة من أمره أيصرف جهوده في الانكباب على العلم والبحث بإحدى اللغات الاجنبية الحية ليقلص الفجوة العلمية بيننا وبين الغرب أم ينصرف الى

الترجمة ونقل العلم الى اللغة العربية وفي ذلك خسارة لبعض الجهود اضافة الى تعذر الأمر . فموقف العرب اليوم يختلف عما كان عليه في القرن السابع للميلاد ، كما يختلف التراث اليوناني عن العلوم الحاضرة . فعند ما بدأ العرب بترجمة التراث اليوناني كان هذا التراث ثابتاً ومستقراً اذ انطفأت جذوة العلم والحضارة اليونانية قبل القرن السابع بقرون ولم يبق لهم من مأثرة علمية سوى ما سجل في الكتب القديمة كثيرة العدد كانت أم قليلة . والمهم في الأمر أن العدد محدود وثابت لذا كان بإمكان العرب نقل التراث اليوناني إلى اللغة العربية ـ اللغة العلمية آنذاك ـ في مدة قرنين عند ما نشطت حركة الترجمة والتأليف عندهم . أما في الوقت الحاضر فان العلم بنوعيه يسير بسرعة خاطفة وبتعجيل متزايد يوماً بعد يوم بحيث يتعذر نقله من لغة إلى أخرى ولست بمبالغ في القول إن أشرت الى تعذر نقل العلم الى اللغة العربية ولو جند المعنيون في العلم من العرب جميعاً لهذه المهمة . ويصدق القول على الشعوب المساهمة مساهمة فعالة في البحث العلمي وتطويره فبالرغم من نقل بعض المعرفة العلمية عن طريق ترجمة مجلة علمية أو مستخلص علمى من بين مئات المجلات العلمية من لغة حية ـ في الوقت ـ الى أخرى مماثلة نجد أن من متطلبات الدراسة العلمية العالية في أمة متقدمة أن يحسن الطالب لغة واحدة على الأقل بل ولغتين على الأكثر الى جانب لغته الحية . وعلى سبيل المثال ان من يريد الحصول على درجة الدكتوراه في علم من العلوم في انكلترة أو الولايات المتحدة عليه أن يحسن تتبع العلم بلغتين حيتين غير لغته الإنكليزية وفي أغلب الأحيان تكون هاتان اللغتان هما اللغة الالمانية بالدرجة الأولى واحدى اللغتين الروسية أو الفرنسية بالدرجة الثانية . وهكذا شأن طلاب العلوم والباحثين في العلم من الأمم المتقدمة الأخرى . اذ ليس في وسع من يشتغل في البحوث العلمية المستجدة أن يعتمد على لغة حية واحدة بل عليه أن يتتبع ما كتب في حقل اختصاصه في المجلات العديدة في اللغات الحية الأخرى ليتمكن من مسايرة الركب العلمي العالمي دون أن ينتظر حتى تصدر ترجمة الأبحاث وتنقل

الى لغته . هذا ان ترجمت تلك المجلة بالذات من بين مئات المجلات الأخرى التي لا تنقل الى لغته . وهذا شأن العلم ورجاله فى الامم المتقدمة فكيف إذن حال طلاب العلم ورجاله في البلاد العربية وهل باستطاعتنا أن ننقل ما يستجد من العلم الى اللغة العربية أم يجب علينا اختيار الكتب التي تتضمن معلومات أساسية قد ذكرت في المجلات الدورية العلمية وثبت صلاحها قبل نشرها فى الكتب بمدة غير وجيزة .

يتطلب تدريس العلوم والبحث العلمي ـ في لغة ما ـ توافر العناصر الأساسية الآتية :ـ

١ — الأفراد العلميون : ان عدد الافراد العلميين فى البلاد العربية ليس بقليل اذا ما قورن الحال بكثير من الأمم التي شقت طريقها حديثاً في مضمار العلوم الأساسية والتطبيقية . وفي وسع علماء العرب القيام بالبحث العلمي الأصيل والإسهام في الاضافة الى المعرفة العالمية . ولقد أبلى بعضهم بلاءً حسناً في هذا المضمار بل برز قسم كبير منهم في مراحلهم الدراسية العالية فى الجامعات والمعاهد الغربية عند ما توافرت لديهم وسائل البحث العلمي الأخرى كما ان عدد ما نشر من بحوث علمية أصيلة في البلاد العربية لايستهان به وفي مختلف شؤون المعرفة . وقد أثبت بعضهم جدارة عالية وكفاءة مرموقة في التعليم العالي والاشراف على البحوث العلمية . الا أن جهودهم ليست منسقة بشكل يضمن افادة البلد منها الى حد كبير وسأتولى شرح ذلك في مجال آخر .

٢ — المختبرات والأجهزة العلمية : يحتاج البحث العلمي الى مختبرات مجهزة بأحدث الأجهزة والآلات لتعين الباحث في عمله . فالأجهزة العلمية الحديثة ضرورة من ضرورات البحوث الأصيلة ، وتحتاج الى تبديل مستمر وفقاً لتقدم العلوم التقنية في تصميم الأجهزة . فبعد أن كان الباحث يصرف الأيام الطوال في التحاليل وتعيين البناء الجزيئي لمركب ما أصبح بمقدور الأجهزة الحديثة القيام بالعمل نفسه خلال ساعات معدودات وبعمل ذاتي تغني الباحث عن صرف وقته في مراقبتها وتشغيلها يدوياً . ولا تنحصر فائدة الأجهزة في علم

الكيمياء فحسب ، بل تتعداه الى العلوم التجريبية الأخرى . أما اذا كان استبدال الأجهزة القديمة بأخرى حديثة بطيئاً ، فلا بد وأن يؤثر ذلك في سير البحث وتباطؤ سرعته وضياع الكثير من وقت الباحث وجهده .

٣ — المكتبة العلمية : يحتاج الفرد في بحوثه العلمية الى مكتبة تضم أمهات الكتب التي تزخر بالمعلومات التي ثبت صلاحها ، وتحتوي على جميع المجلات العلمية الدورية والمستخلصات العلمية في حقل اختصاصه وعليه أن يجيد لغتين حيتين على الأقل ليتمكن من معرفة ما استجد من الأبحاث في العالم . ولا بد للمكتبة العلمية أن يتوافر فيها الأشخاص المعنيون في شؤونها كالمستخلصين والطباعين والمترجمين والمصورين ليعينوا الباحث في عمله ويوفروا له ما ينشر دورياً في فرعه العلمي في مختلف المجلات العالمية ليتمكن من الرجوع اليها بسرعة وسهولة ، اذ ليس في مقدور أي باحث أن يتمكن من الوقوف بنفسه على ما ينشر دورياً في العالم وذلك للأعداد الهائلة من المجلات الدورية في كل حقل من حقول العلم وبلغات مختلفة .

ويؤسفني أن أقول — رغم مرارة الحقيقة — ان جميع المصادر الرئيسة فى العلوم من كتب ومجلدات لم تنقل الى اللغة العربية بعد : وربما نقل النزر الضئيل الى لغتنا . فاذا ما جعلنا الباحث العربي يعتمد على ما يكتب من العلوم باللغة العربية نكون قد حددنا معرفته وضيقنا أفقه العلمي وهذا ما لا نرتضيه لجيلنا بل من الأفضل أن نعلمه لغة أجنبية حية ليتسنى له متابعة المراجع العديدة أولاً ثم لتكون له المقدرة على متابعة دراسته العليا وبحوثه خارج البلاد العربية . هذا الى انعدام وجود المجلات العلمية الدورية والمستخلصات باللغة العربية : ففي كل بلد من البلدان المتقدمة تصدر هذه المجلات بأعداد كبيرة جداً وتشمل جميع فروع العلم وتضم ما استجد من البحوث العلمية للفترة الزمنية المحصورة بين العدد الأخير من المجلة والعدد الذي يسبقه وبذلك يكون الباحث العلمى على صلة وثيقة بما يستجد من البحث العلمي في فرع اختصاصه . ولكي يضمن البلد المتقدم ويهيئ لطلابه

وعلمائه جميع ما نشر من العلم في لغات غير لغته نرى الاهتمام بالمجلات المستخلصة التي تضم خلاصات لجميع ما نشر في العالم حيث يقوم عدد كبير ممن يعنون بالعلم على ترجمة وتلخيص البحوث الى لغة البلد نفسها وقد بدت في الآونة الأخيرة حركة ترجمة واسعة النطاق لا تقتصر على المستخلصات فحسب بل تتعداه الى عدد من المجلات العلمية البارزة حيث تترجم المجلات من اللغة الروسية الى الانكليزية والألمانية : ومن اللغة الانكليزية الى الروسية والألمانية . وأرى من الضروري أن تقوم البلاد العربية بترجمة المستخلصات العالمية الى اللغة العربية . ولعل بوادر هذه العملية الحميدة قد لاحت فى الجمهورية العربية المتحدة ويتولاها مركز الوثائق العلمية .

يتضح مما تقدم أن بعض عناصر البحث العلمي ليست متوافرة في اللغة العربية سيما الثالث منها والذي هو عماد البحث ومعتمد الباحث : ولا يقوم بحث علمي دون وجود المجلات العلمية الآنفة الذكر : وهنا نتساءل عما إذا كان باستطاعة الباحث أن يعتمد على اللغة العربية وحدها .

لا بد لطالب العلم أن يجيد إحدى اللغات الأجنبية الحية على الأقل ليتسنى له النمو العلمي في حقل اختصاصه والإسهام في نقل الكتب العلمية الرئيسية الى اللغة العربية ليمهد للقارىء العربي الاطلاع على المعلومات العلمية الثابتة .

يحتاج تدريس العلوم في لغة ما الى مصادر عديدة متوافرة في كل حقل من حقول العلم باللغة نفسها ، ليعتمد الطالب الجامعي في الحصول على العلم من مصادره إضافة إلى ما يتلقى من محاضرات : إذ أن الاقتصار على المحاضرة فحسب يؤول إلى هبوط في المستوى العلمي وتحديد لمعرفة الطالب ، هذا إن كانت المحاضرات شاملة وكاملة . وهنا نتساءل عن عدد الكتب العلمية الرئيسية المتوفرة في اللغة العربية وهل باستطاعتنا أن نعتمد عليها في التدريس الجامعي ؟ وهل هي مستوفاة لشروط الترجمة والتأليف ؟ وهل باستطاعة الجامعي في العراق أن يفهم المصطلحات التي وضعت في سوريا مثلا ؟ بل أعود إلى المرحلة التي تسبق

المرحلة الجامعية ودعنا نقرأ ما كتب في العلم للمرحلة الثانوية (الاعدادية) في كل من البلدان العربية ونستعرض المصطلحات العلمية التي أوردتها تلك الكتب لما يقابل مصطلح واحد في إحدى اللغات الأوربية وعندئذ يتضح لنا الأمر ويتجلى التباين بين مدلول المصطلحات في كل قطر من الأقطار العربية .

إن هذا لا يعني أن نيأس من التشبث وتهيئة الظروف الملائمة لتدريس العلوم باللغة العربية بل علينا أن نعمل على تحقيق هذه الإمكانية ونسعى سعياً جدياً لوضعها موضع التنفيذ دون أن تضر بالمستوى العلمي في الجامعات العربية ولا أرى مانعاً من اعتماد الطلبة الجامعيين على المصادر العلمية بلغة أوربية في الوقت الحاضر رغم إلقاء المحاضرات باللغة العربية لنطمئن إلى أن الطالب قد حظي بقسط من لغة أوربية يمكنه من متابعة مصادر العلم في تلك اللغة دون عناء . وأرى أن نبدأ بتعريب العلم على خطوات متسلسلة ومنطقية تضمن تفهم المصطلحات العلمية في جميع الأقطار العربية وتحقق المستوى العلمي الذي نهدف إلى تحقيقه . وربما كان فى الطريقة التي ساوردها ما يعين على تحقيق الغرض .

١ — المسح العلمي للمؤلفات العربية القديمة - لقد ألف العرب في عهد ازدهارهم كتباً عديدة اضافة إلى ما نقلوه من التراث اليوناني إلى اللغة العربية . ان هذه الكتب سواء أ كانت تأليفاً أم ترجمة ، قد كتبت بلغة عربية أصيلة واحتوت على عدد كبير من المصطلحات العلمية وربما كانت اللغة العربية من أغنى اللغات بالمصطلحات العلمية التي حددت مدلولاتها وحصرت في معان معينة وربما وجد الأوربيون في إبان نهضتهم العناء الكبير في نقل المصطلحات العربية إلى لغاتهم إضافة إلى ما نقل منها إلى لغتهم بلفظه العربي ولا بد لمن اطلع على الكتب العلمية الأجنبية أن يلمس بعض الكلمات العربية العلمية في تلك الكتب . هذا الى أن العرب قد وضعوا أسماء ومصطلحات لكل ما شاهدوه في الطبيعة في شتى الأمصار الواسعة التي مكثوا فيها أو نقلوا الحضارة اليها . وبوسعنا الاعتماد على تلك المصطلحات وإبرازها في الكتب العربية فى الوقت الحاضر ، إلا أن هذا المسح يحتاج إلى

تعاون بين رجال العلم والمؤرخين ، فرجال العلم من العرب في يومنا هذا منهمكون في أعمالهم العلمية وبحوثهم أو جل اعتمادهم على المصادر الأجنبية فحسب ، وهذا ما يتطلبه البحث العلمي وربما كان عدد المعنيين بالكتب العلمية القديمة قليلا جداً ، بل قد لا يتجاوز عدد أصابع اليدين وأبلى بعضهم بلاء حسناً في هذا المضمار ولعل الدكتور مصطفى نظيف في المقدمة لهؤلاء الرواد ، فلقد تمكن من إبراز العالم العربي الحسن بن الهيثم على حقيقته وأعطاه المكان اللائق به نظراً لأنه رجل علم يفهم ما يكتبه علماء العرب في العلم سيما فى حقل اختصاصه ، ولو قرأ ابن الهيثم ، وشخص بعيد عن العلم والفيزياء لفاتته أشياء كثيرة وهذا أمر طبيعي ، فاللغوي المحقق والمؤرخ لا يستطيع فهم الحقائق العلمية فى كنوز التراث العربي ومقارنته مع المصادر العلمية الحديثة . وربما كان ما أوردت السبب فى تحقيق عدد كبير من المخطوطات اللغوية والأدبية والمواضيع الإنسانية وإغفال تحقيق التراث العلمي العربي .

وأرى أن يعنى بعض رجال التاريخ واللغة العربية فى إعداد المصادر العلمية القديمة ليكون فى استطاعة المعنيين بالعلم من أبناء هذه الأمة الرجوع إلى تراثهم العلمي والعناية به والافادة منه وتعيين المصطلحات العلمية التي وضعها العرب فى مختلف صنوف العلم واستعمالها فى الترجمة والتأليف بعد تعميمها على البلاد العربية وتثبيتها فى معجمات خاصة بها . وهكذا نتمكن من الحصول على عدد غير قليل مما استعمله العلماء العرب فى الماضى من مصطلحات علمية لنبعثها ثانية في مؤلفاتنا العربية . أما في المواضيع الإنسانية والأدبية فلا نحتاج إلى تعريب كثير نظراً لكثرة ما وضعه العرب من مصطلحات في هذا الباب أولا ولنزارة عدد ما استجد من المصطلحات حديثاً . أقول بأن التراث العربي غني بالمصطلحات العلمية والإنسانية التي عرفت قبل ازدهارهم وخلال فترة نهضتهم قبل قرون وباستطاعتنا الاعتماد عليها في تأليف الكتب الحديثة في اللغة العربية . إلا أن العرب ـ بعد سباتهم خلال القرون الماضية وقيام النهضة الأوربية الحديثة وازدهار العلوم والتقن خلال القرون الثلاثة المنصرمة ـ لا يملكون المصطلحات التي أتت بها الحضارة الأوربية الحديثة وازديادها

يوماً بعديوم وبسرعة كبيرة لذا كان لزاماً علينا أن نعنى بترجمة المصطلحات العلميةالحديثة أو تعريبها وبسرعة تتناسب وسرعة ما يستجد منها في الوقت الحاضر .

٢ — العمل على كتابة المعجمات العربية للمصطلحات العلمية الحديثة : يتطلب هذا الأمر إلى مسح علمي في الكتب العلمية الحديثة التي كتبت بلغات حية في كل فروع العلم وكذا التقن (التقنلوجيا) ويقع العبء في هذا على عاتق المجامع العلمية واللغوية ونشاطها في العمل ، إذ عليها أن تتعاون مع المؤلفين والمترجمين من رجال العلم العرب وتضع المصطلحات بالسرعة الممكنة كما عليها أن تؤلف لجنة تضم ممثلين من جميع المجامع العلمية في البلاد العربية لتوحيد هذه المصطلحات ونشرها في الأمصار العربية كافةً . ومن الأفضل أن يختار مصطلح واحد ـ لا أكثر ـ لما يقابله في اللغة الحية . إذ ليس من الأهمية بمكان المفهوم اللغوي للمصطلح بل إن تحديد مدلوله ومعناه أكثر أهمية : وإن اللغات الأجنبية الحية مليئة بالمصطلحات والتسميات التى حددت معانيها العلمية بالدرجة الأولى رغم أن مدلولها اللغوي يختلف عما هو الواقع . وعلى سبيل المثال إن لفظة (أوكسجين) تشير إلى عنصر من العناصر المعروفة ومعناها اللغوي ، هو (مولد الحموضة) والحقيقة أن عنصر الاوكسجين ليس مولد الحموضة وذلك لوجود عدد كبير من الحوامض التي يخلو تركيبها من عنصر الأوكسجين : ولم يستبدل اسم العنصر باسم آخر ، بل إن الاسم استعمل وأخذ مدلوله العلمي رغم اختلاف مدلوله اللغوي . وكذلك الحال في عنصر (الهيدروجين) حيث يعنى الاسم لغوياً (مولد الماء) والحقيقة أنه مولد الحموضة حيث يدخل فى تركيب جميع الحوامض . ولا أعني بهذا إهمال الجانب اللغوى فى ترجمتنا أو تآليفنا بل أقول بأن لا يطول الجدل كثيراً ويمضي الزمن عجالا ونحن بصدد وضع مصطلح واحد يختلف فيه اللغويون فقهاً .

٣ — توحيد طريقة الاشتقاق والتسمية : لقد وجدت بعض المعجمات التي ألفت مؤخراً فى بعض البلدان العربية قد اتبعت طرائق مختلفة في اشتقاق المصطلحات . وعلى

سبيل المثال إن حامض (الكاربونيك) قد سمي بهذا الاسم نفسه تارة واطلق عليه حامض الفحم مرة أخرى . وهنا لا بد من القول بأن الكاربون غير الفحم فعندها يريد المرء أن يشتري فحماً أو يستعمل الكلمة في الامور اليومية العادية للدلالة على الفحم يقول : (Coal) وعندما يريد الدلالة على الماس فيستعمل كلمة (Diamond) لا كلمة كاربون . أما إذا كان الكلام في موضع الكيمياء أو أي علم آخر فتطلق كلمة (الكاربون) للعنصر نفسه حيث يستوي فيه الفحم والماس لأنهما صورتان لعنصر الكاربون . كما استعمل بعضهم اسم (الكلوردريك) بدلا من (الهيدروكلوريك) للدلالة على مركب واحد . وهناك بعض الطرائق المثبتة التي اذا ما التزمنا بها حالت دون وقوعنا في خطأ من هذا القبيل. فأذا ما اتبعنا طريقة الاشتقاق فى تسمية الأحماض فلا مجال لذكر كلمة (الكلوردريك) . ومن البساطة بمكان شرح هذه القاعدة فى التسمية .

تقسم الأحماض إلى نوعين من حيث احتوائها وعدمه لعنصر الاوكسجين : فتكون تسمية الأحماض التي تحتوي على الاوكسجين بذكر اسم اللافلز مشفوعاً بإضافة (يك) فإذا ما احتوى الحامض على عنصر الكبريت يكون اسمه (حمض السبريتيك كبريت . . . يك) .. وإذا كان اللافلز فى حمض ما هو عنصر الكاربون كان اسمه حمض الكاربونيك (كاربون يك) : وإذا احتوى على عنصر الفسفور دعى (بحمض الفسفوريك) .

أما النوع الآخر من الأحماض فيتألف من عنصري الهيدروجين واللافلز فحسب ، ولا يحتوي هذا النوع من الأحماض على عنصر الأوكسجين كما هي الحال فى النوع الأول وتكون تسمية هذه الأحماض بذكر لفظة ـ هيدرو ـ للدلالة على الهيدروجين ثم اسم اللافلز مشفوعاً بلفظة ـ يك ـ : فإذا كان اللافلز هو الكلور . يكون اسم الحمض كالآتي :

(هيدرو ـ كلور ـ يك) (هيدروكلوريك) : أما إذا كان اللافلز هو الكبريت يكون اسم الحمض فى هذه الحالة ـ (هيدرو ـ كبريت ـ يك) هيدروكبريتيك ـ نلاحظ من هذه التسمية كلمة عربية وهي الكبريت : إذ أن هذا العنصر (اللافلز) كان معروفاً

عند العرب لوجوده حراً فى الطبيعة فاستعضنا عن الكلمة اللاتينية بكلمة عربية فى تسمية الحمض : أما عنصر الكلور فلم يكن مكتشفاً عند العرب : فأدخلنا الكلمة نفسها فى تسمية حمض الهيدروكلوريك .

وهناك قواعد عامة في تسمية الأملاح والقلويات لا يمكن أن يكون للملح أو للقلي أسمين إذا ما اتبعت تلك القواعد العامة : والتزمنا بها . وكذلك الحال في كثير من العمليات الكيمياوية .

والمهم في الأمر تثبيت القواعد العامة وطرائق الاشتقاق ووضع التسميات وتعميمها في جميع البلدان العربية بعد اقرارها .

٤ — إصدار نشرة دورية للمصطلحات العلمية : من الضروري أن تعمل المجامع اللغوية والعلمية : على نشر ما يتفق عليه من المصطلحات العلمية عن طريق اللجنة المشتركة التي أشرت اليها آنفاً دورياً في مجلة تؤازرها جميع البلدان العربية ويلتزم بها المعنيون باللغة والعلم . وبذلك يكون العمل أكثر نفعاً وأعم شيوعاً حيث على المعنيين بشؤون هذه المجلة أن يعملوا بجد ونشاط ليتمكنوا من ملء صحائف المجلة في أوقاتها المعينة دون تقاعس أو تلكوء . وتكون المجلة مرجعاً للمؤلفين والمترجمين من العرب إضافة إلى أنها جزء من المعجم الكبير.

فإذا ما تم توحيد المصطلحات في البلاد العربية كلها جاء التأليف أيسر وأهم : وكانت الترجمة مفهومة في كل أمصار العرب . ويزول التباين الاقليمى في عرض المواضيع العلمية واستعمال المصطلحات .

وختاماً اقول بأن على الطالب الجامعي العربى الذي يدرس العلوم أن يجيد لغة حية على الأقل ليتمكن من استقصاء العلم من مصادره الكثيرة في تلك اللغة الحية إذ ليس بإمكانه أن يركن إلى ما نشر من العلم في اللغة العربية لضآلة ما نشر : وعلينا أن نسعى حثيثاً ونجد في العمل على اللحاق بالركب العلمي العالمي . وإذا ما تمكن طالب العلم من مراجعة المصادر العلمية بلغة حية بيسر وسهولة . واستطاع أن يعبر عما يريد بتلك اللغة كون عناء كثير

فلا بأس من تدريس العلوم باللغة العربية . وقد أخطأ البعض ممن أراد تدريس العلم باللغة العربية واعتمد عليها فحسب : أو طلب إلى طلابه مراجعة المصادر بإحدى اللغات الحية دون التثبت من مقدرتهم في تلك اللغة والتأكد من استيعاب ما يقرأون من العلم باللغة نفسها . وختاماً أقول علينا أن نعلم طلبة العلوم لغة أجنبية حية تعليما صحيحاً فإذا ما اطمأنينا إلى مقدرتهم فيها وتمكنهم منها : وجب علينا أن ندرس العلم باللغة العربية ويكون هذا التدريس أفضل بعد أن يتم توحيد المصطلحات العلمية فى جميع البلاد العربية .

المصادر

١ — رسائل الـكندي الفلسفية ـ تحقيق عبد الهادي أبو ريدة ـ دار الفكر العربى ٩٥٠ ص ١١٠ — ١٣١ .

٢ — كتاب الخواص (مخطوط) ـ جابر بن حيان الأزدي ـ مكتبة مديرية الآثار العامة العراقية .

٣ — An Introduction to the History of Science . George Sarton . Vol . IP . 520.

٤ — Discovery . Vol . 18 No .5 1956

٥ — كتاب تصميد العطور للـكندي Karl Garbers

Leibzig Puqlisher Dentsher Inorgonlandlische Gesellscheft, 1948

٦ — كتاب المناظر لابن الهيثم : الفصل الخامس من المقالة الأولى .

أثر الفكر في الأدب الحديث

للدكتور يوسف عز الدين
الامين العام للمجمع العلمي العراقي

السيطرة على الفكر في عصرنا الحديث طريق للسيطرة على الشعوب والصراع على اشده في سبيل هذه السيطرة بعد أن خسر الاستعمار طريقه التقليدي .. لان الفكر عامل قوي له اشد الأثر في حياة المجتمعات الانسانية وتطورها .. وهو خير سبيل لمقاومة التيارات التي لا يقرها الشعب وله دور فعال في ارساء اي نظام في اي مجتمع من المجتمعات .

وقد ظهرت في المجتمع العربي الجديد تيارات فكرية جديدة تقاوم التيارات القديمة ومنها ما هو صالح لهذا المجتمع ومنها ما هو مؤثر في مسيرة تقدمه ومن ورائها قوى تعمل جاهدة لتخريب التنفيذ والتطبيق ..

ولتحديد أي اتجاه فكري وخاصة الفكر العربي الحديث ، لا أجد بداً من العودة إلى جذوره الأولى للاطلاع على الينابيع التي تغذيه والروافد التي تمده بالعون والقوة ، وفي عالمنا العربي الحاضر نجد اخلاطاً عجيبة من الثقافات ، والتيارات الفكرية التي تتسرب في أذهاننا فتؤثر فيها وتتصارع للسيطرة على الفكر العربي الحديث . والموضوع متسع الأطراف ولا يمكن تتبع الاتجاهات في محاضرة تلقى بين يدي خيرة العلماء وقادة الرأي ، لهذا سأمر سريعاً بالتيارات التي ما زالت تؤثر في الفكر العربي وفصلتها في كتاب أفردته لهذا البحث . ونستطيع أن نميز منها عدة تيارات :

التيار الديني :

أول هذه التيارات هو التيار الاسلامي ، ولا أريد أن أتحدث عن الاسلام واثره

وتطوره ، ولكنني سأتحدث عن أثر هذا التيار في بلورة المفاهيم العامة . فمنذ القرن التاسع عشر بدأت الروافد المتباينة ، تتضارب كان التيار الاسلامي الذي سيطر باسمه العثمانيون على كل البقاع العربية اقواها ، ولكنهم انصرفوا إلى أنفسهم وإلى ملاذهم . وكانت الجراح قد أثخنت العرب والمسلمين على حد سواء ، ورضي المسلمون بالركود والهدوء لأنهم مرتبطون بدولة إسلامية ويمنعهم دينهم من الثورة عليها .

ولا شك أن العرب والمسلمين تحت السيطرة العثمانية كانوا في خوف دائم من سيطرة أوربا فدفعهم هذا الخوف إلى التمسك بالعثمانيين ، والواقع ان أوربا كانت ترمي إلى تحطيم هذا الحصن الاسلامي عن طريق الغزو الفكري . وكان شعارها في الغزو الفكري هو الهجوم على الاسلام ، فهو في زعمها دين جامد كان يصلح للقرون الأولى ، وأخذ يدفع المسلمين إلى العصبية ، ويملأ عقولهم بالأوهام ، وقد أثار ذلك الزعم فريقاً من الشعراء ودعوا إلى التمسك بقيمهم الاسلامية والحفاظ عليها ، وإلى الوقوف في وجه الهجوم الاوربي ورده ، وفي ذلك يقول الرصافي :

يقولون في الاسلام ظلم بانه	يصد ذويه عن طريق التقدم
فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت	أوائله في عهدها المتقدم
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله	فماذا على الاسلام من جهل مسلم
هل العلم في الاسلام إلا فريضة	وهل أمة سادت بغير التعلم [1]

وكان ظهور جمال الدين الأفغاني عاملا فعالا في هذه الفترة ، فقد رفع لواء السياسة ولواء الدين ، ولم يكن يستطيع في هذه الحقبة من الزمن أن يؤثر في الناس سياسياً إلا عن طريق الدين . ومن أجل ذلك ركز أكثر جهده الثوري في الاصلاح الديني وتطهيره من البدع والرد على المستشرقين من مهاجمي الاسلام .

وجمال الدين الأفغاني كان أشبه ما يكون بسقراط قيمته في شخصيته الفذة وقدرته على الاقناع ، وعبقريته تنعكس على تلاميذه الذين وجههم فأثروا في الحياة أمثال محمد عبده ورشيد رضا وشكيب أرسلان وأديب اسحق وغيرهم .

---

(١) ديوان الرصافي ص ١٢٨ .

وكان الكواكبي يمثل فكرة الاصلاح في كتابيه « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » ، يعالج الناحيتين الدينية في الأول والسياسية في الثاني وإن كان يربط بين الناحيتين في كثير من الأحيان .

فقد هاجم في طبائع الاستبداد ظلم الحاكم الذي انغمر في الدنيا وترك أمر الأمة في مهب الريح ، ونلاحظ انه استعمل في مقام كلمة (استبداد) كلمات استعباد واعتساف وتسلط وتحكم وفي مقابلها كلمات شرع مصون وحقوق محترمة ، وفي مقام كلمة (مستبد) كلمات حاكم بأمره وحاكم مطلق وظالم وجبار ، وفي مقابل حكومة مستبدة كلمات عادلة ومسؤولة ومقيدة ودستورية. وفي مقام (مستبد عليهم) كلمات أسرى وأذلاء ومستصغرون وفي مقابلها أباة وأحرار وأحياء . ويرى ان الاستبداد ومشتقاته وضروبه يعود إلى الحكام المستبدين الذين فرقوا الناس باسم الدين ولكنهم حجروا الدين حين ادخلوا فيه وباسمه ما ليس منه ، وفي ذلك يقول :

« لا يوجد في الاسلام نفوذ ديني مطلقاً في غير مسائل إقامة الدين ، هذا الدين الحر السمح الذي رفع الأصر والأغلال وأباد الميزة والاستبداد . الدين الذي ظلمه الجاهلون فهجروا حكمة القرآن ودفنوها فى قبور الهوان . الدين الذي فقد الأنصار والأبرار والحكماء الأخيار ، فسطا عليهم المستبدون واتخذوه وسيلة لتفريق الكلمة وتقسيم الأمة شيعاً وجعلوه إآله (كذا) لأهوائهم فضيعوه وضيعوا أهله [1] » .

ثم يستخلص ان الأمة ينبغي أن تراقب الحكومة وتحاسبها كما كان يجري في صدر الاسلام لأن الحكومات متى أمنت محاسبة الشعب ، فلابد أن تسير في طريق الاستبداد . وقد لاتخيف العلوم الدينية المحضة المستبد ، ولكن فرائصه ترتعد حتماً من العلوم الفلسفية وحقوق الأمم وسياسة المدنية والتاريخ المفصل لأن سلطان العلم أقوى سلطان ، وهنا يحتقر المستبد نفسه كلما وقعت عينه على من هو أرقى منه علماً ، فيحارب العلماء من أجل هذا ،

---

(١) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ص ١٩ ـ ٢٠ .

ولذلك لايحب أن يرى وجه عالم ذكي فاذا اضطر إلى استحضار طبيب أو مهندس اختار المتصاغر المتملق

وللدكتور شبلي شميل نظرات دقيقة في الموضوع نفسه ، وقد أشاع كل هذا وعياً جماهيرياً بين طبقات المتعلمين في عصره وكانوا يتدارسونها ، وظهرت آثار التيار الجديد في شعر الرصافي عندما قال :

مَثَلَ الحكومة تستبد بحكمها	مثل البناء على نقا متهيّل
يا أمةً رقدت فطال رقادها	هبي وفي أمر الملوك تأملي
كم جاء من ملك دهاك بجوره	ولواك عن قصد السبيل الأفضل
إن الحكومة وهي جمهورية	كشفت عماية قلبِ كل مضلل [1]

التيار العربي :

ومن خلال هذه الاتجاهات يبرز تيار آخر هو التيار العربي أو القومي ، والعربي لم يتخل أبداً عن قوميته والاعتزاز بها ، ولم يكن أحد يجرؤ على مس العروبة لأن العروبة أصل الدين والقرآن عربي اللغة .

وقد برز هذا التيار في النصف الثاني من القرن الماضي ، حين علا صوت القوميات في العالم وظهر التقسيم الجغرافي الحديث لأوربا على أساسه ، والواقع ان الجمعيات السرية العربية التي ظهرت في هذا الوقت تحكي عن قوة هذا التيار بالرغم من ان التربة لم تكن شديدة التمهيد لجريانه ، وكانت جرأة الكواكبي فى دعوته إلى خلافة عربية واضحة أتم الوضوح ، خاصة وقد بدأ الصراع يبرز بين العرب والترك ذلك الصراع الذي بلغ مداه بعد دعوة الأتراك إلى الطورانية ومحاولة تتريك العرب بعد الدستور سنة ١٩٠٨ ، كان هذا التيار يحمل في طياته المطالبة باصلاح المجتمع العربي وجعل اللغة العربية لغة رسمية لأبناء العرب ثم يحمل فى طياته أيضاً الدعوة إلى اللامركزية وهي دعوة تطورت فيما بعد إلى دعوة للوحدة العربية الشاملة . كانت أولاً مطالبة بالاصلاح ثم تطورت الدعوة إلى تأسيس حكم عربي ، ومن الطريف أن يذكر لنا الاستاذ ساطع الحصري ، ان جمال الدين الأفغاني صاحب الدعوة

(١) ديوان الرصافي ص ١٦٢ — ١٦٣ .

الى الجامعة الاسلامية ، لم تغب عن ذهنه مقومات القومية ، ويستشهد على ذلك باحـــدى مقالاته التي كتبها بالفارسية وفيها يقول : « لاسعادة إلا بالجنسية ولا جنسية[1] إلا باللغة ، إن الروابط التي تربط جماعات كبيرة من الناس اثنتان وحدة اللغة ووحدة الدين ... ووحدة اللغة هي الأساس الذي تقوم على الجنسية »[2] .

فاذا كان من الجائز أن تقوم وحدة بين الأفغاني والعربي والتركي والفارسي على أساس الدين ، وكل يتكلم لغة تختلف عن الأخرى ، فمن الطبيعي قيام وحدة تجمع العراقي والمصري والحجازي واليماني وغيرهم ممن يتكلمون لغة واحدة ولهم قيم واحـدة ومصالح مشتركة وآمال مشتركة ، فالوحـــدة العربية ضرورة وخطوة أولى من خطوات الوحدة الاسلامية . وبالرغم مما عاصر هذه الدعوة من أحداث ، وبالرغم من خسارة الثورة العربية التي قامت في أثناء الحرب العالمية الأولى فقد كانت معبرة عن آمال العرب فى الوحـدة ، فان صدى الدعوة قد ملأ الأسماع والقلوب ، وتردد على ألسن أكثر الشعراء ، وفى ذلك يقول الزهـاوي :

هي وحـــدة ميســـورة   لو لا يـــد للعـــابثينـــا
ان العــروبــة ليس   تأمن غارة المستعمرينـــا
الا بوحــدتهـــا ونعـــم   وســـيلة المتفكرينـــا
وهي التي اتحدت قـــديما   بينهـــا لغـــة ودينـــا [3]

ويقول المرحوم الشبيبي يندد بأولئك الذين يفرقون شمل العرب ويسيرون وراء الأحلام من الاجانب برغم ما صبوه على البلاد من تفرقة اكفهرت لها الجواء :

ماذا بنا وبـــذى الديار يراد   فقدت دمشق وقبلها بغداد
بردى وأودية الفرات ودجلة   والنيـــل غصّ بمائك الوراد

(١) يعني بالجنسية القومية .

(٢) ما هي القومية ص ٢٠٧ .

(٣) الثمالة ص ٨٦ .

حال العلوج من الأحامر بيننا | وتعذر الاصدار والايراد
الجو وهو مقطب متجهم | يبكي لنا والأرض وهي جماد
يا للرزية كم تفرق بيننا | وتضلنا الأضغان والأحقاد[1]

والواقع ان هذين التيارين كانا يسيران وسط أرض مضطربة ، فالصراع بين القديم والجديد يصبغ الحياة ويلبسها أرديته المختلفة ، كانت الحضارة الشرقية إذن قد دخلت فى صراع بينها وبين الحضارة الغربية ، ومن الناس من اندفع مع الجديد فعاش في بيئة حياة أقرب اليها وارتبط في ذهنه حاضر الشرق الضعيف ... وتقاليده الموروثة فراح ينادى بالحضارة الغربية ووجوب الأخذ بها في معالمها المادية وتطورها العلمي ، ومن الناس من زاده الغزو الغربي تمسكاً بتقاليده وقيمه الشرقية وارتباطه بكل قديم ارتباطاً يقرب من التقديس ، وفريق ثالث حاول ان يأخذ من صالح الجديد وصالح القديم في وقت واحد . وفى مجلة « التنكيت والتبكيت » لعبد الله النديم مجموعة من القصص في هذا الموضوع فقصته التي جعل عنوانها « مجلس طبي لمصاب بالافرنجي » وقصة « عربي تفرنج » تصوير لاندفاع الناس في تقليد الاوربيين حتى في مساوئهم واستهجانهم للتقاليد الشرقية بصورة عامة عربية او اسلامية وقد ظهر هذا الصراع في الفكر وفي الحياة الاجتماعية معاً ، وظهرت آثاره في الشعر الحديث .

ففريق من الشعراء سار على نسق العباسيين لايتحول ولا يحيد لأن العصور الأولى هي عصور الصحة والسلامة واقتبسوا تشبيهاتهم واستعاراتهم وصورهم الشعرية ، فتحدثوا عن أماكن لم يروها ، ووصفوا الناقة واستمطروا السحب ووقفوا على الاطلال مثل الكاظمي والبارودي ،وفريق تأثر بالمذاهب والمدارس الأدبية الأوربية الحديثة وحاول جلبها جلباً ، فلم تلق محاولته تقبلاً ، لأن المذاهب الأوربية نشأت في بيئة مهيأة ولدواع قوية ، وقد مثل هذا الفريق العقاد والمازني وشكري في مصر وفرنسيس فتح الله

(١) ديوان الشبيبي ص ٣٣ – ٣٧ .

المراش في الشام ، أما الفريق الثالث فيمثله شوقي والرصافي ، ويتميز بمحافظته على عمود الشعر العربي ومحاولة التطور في شيء من التؤدة ، لأن الطفرة مجلبة للعثرة كما عبر شوقي عن ذلك .

أما في النثر فقد وضح هذا الصراع بين القديم والجديد فى النقاش بين مصطفى صادق الرافعي وطه حسين ، فالرافعي متمسك بالقيم الموروثة وطه حسين مطور مجدد ، ولكن الرافعي ربط هذا الصراع الفكري ، بالدين الاسلامي ، ورأى كل دعوة للجديد قد تمس اللغة وتمس المثل وبذلك تمس الدين ، ومن أجل هذا سمى كتابه الذي جمع فيه النقاش بينه وبين دعاة التجديد « تحت راية القرآن » .

ومن الطريف أن نرى شاعراً محافظاً بحكم نشأته وثقافته ، ولكنه بحكم هذا الصراع الذي يعيش فيه ، يحاول أن يخرج من تهمة التقليد فيدعو الى الجديد ، ولكنه لا يقوى على أكثر من مجرد النداء ، ذلك هو حافظ ابراهيم الذي يقول :

آن ياشعر أن نفك قيودا ... قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا ... ودعونا نشم ريح الشمال

تيار الاشتراكية :

لست أريد أن أتحدث عن أصول الاشتراكية وجذورها ولست بحاجة إلى بحث عن الفلاسفة الأوربيين الذين دافعوا عن العمال مثل سان سيمون وهيكل وماركس ، ولكن أريد أن أقول إن الاشتراكية لم تقم في أوربا إلا لظروف اجتماعية . فقد انتشرت الصناعة واكتسحت الجموع التي كانت تعيش بكدها من المهن اليدوية الصغيرة وهاجمت المزارعين الذين كانوا يعيشون في قراهم متمتعين بحريتهم الشخصية . فأصبحوا أجراء ، بعد أن كسدت بضاعة الكثيرين منهم ، واحتشدوا في المصانع الكبيرة والشركات ، وكان لكثرتهم ، وخوف الجوع ، أن استغلتهم الرأسمالية الجديدة ، فظهرت الاشتراكية تدعو إلى تخليصهم من قبضة المالك واستغلاله والمحافظة على صحة العامل لأنها رأس المال الحقيقي في المجتمع .

وكان هذا التيار يجد صدىً لدى المفكرين الشرقيين لأنهم يرغبون في إصلاح المجتمع عن طريق الدعوة إلى المساواة دون أن يفكروا في تغليب طبقة على طبقة أو تسليم الحكم إليها ودون أن يفكروا في مسّها للدين ، فهي مجرد نزعة إصلاحية . يقول شبلي شميل : « إن الاشتراكية تقلل من ويلات الإنسان فتضمن له حاجاته وتصون حقوقه ، بعد أن تفرض عليه واجباته وترفعه من تحت مواطىء الأقدام إلى مكانة الإنسان ، وتعلمه انه عضو في المجتمع لا يجوز أن يبقى عالة (كذا) عليه غير نافع »(١) فهو إصلاح هادئ لا ثورة فيه .

ولكن المفكرين العرب كانت لهم ذخيرة من تفكير إسلامي أصيل اختلط بهذه الآراء التي وردت من أوربا ومن أجل ذلك وجدنا الآراء التي تتعرض للاشتراكية الإسلامية تجعل الكلأ والماء والنار موارد عامة،والإسلام جعل في أموال الأغنياء حقاً للسائل والمحروم وفرض الزكاة وحرم الاحتكار . وكانت المجلات العربية تنشر هذه الآراء جميعاً ، ولم يكن لدى المسلمين الاوائل بطالة أو حتى لم يكن لدينا عمال إذلم تكن هناك مصانع ضخمة ، لذلك دعا المفكرون إلى تطبيقها على الفقراء . فنشأت احزاب سمت نفسها اشتراكية في البلاد العربية ثم تطورت فكرة الاشتراكية وأصبحت رمزاً للإصلاح .

وآمن كثير من الشعراء في وقت مبكر بالدعوة الاشتراكية، مثل شوقي واحمد الكاشف والرصافي وحافظ ابراهيم ، وقد بشر احمد الكاشف بها فقال :

للاشتراكية العقبى اذا شملت ... شتى الشعوب وجاراها المجارونا
فلا الكثيرون ملكاً للاقلينا ... ولا الاقلون ملكا للكثيرينا
ولا نرى واحداً ملأى خزائنه ... بالمغنيات وآلافاً يجوعونا
ولا نرى درة في راس محتكم ... تهفو اليها قلوب المستظلينا (٢)

والزهاوي يحدثنا عن جمهورية اشتراكية يستمدها من خلايا الجسد ويراها أفضل

---

(١) مجموعة الشميل ص ١٥٣ والصواب « عائلا » .

(٢) شعراء الوطنية للرافعي ص ٢٤٠

وأسمى اشتراكية ، لأنها طبيعية ويرى العالم صائراً اليها لأنها أمر حتمي ، ونرى الشعراء يلتفتون إلى العمال وكأنما يكتشفون طبقة اجتماعية جديدة لم تكن موجودة ، ويتحدثون عن الزكاة ،وعن حق الفقير ، بدلا من الحديث عن الرحمة به والاحسان اليه [١] .

العلم :

وقد اثرت الحياة المادية الاوربيـة والفلسفية في رأي الشعراء وظهرت آثار نظرات فلسفية وعلمية في شعرهم مثل آراء ديكارت (انا افكر فانا موجود) ونظريات الفلك كما ظهرت اسماء المخترعات الاوربية الحديثة وان كانت نابية في الشعر في كثير من الاحيان ومن يدرس الشعر يجد الامثلة الكثيرة .

وقد هزّت النظريات الحديثة المثل القديمة التي عاش عليها الشعراء وبدأ الشك يتسرب الى نفوسهم في كثير من المعلومات القديمة التي ورثوها فان الاختراعات الجديدة واسماءها فتح الاذهان على عوالم جديدة شككت بما ألفه المفكرون من نظريات قديمة ، فقد قال

والعـلم قد أنكر منهاجنـا ... ولم يبن اين هـو المهيـع

فرقت ياعـلم رداءاً لنـا ... كنا ارتديناه فهـل ترقع ؟ !

فجعتنـا يا عـلم في امرنا ... أمعتبٌ انت اذا نجـزع

لقد طغت حيرة اهـل النهى ... هل فيكَ ياعـلم لها مَردع [٢]

كما كثرت اسماء المخترعات في شعرهم مثل (التومبيل) و (التلغراف) و (الفونغراف) و (القاطرة) وغيرها مما يجده المتتبع في شعر هذه الفترة .

وختام القول ان هذه مذاهب سياسية ومذاهب اجتماعية تصطرع في محيطنا أكثرها عميق الجذور ،وبعضها ظهر نتيجة الصراع بين الحضارتين الشرقية والغربية ، ولكنها في مجموعها

---

(١) المجمل مما ارى ص ٥٢ .

(٢) ديوان الرصافي ٢٢ .

تؤكد حيوية الأمة العربية ، وتصديها للجديد تناقشه ولا تتقبله مستسلمة ، وترفض الزائف في النهاية ، وتتقبل الأصيل ، مؤمنة بحتمية التطور .

وقد ظهرت هذه المذاهب اول الامر في الادب ظهوراً ساذجاً بسيطاً ثم اخذت تتبلور المذاهب الفكرية واخذ الأدباء يدعون اليها عن عقيدة وعن ايمان وعن فهم يختلف عن الجيل السابق فقد درس الأدباء هذه المذاهب بعد ان ترجمت الى اللغة العربية ومنها من استوعبها ودعا اليها عن ايمان صادق ومنهم من دعا اليها لمصلحة فردية .. ولكن اثر الفكر في الشعر الحديث رسم خطوطه العريضة . والسلام عليكم ورحمة الله .

كتاب التفاحة في النحو

تأليف أبي جعفر النحّاس النحويّ (المتوفى سنة ٣٣٨ هـ)

تحقيق كوركيس عواد
عضو المجمع العلمي العراقي

مقدمة الناشر

أولاً : مخطوطة الكتاب

في خزانة معهد الدراسات الاسلامية العليا ببغداد، مخطوطة برقم (٢٢٠)، عنوانها «كتاب التفاحة في النحو»، تأليف أبي جعفر الصفار (النحاس) النحوي. وهي في مجلد لطيف، قوامه خمس عشرة ورقة، بحجم ٢٠ × ١٥ سم، في كل صفحة منها ١٣ سطراً. وهي بخط محمد بن عبد الله بن محمد الفلاحي، كتبها بخط معتاد واضح، وفرغ منها في ١٩ شهر ربيع الآخر سنة ١١٠٠ هـ (١٦٨٩ م). وقد جعل ناسخها أبواب الكتاب وفصوله بقلم الثلث.

لقد بحثت في ما وقع بيدي من «فهارس المخطوطات العربية» في خزائن كتب الشرق والغرب، فعلمتُ بوجود نسخة ثانية منه في إحدى خزائن كتب صنعاء في اليمن [١].

وكانت البعثة المصرية الموفدة لتصوير المخطوطات العربية في بلاد اليمن في أواخر سنة ١٩٥١، المؤلفة من الدكتور خليل يحيي نامي والأستاذ فؤاد سيد وغيرهما، قد فطنت الى

(١) فهرست كتب الخزانة المتوكلية العامرة بالجامع المقدس بصنعاء المحمية. (صنعاء ١٣٥٧ هـ؛ ص ٣٠٠ الرقم ٨٤ مجاميع).

هذا المخطوط ، فصوّرته [1] .

وفي تقرير البعثة المذكورة ، نُسب الكتاب الى « الخليل بن أحمد البصري الأزدي »، اعتماداً على ما ورد في صدر المخطوط . ولم نجد في مؤلفات الخليل كتاباً بهذا العنوان . على أنّ الأستاذ فؤاد سيد ، نبّه الى هذا الوهم في مقالة له عن « مخطوطات اليمن » [2] .

وقد كتب اليّ الأستاذ فؤاد سيد ، ان نسخة اليمن هذه ، « مخطوطة بخط نسخي قليل الاعجام ، مع استعمال بعض الضبط في الكلمات المتشابهة والتي تحتاج الى ضبط . وتقع في سبع ورقات حجمها ١٣ × ٢٠ سم . تمّت كتابتها في اليمن ، في ٢١ شعبان سنة ٨٠٧ هـ » [3] .

لقد تفضل عليّ صديقي البحّاثة الأستاذ فؤاد سيد ، فقابل النسخة التي نشرتها من « كتاب التفاحة » [4] ، بنسخة اليمن . فأفادتني تلك المقابلة في إعداد هذه الطبعة الثانية . وقد أشرت فيها الى الاختلافات الظاهرة ، ورمزتُ لها بحرف « ي » اختصار لفظة « يَمَن » .

فللأستاذ فؤاد سيد عظيم شكري وامتناني .

ولم ينوِّه بروكلمان بشيءٍ من نُسَخ هذا الكتاب ، بل انه لم يتطرق الى ذكره في مؤلفه العظيم « تاريخ الأدب العربي » [5] .

أما المؤلفون القدامى ، فان بعضهم نوه بكتاب (التفاحة) هذا وذكره في جملة تصانيف أبي جعفر النحاس . ومن المراجع التي أشارت اليه :

---

(١) البعثة المصرية لتصوير المخطوطات العربية في بلاد اليمن : تقرير مقدم من الدكتور خليل يحيى نامي . (القاهرة ١٩٥٢ ؛ ص ٣٣ الرقم ٧ ؛ رقم التصوير ١٥٩) .

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية (١ [القاهرة ١٩٥٥] ص ١٩٨) .

(٣) يقابل ٣ شباط ١٣٠٩ م .

(٤) مطبعة العاني ــ بغداد ١٩٦٥ ؛ ٣٢ ص .

(٥) Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, (5 vols, Leiden 1942 - 1943) .

وقد شرع الدكتور عبد الحليم النجار ، بترجمة هذا الكتاب الحافل . فظهر منه ثلاثة أجزاء وتوقفت ترجمة سائر الكتاب بوفاة المترجم .

معجم الأدباء (٢ : ٧٣ طبعة مرجليوث) ، إنباه الرواة (١ : ١٠١) ، وفيات الأعيان (١ : ٨٢) ، مرآة الجنان (٢ : ٣٢٧) ، كشف الظنون (١ : ٤٢٦) . ولم ينفرد أبو جعفر النحاس ، باطلاق لفظة « التفاحة » على مختصره هـذا في النحو ، فلقد أشار صاحب كشف الظنون (١ : ٤٢٦) الى تصنيفين آخرين :

١ — التفاحة في علم المساحة : لأحمد بن محمد بن ابراهيم الأشعري اليمني ، المتوفى سنة نيف وخمسمائة ، أو ستمائة .

٢ — التفاحة : لأبي عمر الزاهد المطرّز المعروف بغلام ثعلب ، المتوفى سنة ٣٤٥ هـ . وقد ورد ذكر هذا الأخير أيضاً في معجم الادباء (٧ : ٢٩ س ١٥) والذريعة الى تصانيف الشيعة : للشيخ اغا بزرك (٤ : ٢٢٩) .

وذكر اسماعيل البغـدادي [١] ، كتاباً بعنوان « التفاحة الوردية في شرح القصيـدة الزينية » لعبد المعطى بن سالم السملاوي ، المتوفى سنة ١١٢٧ هـ .

وذكر بروكلمان (GAL, SI, 558) كتاباً ، بعنوان « التفاحة في علم المساحة » . قال منه نسخة في مكتبة الامبروزيانا (الرقم ٢٤٧) وفي الآصفية (١ : ٨٠٠ [١٧٧]) .

كما ذكر كتاب « التفاحة » في الفلسفة ، ليعقوب بن اسحق الكندي (GAL, SI, 373)

وذكر بروكلمان أيضاً (GAL, SIII, 1241) ، كتاب « التفاحة في أعمال [عمل] المساحة » تأليف اسماعيل بن ابراهيم بن غازي بن علي بن محمد النميري الماريني المعروف بابن فَلُّوس ، المتوفى سنة ٦٥٠ هـ ١٢٥٢ م .

ومن هذا الكتاب نسخة في مجموعة في الرباط (LÈVI-PROVENÇAL, No 507 (23)

وقد طبع هذا الكتاب ضمن مجموعة في القاهرة سنة ١٣١٠ هـ . وانظر « فهرس مكتبة قوَلَه » (٢ [القاهرة ١٩٣١] ص ٢٦٦) .

(١) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (١ [استانبول ١٩٤٥] ص ٣٠٠) .

وفي فهرست المخطوطات العربية في برلين [1] ، وصف لمخطوطة بعنوان « تفاحة التعزّي وتحفة المعزّي » لعلي بن المقري بن عباس الشريف ، منسوخة في نحو سنة ١٢٠٠ هـ .

ان كاتب هذه المخطوطة ، لايتقيد ، كل التقيد في كتابة الهمزة . فهو كثيراً مايتغاضى عن اثباتها في مواضعها من الكلمات . من ذلك انه يكتب :

أصدقا	بدلاً من	أصدقاء
الاغرا	بدلا من	الاغراء
البيضا	بدلا من	البيضاء
جا	بدلا من	جاء
جاني	بدلا من	جاءني
جايز	بدلا من	جائز
جيت	بدلا من	جئت
شيت	بدلا من	شئت
الندا	بدلا من	النداء

ثانياً — ترجمة المؤلف

١ — مراجع ترجمة المؤلف :

في كثير من المراجع القديمة والحديثة ، اشارات الى تآليف أبي جعفر النحّاس ، أو تراجم له . ومما رجعنا اليه في كتابة ترجمته التي سنثبتها بعد قليل ، المصنفات الآتية :

الأعلام : لخير الدين الزركلي . (١ [القاهرة ١٩٥٤] ص ١٩٩) .

(١) Ahlwardt, Verzeichniss der Arabischen Handschriften ... zu Berlin (No-8876).

انباه الرواة على أنباه النحاة : للقفطي . (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ١ [القاهرة ١٩٥٠] ص ١٠١ ـ ١٠٤) .

الأنساب : للسمعاني : (طبعة مرجليوت . ليدن ١٩١٢ . وجه الورقة ٥٥٥) .

البداية والنهاية في التاريخ : لابن كثير . (القاهرة ١١ : ٢٢٢) .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي . (القاهرة ١٣٢٦ هـ ؛ ص١٥٧) .

تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجى زيدان (٢ : ١٨٢ تحقيق الدكتور شوقي ضيف) .

تاريخ الأدب العربي : لبروكلمان . (الأصل الألماني ١ : ١٣٨ ، الذيل ١ : ٢٠١ . الترجمة العربية ١ : ٧ ، ٢ : ٢٧٥ ـ ٢٧٦) .

تذكرة النوادر من المخطوطات العربية : للسيد هاشم الندوي . (حيدرآباد ١٣٥٠ هـ ، ص ١٧) .

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : للسيوطي (١ [القاهرة ١٣٢١ هـ] ص ٢٥٤) .

روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات : للخوانساري (طبع حجر في ايران . ص ٦٠ و ٦١) .

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي (٢ [القاهرة ١٣٥٠هـ] ص ٣٤٦) .

طبقات النحويين واللغويين : للزُبيدي (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٥٤ ؛ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠) .

الفلاكة والمفلوكون : للدلجي . (القاهرة ١٣٢٢ هـ ؛ ص ٨٠) .

فهرست ما رواه ابن خير الاشبيلي عن شيوخه (بيروت ١٩٦٢ . راجع الفهرس . ص ٥٤١) .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة (١ [استانبول ١٩٤١] ص ٤٢٦) .

مرآة الجنان لليافعي (٢ [حيدر آباد ١٣٣٨ هـ] ص ٣٢٧) .

المزهر في اللغة : للسيوطي (٢ [ط ٤ القاهرة ١٩٥٨] ص ٤٢٠) .

معجم الادباء : لياقوت الحموي (طبعة مرجليوث ٢ [القاهرة ١٩٢٤] ص٧٢ـ٧٤) .

معجم المطبوعات العربية والمعرّبة : ليوسف اليان سركيس . (القـاهرة ١٩٢٨ ؛ ص ١٨٤٧ ـ ٨) .

معجم المؤلفين : لعمر رضـا كحالة (٢ [دمشق ١٩٥٧] ص ٨٢ ـ ٨٣ ؛ ٨ [١٩٥٩] ص ٢٣٤ ؛ ١٣ [١٩٦١] ص ٢٦٧) .

المنتظم في تاريخ الملوك والامم : لابن الجوزي (٦ [حيدر آباد ١٣٥٧ هـ] ص ٣٦٤) .

الناسـخ والمنسوخ في القرآن الـكريم : مقدمة ناشره محمد أمين الخانجي (القاهرة ١٣٢٣ هـ ؛ ص : ك ـ ل) .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي . (٣ [القاهرة ١٩٣٢] ص ٣٠٠) .

نزهة الألباء في طبقات الادباء : لابن الانباري . (تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي . بغداد ١٩٥٩ ؛ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢) .

وفيات الاعيان : لابن خلـكان . (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . (١ [القاهرة ١٩٤٨] ص ٨٢ ـ ٨٣) .

٢ ــ كنيته المؤلف . اسمه . نسبه :

هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس، المراديّ ، النحوي ، المصري ، أبو جعفر النحاس.
والنحاس ، بفتح النون والحاء المشددة المهملة ، وبعد الألف سين مهملة : هذه النسبة الى من يعمل النحاس . وأهل مصر يقولون لمن يعمل الأواني الصُّفْرِيّة النحّاس [١] .
ومن ثمة ، عرف هذا الرجل في مؤلفاته بنسبتين : النحّاس ، والصفار . ففي النسخة الخطية

(١) وفيات الأعيان ١ : ٨٣ .

التي في بغداد لهذه الرسالة التي ننشرها اليوم ، عرف بالصفار ، ومثل ذلك ما في النسخة الخطية لكتابه « الناسخ والمنسوخ »[1] .

على ان لفظة « النحاس » ، أكثر وروداً في المراجع التي تناولته بالترجمة والتعريف بمؤلفاته .

٣ — أصله . مولده :

كل من ترجم له ، قال إنه مصري . وُلد في مصر ، ومات فيها . ولم نجد في ما بيدنا من مراجع ، من عيّن سنة ولادته .

٤ — عمن أخذ العلم ؟. رحلته الى بغداد :

ذكر ياقوت وابن خلكان وغيرهما من المؤرخين الذين دونوا ترجمة أبي جعفر النحاس انه رحل من مصر الى بغداد . فأخذ النحو فيها عن المبرّد ، وأبي الحسن علي بن سليمان الاخفش ، ونفطويه ، وأبي اسحق الزجاج ، وأبي بكر الانباري ، وأعيان أدباء العراق في ذلك الاوان . ثم عاد الى مصر ، فروى عن أبي عبد الرحمن النسائي وغيره . وأقام في مصر الى أن مات بها[2] .

أما متى سافر الى بغداد ، وكم أقام فيها ، ومتى عاد الى مصر ؟ فهذه أمور لم نجد لها أجوبة في ما بيدنا من مراجع .

٥ — علمه :

قال الزُبيدي[3] : كان النحاس واسع العلم ، غزير الرواية ، كثير التأليف . وهو إلى هذه المزايا العلمية التي تحلى بها ، كان لا يتكبر أن يسأل الفقهاء وأهل النظر ويفاتشهم عما أشكل عليه في تأليفاته .

(١) الناسخ والمنسوخ ١ : ٢ .

(٢) معجم الأدباء ٢ : ٧٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٨٣ .

(٣) طبقات النحويين واللغويين . ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

وقال ياقوت فيه : « صاحب الفضل الشائع والعلم المتعارف الذائع ، يُستغنى بشهرته عن الاطناب في صفته » .

جمع النحاس صنوفاً من الثقافات الاسلامية . فكان نحوياً لغوياً مفسراً أديباً فقيهاً .

٦ — مؤلفاته :

لأبي جعفر النحـــاس ، تصانيف كثيرة . قال ياقوت الحموي : « سمعت من يحكى أن تصانيفه تزيد على الخمسين مصنفـاً » [1] . وما انتهى الينا من أسماء تلك التصـانيف ، بلغ ستة وعشـــرين مصنفاً ، نذكرها فى ما يأتي ، رقد رتبناها على حسب السـياق الهجائي لعناوينها :

١ — أخبار الشعراء :

معجم الادباء (٢ : ٧٣) ، انباه الرواة (١ : ١٠٣) قال فيه انه « شريف » .

٢ — اختصار تهذيب الآثار للطبري :

فهرست أبن خير (ص ٢٠١) قال أنه أربعة أسفار .

٣ — أدب الكتاب :

معجم الادباء (٢ : ٧٢) ، وفيات الاعيان (١ : ٨٣) ، بغية الوعاة (ص ١٥٧) .

٤ — أدب الملوك :

معجم الادباء (٢ : ٧٣) .

٥ — الاشتقاق :

فهرست ابن خير (ص ٣٨٦) ، معجـم الادباء (٢ : ٧٣) ، انباه الرواه (١ : ١٠٣) قال فيه انه « حسن » ، مرآة الجنان (٢ : ٣٢٧) ، بغية الوعاة (ص ١٥٧) .

٦ — اشتقاق اسماء الله عز وجل :

وورد العنوان بصورة « الاشتقاق لأسماء الله عز وجل » . معجم الادباء (٢ : ٧٣) ،

(١) معجم الأدباء ٢ : ٧٣ .

انباه الرواه (١ : ١٠١) وفي الانباه أيضاً (١ : ١٠٢) كتاب له بعنوان « تفسير أسماء الله عز وجل » . قال فيه : « أحسن فيه » . فلعل هذا وذاك كتاب واحد .

٧ — إعراب القرآن :

فهرست ابن خير (ص ٦٥) ، معجم الادباء (٢ : ٧٣) . وقال القفطى (انباه الرواه ١ : ١٠١) انه « كتاب جليل أغنى عما صنف قبله فى معناه » . وهو مخطوط . ذكره بروكلمان (تاريخ الادب العربي . ترجمة النجار ٢ : ٢٧٦) واشار الى ما يُعرف من نسخه الخطية فى دور الكتب .

٨ — الأنوار :

معجم الأدباء (٢ : ٧٣) .

٩ — التفاحة في النحو :

وهو هذا الكتاب الذي بيد القارئ .

١٠ — تفسير القرآن الكريم :

وفيات الاعيان (١ : ٨٢) ، مرآة الجنان (٢ : ٣٢٧) .

١١ — شرح أبيات كتاب سيبويه :

وفي بعض المراجع : « تفسير أبيات سيبويه » . معجم الأدباء (٢ : ٧٣) . وقال القفطى (الانباه ١ : ١٠١) : « لم يُسبق الى مثله ، وكل من جاء بعده استمد منه » . وقال في (١ : ١٠٣) : « فيه علم كثير طائل جليل » . وانظر فهرست ابن خير (ص٣١٢) : ووفيات الاعيان (١ : ١٨٢) ، بغية الوعاة (ص ١٥٧) وقد سماه « شرح أبيات الكتاب » . وفي فهرست ابن خير (ص ٣١٢ : « كتاب شرح سيبويه » له أيضاً .

١٢ — شرح الحماسة :

الفلاكة والمفلوكون (ص ٨٠) .

١٣ — شرح الدواوين العشرة :

لم يرد ذكر هذه الدواوين التي شرحها وأملاها . وقد نوه بهـذا الشرح انباه الرواة (١ : ١٠١) ووفيات الأعيان (١ : ٨٣) .

١٤ — شرح المعلقات السبع :

ويُعرف بشرح السبع الطوال (معجم الأدباء ٢ : ٧٢) وراجع فهرست ابن خير (٣٦٦ و٣٦٩) وفيه انه شرح القصائد والمعلقات التسع . لم يطبع. منه نسخ خطية عديدة تفرقت في خزائن كتب الشرق والغرب . ذكر منها بروكلمان ٢٤ نسخة (انظر : تاريخ الأدب العربي ١ : ٧٠ ترجمة النجار) . وقال ان هاوسير J. Hausheer نشر في برلين سنة ١٩٠٥ ، معلقة زهير بشرح النحاس .

١٥ — شرح المفضليات :

بغية الوعاة (ص ١٥٧) .

١٦ — صناعة الكتاب :

وفي فهرست ابن خير (ص ٣٨٦) : « صنعة الكتاب » . معجم الأدباء (٢ : ٧٣) ، انباه الرواه (١ : ١٠٣) قال : « فيـــه حشو وتقصير فيما يُحتاج اليه » . نهاية الأرب للنويري (١ : ١٣٢ س ٤) .

١٧ — طبقات الشعراء :

فهرست ابن خير (ص ٢٧٩) ، مرآة الجنان (٢ : ٣٢٧) الفلاكة والمفلوكون (ص٨٠) ولعله كتاب « أخبار الشعراء » المذكور في الرقم (١) .

١٨ — الكافي في النحو :

وفي بعض المراجع : « الكافي في أصـول النحو » . معجم الأدباء (٢ : ٧٣) ، انباه الرواه (١ : ١٠١ و ١٠٣) ونعته بلفظـــة « مويلح » ، بغية الوعاة (ص ١٥٧) وانظر فهرست ابن خير (ص ٣٠٩) ، ولابن العريف النحوي ، المتوفى ســـنة ٣٩٠ هـ ، كتاب

« الرد على أبي جعفر النحاس في كتاب الكافي » ، ذكره ياقوت في معجم الأدباء (١٠٣:٤).

١٩ — كتاب الكتاب :

انباه الرواة (١ : ١٠١) ولا أعلم صلة هذا الكتاب ، بكتاب « أدب الكتاب » و « صناعة الكتاب » المذكورين سابقاً في الرقم ٢ و ١٤ .

٢٠ — معاني الشعر :

معجم الأدباء (٢ : ٧٣) .

٢١ — معاني القرآن :

وفي فهرست ابن خير (ص ٦٥) : « كتاب العالم والمتعلم في معاني القرآن » .. وقيل فيه « المعاني في القرآن » ، ويعرف أيضاً بكتاب « الجني الداني في حروف المعاني » . قال القفطي (انباه الرواه ١ : ١٠١) انه « كتاب جليل أغنى عما صُنف قبله في معناه » . وانظر معجم الادباء (٢ : ٧٣) . ولم يطبع . منه الجزء الأول في دار الكتب المصرية (١ : ٢١٣) . قال بروكلمان (تاريخ الأدب العربي . ترجمة النجار ٢ : ٢٧٦) انه تقرر طبعه في حيدر آباد .

٢٢ — المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين :

في النحو . ولفظ « المقنع » ورد في بعض المراجع : المقتنع ، المبتهج ، المبهج . وفي معجم الأدباء (٢ : ٧٣) « كتاب اختلاف الكوفيين والبصريين ، سماه المقنع » . وفي انباه الرواة (١ : ١٠٣) انه كتاب حسن . وانظر فهرست ابن خير (ص ٣٠٩) .

٢٣ — الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم :

قال فيه القفطي (انباه الرواة ١ : ١٠٢) « كتاب حسن » . ولهذا الكتاب نسخ خطية في برلين والمتحف البريطاني والاسكوريال ، ذكرها بروكلمان (٢ : ٢٧٦ ترجمة النجار) . وقد عني محمد أمين الخانجي بنشره (القاهرة ١٣٢٣ هـ) عن نسخة كتبت سنة ٧٢٤ هـ . وطبع الكتاب مرة أخرى سنة ١٩٣٨ .

٢٤ — الوقف والابتداء :

نسخة صغرى . (وفيات الاعيان ١ : ٨٣) . وفي فهرست ابن خير (ص ٤٥) اشارة الى هذا الكتاب دون التعرض لذكر نسختيه الصغرى والكبرى .

٢٥ — الوقف والابتداء :

نسخة كبرى . (وفيات الأعيان ١ : ٨٣) .

٢٦ — كتاب شرح سيبويه :

سبقت الاشارة اليه في الرقم ١١ .

٧ — وفاته :

توفي يوم السبت لخمس خلون من ذي الحجة سنة ٣٣٨ هـ (٢٦ أيار ٩٥٠ م) ، وقيل سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٩ م) . وكان سبب وفاته ، فيما ذكر بعض مترجميه ، « انه جلس على درج المقياس [١] بمصر على شاطىء النيل وهو في مده وزيادته ، ومعه كتاب العروض ، وهو يقطع منه بحراً ، فسمعه بعض العوام ، فقال هذا يسحر النيل ، حتى لا يزيد ، فتغلو الاسعار . ثم دفعه برجله ، فذهب في المد ، فلم يوقف له على خبر [٢] » .

بغداد ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٥

---

(١) المقياس : عمود من رخام قائم على شاطىء النيل بمصر ، فيه خطوط معروفة عندهم ، يعرفون بوصول الماء اليها مقدار زيادته .

(٢) انباه الرواة ١ : ١٠٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

باب اقسام العربية

إعلم (٢) انّ العربية على ثلاثة أقسام : اسمٌ وفعلٌ وحرف جاء لمعنى .

فالاسم ما [دخله الألف واللام و] (٣) جاز أن يكون فاعلاً أو مفعولاً أو صلح فيه حرف من حروف الخفض . مثل : رجل وفرس وزيد وعمرو وما أشبه ذلك .

الفعل ما دلّ على المصدر وحسن فيه الجزم والتصرف . مثل : قام يقوم وقعد يقعد وما أشبه ذلك .

والحرف ما دلّ على معنىً في غيره وخلا من دليل الاسم والفعل . مثل :هل وبل ومن والى ومتى(٤) وقد وما أشبه ذلك .

باب الاعراب

اعلم انّ الإعراب على أربعة أوجهٍ : على الرفع والنصب والجرّ (٥) والجزم .

فالرفع والنصب يشترك فيهما الأسماء والأفعال .

والخفض للأسماء خاصةً دون الأفعال .

---

(١) أود ان اشكر صديقي الاستاذ المحقق مكي السيد جاسم لتفضله بمراجعة نص هذا الكتاب .

(٢) جاء في صفحة العنوان لهذا المخطوط ، التعليق الآتي :

« هذا الكتاب ، مع صغر حجمه واختصار لفظه ، فيه فائدة عظيمة . فلقد أتى بالمقصود بعبارة واضحة وطريقة سهلة . وهو أوضح للمبتدىء من الاجرومية والملحة . فهو الحقيق بأن يقال فيه :

سهم الفناء أمضي مدى من رمحه : والسيف يوم طعانه وضرابه

فعليك أيها المبتدىء في هذا الفن ، بحفظه وتحقيقه واتقان لفظه . والله المستعان .

(٣) الزيادة من نسخة : ي .

(٤) ي : وثم .

(٥) ي : الخفض .

والجزم للافعال خاصة دون الأسماء .

[٢ أ] فإعراب الأسماء : رفعٌ ونصبٌ وخفضٌ ، ولا جزم فيها .

وإعراب الأفعال : رفعٌ ونصبٌ وجزمٌ ، ولا خفض فيها .

ورفعُ الاسم الواحد بالضمة ، ونصبه بالفتحة ، وخفضه بالكسرة . تقول في الرفع : زيدٌ وعمروٌ وبكرٌ . وتقول في النصب : زيداً وعمراً وبكراً . وتقول في الخفض : زيدٍ وعمروٍ وبكرٍ .

علامة الرفع في هذه الأسماء ضمُّ آخرها . وعلامة النصب فتح آخرها . وعلامة الخفض كسر آخرها .

وخمسة أسماء معتلّة مضافة ، رفعُها بالواو ونصبها بالألف ، وخفضها بالياء .

وهي أبوك وأخوك وحموك وفوك وذو مالٍ . والنصب : أباك وأخاك وحماك وفاك وذا مالٍ . والخفض : أبيك وأخيك وحميك وفيك وذي مال .

باب رفع الاثنين والجمع

ورفعُ الاثنين بالألف ، ونصبها وخفضها بالياء [٢ ب] تقول في الرفع : الزيدانِ والعمرانِ والبكرانِ . وعلامة الرفع فيهما الألف التي قبل النون .

وتقول في النصب والخفض : الزيدينِ والعمرينِ والبكرينِ . [و] علامة النصب والخفض فيهما الياء التي قبل النون .

ورفع الجمع الذي على هجاءين : بالواو . نحو قولك : الزيدونَ والعمرونَ والبكرونَ ونصبهم [١] وخفضهم [١] بالياء . نحو قولك : الزيدينَ والعمَرِينَ والبكرِينَ . ونون الإثنين مكسورة أبداً . ونون الجمع مفتوحة ابداً . وتسقطان بالاضافة . نحو قولك : هذان إبنا زيدٍ ، وهؤلاء بنو زيدٍ . أصله : إبنان وبنون حُذفت النون للاضافة .

ورفع فعل الاثنين والجمع ومخاطبَة المؤنث الواحد ، يكون بالنون . ونصبها [٢]

---

(١) كأنه في هذا التعبير جعل النصب والخفض المسمين لا للاسماء .

(٢) لعل الاصل : ونصبها وخفضها.

وجزمها [1] بحذف النون . تقول : تذهبان وتذهبون وتذهبين وما أشبه ذلك .

[فـ] علامة الرفع في هذه الأفعال ، ثباتُ [٣أ] النون : وتقول في النصب والجزم : لن تذهبا ولم تذهبا . ولن تذهبوا ولم تذهبوا . ولن تذهبي ولم تذهبي .

وعلامة النصب والجزم في [هذه] [2] الأفعال حذف النون .

ورفع جماعة المؤنث التي بالألف والتاء ، مثل مسلمات وهندات وما أشبه ذلك ، يكون بضمّ التاء . ونصبها وخفضها بكسر التاء . تقول في الرفع : جاءت الهنداتُ . وفي النصب والخفض : رأيتُ الهنداتِ ومررتُ بالهنداتِ . نصبُها وخفضُها سواءٌ .

باب أقسام الأفعال

إعلم أنّ الأفعال على أربعة أقسام : فعل ماضٍ ، وفعل مستقبل ، والأمر ، والنهي .

فالماضي ما حس فيه أمس . وهو مفتوح الآخر أبداً . نحو : سارَ وبانَ وخرجَ وغدا وراحَ .

والمضارع [3] ما كان في أوله حرفٌ من حروف الاستقبال . وهي أربعة أحرفٍ : التاء والياء والنون [٣ب] والألف . كقولك : تقومُ ويقومُ ونقومُ وأقومُ وما أشبه ذلك .

وهذه الأفعال مرفوعة أبداً ، ما لم يدخل عليها ناصبٌ ينصبها أو جازمٌ يجزمها ولهما موضعان يُذكران فيه .

وأما الأمر والنهي ، فنحو قولك : قُمْ واذهبْ ، ولا تدخلْ ولا تخرجْ . وهما مجزومان . إلاّ أن يستقبلها ألفٌ ولام أو ألفُ وصل ، فيكسران حينئذٍ . كقولك : اضربِ القوم واطلبِ الخير ، ولا تطلب الشر . كسرت الباء من اطلب ولا تطلب لالتقاء الساكنين ، وهما الباء واللام . ومثله : اكرمِ القوم وادخلِ الدار وأدبِ ابنك ولا تُطعِ امرأتك . وقس عليه .

(١) لعل الأصل : وجزمها .
(٢) الزيادة من : ي .
(٣) ي : والمستقبل .

باب الفاعل والمفعول به

الفاعل رفعٌ ابداً ، تقدّم أو تأخر . والمفعول به نصبٌ ابداً ، تقدم أو تأخرّ . تقول من ذلك : ضرب زيدٌ عمراً . رفعتَ زيداً لأنه فاعل . ونصبت عمراً لأنه مفعول به . ومثله أكرمَ أخوكَ أباك ، وركب زيدٌ فرسَك ، ودخل[٤ أ] عمرو دارَك ، وقس عليه . وتقول في التثنية : ضرب الزيدانِ العمرينِ . وفي الجماعة : ضرب الزيدونَ العمرينَ . وانما قلتَ ضربَ ولم تقلْ ضربوا ، وهم جماعة ، لأنّ الفعل اذا تقدّم وُحِّد ، واذا تأخّر ثنّي وجُمع للضمير الذي يكون فيه . نحو قولك زيدٌ قامٍ ، والزيدان والزيدون : قاما ، قاموا (١). ثنّيت قام وجمعته لأنه فعلٌ متأخر .

باب الابتداء

إعلم انّ كلّ اسمٍ يُبتَدأ به ولم يَعمل فيه عاملٌ ، ناصب أو خافض ، فانه رفعٌ ، وخبره رفعٌ مثله اذا كان اسماً واحـــداً . تقول من ذلك : زيدٌ منطلقٌ ، رفعتَ زيدا بالابتداء ، ورفعت منطلقاً لأنه خبر الابتداء .

تثنية (٢) الزيدانِ منطلقانِ . وجمعه الزيدونَ منطلقونَ . ومثله : أبوكَ جالسٌ ، والماءُ باردٌ والنهارُ طويلٌ ، والليلُ قصير [وقس عليه] (٣).

باب حروف الخفض (٤)

وهي : من والى وعن وفي وأعلى وأسفل [٤ ب] وخلف وقدام ووراء وأمام وفوق

(١) المخطوط : والزيدون والزيدان قاما قاموا . والسياق يقتضي ما أثبتنا في المتن .

(٢) لعل الأصل : تثنيته . أي المثال المتقدم ، زيد منطلق .

(٣) الزيادة من : ي .

(٤) ورد في هامش المخطوط ، بخط يخالف الاصل ، تعليق هذا نصه : « سماها جميعاً حروف الخفض . والا فبعضها اسماء من الظروف وغيرها كما ترى ، وبعضها من حروف الجر . ولعل ذلك تجوز من المصنف . وكذلك قال :

باب الحروف التي ترفع الاسماء وهي الافعال الناقصة . الى غير ذلك مما هو مخالف لما في كثير من كتب النحو . فينظر في اصطلاحه هل ذلك أم لا . والله أعلم » .

وتحت ووسط وبين وحذاء وتلقاء وازاء وقرب وعند ومع وقبل وبعد وحول وحسب ونحو ومُذْ[1] ورُبّ وكل وبعض ومثل وشبه وغير وذو وذات وذوات وويل وويح وويس وحاشا وخلا وسوى وما بال وما شان وسبحان ومعاذ ولدى ولدن وكم في الخبر وحتى على الغاية والواو بمعنى رُبّ والكاف الزائدة واللام الزائدة والباء الزائدة وحروف القسم وهي الواو والباء والتاء ولعمري وايم وهيم .

إعلم ان هذه الحروف ، تخفض ما بعدها . تقول من ذلك : كتبت الى زيدٍ خفضت زيداً بإلى . ومثله : مررتُ بزيدٍ ، وحدّثت[2] عن بكر ، وجلست عند أخيك ، ووالله لا كلّمتك ، وقس عليه .

واذا أضفتَ اسماً الى اسم ، فالثاني مخفوض بالاضافة . تقول : غلام زيدٍ وفرس عمروٍ ، ودار أخيك ، وثوب أبيك . خفضت [٥ أ] الثاني في كل ذلك باضافة الأول اليه .

باب الحروف التي تنصب الأسماء وترفع الأخبار

وهي إنّ وأنّ ولان وكأنّ وليت ولعل ولكنّ . تقول من ذلك : إنّ زيداً قائمٌ . نصبت زيداً بانّ ، ورفعت قائماً لانه خبر إن . وفي التثنية : انّ الزيدَين قائمان . وفي الجماعة[3] : [إن][4] الزيدِينَ قائمون . ومثله : ليت عمراً قادمٌ ، ولعلّ أخاك شاخص ، وكأنّ عبد الله أمير ، وقس عليه .

باب الحروف التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار

وهي : كان وصار وظلّ وبات وأمسى وأصبح ولم يزل ولا يزال وما زال وما دام وما انفكّ . تقول من ذلك : كان زيدٌ قائماً . رفعتَ زيداً لأنه اسم كان ونصبتَ قائماً

(١) ي : ومنذ
(٢) ي : وأخذت .
(٣) ي : الجمع
(٤) أضفناها لتستقيم بها العبارة . واللفظة واردة في: ي .

لانه خبر كان . وفي التثنيــة : كان الزيدان قائمين . وفي الجماعة [1] : كان الزيدون قائمين . ومنه [٥ ب] : صار عبدُ الله اميراً ، وأصبح أخوك شاخصاً وأمسى محمـــد سائراً ، وما زال أبوك محسناً .

باب الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلة

وهي : أنْ ولن ولئلا وكي وكيلا ولكي ولكيلا وحتى وحتى لا واذن ولام الجحود ولام كي وواو الظرف وأو [2] في معنى حتى والفاء في جواب ستة أشياء : الأمر والنهي والاستفهام والتمنّي والجحد والدعاء . تقول من ذلك : أردت أن تذهبَ يا فلان . نصبت تذهب بأنْ . وفي التثنية أردتُ ان تذهبا . وفي الجماعة أردتُ ان تذهبوا . وفي التأنيث أردتُ أن تذهبي، حذفت النون من الفعل في التثنية والجماعة والتأنيث للنصب . ومثله : أتيتك لتحسنَ إليّ . نصبت تحسن بلام كي . وما كان عبد الله ليشتمَك . نصبت يشتمك بلام الجحود . وتقول : لا تضرب زيداً وتأخذَ ماله . نصبت تأخذ بواو الصرف [3] . وتقول [٦ أ] : لا أكرمك أو تعطيَني نصيباً . نصبت تعطيني ، بمعنى حتى تعطيني والى أن تعطيني [4] .

باب الجواب بالفاء

إعلم انّ الجواب بالفاء منصوبٌ [5] أبداً في ستة أشياء : الأمر والنهي والاستفهام والتمني والجحد والدعاء [6] . فاذا أدخلتَ الفاء على فعل مستقبل وكان جواباً لشيء من هذه [الستة] [7] ، نصبتَهُ . تقول في الأمر والنهي زُرْني فأحسنَ اليك ، ولا تهجرني

(١) ي : الجمع (٢) ي : الصرف والواو

(٣) فيما تقدم من الباب أعجم الصاد وجعلها أخت الطاء .

(٤) ي : وأن لا تعطيني. (٥) ينتصب .

(٦) أشار الى هذا في الباب السابق .

(٧) الزيادة من : ي

فأسيء اليك . نصبت أُحسنَ وأسيء لأنها جوابا الأمروالنهي بالفاء . وتقول فيالاستفهام : اين زيد فنحدثَه . نصبت نحدثه لانه جواب الاستفهام بالفاء وتقول في التمني : ليت زيداً عندنا فنكرمَه . نصبت نكرمه لانه جواب التمني بالفاء . وتقول في الدعاء : رزقك الله مالاً فتتّسعَ به . نصبت تتسع لانهجواب الدعاء بالفاء . وتقول في الجحد : ما لك مال فتنفقَه . نصبت تنفقه لانه جواب الجحد بالفاء . واذا حذفت [٦ ب] الفاء من هذه الجوابات فاجزمْها نحو قولك : اقصدْ زيداً يحسنْ اليك ، ولا تقصدْ عمراً تندمْ . ومثله اين بيتك أزرْكَ . وليت لي مالاً أنفقْه . وقس عليه .

باب الحروف التي تجزم الافعال المستقبلة

وهي : لم ولمّا وألم وألما وأولم وأولما ولام الأمر ولا في النهى وحروف المجازاة [1] ، وهي إن ومَن وما ومهما ومتى ومتىما واين واينما وكيفما [وحيث] [2] وحيثما واذا ما وإذ ما واي وايهم . وتقول في ذلك : لم تذهبْ يا فلان . جزمت تذهب بلم . وفي التثنية : لم تذهبا وفي الجماعة : لم تذهبوا . وفي التأنيث : لم تذهبي . حذفتَ [3] النون من الفعل فيالتثنية والجماعة والتأنيث للجزم . ومثله : ليذهبْ زيد ، ولا تذهبْ يا عمرو .

واعلم انّ كل فعلٍ في آخره واو أو ياء أو ألف ، فجزمُهُ بحذف آخره . نحو قولك : لم تَقضِ ولم ترمِ ولم تدعُ ولم تغزُ ولم تخشَ [٧ أ] ولم يرض ، وما أشبه ذلك . أصله : تقضي وترمي وتدعو وتغزو وتخشى وترضى . حذفت الياء والواو والألف للجزم . وتقول في المجازاة : إن تكرمْني أكرمْك . جزمت تكرمني بان وجزمت اكرمْك لانه جوابه . فالأول شرط والجواب جزاء . ومثله : اينما تكنْ أقصدْك . ومهما تصنعْ أصنعْ واين ما تذهبْ أذهبْ .

(١) المخطوط : المحاراه .

(٢) الزيادة من : ي .

(٣) ي : فحذفت .

واذا أدخلت الفاء في جواب المجازاة ، رفعته . كقولك : من يكرمني فأكرِمُه ومن يقصدني فأحسنُ اليه . رفعت اكرم واحسن لانه جواب المجازاة بالفاء .

باب حروف الرفع

وهي : انما وكأنما ولكنما وكيفما وحيثما ولعلما وبينما وبينا ولولا ولوما واما وأين ومتى وعسى واذا وكيف وهل وبل وما ومن وهذا وذلك وذاك ونحن وهو وان الخفيفة ولكن الخفيفة وحبذا ونعم وبئس وكم اذا كان ما [٧ ب] بعدها معرفة .

وانما سُميّت حروف الرفع ، لأنها أكثر ما يجيء بعدها مرفوع . تقول من ذلك : إنما زيد قائم . رفعت زيداً بالابتداء وقائم خبره . ومثله : إنْ [١] اخوك شاخص . ومتى عمرو منطلق . وكيف عبد الله صانع . وإنْ زيد إلا قائم . ولولا زيد ما كلمتك [٢] .

باب المفعول الذي لم يسم فاعله

إعلم انّ المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله رفعٌ ابداً لانه قام مقام الفاعل . تقول من ذلك : ضُرِبَ زيدٌ . رفعتَ زيداً لأنه مفعول لم يسم فاعله .

ومثله : أُكرِمَ أخوك ، وكُلِّم عبدُ الله ، وصيغَ الخاتمُ ، وبِيعَ المتاعُ ، وقس عليه .

واذا كان الفعل يتعدّى الى مفعولين أو أكثر ، فارفع الاول وانصب الثاني والثالث نحو قولك : أُعطيَ زيدٌ درهما . رفعت زيداً لانه مفعول [ما][٣] لم يُسمّ فاعله ، ونصبت الدرهم لانه مفعول ثانٍ . ومثله : كُسي عمرو ثوباً . [٨ أ] وظُنّ عبدُ الله شاخصاً . وأعلم زيدعمراً مقيما . وقس عليه .

---

(١) ي : اين . وهو الوجه .

(٢) ي : لكلمتك .

(٣) الزيادة من : ي

باب المعرفة والنكرة

إعلم انّ الأسماء على قسمين : معرفة ونكرة . فالمعرفة على خمسة أوُجهٍ : اسم علم ، واسم معهود ، واسم مبهم ، واسم مُضمر ، واسم مضاف الى أحد هؤلاء المعارف . فالعلم هو اسماء الناس والبلدان . نحو قولك : زيد وعمرو ومكة وبغداد وما أشبه ذلك . والمعهود ما كان[في][1] أوله ألف ولام للتعريف. كقولك الرجل والفرس والدار والثوب وما أشبه ذلك . والمبهم ما يُشار به الى الشيء . نحو قولك : هذا وهذه وذلك وتلك وما أشبه ذلك . والمضمر نحو قولك : هو وهي وتثنيتهما وجمعها ونحو التاء في ضربت ونا في ضربنا وني في ضربني والياء في داري وثوبي وما أشبه ذلك . والمضاف الى أحد هؤلاء المعارف نحو قولك : غلام زيد [٨ ب] ودار الرجل وثوب هذا وثوبي وثوبك وقس عليه .

باب ما يتبع الاسم في أعرابه

وهي أربعة أشياء : النعت والعطف والبدل والتوكيد .

باب النعت

إعلم انّ النعت تابع للاسم في إعرابه وتعريفه وتنكيره . ان كان الاسمُ رفعاً فنعتُه رفعٌ . وان كان نصباً فنعتُهُ نصبٌ . وإن كان خفضاً فنعتُه خفضٌ . وان كان معرفة فنعته معرفة . وان كان نكرة فنعته نكرة . تقول من ذلك : قام زيد العاقل . رفعت زيداً بفعله[2] ورفعت العاقل لأنه نعت لزيد . وفي التثنية : قام الزيدان العاقلان . وفي الجماعة : قام الزيدون العاقلون . ومثله : جاءني رجلٌ صالحٌ ، ومررت برجلٍ ذي مالٍ ، ولقيتُ أخاك ذا المال ، وكلمت أبا عمرو العاقلَ ، وكلمتُ أبوي عمرو الكاتبين ، وقس عليه .

---

(١) الزيادة من : ي

(٢) ي : لأنه فاعل .

باب حروف العطف

[٩ أ] وحروف العطف: الواو والفاء وثم وأو ولا وبل ولكن وام واما وحتى. تعطف بهذه الحروف الثاني على الأول فتصيّره فى مثل حاله من الإعراب فى الرفع والنصب والخفض والجزم . تقول من ذلك : جاء زيد وعمرو ، رفعت زيداً لانه فاعل ورفعت عمراً لانه عطف عليه بالواو . ومثله : رأيتُ زيداً فعمراً . ومررتُ بزيدٍ ثم عمرو . وجاءني القومُ حتى زيدٌ . وضربت القوم حتى زيداً . وكذلك ما أشبهه .

باب التوكيد

وحروف التوكيد سبعة : النفس والعين وكل وجميع وأجمع واكتع وابضع [1] وما تولد منهما من تثنية وجمع وتذكير وتأنيث. تقول من ذلك : جاءني زيدٌ نفسُهُ . ورفعت[2] زيداً لأنه فاعل ، ورفعت نفسه لأنه توكيد لزيد . ومثله : جاءني القومُ أجمعون ، ولقيتُهم أجمعين ، ومررتُ بهم أجمعين ، ومررتُ بهم كلِّهم [٩ ب] وبهما كليهما . وفي المؤنث أيضاً ، وكذلك ما أشبهه . وتقول قام القوم جميعٌ وجميعاً . الرفع توكيد للقوم ، والنصب على الحال . وقس عليه .

باب البدل

إعلم انّ البدل يجري على ما قبله من الإعراب كما يجري النعت . ويجوز بدل المعرفة من المعرفة والنكرة من النكرة والمعرفة من النكرة والنكرة من المعرفة . كل ذلك جائز . تقول من ذلك : جاءني أخوك زيدٌ . رفعت الاخ بفعله ورفعت زيداً لأنه بدل من الأخ ، وهذا بدل من المعرفة . ومثله مررتُ برجلٍ زيدٍ . وهذا بدل المعرفة من النكرة . ومررتُ بأخيك رجلٍ صالح . وهذا بدل النكرة من المعرفة ، ورأيتُ رجلين رجلاً طويلاً ورجلاً قصيراً . وهذا بدل النكرة من النكرة .

---

(١) الوجه : ابصع بالصاد المهملة .

(٢) لعل وجود الواو هنا من عمل الناسخ .

باب الحال

إعلم ان الحال نصبٌ ابداً . وهو كل اسم نكرة جاء بعد اسم معرفة قد تم الكلام دونه . تقول من ذلك : جاء [١٠ أ] زيدٌ راكباً . نصبتَ راكباً على الحال ، أي جاء في حال ركوبه . ومثله : أقبل زيدٌ ضاحكاً ، وهذا أخوك منطلقاً ، وذاك عبدالله هارباً ، [وفي الدار زيد قائماً ،] [١] وعندك عمرو جالساً ، وقس عليه .

باب الظروف

إعلم ان الظروف على وجهين : ظرف زمان وظرف مكان [٢] . فالظرف من الزمان مثل : اليوم والليلة والساعة والغدوة والعشية والشهر والسنة وقبل وبعد وما أشبه ذلك من أسماء الزمان. والظرف من المكان ، نحو قولك : خلف وأمام وفوق وتحت وعند وحول وما أشبه ذلك من اسماء المكان .

والظرف نصب إذا جئتَ به ظرفاً في موضعه . تقول من ذلك : جلست عندَك اليومَ . نصبتَ عندك واليوم على الظرف . فعندك ظرف من المكان واليوم ظرف من الزمان . ومثله : جلست أمامَ زيد ، وخرجتُ يومَ الجمعة وسأركب غداً ومشيت فرسخين .

[١٠ ب]

باب الإغراء والتحذير

اذا أغريت بشيء وحذرتَ [٣] عنه [٤] ، فانصب . والعرب لا تُغري إلا بثلاثة أحرف ، وهي عليك وعندك ودونك . تقول من ذلك : عليك زيداً . نصبت زيداً بالاغراء . ومعنى الإغراء إلزمْ زيداً وخذْ زيداً . ومثله : عندك عمراً ودونك محمداً . أي خذ محمداً .

وتقول في التحذير : الله الله ، الأسد الأسد ، واياك الفتنة . فتنصب على التحذير . بمعنى : إحذر الاسد واحذر الفتنة .

---

(١) الزيادة من : ي

(٢) ي : ظرف من الزمان وظرف من المكان .

(٣) ي : أو حذرت

(٤) الوجه : منه

باب التفسير

إعلم ان كلّ شيء ذكرته مما يحتمل أنواعاً ثم فسرته بنوع نكرة، كان التفسير نصباً . تقول من ذلك : عندي خمسة عشر درهماً . نصبت الدرهم على التفسير . ويقال على التمييز . ومثله : عندي عشرون عبداً ، وهذه خمسة أرطال زيتاً ، وفلان أكثر الناس مالاً وأحسنهم وجهاً .

باب التعجب

إعلم انّ كل ما يتعجب منه بما فهو نصب . تقول من ذلك : ما أحسنَ [١١ أ] زيداً . نصبت زيداً للتعجب . وفي التثنية : ما أحسنَ الزيدَيْنِ . وفي الجماعة : ما أحسن الزيدِينَ . ومثله ما أجمل هنداً ، وما انظف ثوبك ، وما أكرم أخاك . وقس عليه .

باب النداء

اذا ناديت اسماً معرفة مفرداً ، فارفعه بلا تنوين . كقولك : يازيد ، ويا عمرو ، ويا أيها الرجل، ونحوها، واذا ناديتَ نكرة ، فانصبها ونوّنها . كقولك: يارجلاً اقبلْ ،ويا ذاهباً تعال . تريد يارجلاً من الرجال . وكل من أجابك فهو الذي ناديت . واذا ناديت مضافاً فانصبْه . كقولك : ياعبدَالله ،ويا أبا محمد ، ويا غلامَ زيد ، ويا صاحبَ الفرس ، ويا أخانا ، ويا أبانا ، وقس عليه .

باب العدد

إعلم انّ العدد المذكّر من الثلاثة الى العشرة بالهاء ، وعدد المؤنث من الثلاث الى العشر بغيرها . تقول في المذكر : ثلاثة رجال وخمسة أثواب ، وعشرة أيام .

وفي المؤنث : ثلاث نسوة ، وخمس بنات [١١ب] ، وعشر ليال ، وقس عليه . فاذا جاوزت العشرة حذفت الهاء من العشرة في المذكر وأثبتها في المؤنث ، وأسكنت الشين من العشرة في المؤنث . تقول في المذكر : أحد عشر رجلاً ، واثنا عشر رجلاً ، وثلاثة عشر

رجلاً ، وقس عليه . وفي المؤنث : إحدى عشرة امرأةً ، واثنتا عشرة امرأة ، وثلاث عشرة امرأة ، وقس عليه .

حروف الاستثناء (١)

وهي : إلاّ وغير وسوى وحاشى وخلا وما خلا [وما] (٢) عدا وبل [و] ليس ولا يكون وإلا ان يكون ولا سيما . واذا استثنيت بالا وكان أول الكلام موجباً نصبت المستثنى ، كقولك: قام القوم إلا زيداً ، ومررت بهم إلا عمراً ، وهذا دينار إلا قيراطاً ، وقس عليه . وان كان أول الكلام جحداً أجريت ما بعد إلا على ما قبلها من الاعراب على البدل . كقولك: ما أتاني أحدٌ إلا أبوك ، وما رأيتُ أحداً إلا أباك ، وما مررت بأحدٍ إلا ابيك . واذا استثنيت [١٢ أ] بغير وسوى وحاشى وخلا وبل ، خفضت (٣) المستثنى ، كقولك قام القوم غير زيد وسوى زيد وحاشى زيد وخلا زيد .

واذا استثنيت بما عدا وما خلا وليس ولا يكون ، نصبت الاستثناء (٤) في الموجب والمنفي ، كقولك : قام القوم ما خلا زيداً وما عدا زيداً وليس بكراً ولا يكون محمداً . وما قام القوم ما خلا زيداً [وليس زيداً] (٥) .

واذا استثنيت بالا ان يكون ، فان شئت رفعت وان شئت نصبتَ . كقولك : قام القوم إلا أن يكون زيدٌ ، إلا ان يكون زيداً .

واذا استثنيت بلا سيما . فان شئت رفعت (٦) ، وان شئت خفضت . كقولك : ضربني القوم لا سيما زيدٌ (٧) ولا سيما زيدٍ .

(١) المخطوط : الاستثنى .
(٢) الزيادة من : ي
(٣) المخطوط : خفظت .
(٤) الوجه : المستثنى .
(٥) الزيادة من : ي
(٦) ي : نصبت .
(٧) ي : زيدا .

باب علامات التأنيث

إعلم ان علامات التأنيث ثلاث : أولها الهاء والياء والهمزة الممدودة . فالهاء عــلامة التأنيث في مثل قولك : القائمة والقاعدة والصالحةوما أشبه ذلك. والياء نحو قولك[١٢ب]: الحبلى والسكرى والذكرى وما أشبه :لك . والهمزة نحو قولك : البيضاء والحمراء والسوداء وما اشبه ذلك .

وقد جاءت اسماء مؤنثة بلا علامة . وهي لا تُدرك إلا بالسماع . نحو : السماء والأرض والشمس والقمر [١] والرياح والنفس والنار والدار والبئر والدلو والكأس والخمر والعصا والقوس والدرع والعنكبوت والحرب [٢] والسلاح وتذكر [٣] وتؤنث . وكذلك السكين والسبيل والطريق والضياع والروح والسوق والحانوت . وكل جماعة من المؤنث . وكل شيء في بدن الانسان منه اثنان فانه مؤنث إلا الحاجبين والخدين والجنبين والثديين .وكل شيء منه في البدن واحد فانه مذكر ، إلا الكرش والكبد والاست .

باب ألفات الوصل في أوائل الأسماء

إعلم ان جميع الألفات التي هي [٤] أوائل الاسماء ، فهي [٥] ألفات قطع ، إلا في عشرة أسماء فان أَلِفاتها أَلِفاتُ وصلٍ [١٣ أ] وهي: ابن وابنةوامرء وامرأة واثنان واثنتان [٦] واسم واست وألف لام التعريف والف المصدر سوى [٧] مصدر أفعل . نحو قولك : اكتسب اكتساباً وانطلق انطلاقاً وما أشبه ذلك .

---

(١) ليس القمر من هذه الاسماء ويكفي في تذكيره قوله تعالى : والقمر قدرناه منازل .

(٢) ي : والحوت .

(٣) لعل الاصل : وهي تذكر وتؤنث .

(٤) ي : في

(٥) لعل الاصل : هي

(٦) ي : وابنان وابنتان .

(٧) المخطوط : سوا .

باب الأسماء التي لا تنصرف

إعلم ان الأسماء التي لا تنصرف، على عشرين وجهاً. عشرة منها لا تنصرف في معرفة ولا نكرة، وعشرة لا تنصرف فى المعرفة وتنصرف في النكرة.

فاما العشرة التي لا تنصرف في معرفة ولا نكرة، فأحدها ماكان على مثال أفعل اذا كان نعتاً. كقولك: أبيض وأسود وأحسن وأفضل وآخر [1] وما أشبه ذلك.

والثاني: ماكان على فعلان الذي انثاه فعلى. مثل: سكران وسكرى وما اشبه ذلك.

والثالث: ماكان على افعلاء مثل: اصدقاء وانبياء واولياء وما أشبه ذلك.

والرابع: ماكان على فُعَلاء مثل: عُقلاء وفقهاء وعلماء وما [١٣ ب] أشبه ذلك.

والخامس: ماكان على فَعلاء. مثل: بيضاء وسوداء وما أشبه ذلك.

والسادس: ماكان على فَعْلَى [2]. مثل: مرضى وسكرى وما أشبه ذلك.

والسابع: ماكان على فُعْلَى. مثل: حُبلى وبُشرى وما أشبه ذلك.

والثامن: ماكان على فِعْلَى. مثل: ذكرى وإحدى وما أشبه ذلك.

والتاسع: ماكان بعد ألف الجمع أكثر من حرف واحد. مثل: مساجد ودراهم ودنانير ودوابّ وشواب وما أشبه ذلك.

والعاشر: ماكان معدولاً من العدد. مثل مثنى وثلاث ورباع وما أشبه ذلك.

وأما العشرة التي لا تنصرف في المعرفة وتنصرف في النكرة، فاحدها: كل اسم أعجمي [3] على أكثر من ثلاثة أحرف. مثل: ابراهيم واسماعيل وجبريل وميكائيل وبهرام ورامس وما أشبه ذلك.

والثاني: كل اسم مؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف لا علامة فيه للتأنيث. مثل: زينب وسعاد ومريم وما أشبه ذلك.

---

(١) ي: وأخرم

(٢) المخطوط: فعلا.

(٣) المخطوط: عجمي.

[١٤ أ] والثالث : كل اسم في آخره هاء التأنيث . مثل : طلحـــة وحمزة وفاطمة وخديجة وما أشبه ذلك .

والرابع : كل اسم لمؤنث على ثلاثة أحرف متحركة . مثل : قدم وسفر[١] وطرب وما أشبه ذلك .

والخامس : كل اسم لمذكر سمّيتَ به مؤنثاً ، أو اسم لمؤنث سمّيت به مذكراً اذا كان على أكثر من ثلاثة أحرف . كرجـلٍ[٢] سميته زينب[٣] ، أو إمرأة سميتَها جعفر وما أشبه ذلك .

والسادس : كل اسمٍ على فُعَل مما لا تحسن فيه الألف واللام . مثل : عُمَر وزُفَر وقُثَم وما أشبه ذلك .

والسابع : كل اسم على فاعول مما لا تحسن فيه الألف واللام . مثل : طالوت وجالوت وهارون وما أشبه ذلك .

والثامن : كل اسم على مثال الفعل المستقبل أو الامر . مثل أحمد ويزيد ويشكر وما أشبه ذلك .

والتاسع : كل اسم على فَعْلان أو فُعْلان أو فِعْلان ، اذا كانت[٤] النون فيه زائدة . مثل عثمان وعمران وسلمان وما أشبه ذلك .

والعاشر : كل اسمين [١٤ ب] جُعلا اسماً واحداً . مثل : معدي كرب وحضرموت وبعلبك وما أشبه ذلك .

واعلم ان أسماء الانبياء عليهم السلام ، لا تنصرف في المعرفة إلا ستة أنبياء : نوحــاً وهوداً ولوطاً وشعيباً وصالحاً ومحمداً صلى الله عليه [وعليهم] وسلم [الى يوم القيامة][٥] .

(١) ي : وسقر .
(٢) النسق يقتضي أن يقدم المثال الثاني على الاول .
(٣) ي : زينباً .
(٤) المخطوط : كان . وفي ي : اذا كان النون فيه زائداً .
(٥) الزيادة من : ي .

وأسماء البلدان كلها لا تنصرف في المعرفـــة ألا واسطاً ودابقاً وبدراً وُحنيناً وهجراً وحجراً . فانك بالخيار في صرفها وترك صرفها .

واعلم ان كل اسم لا ينصرف فانه لا ينـوّن ولا يخفض ويكون في موضع الخفض[(1)] نصباً بغير تنوين . وكلما لا ينصرف من الاسماء ، اذا أدخلت عليه الالفواللام وأضفته انصرف . نحو قولك : مررت بالأسود [والأحمر][(2)] والسوداء والابيض والبيضاء ، ومررت بمساجـدكم ومنابركم . والله أعلم .

تمّ المختصر بحمدالله وعونه وحسن توفيقه في تاريخ نهار الخميس التاسع من شهر ربيـع الآخر سنة ١١٠٠ [(3)] من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[١٥ أ] كاتبه العبد الفقير الى عفو الله الـكريم المسامح ، محمد بن عبدالله بن محمد الفلاحي، عفا الله عنه وعن والديه آمين آمين .

بعناية سيّدي الفقيه الصالح الراجح بدر الدين والخيرة من الشيعة الأمجد بن محمد بنأحمد حامد الانسي ، فسح الله في مدته وتقبل منه وجعل ذلك خالصاً لوجهه الـكريم معربا من جنات النعيم . آمين آمين آمين .

وجاء في اسفل الصفحة ١٤ ب قول بعضهم بخط غير خط الـكتاب :

« بلغ مطالعةً يوم الاحد ٨ شهر شوال سنة ١١١٤ [(4)] كتبه يوسف بن محمد بن زباره وفقه الله » .

وفي أسفل الصفحة ١٥ أ قول بعضهم بخط يختلف عن خط الـكتاب أيضاً :

(١) الزيادة من : ى

(٢) الزيادة من : ي .

(٣) تقابل ١٠ شباط ١٦٨٩ م .

(٤) تقابل ٢٠ شباط ١٧٠٣ م .

« فائدة : الذي ينصرف من أسماء الأنبياء يضبطه : صن شمله . الصاد : صالح ، والنون : نوح والشين : شعيب [1] . وعدا ذلك يمتنع الصرف وامتناع الصرف انما هو في الخفض والتنوين . واما النصب والرفع فعلى حالهما [2] .

---

(١) فاته : والميم : محمد ، واللام : لوط ، والهاء : هود .

(٢) جاء في آخر نسخة ي ، ما هذا نصه :

« تم المختصر بعون الله وتوفيقه فلله الحمد كثيراً بكرة وأصيلا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وازواجه وذريته ورضي الله عن الصحابة أجمعين .

« فرغ بخط العبد الفقير الى رحمة ربه العلي القدير ، صالح بن قاسم بن سليمان بن محمد الحنبلي المصري ، عفا الله عنه وعن والديه واخوانه ، وذلك في الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة سبع وثمانمائة هجرية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام الأتمان الأكملان الأدومان . وذلك في مرابض في بستان العبد الفقير الى الله تعالى يحي بن الورد بن الاسد العباسي . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين » .

الجلسة العاشرة « الختامية »

(خاصة)

مساء الاثنين ٥ من شعبان سنة ١٣٨٥ هـ

٢٩ من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٥ م

١ — تلخيص أعمال المؤتمر للدكتور ابراهيم مدكور ـ الأمين العام لمجمع اللغة العربية

٢ — تحية ـ قصيدة ـ للأستاذ عبد الفتاح الصعيدي ـ عضو مجمع اللغة العربية

٣ — كلمات ختامية :

أ ـ اقتراح الدكتور عمر فروخ ـ عضو مجمع اللغة العربية

ب ـ كلمة للدكتور إسحاق موسى الحسيني ـ عضو مجمع اللغة العربية

ج ـ كلمة للدكتور سليم النعيمي ـ نائب رئيس المجمع العلمي العراقي

١ — تلخيص أعمال المؤتمر

للدكتور ابراهيم مدكور
الامين العام لمجمع اللغة العربية

سيداتي ، سادتي :

لقد التقينا هنا منذ عشرة أيام ، وكان لقاؤنا حاراً وشيقاً . غذته الأخوة الصادقة ، وسمت به الرسالة الكبرى التي نضطلع بها ، رسالة الماضي والحاضر ، رسالة العروبة والقومية ، ولا يزعم المجمعيون مطلقاً أنهم يضطلعون بهذه الرسالة وحدهم ولو لم يشاركهم فيها أبناء العربية جميعاً لأضحت ولا معنى لها ، ولأصبحوا ولا قبل لهم بحملها . وأود أن ألاحظ أن هذه المشاركة واضحة هنا تمام الوضوح فنزعتكم العربية قوية سليمة ، وتمسككم بمجد الآباء والأجداد شديد . وقل منكم من لايتغنى بشعر ، أو يترنم بأنشودة ، إن في البادية أو في الحاضرة ، لدى الكتاب والأدباء ، أو لدى التجار والزراع . وإذا كان قد قدر لهذا المؤتمر نجاح ، فانه يرجع في قسط كبير منه إلى صدق متابعتكم وعظيم استجابتكم .

ومنذ التقينا ونحن في درس دائب وعمل متصل ، درس في قاعتي الشعب والمجلس الوطني ، ودرس فيما قمنا به من زيارات ورحلات ، ودرس أخير فيما نعمنا به من سمر وحديث في الأندية والندوات . والعراق كمصر مهد حضارات متصلة ومتلاحقة ، ازدهرت فيه الحضارة الآشورية والبابلية قبل الميلاد بآلاف السنين وتلتها الحضارة الفارسية التي عمرت عدة قرون ، ثم توج ذلك كله بالحضارة الإسلامية التي قامت على رسالة السماء ، ودعت إلى المحبة والإخاء ، ونشرت الوية العدل والحرية بين بني الإنسان ، ولهذه الحضارة جميعها آثار ومخلفات ، وكم دهشنا لجلالها وروعتها ، وأخذنا بفنها ودقتها . وقد لمسنا

أنكم تسهرون عليها ، وتحرصون على حمايتها والكشف عنها ، وأنها لتراث الإنسانية بقدر ما هي تراثكم ومجد الماضي والحاضر معاً .

وأما الأندية والندوات فلم يكن حظنا فيها بأقل من حظنا من الزيارات والرحلات ، تتسابقون إلى دعوتنا ، وتبالغون في الحفاوة بنا . ولا نكاد نقبل دعوة إلا وتعترض معها دعوات ، وكم رجونا كرام الداعين أن يتسامحوا في بعض دعواتهم ، وأن يؤثروا غيرهم على أنفسهم . وقد أتاحت لنا هذه الفرص أن نتبادل الحديث في شئون العلم والأدب ، وأن نتذاكر في حركات العالم العربي ونهضاته ومطالبه وحاجاته . وحديثكم شيق طلي كله حماس وحيوية ، ومملؤه إيمان وعقيدة ، ورجاء وأمل ، واستشرفنا جميعاً مستقبلا زاهراً وحياة سعيدة . وكثيراً ما استمتعنا بلذيذ مروياتكم وجميل محفوظاتكم .

وشهدتم معنا في هذه القاعة بعض ما قمنا به من درس . ولقد عقد المؤتمر عشر جلسات ، قسمت قسمة عادلة بين هذه القاعة والقاعة الأخرى ، نصفها صباحي والنصف الآخر مسائي ، وقصرت الجلسات الصباحيـة في قاعة المجلس الوطني على السادة أعضاء المجمعين : المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية ، وبلغ عددهم ٣٥ من سبع بلاد عربية ، من العراق ومصر ، من المغرب وليبيا ، من لبنان وفلسطين ، ومن اليمن ، واعتذر كثير من المصريين ، وبعض ممثلي البلاد العربية الاخرى — وزخرت هذه القاعة إلى جانب المجمعين بجمهور المثقفين من أدباء وعلماء ولغويين . ولم تخل اجتماعات القاعتين من أخذ ورد ، وملاحظة وتعليق .

وأستطيع أن أقرر — وبحق — أن هذا المؤتمر قد أعد له طويلا وروى في شأنه ما أمكن ، فجاءت دراساته وليدة بحث عميق وتمحيص وتحقيق . ويمكن أن ترد إلى أربعة أبواب :

١ — معجمات . ٢ — مصطلحات علمية

٣ — أصول لغوية . ٤ — بحوث .

١ — فأما المعجمات فقد عرض منها نموذج من ذلك المعجم الكبير الذي اضطلع به

مجمع اللغة العربية منذ عدة سنوات ، وشاء به أن يساير الفن المعجمي الحديث الذي يقوم على دقة الترتيب ، ووضوح الشرح والتعريف ، ويستعين بقدر من الرسـوم والصور ، ويتم بطابع موسوعي يوسع صدره ببعض أعلام الأشخاص والأماكن ، ويشرح طائفة من المصطلحات العلمية والعالمية ، ولا يضيق لبعض المعربات والمستحدثات ،

ويسرني أن أسجل أن المؤتمر أعرب عن الحاجة الماسة الى هذا المعجم ، ورغب رغبة أكيدة في أن تخرج بواكيره إلى النور قريباً ، ويرحب المؤتمرون جميعاً بأن يساهموا ما وسعهم في هذا العمل العظيم .

٢ — وأما المصطلحات فقد قدم منها نحو ٢٠٠ مصطلح في الفلسفة ، ومثلها تقريباً في الطب ، والمصطلحات الفلسفية جزء من معجم فلسفي بدأ فيه مجمع اللغة العربية منذ زمن ويتابع السير فيه وإن كان الطريق شاقاً طويلا .

والمصطلحات الطبية جزء من معجم طبي يعد له اليوم وقد آن الأوان لوضع معجم طبي حديث آخر ، بعد معجم المرحوم الدكتور شرف الذي استنفد أغراضه ولم تخل هذه المصطلحات من تعليق وملاحظة . والذي لا نزاع فيه أن هناك جهوداً كبيرة بذلت خلال نصف القرن الأخير في وضع المصطلح العربي الحديث ، وأن هذا المصطلح خطا خطوات فسيحة ، وأن ما قد يبدو فيه من خلاف بين بلد وآخر لايكاد يذكر بجانب ما اتفق عليه ، وعلى العلماء والمتخصصين أن يضيقوا شقة الخلاف ، وأن يلتقوا عند كلمة سواء ، وهم يدركون دون نزاع أن الأمر ليس أمر وطن ولا بلد بعينه ، وإنما هو أمر الأمة العربية جمعاء .

٣ — وأما الأصول اللغوية فقد أثير فيها موضوعان دقيقان ، ينصب أولهما على صيغة فعلان وجواز تأنيثها بالتاء وجمعها جمع تصحيح ، مجاراة لما حكى عن لغة بني أسد ، وينصب الثاني على صوغ أفعل التفضيل والتخفيف من شروطه ، بحيث تصبح أربعة وكانت تزيد على العشرة ، ويكتفي بأن يقال أنه يصاغ من الفعل المثبت ، المتصرف ، القابل للتفاضل ، الثلاثي الأصول سواء أكان مجرداً أم مزيداً . وكان طبيعياً أن يثير هذان

الموضوعان ما أثارا من نقاش وجدل .

ولكن بدا على المؤتمر أنه يؤيد كل التأييد سنة التيسير التي أخذ بها مجمع اللغة العربية ، والتي ترمي الى تطوير اللغة متناً وتراكيب ، دون خروج على الأصول المقررة ، ولم يتردد في قبول الموضوعين السابقين .

٤ ـ وكان نصيب مؤتمرنا هذا من البحوث والتحقيقات جد عظيم ، ولم يسبق لمجمع اللغة العربية أن فاز مؤتمره بمجموعة كهذه فقد بلغت نحو ٢٣ بحثاً ، ألقى معظمها واكتفى بنشر الباقي ، وتكاد تدور حول أربعة أبواب : أدب ، ولغة ، وتحقيق ، ومصطلحات . فعولج في الأدب ستة موضوعات : هي لغة الشاعر ، وميزان البند ، والطرماح بن حكيم ونسبته الى الخوارج ، وقصيدتان توأمان ، والنهضة العلمية والأدبية في ليبيا ، واثر الفكر في الأدب الحديث . وعولج في اللغة ثمانية موضوعات ، هي :

١ ـ المستدرك على المعجمات .

٢ ـ دراسة بعض صيغ اللغة .

٣ ـ ابن قتيبة والتوجيه اللغوي للكتاب .

٤ ـ الوضع ـ تحديده ، تقسيماته ، مصادر العلم به .

٥ ـ العربية لغة عالمية .

٦ ـ المذهب الكوفي .

٧ ـ انتخال الألفاظ المولدة .

٨ ـ اللغة القرآنية .

ووقف على المصطلحات العلمية ستة بحوث ، هي :

١ ـ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم .

٢ ـ توحيد المصطلحات القانونية .

٣ ـ صلاحية العربية لتدريس العلوم والتكنولوجيا .

٤ ـ ابن النفيس والمصطلح الطبي القديم .

٥ ـ آلات الجراحة عند العرب .

٦ ـ المصطلحات الطبية .

وعرض أخيراً في الإحياء والتحقيق لثلاثة موضوعات :

١ ـ سيرة ابن اسحق .

٢ ـ الواعظ البغدادي ومؤلفاته .

٣ ـ كتاب التفاحة في النحو .

وفي هذه الدراسات على اختلافها تحقيق وتمحيص ، وتحليل وتعليل ، تكشف عن أمور خفية ، وتصحح أخطاء شائعة ، وتوجه نحو حلول جديدة . ويوم أن تنشر وتقرأ على مهل سنفيد منها فائدة أتم ، وآمل أن تفتح أبواباً لأبحاث أخرى ، وهي في طريقها الى النشر ، ولن يتأخر ظهورها هنا في بغداد .

سيداتي سادتي

لقد كانت فرصة سعيدة تلك التي أتاحها لنا المجمع العلمي العراقي ، ومررنا فيها بتجربة جديدة في عالم العمل المجمعي المشترك ، تلك التي قمنا بها هنا وانها لتملي علينا دروساً ما أجدرنا أن نتأملها ، ونستخلص ثمارها العملية ، ويمكن أن نلخص هذه الثمار فيما يلي :

١ ـ تقديراً لما أسفر عنه لقاء بغداد من نجاح ، وما حققه من تعاون وتبادل بين مجمعي بغداد والقاهرة ، يوصي المؤتمر برسم خطة ثابتة لمثل هذا اللقاء ، بحيث يصبح دوريا ومتلاحقاً ، وبحيث تنسق جهود المجمعين في تطوير اللغة واحياء التراث .

٢ـ يتجه مجمع اللغة العربية مخلصاً الى جميع الباحثين والدارسين في البلاد العربية عامة أن يوافوه بكل ما يعن لهم من رأى أو اقتراح يعين على تطوير اللغة والنهوض بها .

٣ ـ يدعو المؤتمر الى تنشيط اللجان العلمية والفنية المشتركة التي تعمل تحت كنف الجامعة العربية لتوحيد المصطلحات الحديثة . وتنويع هذه اللجنة والاستزادة منها ، على أن تمثل فيها البلاد العربية ما أمكن ، وعلى أن تعمل بالتعاون مع مجمع اللغة العربية .

٤ ـ تشكل لجنة من المختصين تحت اشراف الجامعة والقيادة العربية الموحدة لتوحيد المصطلحات العسكرية ، على أن يعاونها بعض اللغويين .

هذه توصيات ورغبات نأخذ انفسنا بها ، وسنعمل جميعاً على تحقيقها ، ومتى تضافرنا على أمر ، وأخلصنا النية له ، فانا لابد واصلون .

سيداتي ، سادتي

لا أستطيع أن أبرح مكاني هذا قبل أن أتجه اليكم بخالص الشكر على حسن استماعكم وعظيم تأييدكم ، وأن أتقدم باسمي واسم زملائي السادة أعضاء مجمع اللغة العربية وهيئة مكتبه الشكر حار الى العراق حكومة وشعباً ، فقد أكرموا ضيافتنا ، ولم يفتهم شيء من مظاهر رعايتنا والعناية بنا . أحاطوا بنا في السفر والاقامة ، وأغدقوا علينا وسائل الترفيه وذللوا بذلك كله عناء البحث والدرس . على أنا لم نضطلع بهذا العبء وحدنا ، فقد شاركنا فيه تمام المشاركة زملاؤنا أعضاء المجمع العلمي العراقي ، وبينهم تخصصات متنوعة وأقطاب وحجج في علومهم وميادينهم .

وستبقى هذه الأيام العشرة ماثلة دائماً في أذهاننا بذكرياتها وآثارها ، وستدون في سجل الخالدين والى اللقاء في مؤتمر مجمعي آخر ان شاء الله .

٢ — تحية

للأستاذ عبد الفتاح الصعيدي

عضو مجمع اللغة العربية

داعٍ دعا لاحتفال بابنة الضاد ... نادى فأسمعنا في عُدْوة الوادي

صوتٌ نَدِيٌّ ببغداد دعا ، فسعى ... قوم من العرب ، ما يَنْدوهم النادي

من كل فج عميق قد أتوا زمراً ... حطوا رحالهم فى رُحب بغداد

لصوت بغداد في الأكوان جلجلة ... أَلَذّ في السمع من أنغام أعواد

هزت مشاعر أبناء العروبة ، في ... شرق وغرب ، وأوداء وأنجاد

لما سمعت استجاب القلب ، وابتهجت ... نفسي ، وفكرت في أمري وإعتادي

وأبصرتني فتاتي مشرقاً فرحاً ... فنبهتني لما تشكوه أَجْلادي

قالت : كفاك الذي قدمت من عمل ... فاسلم — سلمت — لأبناء وأحفاد

سِنٌّ وضعف وإرهاق ومشغلة ... إلى تزاحم أوصاب وإقعاد

تخيلت رحلة يَضْنى بها جسدي ... ولا يغامر فيها غير أجلاد

توهمت سفن الصحراء ترقبني ... مُرحَّلات ، وفيها كل وخاد

تنساب سارية آناً ، ومُهْجِرة ... آناً ، وتُزْجى لإقراب وإبعاد

فتت مناسمُها صلد الصفا ، ومضت ... في الدَّوّ ، ما زف فيه خير صِلْخاد

وقد تجوب رَخاخ الأرض آونة ... تسوخ أظلافها فيها لأعضاد

وكم خدت فى فجاج الأرض واضطرمت ... بالنص ما بين إصعاد وإنجاد

وقد دَّرت رحلة تعيا بها هممي ... فأشفقت ورجت نصحي وإرشادي

مهلاً فتاتي قبيل الحكم واتئدي ... فالصبر أحرى بتوفيق وإسعاد

مالي وللعيس أحفيها وتجهـدني أشكو وتشكو كلانا مرهق عاد
بُدِّلت من سفن الصحراء ماخرة الـ أجـواء تمخر فيهـا مخر طراد
جبارةً قـد دعوها اليوم طائرة عرفاً كما سموا الصهبـاء بالجادي
صفَّت جناحين صفاً منذ أن نشأت فما تـدُف لطـير أو لإهاد
كلا ولا صفقت يوماً ولا قبضت مثل الكواسر تهوي خوف صياد
يدير دولاُبها في الصدر مروحة كأنها في انبساط كف أجواد
دَرَّارة مثل خذروف الوليد . هفا في الخيط ، ما بين كفيه ، بترداد
تخالها فلكة في النحر ثابتـة وإنها لدرور ، صوتها نـاد
لها أصابع من صلب مفرقة كأنها رقـة ، شقات أعواد
قد تصفع الريح صفعاً في مداركة كأنه وقع صخر فوق صَيْخاد
لها على البعد فى الأجواء زمزمة الرعد أخفى صداها حين إرعاد
تدرعت بدروع الصلب ، محكمة صنعا ، وما صنعتهـا كف زراد
أخفافها بكرات الصلب قد نَعِلت من المطـاط ، بأطواق كأجـلاد
لا يعتريها الحفا ، مهما خدت وبغت إن صار خف الهوادى لون فرصاد
النفط فيهـا غذاء ناجع ورِوىً يكفي مشقة إصـدار وإيراد
كأن نيرانه في قاع جوشـنها غيظ الحقود ، وما تبلى بأحقاد
تؤز أزّاً كعزف الجن ، تحسبه وقـد علا من بعيد هَدّ أوتـاد
ترمي الفضاء بحيزوم بـه قعس ينمّ عن كبرياء مُشْرِف باد
زفزافة ظهرت للناس ، ما عرفت للقرب معنى ، ولا معنى لأبعـاد
لاتطلب الورد لوشاءت روى وردت ماء السحاب ، وعافت ورد أعداد
تجري كريح الصبا ، أوكالجنوب، وإن راحت مع النُّكْب،هبت دون إرواد
يقودهـا عبقري لا يضـل بها في الليل في الغيم ما احتاجت إلى حاد

أنظر إليها تشق السحب سابحة وانظر إلى سمك في البحر رعاد

إن كنت شاهدها فاعجب وجدّك من قصر مشيد ، يجوب الجو منطاد

فيه المقاصير زانتها أرائكها ممهدات كساها خير نجاد

خمّنتها من بنات الجن قد قعدت مقاعد السمع فارتدت بأرصاد

ألا تراها ونار الغيظ تقذفها نحو السماء لتروي غلها الصادي

ترقى السماء وتخشى أن تلامسها فالشهب واقفة منها بمرصاد

إن السماء على أبوابها حرس من يوم أن نُزّل القرآن بالضاد

قد انتهت لابن فرناس أبوتها إن يجحدوه فإنا خير أشهاد

عباس قد راضها في جو أندلس فلينصفوا وليقولوا إنه البادي

دعي السماء ، وعوجي اليوم ناجية نحو العراق ، ففيها خير مرتاد

وفي السماء رجوم الشهب قد رصدت وفي العراق نجوم الرائح الغادي

منازل العرب في كل البلاد سُوى أنَّى رحلنا نزلنا بين أنداد

قد كان للغة الفصحى أئمتها من العراقين ، كانوا خير رواد

هم الأُلى أصّلوها للأُلى خلفوا يا خير ما صنعت أم لأولاد

تبغددت فأرت من دلها عجباً وأعجبت فأثارت غيظ حسادي

ليلى بني العرب في أوطانهم لغة بحبها وهواها قد شدا الشادي

وكلهم قيسها والحب يجمعهم مُوثَّقاً ضم منقاداً لمنقاد

هي اللسان لدنياهم ودينهم لحاضر مترف فيهم وللبادي

بها تنزلت الآيات واتضحت مناهج الدين والدنيا لعباد

هي الرباط الوثيق العقد قد جمعت أشتاتهم ثم ردوا صولة العادي

كم جاهدت زمر الأعداء وانتصرت وذاد تحت لواها كل ذواد

أبناء أوطانها في عيدها استبقوا مباركين لها في خير أعياد

جاؤا لكي يشهدوها يوم جلوتها   في رحب بغداد رحب العزة العادي
نقل العلوم إليها فيه ميسرة   للطالبين وتمهيد لإجداد
أذاك أم لغة أخرى تكلفني الوقت الثمين سوى مالي وإتلادي
يا قوم، عودوا لماضيكم، فإن به   ركازكم، فانفضوه نفض نقاد
فيه لكم غنية عن كل مجتلب   يُفني القديم، ويُعيي همة الشادي
أحيوا الذي اعترف العلم الجديد به   وصرفوه كما شئتم، بإعداد
عودوا المذخور كم في العلم، وانتخلوا الـ   إبريز منه وميزوه من الصاد
عمر الجديد الذي تُرمى قواعده   على أساس وطيد عمر أطواد
جواهر الأرض إن تهمل بها صدئت
فأحسنوا الصنع، واجلوا الجوهر الصادي
هيا ابذلوا الجهد، والأموال طائلة   في خطة المجد تحقيقاً، لإسعاد
هذي سبيلكم للمجد قد وضحت   وإنها خير ما يرجى لإسداد
سبيل مجد جديد تذكرون به   عند الفخار، باعجاب وإحماد
لا يورث المجد، بل يبنيه طالبه   بالعلم، والهمة القعساء، والآد
لم تغن أحسابنا عنا وإن كرمت   ولا تضيف لنا ذوداً لأذواد
ولا سقينا بها أرضاً إذا سقيت   تبدلت بعد عرى خُضر أبراد
ولا بنينا بذكراها مصانعنا   تدر خيراً إلى إشغال أفراد
معادن الأرض ما نيلت جواهرها   إلا بكدّ وما نيلت بإرفاد
والدرّ موطنه قاع البحار فما   تنال أصدافه إلا باجهاد
نصر العروبة في الدنيا لنا هدف   ونحن حول حماها خير أجناد
قدمت مقترحاً من قبل متضحاً   نثراً وإني أثنيه بإنشادي
لا يرجع الوقت إن ضيعتموه سدىً   والجد والجِد في الدنيا بميعاد

٣ - كلمات ختـــامية

أ - اقتراح : للدكتور عمر فروخ

أرجو - تخليداً لذكرى انعقاد هذه الدورة في بغداد - أن يحـال إلى اللجنة المختصة هذا الاقتراح التالي :

من المعلوم أننا ننطق بمعظم أسماء الملوك البابليين والأشوريين على مقتضى اللفظ الإغريقي، نحو سرجون (Sargon) ، ونحو أشوربنيپال (Assurbanipal) فأرجـو أن يعـاد النظر في النطق بمثل هـذه الاعـلام فنقول في من نسميه الآن سرجون : شَرُّ وفين أو عبد الملك ، وفي من نسميه أشوربنيپال : نور بن بعـل ، أو ما يجب في مثل ذلك ممـا يراه الاعضاء في اللجنة .

ب — كلمة : للدكتور إسحق موسى الحسيني

إخواننا وأبناء عشيرتنا في هذا البلد العربي الأبي :

يسعدني ويشرفني أن أزجي إليكم شكرين ، شكر عاجز وشكر قادر . أما شكر العاجز فأقدمه نيابة عن زملائي الأجلاء أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة الذين سعوا إليكم وهم يرون الأرض تطوى لهم ويدنو بعيدها حقيقة ومجازاً . وأخص بالشكر سيادة الرئيس عبدالسلام عارف الذي أبت أريحيته إلا أن يعقد ندوة في قصره العامر يتحدث فيها إلينا حديث الأخ إلى أخيه دون كلفة ولا قيد . وأثني بشكر الحكومة وأعضاء المجمع العلمي العراقي وزملائنا الأساتذة والطلبة وأبناء الشعب الذين أحاطوا بنا إحاطة السوار بالمعصم وأشعرونا أن النقلة لم تكن من القاهرة إلى بغداد بل من حي عربي إلى حي عربي. لقد محوا تلك الخطوط الحمراء ، بل القيود السوداء التي رسمها أعداء العرب لتشتيت الشمل ونهب الخيرات ، وهم يجهلون أن ما صنعه الله بإرادته وحكمته لا يمحوه العبد بجبروته وطغيانه .

أما شكر القادر فأقدمه نيابة عن اللغة العربية الفاتنة المليحة ، لغة القرآن الكريم ولغة سيدنا محمد بن عبد الله ، موحد العرب وناقلهم من الظلمة إلى النور ومن الضلال إلى الهدى وواضع مثلهم العليا التي سادوا بها الدنيا .

إنه لمما يسترعي النظر أن معظم أعضاء المجمعين في القاهرة وبغداد درسوا في الجامعات الغربية وحذقوا لغة أو لغتين أو أكثر . ومع ذلك لم تزدهم الدراسة الا شغفاً بلغتهم وإعجابا بأسرارها . فالعربية يزيد جمالها بالموازنة والمقايسة ، وهي الجمال الفائق كلما زدنا لها درسا وتأملا زادتنا فتنة وحسناً .

ولا أقول ذلك تعبداً – وإن كان لا حرج في ذلك – وإنما أقوله تعقــلا . فأصوات العربية تشمل معظم الأصوات . والعربي يتـكلم ما يدرس من لغات كما يتـكلمها ابناؤها . ومن أندر النادر أن يتـكلم الأعجمي العربية كما يتـكلمها أهلها .

وصرف العربية فيه مقدرة على التصريف والاشتقاق على نحو لا نجد له نظيراً فيما نعرف من اللغات . وفيه قدرة على إحداث الإيقاع الذي نلحظـــه في سجع العربية وشعرها . ومفرداتها غنية غنى يندر مثله حتى لـكأنها لغة علم محـكم ولغة أدب فذ في وقت واحد .

ونحو العربية يجمع بين دقة الإغريقية الإعرابية ومرونة الإنجليزية التحليلية . لقد واجهت العربية في حيـاتها تحديا سـياسياً وحضريا وروحياً من قبـــل الشرق والغرب ، وتآمرت عليها المحن تآمر اللئيم على الـكريم . ولـكنها ثبتت وانتصرت وزادت حسناً على حسن وقوة على قوة .

إن العربية لنا ليست وسيلة تعبير فحسب . إنها دين ودنيا وأمجاد شامخة وحضارة وارفة. وإذا استطاعت أمة أن تنسلخ عن لغتها دون أن تضام ، فنحن العرب ، إذا انسلخنا عن لغتنا فقدنا معنى وجودنا وأضحينا أمة من العبيد . ولذلك أسباب علمية لا مجال لذكرها .

أيها السادة .

اسمحوا لي قبل أن أنهي شكري أن أردد في هذه المناسبة أبياتاً من الشعر لعبيد الله ابن قيس الرقيات ، مع قيدين : الأول أن أضع الأعاجم بدل القبائل . والثاني أن يكون معنى قريش الأمة العربية .

حبذا العيش حين قومي جميع   لم تفرق أمورهـا الأهـــواء

قبل أن تطمع الأعاجـــم في مـلك قريش وتشمت الأعـــداء

أيها المشتهي فنـــاء قريش   بيـــد الله ملـكها والفنـــاء

إن تودع من البلاد قريش   لا يكن بعدهـــا لحي بقـــاء

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

م – كلمة : الدكتور سليم النعيمي

نائب رئيس المجمع العلمي العراقي

سيداتي وسادتي :

إنه ليسعدني في هذا الاحتفال الجامع الذي نختتم به مؤتمر مجمع اللغة العربية أن أكرر الشكر باسمي وباسم إخواني أعضاء المجمع العلمي العراقي ، وأن أعلن عظيم إجلالي وإكباري للسادة الأفاضل أعضاء مجمع اللغة العربية الذين حملتهم روحهم الطيبة الكريمة على أن يتجشموا ويتحملوا مشقة السفر ووعثاء الطريق ، ليعقد هذا المؤتمر ، فالتقوا بإخوان لهم وتلاميذ يحملون لهم كل إجلال وتقدير ويعملون متعاونين في سبيل إحياء لغة القرآن وبعث الثقافة العربية ونشر الحضارة الاسلامية .

أيها السادة :

لقد كان عقد هذا المؤتمر ضرورة أوحاها حاضر العرب ، وتتطلبه حاجة اللغة إليه . لقد استيقظ العرب من رقدتهم خلال القرن الماضي فوجدوا أن العروبة قد اصبحت لفظاً تغير مدلوله بين الناس ، وجنساً تنكر معالمه بين الأجناس ، ولغة فشا فيها الدخيل ، وديناً تقول عليه الباطل ، وتاريخاً غلب عليه النسيان ، وأثراً تخطفته الأعداء ، وحضارة تجنى عليها التعصب ، وقد بذلت جهود كريمة مشكورة في مختلف الأقطار العربية ، لتعيد للعروبة مدلولها ، وللغة نقاءها ، وللدين جلاءه ، وللحضارة أثرها ، وللثقافة تحييها وتنشرها . ولكن هذه الجهود بقيت متفرقة وبقيت بحاجة إلى تنظيم وتنسيق . وقد قامت المجامع اللغوية في البلاد العربية مشكورة تحاول في كل قطر منها أن تقوم بنصيب فيها من العمل على إحياء اللغة وتقويمها ونشر الثقافة العربية ، وبعث التراث الإسلامي

ولكن هذه الجهود بقيت موزعة تحتاج إلى تنسيق وتنظيم لكي نستطيع أن نساير الزمن ونلحق بركب الحضارة . فكان هذا المؤتمر يحاول أن يضع اللبنة الأولى لتوحيد الجهود وتنسيق العمل وربط النظام لكي نصل إلى ما نصبو إليه من هدف مسرعين لنستطيع أن نلحق بالناس ونلحق بالركب في مضمار التقدم والحضارة .

لا أريد أن أطيل عليكم ، ولكن أريد فقط أن أكرر الشكر للسادة الأجلاء اعضاء المجمع لتعاونهم ولما بذلوه من جهد في إنجاح هذا المؤتمر . فباسم الله نختتم هذا المؤتمر كما افتتحناه باسم الله ، إنه نعم المولى وهو ولي التوفيق .. والسلام عليكم ورحمة الله .

الفهرس

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

الجلسة السادسة :

الجلسة السابعة :

الجلسة الثامنة :

رقم الصفحة

الجلسة التاسعة :

الجلسة العاشرة « الختامية » :